العدد
12

كانون الثاني
يناير
2022

افتتاحية العدد
الغرب والإرهاب
شوها الأصولية
بقلم المؤلف الدكتور
إبراهيم محمد جواد

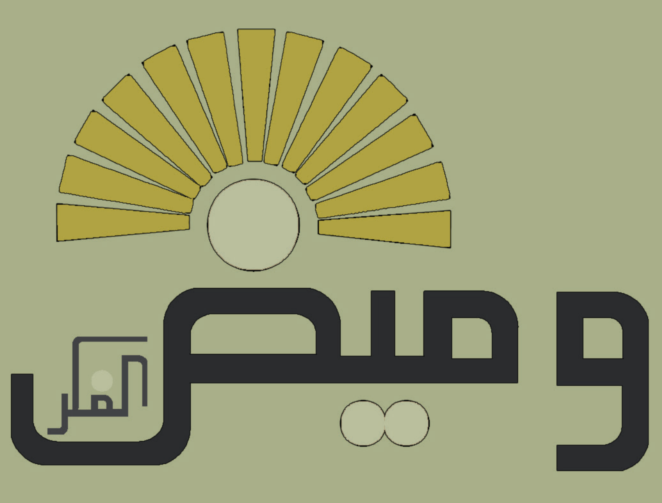
كتاب العدد
كتاب المنهج الثقافي ونظرية الكشف
للمؤلف الأستاذ الدكتور علي مهدي زيتون
1- "المنهج الثقافي، روحٌ تسري بين الأمم"
بقلم رانية محمود القوزي
2- المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف عند الدّكتور علي مهدي زيتون
بقلم الدّكتورة هبة العوطة.
3- المنهج الثقافي ونظريّة الكشف"؛ نقد محليّ بمحاذاة الكونيّة
بقلم الدكتورة زينب الطحان

شخصية العدد
الشاعر الفلسطيني
محمود درويش
1- السيرة الذاتية
لمحمود درويش
2- مقال بعنوان: محمود درويش شاعر الوطن
بقلم الباحثة الدكتورة
علا آغا
3- مقال تحت عنوان:
جدل الثقافة والرّمز عند
محمود درويش
بقلم الأستاذ الدكتور
غسان أحمد التويني

محور العدد:
نساء عربيات رائدات
الأستاذة الدكتورة
نشأت نور الدين
الخطيب
1- مقال يتحدث عن
الدكتورة نشأت
الخطيب
بقلم الأستاذ الدكتور
أ.د. محمد علي القوزي
2- مقال بعنوان: بعض
الوفاء لأهله
بقلم الدكتورة هيفاء
سليمان الامام



كلمة العدد:
بقلم رئيسة التحرير
الدكتورة
هيفاء سليمان الإمام



مجلة ربع سنوية علمية محكمة

الجمعية الوطنية
للثقافة والتطوير
علم وخبر
1193/أ.د

دار النهضة العربية


شهادة رقم (٢٠٢١-٠٠١)
معامل التأثير العربي
اتحاد الجامعات العربية
مجلة وميض الفكر للبحوث
ISSN: 2618 - 1312
قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام ٢٠٢١ وقدرة 2.4 وترتيبيا رقم ٤٧ من بين ٢١٥٧ مجلة عربية


مجلة ربع سنوية علمية محكمة

h_imamomais@hotmail.com
wameed.alfkr@gmail.com



حصلت مجلة وميض الفكر للبحوث
على معامل التأثير العربي لعام 2021 وقدره 2.4
وترتيبها 47 من بين 2157 مجلة عربية

التعريف:

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، علم وخبر 1193/أ. د، ترأس تحريرها: د. هيفاء سليمان الإمام، تعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النهضة العربية/ بيروت . لبنان
وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928
والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 475/2018،
حائزة على: الـ issn للطبعة الورقية رقم 2618-1312
وللنسخة الإلكترونية - e-copy رقم 2618-1320
IF: Ref.No: 2020 J101
DOI: 1018756/2020 J101
code ARCI-2007-1110



دار النهضة العربية

مجلة « وميض الفكر» للبحوث
مجلة علمية محكمة ربع سنوية
تخصص: تربية وعلوم إنسانية
العدد الثاني عشر (كانون الثاني) - 2022

الاتّصال والمراسلات:
هواتف المجلة: 009613691425
فاكس المجلة: 009618630280
الموقع الإلكتروني:www.wameedalfikr.com
البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com
البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير :h_imamomais@hotmail.com
الاشتراكات: لبنان والدول العربية 100 $ سنوياً باقي دول العالم 125 $ سنوياً

افتتاحية العدد:

الغرب والإرهاب شوّها الأصولية

بقلم المؤلف الدكتور: إبراهيم محمد جواد/ الجمهورية العربية السورية
دكتوراه فخرية من منتدى الكتاب والشعراء الأحرار وجمعية الرصد العربية
في المغرب الغرب
i.jawadster@gmail.com

الأصولية في اللغة:

1- أصل (بضم الصاد) يأصل أصالة: كان له أصل، أو كان من أصل شريف، أو رسخ أصله فهو أصيل، والأصيل: الشريف الأصل، والأصيل: من يتصرف عن نفسه دون وكيل، وأصل (بضم الصاد) رأيه: جاد، فرأيه أصيل، فأصالة الرأي جودته.

2- الأصل: جمع أصول، وهو ما يقابل الفرع جمع فروع، فالأصل يعني المصدر ويعني الوالد ويعني الحسب.

3- الأصول: القوانين والقواعد التي يبنى عليها العلم، فيقال: أصول العلم وأصول الدين.

وعلى هذا فالأصولي هو أحد اثنين:

الأول هو المتصرف وفق الأصول لا يحيد عنها في قول أو عمل، فهو حسن التصرف محمود السيرة طيب السلوك جيد الرأي، لا يخرج في شيء من ذلك عن أصول العلم أو أصول الدين او أصول الفقه أو أصول السلوك.

والثاني: هو المتكلم في الأصول، أصول العلم أو أصول الدين أو أصول الفقه أو أصول السلوك، فهو يكشف قوانينها ويبين قواعدها، ويرسخ أسسها ليقيم عليها الفروع.

وعلى هذا: فالأصولية إذن هي التصرف أو التكلم وفق الأصول المرعية دينيا أو علميا أو قانونيا أو أخلاقيا أو وراثيا، وما إلى ذلك، مع الالتزام بمقتضاها دون تحريف أو تزييف.

وكذلك فهذا هو معنى الأصولية في الغرب، الذي يعبر عنها بالراديكالية التي أصلها راديكال ومعناها بالعربية أصل أو جذر.

لكنّ النهضويين الثائرين على الدين في الغرب، قد شوهوا معنى الراديكالية حين صبغوها بمعنى آخر، هو التطرف والتحجر والجمود، وألبسوها معنى العنف والإرهاب، مستمدين تلك المعاني من سلوك الحركات الغربية، سواء منها السياسية الشوفينية أو العرقية التي قاومت استيطان العناصر الغريبة عنها على أرضها، أو الدينية المنبثقة عن المسيحية واليهودية في صراعها فيما بينها أولا، أو في مقاومتها للمدنية الغربية وتمردها عليها ثانيا.

ولم يخرج عن هذا الإطار، ما حدث ولا يزال يحدث في البلاد العربية والإسلامية من موجات الإرهاب والعنف المتتالية، التي تمثلت في عصرنا الحاضر في حركات داعش والنصرة وغيرها، التي اجتاحت الأقطار العربية والإسلامية باسم الدين، وأعملت فيها قتلا وذبحا وتفجيرا وهدما دون وازع من دين أو ضمير، الأمر الذي ألحق بها الانهيار الاقتصادي والتخبط السياسي والاجتماعي، ولا نعرف متى تنتهي هذه الجائحة التي أضرت بالعباد والبلاد.

كلمة العدد:

بسم الله الرحمن الرحيم

عرض ما تحتويه المجلة

بقلم رئيسة التحرير الدكتورة: هيفاء سليمان الإمام

Wammed.alfkr@gmail.com

أعزائي متابعي مجلة وميض الفكر للبحوث، أحببت أن أبدأ كلمتي إليكم بخبر سعيد، وهو أن مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام 2021 وقدره 2.4 وكان ترتيبها رقم 47 من بين 2157 مجلة عربية مصنفة في معامل التأثير العربي. إن هذا الإنجاز لم يكن ليكون لولا الجهد المتواصل والبحث والعمل الجاد من أجل مواكبة المجلة لأعلى معايير النشر العلمي العالمي شكلاً ومضموناً، ولولا توافر هيئة تحرير واعية ومعطاء، وهيئة علمية محكمة واستشارية ذات مرتبة مرموقة في مجالات اختصاص المجلة. ولا ننسى وجود مؤسسة معامل التأثير العربي التي استقبلت هذا الجهد باحترام وتقدير فكانت هذه النتيجة التي نفخر بها، ونعمل على المحافظة المستمرة على تطويرها.

أما بعد...

فقد تشرفت مجلة وميض الفكر بهامة عربية من الجمهورية العربية السورية المنتصرة أقصد بها **الدكتور إبراهيم جواد** الأديب الشاعر الذي أتحفنا بافتتاحية العدد الثاني عشر من وميض الفكر بتفسير علمي لمعنى الأصولية الذي شوهه الغرب، مؤكداً أن الأصولية هي التصرف أو التكلم وفق الأصول المرعية، مع الالتزام بمقتضاها دون تحريف أو تزييف. لكنّ النهضويين الثائرين على الدين في الغرب، قد شوهوا معناها، حين صبغوها بمعنى آخر، هو التطرف والتحجر والجمود، وألبسوها معنى العنف والإرهاب.

وفي باب شخصية العدد الثابت في مجلة وميض والذي خصص لتسليط الضوء على أعلام عربية تركت بصمات وطنية في مجالها، كان الشاعر الفلسطيني المقاوم **محمود درويش** هو المختار لهذا العدد، وذلك لأننا في حلقة الدفاع عن قضية العرب المركزية لسنا حياديين ولن نكون إلا بجانب حقنا العربي في فلسطين الحبيبة، وقد كان محمود درويش من أفضل من عبر عن هذا الحق شعراً وألماً ومواقف مشرفة. وقد كتب عنه كل

من الباحثين: **الدكتورة علا آغا** التي قدمت لنا مقالا تحت عنوان **محمود درويش شاعر الوطن، والدكتور غسان تويني** الذي قدم مقالاً مفصلا بعنوان: **جدل الثقافة والرّمز عند محمود درويش.**

وفي محور العدد الذي تعودنا أن يكون مخصصا لتكريم واحدة من الرائدات العربيات، تم اختيار رائدة وأيقونة عربية لبنانية ناصرية هي **الدكتورة نشأت نور الدين الخطيب** المؤسسة –مع ثلة من الأستاذات المتخصصات كلّ في مجالها العلمي– للجمعية الوطنية للثقافة والتطوير في البقاع، والتي انبثقت عنها مجلة وميض الفكر المحكمة. وقد تفضل **الأستاذ الدكتور محمد علي القوزي** بتكريمها عبر مقال يصف إنجازاتها بدقة علمية وموضوعية أعطتها بعضا من حقها على العلم والثقافة وعلى أجيالنا العربية. ولمزيد من الوفاء لهذه السيدة العظيمة كان لا بد من **لمحة وفاء** قدمتها رئيسة التحرير، عبر نشرها كلمة كان لها شرف تقديمها في حفل تكريم عدد من الأمناء على العهد الذي نظمه المنتدى القومي العربي في دار الندوة في بيروت بمناسبة ذكرى انتصار ثورة الثالث والعشرين من تموز.

وفي باب كتاب العدد اخترنا كتاب **المنهج الثقافي ونظرية الكشف** للمشرف العام على المجلة الدكتور **علي مهدي زيتون** ونشر دار الحوار لطباعة والنشر والتوزيع. وقد كتبت عنه كل من الباحثات الفاضلات: **الدكتورة هبة العوطة** التي قدمت دراسة للكتاب تحت عنوان: **المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف عند الدّكتور علي مهدي زيتون، والباحثة رانيا القوزي** التي قدمت مقال تحت عنوان «**المنهج الثقافي، روحٌ تسري بين الأمم**». **والدكتورة زينب الطحان** التي أسهبت بتقديم تحليل جلي وواضح عنونته **بالمنهج الثقافي ونظريّة الكشف** «**نقد محليّ بمحاذاة الكونيّة.**

وبعد ذلك قدمنا لكم في هذا العدد مجموعة من الأبحاث العلمية المتخصصة في عدة مجالات علمية، مثل علم التربية والتاريخ والجغرافيا والأدب وفي الإعلام وكذلك في اللغة الفرنسية.

وأخيراً نتمنى أن ينال مضمون هذا العدد الغني اهتمامكم، وأن يكون فيه الفائدة العلمية للباحثين والأجيال القادمة.

فهرس المحتويات

كتاب العدد:

أبحاث العدد 12

باب التربية وعلم النفس:

1. درجة ممارسة القيادة الإبداعية لدى مديرات مدارس التعليم العام للبنات وعلاقتها بالأداء الوظيفي من وجهة نظر المعلمات في دولة الكويت

The degree of creative leadership practice among female principals of general education schools and its relationship to job performance from the teachers' point of view in the State of Kuwait

الدكتورة: فاطمة حمزة عباس المطوع

f.h.almoutaw3@hotmail.com

وزارة التربية – دولة الكويت

تاريخ الاستلام: 2021/4/5 **تاريخ القبول:2021/5/5**

مستخلص البحث:

تهدف الباحثة في هذه الدراسة إلى التعرف على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، والكشف عن المعوقات التي تعيق ممارستها، والمقترحات اللازمة لتطبيقها من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة، وكذلك الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات والمقترحات والتي تُعزى لمتغيرات الدراسة (المؤهل، الخبرة، البرامج التدريبية)، وذلك باتباع المنهج الوصفي المسحي، وقد طبق البحث على عينة تبلغ (250) معلمة من معلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت واستخدمت الباحثة أداة الاستبانة لقياس استجابات أفراد عينة الدراسة.

وتوصلت الباحثة إلى أن أفراد العينة موافقات بدرجة مرتفعة على درجة ممارسة المديرات لجميع عمليات القيادة الإبداعية، وكذلك المعوقات التي تواجه مديرات المدارس نحو ممارسة القيادة الإبداعية، ومن ناحية أخرى فإن أفراد العينة موافقات بدرجة (متوسطة) على المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، بمتوسط (3.31).

كلمات مفتاحية: دولة الكويت، التعليم العام، تعليم البنات، القيادة، الإبداع.

Abstract:

The researcher aims in this study to identify the degree of applying creative leadership to female principals of public education schools in the State of Kuwait, to uncover the obstacles that hinder their practice, and the necessary proposals for their application from the viewpoint of the study sample, and to uncovering differences of statistical significance in the responses of the sample individuals The study on the obstacles and proposals that are attributed to the study variables (qualification, experience, training programs), by following the descriptive survey approach. The research was applied to a sample of (250) female teachers from public education schools for girls in the State of Kuwait, and the researcher used the questionnaire tool to measure the responses of the sample individuals.

The researcher concluded that the sample individuals agree with a high degree of the degree of female principals' practice for all creative leadership processes, as well as the obstacles facing school principals. Towards the practice of creative leadership, On the other hand, the sample individuals agreed with a (medium) degree on the proposals necessary for the application of female public education school principals in the State of Kuwait for creative leadership, with an average of (3.31) .

Key words: State of Kuwait, Girls Education, leadership, Creativity.

1. مقدمة:

تشهد دولة الكويت في الوقت الحالي تطوراً في العملية التعليمية، إيماناً منها بأن العلم هو وسيلة تقدم المجتمعات، وصاحب هذا التطور اهتمام كبير من الدولة بالمؤسسات التعليمية، مع توفير الأساليب الحديثة التي تساهم في مواكبة هذا التطور، وتعد القيادة السبيل الرئيس لنجاح أي عمل، حيث إن القيادة الناجحة هي التي تستطيع التعرف على قدرات العاملين في المجالات المختلفة، وتوظيفها في سبيل تحقيق الأهداف، وتحرص على إطلاق طاقات العاملين وتوجيهها في الاتجاه الصحيح، والقيادة التربوية الناجحة هي القادرة على التخطيط الجيد، والتعامل مع العاملين والأفراد. (الحربي، 2009، ص64)

وقد أصبحت التربية في عالم اليوم المعاصر أداة اجتماعية واقتصادية ترسم فيها معالم التقدم في أي مجتمع، بل إنها اعتُبرت وسيلة فعّالة تتحدد من خلالها مسيرة الإصلاح التنموي. (الخزرجي، 2010، ص11).

ولأن المدرسة تعد النواة التربوية الحساسة التي تتشكل من خلالها عملية التربية، فقد تغيرت النظرة لدور المدرسة، وتعددت وظائفها وأهدافها، حيث لم يعد هدفها محصوراً في نقل التراث الثقافي فقط، بل إن التعليم أصبح وظيفةً اجتماعية تهدف إلى تكوين شخصية الفرد على اعتبار أن التربية والتعليم عملية تلازم الفرد طوال حياته (السويد، 2014، ص 16).

ومن الأنماط التي أفرزها التقدم العلمي، والتطور التقني نمط القيادة الإبداعية، والتي من أهم ما يميزها قدرتها العالية على قيادة المؤسسات، ومواكبتها للتطورات، والتحديات المعاصرة حيث تعد القيادة الإبداعية من أشهر النظريات التي حظيت باهتمام كبير من العلماء والمهتمين في مجال القيادة والإدارة، وبالتالي فهي تعد الخيار الأمثل لدى المنظمات التي تتمتع بالحيوية التنظيمية، وذلك لقدرتها على إحداث الميزة التنافسية للمؤسسات. (القحطاني،2016، ص140)

ويمكن القول إن مفهوم القيادة الإبداعية جذب اهتمام كثير من الباحثين حيث أكدوا من خلال دراساتهم النظرية، والميدانية فاعليتها، وقدرتها على تفهم حاجات العاملين، ورفع معنوياتهم من خلال السلوكيات التي يمارسها أولئك القادة، والتي تساعدهم في تحقيق نتائج تفوق التوقعات وإسهامها في بيان خصائص القيادة الإدارية المبدعة الفعالة، وهذا بدوره ساعد في انتشار هذه النظرية عالمياً ودفع بالباحثين إلى اختبار سلوكيات القادة في مختلف المنظمات (Bass & Riggio,2016).

1- إشكالية الدراسة:

في هذه الدراسة تسعى الباحثة إلى التعرف على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، وعلاقتها بمستوى الأداء الوظيفي من وجهة نظر المعلمات، والكشف عن المعوقات التي تعيق ممارستها، والمقترحات اللازمة لتطبيقها من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة، وكذلك الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات والمقترحات والتي تُعزى لمتغيرات الدراسة.

مفهوم القيادة:

القيادة من أهم الموضوعات التي تناولها الباحثون بالدراسة، وعلى الرغم من تعدد الدراسات حولها، إلا أنها لم تتوصل إلى اتفاق حول مفهوم القيادة، فيرى (الحلالمة والمدادحة، 2010، ص162(أنها «عملية جامدة ديناميكية، يمكن من خلالها أن يقوم القائد نفسه بأدوار مختلفة وفقاً لمتطلبات الموقف»، فيما عرفتها (كعكي، 2014، ص 10) بأنها «قدرة الفرد المهارية على التأثير على الآخرين ودفعهم لبذل جهود طواعية لاقتناعهم بالأهداف المحددة، وتوافر مهارة التخطيط وصنع القرار وسعة الأفق والرؤية الواضحة والمرونة»، ومن التعريفات السابقة يتضح أن القيادة تشمل أن لكل قائد أتباعا، وللقائد قوى مؤثرة متنوعة على أتباعه، كما يوجد للقائد أهداف يسعى لتحقيقها، والقيادة قائمة على الإقناع والتأثير من القائد على أتباعه.

أنماط القيادة:

يُعرّف النمط القيادي بأنه النمط والأسلوب الذي يمارسه القائد التربوي مع المعلمين والعاملين والطلبة، وقد تَعدَّد تصنيف أنماط القيادة لدى الباحثين في الإدارة وذلك تبعاً لطبيعة المؤسسة واتجاهات الباحثين أنفسهم، والفكر الإداري المعاصر يصنف أنماط القيادة التربوية كالتالي (الرفاعي، 2013، ص8):

1- القيادة الموقفية:

تُركز القيادة الموقفية التربوية على عناصر الموقف الذي يواجه القائد التربوي وطبيعة العاملين وأوضاعهم في المدرسة، حيث إن البيئة المحيطة، هي التي تبرز القادة كما أن أساليبهم تختلف باختلاف البيئة المحيطة.

2- القيادة التحويلية:

تعتبر القيادة التحويلية من أكثر النظريات القيادية شهرة لتحويل المنظمات، وهي نمط من أنماط القيادة تحتاجه منظمات اليوم ذات التغير المتسارع، فهي تقوم على إحداث

تغييرات جذرية عن طريق إقناع المرؤوسين للنظر إلى ما هو أبعد من مصالحهم الذاتية من أجل الصالح العام للمنظمة، وتوسيع اهتماماتهم وتعميق مستوى إدراكهم وقبولهم لرؤية وأهداف المنظمة من خلال الاهتمام الفردي، والتشجيع الإبداعي، فهي عملية تسعى إلى حفز التابعين من خلال جعلهم يتطلعون إلى مُثل وقيم سامية بدلاً من التركيز على المصالح الذاتية، فترتكز هذه القيادة على جاذبية قائد المدرسة، وقدرته على تحفيز العاملين.

3- القيادة التشاركية:

تعرف القيادة التشاركية بأنها مشاركة قائد المدرسة في القرارات الإدارية المدرسية للعاملين فيها، كما أنها نمط قيادي قائم على المشورة والتعاون والشراكة الفعلية بين المدير والعاملين في جميع وظائف الإدارة، وحل المشكلات مما يحقق الأهداف المدرسية.

4- القيادة الإبداعية:

القيادة الإبداعية هي القدرة على تغيير، أو تجديد أو استحداث نهج، أو أسلوب جديد، واستعماله بتقنيات حديثه مع متطلبات البيئة، وتكون مناسبة لتطلعات وحاجات المجتمع والعصر الحديث، و القيادة الابداعية تحوي جميع خصائص تلك الأنماط، بل إن كل نمط منها يقتبس خاصية أو ميزة من مزايا القيادة الإبداعية.

مفهوم القيادة الإبداعية:

القيادة بمفهومها العام هي عبارة عن التأثير في الآخرين، ودفعهم لتحقيق أهداف المنظمة، ومن أجل أن يصبح هذا التأثير فعالًا يجب أن تكون القيادة مبنية على الإبداع في كافة جوانبها، لتتم ترجمة المعرفة التي تم اكتسابها إلى اختيارات جديدة تتسم بالجودة، وتحقق الفائدة من خلال اهتمامها بحل المشكلات بطرق إبداعية تختلف عن غيرها، فالمبدع يلاحظ أن هناك شيئاً خاطئاً لم يلاحظه الآخرون وأن هناك طريقة أفضل للحل، والقائد المبدع شخصية واثقة تأخذ بزمام المبادرة وتدرك عواقب الأمور ولديه نظرة شاملة ورؤية مستقبلية ومثابرة، وتلعب القيادة الإبداعية دوراً كبيراً في التطور والتحسن المستمر للأداء وإرضاء العملاء، في وجود بيئة تهيئ الأفراد للعمل بحماس وتحفيزهم على إخراج إبداعاتهم الكامنة. (السلمي، 2012، ص45)

علاقة القيادة بالإبداع:

إن القيادة والإبداع لا ينفصلان، وتتضح العلاقة بينهما في ما يلي (الباز، 2002، ص54):

1- إن الإبداع في الأساس يعتبر من مكونات القيادة ولا يمكن أن يكون المدير قائدا إذا لم يكن مبدعا، فالإبداع إحدى وسائل التأثير في الأفراد.
2- إن الإبداع والابتكار عملية جماعية تتطلب التعاون والتضافر وإن كانت بدايتها فردية، ومن مهام القائد المحافظة على تماسك الجماعة.
3- إن الابتكار والإبداع كليهما يتطلعان إلى المستقبل، والقائد ينبغي أن يتميز بالنظرة المستقبلة للأحداث والمتغيرات ويرفض العيش في إطار الماضي.
4- القائد يستطيع التأثير في الأتباع من خلال الإبداع في حل المشكلات، فهي مجال خصب لإبداعاته.
5- القيادة الإبداعية هي المسؤولة عن تحويل وصياغة الأفكار الجديدة للمبدعين وتنفيذها سواء كانت تلك الأفكار نابعة من داخل المؤسسة أو من خارجها.
6- يسهم الإبداع في قيام القائد بأداء العمليات الإدارية على أكمل وجه من خلال إجراء تحسين فائق في أساليب العمل، والتوظيف الأمثل للإمكانيات للوصول إلى قيادة ناجحة، وهناك تكامل بين القيادة والإبداع يتضح في الدور المميز لهما برغم اختلاف مفهوم كل واحد عن الآخر، ويظهر ذلك نتيجة وجود أهمية للقيادة والإبداع، وهي الدلالة على وجود علاقة بينهما. (السويد، 2014، ص36)

وترى الباحثة أنه ليصبح القائد مستوفيا لشروط القيادة الناجحة عليه أن يكون مبدعاً ومبتكرًا، والقيادة متطلب غير مباشر يؤثر على الفرد المبدع وعلى إنتاجاته الإبداعية، حيث إن الإنتاجية الإبداعية عند الأفراد تتطلب سمات أساسية كالذكاء والمعرفة والدافعية، مما يؤكد علاقة الإبداع بالقيادة علاقة عكسية.

أهمية القيادة الإبداعية:

وتعد القيادة الإبداعية وظيفة استراتيجية للمؤسسات التعليمية، كما أن لها أهمية تتضح في ما يلي (الزهراني، 2013، ص21):

1- إن الخطط التي وضعت والأهداف التي صممت تحتاج إلى تنفيذ، وهذا التنفيذ يقوم به أناس مختلفون في العرق والسن والجنس مع تباين خلفياتهم العلمية والمهنية وقيمهم وشخصياتهم وأنماط سلوكهم.
2- يعد الإبداع وقوداً أساسياً لعمل فريق العمل، وهذا ما تهيئه القيادة النشطة التي تشجع على الإبداع لتوليد الأفكار الجديدة.
3- تعتبر القيادة الإبداعية، البوتقة التي تنصهر بداخلها طاقة المفاهيم والسياسات

والاستراتيجيات.

4- القيادة الإبداعية هي قيادة المؤسسة من أجل تحقيق الأهداف المرسومة.

مراحل القيادة الإبداعية:

تحتاج ممارسة القيادة الإبداعية إلى أن تمر بعدة مراحل يتم من خلالها تطوير العملية الإبداعية، تتضح في ما يلي (جومان، 2001، ص92):

1- الإعداد: تعتبر مرحلة التحضير وفيها يتم جمع البيانات.

2- الاندماج في المشكلة: وهي المرحلة التي يتم فيها الانغماس في المشكلة عن طريق دراسة مختلف الاهتمامات والزوايا والآراء والحقائق التي جمُعت.

3- احتضان المشكلة: وهي المرحلة التي يدرس العقل الباطن المشكلة ويبحث عن الحل، بينما يراقب العقل الواعي العملية عن كثب.

4- الوصول إلى حل: وهي مرحلة ظهور الإجابة فجأة على شكل (صورة، فكرة، حدس).

5- التقييم: وهي المرحلة التي يتم فيها الحصول على المعلومات الاسترجاعية واختبار الفرضيات وتعديل وتطوير الأفكار الإبداعية والحصول على الدعم اللازم لها.

6- التطبيق: وهي المرحلة التي يتم فيها وضع الفكرة موضع التنفيذ وترجمة الإبداع إلى واقع ابتكاري، مما يجعلها ملموسة وذات قيمة ومعنى.

ومما سبق يتضح أن القيادة الإبداعية تتولد من خلال مراحل مرتبطة، وتتسم بالمرونة والدقة.

أبعاد القيادة الإبداعية:

يقف وراء التفكير الابداعي مجموعة من الأبعاد والقدرات والتي تقوم عليها القيادة الإبداعية، وهي سمات تميز القادة المبدعين عن غيرهم، وهي كما يلي (غريبي، 2016، ص48):

1- الحساسية للمشكلات:

وهي التي تُعرف بقدرة الشخص على رؤية المشكلات في أشياء أو نظم قد لا يراها الآخرون فيها، أو التفكير في تحسينات يمكن إدخالها على هذه النظم أو هذه الأشياء.

2- الطلاقة

وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير من البدائل أو الأفكار عند الاستجابة لمثير معين والسرعة في توليدها، وهي في جوهرها عملية استدعاء اختيارية لخبرات أو مفاهيم سبق تعلمها.

3- المرونة

وهي التي يقصد بها تنوع أو اختلاف الأفكار التي يأتي بها الفرد المبدع، وقدرته

على تغيير أو تحويل مسار تفكيره أو وجهة نظره تبعاً لمتطلبات الموقف ويمكن تقسيم المرونة إلى نوعين:

3. 1- المرونة التكيفية: وهي قدرة الفرد على تغيير الوجهة الذهنية التي يُنظر من خلالها إلى حل مشكلة محدودة، وتسمى تكيفية.

3. 2- المرونة التلقائية: هي المرونة التي تظهر عند الفرد دون حاجة ضرورية يتطلبها الموقف، فيعطي الشخص عدداً من الاستجابات لا تنتمي إلى فئة واحدة.

4- الأصالة:

يقصد بها التجديد أو الانفراد بالأفكار، فالشخص المبدع ذو تفكير أصيل يبتعد عن المألوف، فلا يكرر أفكار الآخرين، ومن هنا يتضح أن الشخص المبدع يسعى إلى تقديم أفكار أو حلول جديدة وإبداعية ومتميزة عما يقدمه الآخرون، وترى الباحثة أن القيادة الإبداعية تمتلك أبعاداً ومقومات ذات أفق واسع، تمكنها من توجيه العاملين تحت مظلتها إلى عمل أفضل وإنتاجية عالية، وهذا ما تتطلبه المدارس لتحقيق أهدافها وفق سياسة التعليم في دولة الكويت.

معوقات القيادة الإبداعية:

توجد عوامل تقف عائقًا حول تطبيق القيادة الإبداعية، حيث إن بعضها مرتبط بشخصية القائد وبعضها مرتبط بالعاملين بالمؤسسة، وبعضها مرتبط بطبيعة بيئة العمل، وهذه العوامل قد تكون مباشرة وغير مباشرة اتفق عليها كثيراً من الباحثين في دراساتهم، وتنحصر المعوقات فيما يلي (الرفاعي، 2013، ص42):

1- المعوقات الشخصية:

وهي المتعلقة بنمط الشخصية وما تتضمنه من خصائص وموروثات، مثل الميل للمجاراة والمسايرة، والتبعية وفق الأطر المحددة سابقًا، مما يشوه التفكير الإبداعي المستقل.

2- المعوقات التنظيمية (الإدارية):

وهي المتعلقة بطبيعة نظام الإدارة في المدارس، ومن أبرز المعوقات التنظيمية التي تحد من الإبداع لدى مديرات المدارس؛ المركزية الشديدة في الإدارة، والرقابة الشديدة لمتابعة أدائهن.

أهم المتطلبات اللازمة لتحقيق القيادة الإبداعية لدى مديرات المدارس:

هناك متطلبات تساهم في التغلب على التحديات التي تعيق تطبيق القيادة الإبداعية،

وهذه المتطلبات هي ما أكدت عليه العديد من الدراسات وتتلخص في ما يلي (كعكي، 2014، ص17):

1- تشجيع المديرات المبدعات والمتميزات من خلال تقديم الحوافز المادية والمعنوية.

2- دعم الأنشطة الإبداعية وتنميتها من خلال تخصيص ميزانية كافية لمديرات المدارس.

3- توفير دورات تدريبه تُعنى بالقيادة الإبداعية، لتنمية مهارات الإبداع لدى المديرات.

4- زيادة الصلاحيات الإدارية للمديرات، وتحقيق المرونة في الإجراءات الإدارية مما يدفعهن للإبداع والابتكار.

5- نشر ثقافة الإبداع والعمل بروح الفريق المتعاون، في ظل توافر الرغبة لإحداث تغيرات إبداعية مثمرة بمساعدة ودعم من وزارة التربية.

6- رفع مهارات الإبداع عند الخريجين، والتي تخولهم قيادة إبداعية ناجحة من خلال تضمين مقرر القيادة الإبداعية للتخصصات الإدارية في الجامعات.

ومن وجهة نظر الباحثة فإن القيادة الإبداعية تستحق بذل كل الجهد لتحقيقها، وتوظيف جميع الإمكانات التي تؤدي إلى تطبيقها، وذلك لدورها الفعال في نجاح المؤسسة التربوية.

خصائص وسمات القادة المبدعين:

يتمتع القادة المبدعون بصفات شخصية وعقلية ونفسية تميزهم عن غيرهم، فهم يمتلكون قدرات إبداعية فريدة تقودهم إلى النجاح والتميز، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي (البارودي، 2015، ص119):

1- يبحثون عن الطرق والحلول البديلة ولا يكتفون بطريقة واحدة لحل مشكلات العمل.

2- لديهم تصميم وإرادة قوية لا تهزمها المواقف الصعبة.

3- لديهم أهداف واضحة يصرون على الوصول إليها ويجتهدون لتحقيق هذه الأهداف.

4- يتجاهلون التعليقات السلبية ولا يرون إلا المساحات البيضاء والحقائق.

5- لا يخشون الفشل ولا يملون التجارب.

6- مبادرون، متفائلون، إيجابيون، لا يميلون للروتين.

7- لديهم حب الاستطلاع والاستفسار والحماس المستمر لكل جديد بالعمل.

8- لديهم الرغبة في التقصي والاكتشاف لمعظم التفاصيل الصعبة.

9- يتميزون بالبراعة والدهاء وسرعة البديهة وتعدد الأفكار والإجابات بالمقارنة بأقرانهم.

10- يمتلكون القدرة على عرض أفكارهم بصور مبدعة، والتمتع بقدرة عالية على التصور الذهني.

11- يمتلك القادة المبدعون خلفية واسعة وعميقة في حقول علمية وأدبية ولغوية وفنية مختلفة كما أنهم كثيرو القراءة والاطلاع.

12- يتميز القادة المبدعون بالاستقلالية في الفكر.

مصطلحات الدراسة:

1 القيادة:

القيادة اصطلاحاً: هي القدرة على التأثير على جماعة ما للقيام بعمل أو نشاط في إطار أهداف محددة، وقد تكون القيادة قادرة على الضبط والإدارة والتنظيم، وقد تكون غير منضبطة، وقد تكون بين المسؤولين. (اللقاني، والجمل، 2013، ص29)

وتعرفها الباحثة إجرائيا بأنها قدرة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت على فهم سلوك معلماتهم بهدف توجيه ذلك السلوك توجيهاً يؤدي إلى قيام أولئك المعلمين بأداء الأعمال الموكلة إليهم وصولاً لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

2 الإبداع:

هو مزيج من القدرات والخبرات والخصائص الشخصية ومجموعة من السمات والقدرات العقلية التي يتمتع بها مدير المدرسة ويحرص على استغلالها في تطوير العملية التربوية بما يحقق أهداف المؤسسة المدرسية بكفاءة وفاعلية. (المصاروة، 2017، ص 1532)

3 القيادة الإبداعية:

3. 1- القيادة الإبداعية اصطلاحاً: هي قدرة القائد على التغيير والتطوير لتحقيق الأهداف بطرق مبتكرة، والقدرة على اكتشاف المشاكل وحلها، مستغلًا الإمكانيات المتاحة والتأثير لديه. (الرفاعي، 2013، ص10)

3. 2- تعرف الباحثة القيادة الإبداعية إجرائياً بأنها القيادة التي تمكن مديرة المدرسة من إحداث تغيير في المدرسة للأفضل، بواسطة طرق إبداعية ابتكارية بعيدًا عن الطرق التقليدية المعتادة.

حدود الدراسة:

1 - الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على التعرف على واقع ممارسة القيادة الإبداعية وعلاقتها بمعلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت.

2 - الحدود الزمنية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي

.2019/2018

3 – الحدود المكانية: تم تطبيق الدراسة على مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت.

4 – الحدود الاجتماعية: ركزت الدراسة على عينة عشوائية من معلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت.

الدراسات السابقة:

1– الدراسات العربية:

1. 1– دراسة عبد المجيد (2000) التعليم في المرحلة الثانوية وإعادة تشكيل العقل في ضوء ثقافة الإبداع:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على الآليات والوسائل التي يمكن من خلالها للتعليم في المرحلة الثانوية العامة أن يعيد تشكيل العقل في ضوء ثقافة الإبداع وتجاوز ثقافة الذاكرة، وقد استخدمت الباحثة المنهج النقدي الذي يعتمد على التقويم العملي الدقيق للواقع مع إعطاء البدائل.

وتوصلت الدراسة إلى أن مجموعة الكتب التي تم تحليلها تعتبر عامة وحيادية في تكريسها لقيم ثقافتي الذاكرة والإبداع، وبالرغم من ذلك لا يوجد كتاب من الكتب المفحوصة يكرس بشكل مقصود قيم ثقافة الإبداع، كما أن الفكر في معظمه نقلي لا عقلي، فهو فكر يتجه إلى الماضي أكثر من توجهه للمستقبل، كما توصلت إلى أن هناك الكثير من المعوقات التي تحول دون تشكيل العقل المبدع.

1. 2– دراسة فقيه (2001) تطبيقات أساليب الإبداع الإداري في التنمية الإدارية للقيادات التربوية النسائية في مراحل التعليم العام بمنطقة مكة المكرمة التعليمية:

هدفت الدراسة إلى تحليل واقع برامج التنمية الإدارية للقيادات التربوية النسائية، وتحديد أساليب القيادة الإبداعية التي من شأنها تحقيق التنمية الإدارية للقيادات التربوية النسائية بالتعليم العام بمنطقة مكة المكرمة، وقد اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي في دراسة العلاقة بين أساليب تنمية الإبداع الإداري والتنمية الإدارية للقيادات التربوية النسائية.

توصلت الدراسة إلى ضرورة إدخال أساليب الإبداع في تنمية الإدارة، حتى تستطيع المؤسسات الإدارية مواكبة التغيرات الهائلة من حولها، كما توصلت الباحثة إلى أن تدريب القيادات التربوية النسائية على الإبداع الإداري يحقق تنمية إدارية لهن في مجالات متعددة.

1. 3- دراسة المعلم (2002) مهارات الإبداع الإداري كما يدركها مديرو المدارس الابتدائية ودورها في تطوير الأداء المدرسي:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مهارات الإبداع الإداري لمديري المدارس الابتدائية ودورها في تطوير الأداء المدرسي، ومساعدة مديري المدارس الابتدائية على تطوير أدائهم من خلال مهارات الإبداع الإداري لديهم، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي.

وتوصل الباحث في هذه الدراسة إلى وجود مشكلات في السلوك الإبداعي للمديرين حسب رأي مشرفي الإدارة المدرسية والمعلمين، كما توصل إلى وجود تأثير مباشر للمهارات الإبداعية في تطوير الأداء المدرسي لدى مديري المدارس، بالإضافة إلى وجود معيقات تحد من ممارسة الإبداع الإداري.

1. 4- دراسة اللحام (2016) تقديرات المعلمين للسلوك الإداري الديمقراطي لمديري المدارس الثانوية الحكومية في محافظة إربد:

هدفت الدراسة إلى معرفة تقديرات المعلمين للسلوك الإداري الديمقراطي لمديري المدارس وبيان ما إذا كانت وجهات النظر هذه تختلف باختلاف المؤهل العلمي، والخبرة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وكانت عينة الدراسة من معلمي ومعلمات المدارس الثانوية الحكومية.

توصلت الدراسة إلى أن كثرة السلوكيات الإدارية الديمقراطية ممارسةً لمدير المدرسة هي التي تتصل بعلاقات المدير بالطلبة وأولياء أمورهم، وبين المدير وأعضاء الهيئة التدريسية، وأقلها ممارسة تلك التي تتصل بمتطلبات العمل وظروفه، كما توصلت إلى أن تطبيق السلوك الإداري الديمقراطي لمدير المدرسة الثانوية الحكومية في محافظة إربد كان بدرجة عالية.

2- الدراسات الأجنبية:

2. 1- دراسة ستيفن (Stephen 2015) إدارة الإبداع والتعلم:

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على مشروع بحث مشترك حول كيفية تنمية الإبداع والابتكار، ومن ثم كيفية إدارته بفاعلية، وقام معهد إدارة (روفي بارك) بمشاركة العديد من القطاعات الحكومية والخاصة في بريطانيا بذلك المشروع الذي تتلخص محاوره في العمل كفريق من اجل تشكيل مجموعة عمل إبداعية، أسلوب التعلم المدار ذاتيا، السمات والمهارات المطلوبة في المدير المبدع، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، كما اعتمدت على أسلوب المقابلة كأداة للدراسة.

وبينت نتائج الدراسة أن المدير الفعال في المجموعات الإبداعية يشجع على وحدة الفريق والتعاون الجماعي، كما أن مدير الغد في حاجة إلى التفكير بطريقة إبداعية، ويكون متفتح العقل، وقادرا على تطوير مهاراته ومهارات الأفراد الذين يعملون معه، كما أن منهج التعليم المدار ذاتيا هو نوع ملائم من التعلم، حيث يسمح للمشاركين باستخدام معارفهم ومهاراتهم الجديدة في العمل مباشرة.

2. 2– دراسة سكوت (Scott, Randall K. 2015) الموظفون المبدعون – تحدٍّ للمديرين:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم الإبداع وسمات الأفراد المبدعين، بالإضافة إلى التعرف على الأساليب والوسائل الإدارية القادرة على تنمية الإبداع لدى الموظفين، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي.

وبينت الدراسة أن المبدعين يحتاجون إلى الاستقلالية والشعور بأنهم موضع ثقة من قبل الإدارة، ومن ثم لا تعترض الإدارة على جهودهم الإبداعية أو تعيقها، كما بينت الدراسة أن المبدعين يفضلون التجديد والتحدي من خلال التعامل مع المواقف المعقدة، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة، لذا على الإدارة أن تعطيهم الوقت الكافي لصيانة واختبار حلولهم المفترضة لمعالجة تلك المواقف، وتوصلت الدراسة إلى أن من المهم تشجيع ومناقشة الأفكار مهما كانت غريبة وغير تقليدية.

2. 3– دراسة أراد وهانسون وشنايدر (Arad, Hanson, And Schneider 2017) إطار عمل لدراسة العلاقات بين الخصائص التنظيمية والإبداع التنظيمي:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على العلاقة بين بعض المتغيرات التنظيمية، وهي حجم ونوع المنظمة، أداء العاملين المتميز في تلك المنظمة، استخدام فرق العمل وتبادل المعلومات اللامركزية، وكذلك وضع الأهداف، هذا إلى جانب التعرف على درجة الإبداع الموجود في ستة مجالات أساسية تمثل الخصائص التنظيمية لأي منظمة وهي: الهيكل التنظيمي، القيادة، الموارد البشرية، أداء العمل، الأهداف، القيم التنظيمية، وقد استخدم الباحثون المنهج الوصفي.

وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق جوهرية بين حجم المنظمة ودرجة الإبداع الموجود في الخصائص التنظيمية للمنظمات، كما لا توجد فروق جوهرية بين نوع المنظمة ودرجة الإبداع الموجود في الخصائص التنظيمية للمنظمات، بالإضافة إلى أن (استخدام فرق العمل، تبادل المعلومات، اللامركزية، وضع الأهداف) يؤثر تأثيرا إيجابيا

على درجة الإبداع الموجود في الخصائص التنظيمية للمنظمات.

2. 4- دراسة ماكفادزين (Mcfadzean 2018) حفز التفكير الإبداعي داخل المنظمات:

هدفت الدراسة إلى عرض عدد من الأساليب المستخدمة في حل المشاكل بطريقة إبداعية مختلفة والتي يمكن استخدامها مع مختلف المجموعات، كما هدفت إلى تعليم المديرين كيفية تحسين المناخ الإبداعي في منظماتهم، ومعرفة الطرق والأساليب التي تساعد على تحسين عملية الإبداع داخل المنظمات، واعتمد الباحث المنهج الوصفي.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أنه يجب تحفيز الإبداع داخل المنظمة، وعلى الإدارة العليا أن تشجع على توفير مناخ من التفوق في إطار المنظمة، كما أن وجود ثقافة تنظيمية لا تتقبل الأفكار الجديدة، ووجود بنية تنظيمية جامدة وبيروقراطية يعيقان الإبداع داخل المنظمة.

تعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الدراسات السابقة، ترى الباحثة أنها تتشابه مع الدراسة الحالية بتناولها موضوع الإبداع الإداري وأهميته، وتناولت تلك الدراسات العلاقة بين الإبداع الإداري والأداء الوظيفي، وقد تميزت الدراسة الحالية بمحاولة تحديد درجة ممارسة القيادة الإبداعية لدى مديرات مدارس البنات في دولة الكويت، وعلاقتها بالأداء الوظيفي للمعلمات، وتتفق دراسة (المعلم) مع الدراسة الحالية في الوقوف على واقع الإبداع الإداري، وقد أفادت الباحثة في تحديد المتغيرات التنظيمية المؤثرة على القيادة الإبداعية، كما اتفقت مع دراسات كلّ من (ماكفادزين Mcfadzean، أراد وهاتسون وشنايدر Arad Sharon Hanson Mary & Ann Schneider Robert J .,) في السعي لتفعيل القيادة الإبداعية في المنظمات، وقد أفادت الباحثة في تحديد أساليب تنمية القيادة الإبداعية، والتعرف على العوامل المعيقة، والداعمة للقيادة الإبداعية، كما اتفقت مع دراسات كل من (سكوت راندل Scott Randall K. - كينج ستيفن King Stephen) في السعي لتفعيل القيادة الإبداعية في المنظمات، وسبل رفع مستوى الأداء الوظيفي لمديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت، وقد أفادت الباحثة في تحديد المناخ التنظيمي المحفز للإبداع الإداري في المنظمات المعاصرة، وتتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة باستخدامها المنهج الوصفي لتحقيق أهدافها، وتختلف الدراسة الحالية مع دراسة (عبد المجيد) التي تميزت بمنهجها النقدي، وتحديدها للفارق بين ثقافة الذاكرة

وثقافة الإبداع. ورغم اختلافها عن الدراسة الحالية في المنهج والأهداف، إلا أنها أفادت الباحثةَ في تحديد المعوقات التي تحول دون تشكيل العقل المبدع، وقد تميزت الدراسة الحالية بمحاولتها بحث العلاقة بين موضوع القيادة الإبداعية والأداء الوظيفي للمعلمات، وكذلك في بيئة تطبيق الدراسة حيث طُبقت في مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت، واستفادت منها في تطوير أداة الدراسة والأساليب الإحصائية.

الطريقة والإجراءات:

1- منهج الدراسة: اعتمدت الباحثة في الدراسة الحالية على اتباع خطوات المنهج الوصفي المسحي.

2- عينة الدراسة:

اشتملت عينة الدراسة على عينة عشوائية تتكون من (250) معلمة من معلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت، وتم توزيع (250) استبانة، استُرجع منها (193) صالحة للتحليل بما نسبته (77 %)، والجدول التالي يوضح توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغيرات الدراسة (وزارة التربية، 2016، ص55):

جدول (1) توزيع أفراد العينة وفقا للمؤهل العلمي وسنوات الخبرة وعدد الدورات التدريبية

المتغير	الفئة	العدد	النسبة المئوية
المؤهل العلمي	دبلوم	56	% 29
	بكالوريوس	111	% 57.5
	ماجستير – دكتوراة	26	% 13.5
سنوات الخبرة	من سنة إلى أقل من 5 سنوات	34	% 17.6
	من 5 إلى 10 سنوات	57	% 29.5
	أكثر من 10 سنوات	102	% 52.9
عدد الدورات التدريبية	من 1 إلى 4 دورات تدريبية	86	% 44.6
	من 5 إلى 10 دورات تدريبية	56	% 29
	أكثر من 10 دورات تدريبية	51	% 26.4

3- أداة الدراسة: وفي ضوء أدبيات الدراسة والدراسات السابقة المتعلقة بمشكلة الدراسة؛ أعدت الباحثة استبياناً لقياس مدى استجابة أفراد عينة الدراسة لدرجة ممارسة القيادة الإبداعية، كما قامت بإعداد مقياس لدرجة ممارسة القيادة الإبداعية لدى المديرات بما يناسب أفراد العينة، وتكون المقياس في صورته النهائية من مجموعة من البنود،

تندرج تحت جزأين أساسيين كالتالي:

الجزء الأول: المعلومات الديموغرافية لأفراد العينة.

الجزء الثاني: ويتكون من ثلاثة محاور لقياس متغيرات الدراسة وهي:

- **المحور الأول:** درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، ويقيس أربعة مجالات هي:

أ – الأصالة.

ب – المرونة.

ت– حل المشكلات.

ج – الطلاقة.

أ– **المحور الثاني:** معوقات تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، ويقيس مجالين هما:

أ– المعوقات الشخصية.

ب– المعوقات الإدارية.

- **المحور الثالث:** المقترحات التي تسهم في تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية.

4– صدق الأداة:

لكي تتأكد الباحثة من صدق المقياس قامت بعرضه على (10) من المحكمين المتخصصين في التربية وعلم النفس والإدارة، ومناقشة التحديد الإجرائي لكل محور من محاور المقياس.

5– ثبات الأداة:

استخدمت الباحثة معامل ثبات ألفا كرونباخ (Alpha Cronbach) للتأكد من ثبات الأداة الدراسة.

متغيرات الدراسة: اشتملت الدراسة على المتغيرات التالية:

1– البيانات الديموغرافية:

1. 1– متغير المؤهل العلمي:

- دبلوم.
- بكالوريوس.
- ماجستير ودكتوراه.

1. 2- متغير عدد سنوات الخبرة:
- من 1- 5 سنوات.
- من 5 إلى 10 سنوات.
- أكثر من 10 سنوات.

1. 3- عدد الدورات التدريبية:
- من 1 إلى 4 دورات تدريبية
- من 5 إلى 10 دورات تدريبية
- أكثر من 10 دورات تدريبية

2- المحور الأول: درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، ويقيس أربعة مجالات هي:

2. 1- الأصالة.
2. 2- المرونة.
2. 3- حل المشكلات.
2. 4- الطلاقة.

- **3- المحور الثاني:** معوقات تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، ويقيس مجالين هما:

3. 1- المعوقات الشخصية.
3. 2- المعوقات الإدارية.

- **4- المحور الثالث:** المقترحات التي تسهم في تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية.

نتائج الدراسة والإجابة عن التساؤلات:

وفي ما يلي تعرض الباحثة ما توصلت إليه من نتائج بعد تطبيق أداة الدراسة على أفراد العينة المختارة:

1- السؤال الأول: ما درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة؟

وللإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة والرتبة لكل مجال من مجالات ممارسة المديرات للقيادة الإبداعية كما في الجدول (2):

جدول (2) استجابات أفراد الدراسة على جميع مجالات محور درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية مرتبة تنازلياً حسب متوسطات الموافقة

م	الترتيب	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	1	الأصالة	3.48	0.755	مرتفع
2	3	المرونة	3.41	0.746	مرتفع
3	4	حل المشكلات	3.34	0.858	متوسط
4	2	الطلاقة	3.45	0.786	مرتفع
المتوسط العام لدرجة الممارسة			**3.42**	**0.735**	**مرتفع**

من خلال الجدول (2) وجدت الباحثة أن درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة ككل جاء مرتفعا بمتوسط حسابي (3.42) وانحراف معياري (0.735)، وقد جاء مجال الأصالة في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.48) وانحراف معياري (0.755)، أما مجال الطلاقة فجاء في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (3.45) وانحراف معياري (0.786)، ومن ناحية أخرى فقد جاء مجال المرونة في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (3.41) وانحراف معياري (0.746)، بينما جاء مجال حل المشكلات في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (3.34) وانحراف معياري (0.858).

2- السؤال الثاني: ما معوقات تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة؟

قامت الباحثة باستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والدرجة والرتبة لكل مجالات معوقات تطبيق المديرات للقيادة الإبداعية كما في الجدول (3):

جدول (3) استجابات أفراد الدراسة على جميع مجالات محور معوقات ممارسة القيادة الإبداعية مرتبة تنازلياً حسب متوسطات الموافقة

م	الترتيب	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
1	2	المعوقات الشخصية	3.38	0.800	متوسط
2	1	المعوقات الإدارية	3.61	0.751	مرتفع
المتوسط العام لجميع المعوقات			3.49	0.697	مرتفع

من خلال الجدول (3) وجدت الباحثة أن معوقات تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة جاء مرتفعا بمتوسط حسابي (3.49) وانحراف معياري (0.697)، أما المعوقات الإدارية فقد جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.61) وانحراف معياري (0.751)، والمعوقات الشخصية جاءت في الثانية بمتوسط حسابي (3.38) وانحراف معياري (0.800).

3- السؤال الثالث: ما المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة؟

قامت الباحثة بحساب التكرارات والنسب المئوية وكذلك المتوسطات والانحرافات المعيارية لعبارات هذا المحور، وجاءت النتائج كما يوضحها الجدول (4):

جدول (4) استجابات أفراد الدراسة على عبارات متقرحات تطبيق القيادة الإبداعية مرتبة تنازلياً حسب متوسطات الموافقة

رقم العبارة	الترتيب	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التقدير
7	1	اختيار قيادات مؤهلة تملك مهارات إبداعية لقيادة المدارس	3.46	1.287	مرتفع
4	2	تصميم برامج تدريبية وورش عمل تنمي مهارات الإبداع لدى المديرات	3.45	1.122	مرتفع

1	3	تحديث لوائح وزارة التربية لخدمة الإبداع والمديرات المبدعات	3.44	0.983	مرتفع
8	4	تضمين مقرر للقيادة الإبداعية في كلية التربية	3.35	1.270	متوسط
6	5	دعوة الهيئات المهتمة بالإبداع لرعاية المديرات المبدعات	3.27	1.230	متوسط
3	6	إتاحة الفرصة لمديرات المدارس المبدعات لمشاركة الوزارة في صنع القرارات الوزارية المتعلقة بالعمل المدرسي	3.20	1.289	متوسط
5	6 مكرر	تقديم حوافز مادية ومعنوية لمديرات المدارس المبدعات	3.20	1.351	متوسط
2	7	تخصيص ميزانية للأنشطة الإبداعية في المدارس	3.10	1.250	متوسط
المتوسط العام			**3.31**	**1.016**	**متوسط**

من خلال الجدول رقم (4) يتبين أن أفراد الدراسة موافقات بدرجة متوسطة على المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية ككل جاءت متوسطة، كما يتضح أن هناك تباينا في آراء الأفراد عينة الدراسة حول المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، حيث تراوحت متوسطات موافقة أفراد عينة الدراسة على هذه المقترحات ما بين (3.10 إلى 3.46)، والتي توضح أن خيار درجة موافقة أفراد الدراسة على المقترحات اللازمة لتطبيق للقيادة الإبداعية تتراوح بين (متوسطة إلى عالية)، مما يوضح التباين في آراء عينة الدراسة.

4- السؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلاله إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول محاورها تعزى لمتغيرات الدراسة (المؤهل، الخبرة، الدورات التدريبية)؟

للتعرف على ما إذا كانت هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول محاورها تعزى إلى متغير المؤهل استخدمت الباحثة تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لتوضيح دلالة الفروق في إجابات أفراد مجتمع الدراسة طبقاً لاختلاف متغير المؤهل كما يوضحها جدول (5):

جدول (5) نتائج تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) للفروق في إجابات أفراد الدراسة طبقاً لاختلاف متغير المؤهل

م	محاور الدراسة	قيمة (ف)	الدلالة الإحصائية	التقدير
1	الأصالة	0.807	0.448	غير دالة
2	المرونة	1.247	0.290	غير دالة
3	حل المشكلات	0.950	0.389	غير دالة
4	الطلاقة	0.444	0.642	غير دالة
5	الدرجة الكلية لممارسة القيادة الإبداعية	0.815	0.444	غير دالة
6	المعوقات الشخصية	2.347	0.098	غير دالة
7	المعوقات الإدارية	2.444	0.090	غير دالة
8	الدرجة الكلية لمعوقات تطبيق القيادة الإبداعية	2.882	0.085	غير دالة
9	مقترحات تطبيق القيادة الإبداعية	1.358	0.260	غير دالة

ويتضح من الجدول (5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد الدراسة نحو جميع محاورها باختلاف متغير المؤهل، ويتضح من هذه النتيجة عدم وجود تأثير دال لمتغير المؤهل العلمي في آراء عينة الدراسة نحو درجة ممارسة القيادة الإبداعية ومعوقاتها ومقترحات التغلب على هذه المعوقات، وقد يرجع ذلك إلى أن جميع المعلمات يدركن هذه الممارسات بشكل كبير، وهن على درجة عالية من الوعي بمعوقات هذه الممارسات ومقترحاتها دون أن يكون هناك تأثير دال لمتغير المؤهل العلمي في آراء المعلمات.

ثانياً: الفروق باختلاف متغير سنوات الخبرة:

للتعرف على ما إذا كانت هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات أفراد الدراسة حول محاورها تعزى إلى متغير سنوات الخبرة استخدمت الباحثة تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لتوضيح دلالة الفروق في إجابات أفراد مجتمع الدراسة طبقاً لاختلاف متغير سنوات الخبرة كما يوضحها جدول (6):

جدول (6) نتائج تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) للفروق في إجابات أفراد الدراسة طبقاً لاختلاف متغير سنوات الخبرة

م	محاور الدراسة	قيمة (ف)	الدلالة الإحصائية	التقدير
1	الأصالة	1.524	0.220	غير دالة
2	المرونة	0.778	0.461	غير دالة
3	حل المشكلات	1.901	0.152	غير دالة
4	الطلاقة	1.881	0.155	غير دالة
5	الدرجة الكلية لممارسة القيادة الإبداعية	1.925	0.149	غير دالة
6	المعوقات الشخصية	0.801	0.451	غير دالة
7	المعوقات الإدارية	1.076	0.343	غير دالة
8	الدرجة الكلية لمعوقات تطبيق القيادة الإبداعية	0.410	0.664	غير دالة
9	مقترحات تطبيق القيادة الإبداعية	0.880	0.416	غير دالة

ويتضح من الجدول (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في استجابات أفراد الدراسة نحو جميع محاورها باختلاف متغير سنوات الخبرة ويتضح من هذه النتيجة عدم وجود تأثير دال لمتغير الخبرة في آراء عينة الدراسة نحو درجة ممارسة القيادة الإبداعية ومعوقاتها ومقترحات التغلب على هذه المعوقات، وقد يرجع ذلك إلى أن ممارسات القيادة الإبداعية ومعوقاتها ومقترحاتها واضحة لجميع المعلمات من عينة الدراسة وهي ممارسات تحدث بشكل مستمر، وبالتالي فإن هناك

تقاربا في آراء المعلمات نحو هذه المحاور على اختلاف سنوات خبراتهن في بيئة العمل.

ثالثاً: الفروق باختلاف متغير الدورات التدريبية في مجال القيادة:

للتعرف على ما إذا كانت هنالك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات استجابات أفراد الدراسة حول محاورها تعزى إلى متغير الدورات التدريبية، استخدمت الباحثة تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لتوضيح دلالة الفروق في إجابات أفراد مجتمع الدراسة طبقاً لاختلاف متغير الدورات التدريبية كما يوضحها جدول (7):

جدول (7) نتائج تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) للفروق في إجابات أفراد الدراسة طبقاً لاختلاف متغير الدورات التدريبية

م	محاور الدراسة	قيمة (ف)	الدلالة الإحصائية	التقدير
1	الأصالة	5.110	0.007	دالة
2	المرونة	2.399	0.094	غير دالة
3	حل المشكلات	4.223	0.016	دالة
4	الطلاقة	4.558	0.012	دالة
5	الدرجة الكلية لممارسة القيادة الإبداعية	5.199	0.006	دالة
6	المعوقات الشخصية	0.215	0.807	غير دالة
7	المعوقات الإدارية	0.094	0.910	غير دالة
8	الدرجة الكلية لمعوقات تطبيق القيادة الإبداعية	0.130	0.878	غير دالة
9	مقترحات تطبيق القيادة الإبداعية	2.678	0.071	غير دالة

ويتضح من الجدول (7) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في استجابات أفراد الدراسة نحو محاور (معوقات تطبيق القيادة الإبداعية ومقترحاتها، وكذلك بعد المرونة كأحد أبعاد ممارسة القيادة الإبداعية) باختلاف متغير الدورات التدريبية في مجال القيادة الإبداعية.

كما يتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq .05$) في متوسطات استجابة أفراد عينة الدراسة حول (جميع أبعاد درجة ممارسة القيادة الإبداعية ما عدا بعد المرونة وكذلك الدرجة الكلية لها) باختلاف متغير الدورات التدريبية.

مناقشة نتائج الدراسة: في ما يلي ستقوم الباحثة بمناقشة النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة:

1- النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة؟

اتضح من الدراسة أن أفراد العينة موافقات بدرجة مرتفعة على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت لجميع عمليات القيادة الإبداعية، حيث بلغت متوسطات موافقة أفراد الدراسة نحو درجة ممارسة القيادة الإبداعية ككل (3.42)، والتي تبين أن درجة اتفاق أفراد عينة الدراسة على درجة ممارسة عمليات القيادة الإبداعية ككل تشير إلى (مرتفع) في أداة الدراسة، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

1. 1- بالنسبة لمجال الأصالة:

أفراد عينة الدراسة موافقات بدرجة مرتفعة على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت لعملية الأصالة كأحد مجالات القيادة الإبداعية، بمتوسط (3.48)، وأهم هذه الممارسات ما يلي:

أ- إعطاء فرصة لمنسوبات المدرسة للتعبير عن المواضيع المطروحة.

ب-انتقاء الأفكار التي يمكن تطبيقها في العمل.

1. 2- بالنسبة لمجال المرونة:

تبين أن أفراد العينة موافقات بدرجة كبيرة على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت لعملية المرونة كأحد مجالات القيادة الإبداعية، بمتوسط (3.41)، وأهمها:

أ- قبول الاختلاف في وجهات النظر حول كيفية أداء العمل.

ب- مناقشة العاملين معها حول الآراء والحلول التي تقترحها.

1. 3- بالنسبة لمجال حل المشكلات:

توصلت الباحثة إلى أن أفراد عينة الدراسة موافقات بدرجة متوسطة على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت لعملية حل المشكلات كأحد مجالات القيادة الإبداعية، بمتوسط (3.34)، وأهم هذه الممارسات ما يلي:

أ- تحليل المشكلة من كافة جوانبها.

ب- ربط أسباب المشكلة بالنتائج.

19. 1. 4- بالنسبة لمجال الطلاقة:

اتضح للباحثة أن أفراد عينة الدراسة موافقات بدرجة كبيرة على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت لعملية الطلاقة كأحد مجالات القيادة الإبداعية، وأهم هذه الممارسات ما يلي:

أ- السعي إلى التجديد والإبداع في عملها.

ب- إقناع العاملين معها بمقترحاتها من أجل تحقيق أهداف العمل.

2- النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني: ما معوقات تطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة؟

بينت الدراسة أن أفراد العينة موافقات بدرجة مرتفعة على المعوقات التي تواجه مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت نحو ممارسة القيادة الإبداعية، والتي تُبين أن درجة اتفاق أفراد العينة على جميع هذه المعوقات (مرتفعة)، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

2. 1- بالنسبة للمعوقات الشخصية:

تبين أن أفراد عينة الدراسة موافقات بدرجة متوسطة على المعوقات الشخصية التي تواجه مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت نحو ممارسة القيادة الإبداعية، وأهم هذه المعوقات ما يلي:

أ- اعتماد الطريقة التقليدية في حل المشكلات.

ب- الحلول السريعة غير المدروسة في حل المشكلات.

الالتزام حرفيا بالقوانين والتعليمات دون فهم لمضمونها.

2. 2- بالنسبة للمعوقات الإدارية:

بينت الدراسة أن أفراد العينة موافقات بدرجة (مرتفعة) على المعوقات الإدارية التي تواجه مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت نحو ممارسة القيادة الإبداعية، بمتوسط (3.61)، وأهم هذه المعوقات ما يلي:

غياب الحوافز المادية والمعنوية.

العمل وفق مركزية الأنظمة والتعاميم.

العمل وفق تعاميم وإجراءات بيروقراطية.

3- النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: ما المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية من وجهة نظر أفراد الدراسة؟

بينت نتائج الدراسة أن أفراد العينة موافقات بدرجة (متوسطة) على المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، بمتوسط (3.31)، وأهم هذه المقترحات ما يلي:

اختيار قيادات مؤهلة تملك مهارات ابداعية لقيادة المدارس.

تصميم برامج تدريبية وورش عمل تنمي مهارات الإبداع لدى المديرات.

تحديث لوائح وزارة التربية لخدمة الإبداع والقائدات المبدعات.

4- النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($0.05 \geq \alpha$) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول محاورها تعزى لمتغيرات الدراسة (المؤهل، الخبرة، الدورات التدريبية)؟

بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($0.05 \geq \alpha$) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول جميع محاورها باختلاف متغير المؤهل، ومتغير سنوات الخبرة.

كما بينت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($0.05 \geq \alpha$) بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول محاور (معوقات تطبيق القيادة الإدارية ومقترحاتها، وكذلك مجال المرونة كأحد مجالات ممارسة القيادة الإبداعية) باختلاف متغير الدورات التدريبية في مجال القيادة الإبداعية.

ومن ناحية أخرى توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($0.05 \geq \alpha$) في متوسطات استجابة أفراد الدراسة حول (جميع مجالات درجة ممارسة القيادة الإبداعية ما عدا بعد المرونة وكذلك الدرجة الكلية لها) باختلاف متغير الدورات التدريبية، لصالح أفراد الدراسة من اللاتي حصلن على خمس دورات تدريبية، وكذلك أفراد عينة الدراسة من اللاتي حصلن على 10 دورات تدريبية فأكثر.

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة توصي الباحثة بما يلي:

1- ضرورة تبني البرامج التوعوية التي تساهم في زيادة مستوى الوعي بأهمية ممارسات القيادة الإبداعية ودورها في سير العملية الإدارية وخاصة في المجال التعليمي.

2- تكثيف البرامج التدريبية التي تساهم في زيادة خبرات وكفاءة القيادات المدرسية نحو تطبيق الممارسات الإبداعية في القيادة.

3- توفير الكوادر المؤهلة المطلوبة لتطبيق أساليب ومهارات القيادة الإبداعية.

4- تبني برامج التحفيز المادية والمعنوية التي تسهم في ممارسة مديرات المدارس للقيادة الإبداعية.

5- توفير البنية المادية والبشرية من حيث الخبرات والكفاءات اللازمة لتطبيق أساليب القيادة الإبداعية.

6- تدريب مديرات المدارس أثناء الخدمة من خلال إقامة مشروع تدريبي يتضمن إقامة ورش عمل تطبيقه حول ممارسات القيادة الإبداعية وكيفية تفعيلها في الإدارة المدرسية.

7- توفير بيئة الأنظمة والتعليمات التي تسهل تطبيق القيادة الإبداعية.

8- توفير منظومة الاتصال التي تسمح بعملية التواصل بين العاملين في مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت وسهولة تبادل المعلومات فيما بينهن.

9- الاهتمام بالتغذية الراجعة من عملية تقييم الأداء الوظيفي لمعلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت، بهدف التحسين والتطوير المستمر للعملية التعليمية وصولا إلى التميز في الأداء.

10- ضرورة مواصلة البحث والتقصي عن العناصر التي تحدث الأثر الحقيقي في مستوى أداء مديري ومعلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت وتطويره.

11- توفير فرص النمو المهني لمعلمات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للارتقاء بمستوى أدائهم الوظيفي وتشجيعهم على تقديم الأفكار المبدعة.

12- توجيه طالبات الدراسات العليا في قسم الإدارة التربوية بكلية التربية في جامعة الكويت لإجراء مزيد من البحوث والدراسات حول القيادة الإبداعية.

خاتمة:

تناولت الباحثة في هذه الدراسة درجة ممارسة القيادة الإبداعية لدى مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت، كما كشفت عن المعوقات التي تعيق ممارستها، والمقترحات اللازمة لتطبيقها من وجهة نظر أفراد عينة الدراسة، والفروق ذات الدلالة الإحصائية في استجابات أفراد عينة الدراسة حول المعوقات والمقترحات والتي تُعزى إلى متغيرات (المؤهل، الخبرة، البرامج التدريبية)، وذلك باتباع المنهج الوصفي المسحي، واستخدمت الباحثة أداة الاستبانة لقياس استجابات أفراد عينة الدراسة.

وقد توصلت الباحثة إلى أن أفراد العينة موافقات بدرجة مرتفعة على درجة ممارسة مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت لجميع عمليات القيادة الإبداعية، حيث بلغت متوسطات موافقة أفراد الدراسة نحو درجة ممارسة القيادة الإبداعية ككل (3.42)، وكذلك المعوقات التي تواجه مديرات المدارس نحو ممارسة القيادة الإبداعية، حيث بلغ متوسطات موافقة أفراد عينة الدراسة نحو جميع المعوقات (3.49)، ومن ناحية أخرى فإن أفراد العينة موافقات بدرجة (متوسطة) على المقترحات اللازمة لتطبيق مديرات مدارس التعليم العام للبنات في دولة الكويت للقيادة الإبداعية، بمتوسط (3.31).

1- المراجع العربية:

- الباروردي، منال (2015). القائد المتميز وأسرار الابداع القيادي، الرياض: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
- الباز، عفاف (2002). دور القيادة الإبداعية في إدارة الأزمات، مجلة النهضة، مج (11)، ع (3)، القاهرة: جامعة القاهرة.
- جومان، كارول (2001). الإبداع في العمل دليل عملي في التفكير الإبداعي، ترجمة باهر عبد الهادي، الرياض: دار المعرفة للتنمية.
- الحربي، قاسم عائل (2009)، القيادة المدرسية في ضوء اتجاهات القيادة التربوية الحديثة، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.
- الحلالمة، محمد، والمدادحة، أحمد (2010). المفاهيم الحديثة في علم الإدارة. عمان: إثراء للنشر والتوزيع.
- الخزرجي، رضية، والخزرجي، عبد السلام (2010). السياسة التربوية في الوطن العربي: الواقع والمأمول، عمان: دار الشرق للنشر والتوزيع.
- الرفاعي، رجا الله (2013). مستوى القيادة الإبداعية لدى مديري مدارس التعليم العام في محافظة ينبع، رسالة ماجستير غير منشورة، المدينة المنورة، جامعة طيبة.
- الزهراني، مريم أحمد (2013). القيادة الإبداعية للمديرات وعلاقتها بالالتزام التنظيمي للمعلمات في دور رياض الأطفال الأهلية بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظر المديرات والمعلمات. رسالة ماجستير: جامعة أم القرى.
- السلمي، فهد (2012). القيادة الإبداعية وعلاقتها بالمناخ التنظيمي في المدارس الحكومية المتوسطة بمدينة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
- السويد، عبد الله (2014). القيادة الإبداعية أسس ونظريات. الكويت: دار المسيلة للنشر والتوزيع.
- عبد المجيد، أميرة عبد السلام (2000)، التعليم في المرحلة الثانوية وإعادة تشكيل العقل في ضوء ثقافة الإبداع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا.
- غريبي، حمزة محمد (2016). القيادة الإبداعية ودورها في تطوير المؤسسات الأمنية دراسة تطبيقية على مديرية أمن الجفارة بوزارة الداخلية الليبية. رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية.
- فقيه، سناء محمد (2001). تطبيقات أساليب الإبداع الإداري في التنمية الإدارية للقيادات التربوية النسائية في مراحل التعليم العام بمنطقة مكة المكرمة التعليمية، رسالة ماجستير غير منشورة،

جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية والتخطيط.

- القحطاني، سالم سعيد (2016) القيادة الإدارية التحول نحو النموذج القيادي العالمي، الرياض: مكتبة جرير.
- كعكي، سهام (2014). القيادة التحويلية الإبداعية: دراسة حالة على المدارس المتوسطة بالمملكة العربية السعودية من وجهة نظر المديرات والمساعدات، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية.
- اللحام، ندى بشير (2016). تقديرات المعلمين للسلوك الإداري الديمقراطي لمديري المدارس الثانوية الحكومية في محافظة إربد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية التربية والفنون، قسم الإدارة وأصول التربية، تخصص إدارة وإشراف تربوي.
- اللقاني، أحمد، والجمل، علي (2013): معجم المصطلحات التربوية المعرفية في المناهج وطرق التدريس، ط3، القاهرة: عالم الكتب.
- المصاروة، أسامة، المصاروة، عدي (2017): درجة توافر الإبداع الإداري لدي مديري المدارس الحكومية في لواء بني عبيد من وجهة نظر المعلمين، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، والتي تصدرها كلية التربية – جامعة النجاح بفلسطين، المجلد (31)، العدد (9).
- المعلم، طه عبد القادر (2002). مهارات الإبداع الإداري كما يدركها مديرو المدارس الابتدائية ودورها في تطوير الأداء المدرسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية والتخطيط.
- وزارة التربية (2016): المجموعة الإحصائية للتعليم 2016–2015، الكويت، قطاع المنشآت التربوية والتخطيط.

22. 2– المراجع الأجنبية

- Arad, Sharon, and Hanson, Mary Ann, and Schneider, Robert J. (2017). A Framework for the study of relationships between Organizational Inno–vation, The Journal of Creative Behavior, Vol. (31), No. (4), 4th Quarter.
- Bass, Bernard, and Riggio, Ronald (2016) Creative Leadership, 2nd Ed, London: Lawrence Erlbaum Associates Publishers.
- Mcfadzean, Elspeth. (2018). Enhancing Creative thinking within orga–nization, Management Decision, Vol. (36), No. (5), MCB UNIVERSITY press, London, P.P 309 – 315.
- Scott, Randall K. (2015). Creative Employees: A challenge to Managers, The Journal of Creative Behavior, Vol. (29), No. (1), 1st Quarter.
- Stephen, King (2015). Managing Creativity and Learning, Management Development Review, Vol. (8), No. (5)

2- سيكولوجية الجماهير

الدكتور: محمد عبد الأمير جابر
أخصائي في الأمراض النفسية العصبية والعقلية
وأستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس
Drmohamadjaber5@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/30 **تاريخ القبول: 2021/12/14**

تحتل الجماهير في التاريخ البشري موقعاً أساسياً لجهة الأدوار التي لعبتها ولا تزال على مسرح التغيرات السياسية والاجتماعية. وهي أدوار قد تتسم بالسلبية عبر الدعم الذي أعطته لقوى استبدادية أو لإيديولوجيات شمولية Totalitaire وأوصلتها إلى الحكم، أو عبر التضحيات في سبيل قضايا اجتماعية ووطنية، مما يجعلها تجمع بين القدرة على التدمير والقدرة على التضحية في آن واحد.

لقد استطاع المستبدّون في التاريخ البشري، كما الثوريون، أن يفرضوا سيطرتهم على الحركة الجماهيرية لأنهم عرفوا كيف يتوجهون إلى نفسية الجماهير وكيف يخاطبون فيها نفسيتها.

لقد أثبتت معاينة الحركات الجماهيرية وقائع عدة وهي أن الجمهور يمتلك وحدة ذهنية، ويتحرك بشكل لا واعٍ.

I- يلخص «**لوبون**»[1] **Le Bon** نظريته حول الجمهور بجملة وسائل تتناوله بصفته ظاهرة اجتماعية، تفسر عملية التحريض التي يخضع لها بأنها عملية انحلال الأفراد في الجمهور والذوبان الكلي فيه.

ويرى «لوبون» أن للجماهير خصائص تميزها عن الأفراد، من هذه الخصائص:

ذوبان الشخصية الواعية للأفراد وتوجيه المشاعر والأفكار في اتجاه واحد. الجمهور النفسي أياً تكن توعية الأفراد وتوجيه الذي يشكلونه، فإن مجرد تحولهم جمهوراً يزودهم نوعاً من الروح الجماعية تجعلهم يحسون ويتحركون بطريقة مختلفة عن الطريقة التي سيحس بها ويفكر كل فرد منهم لو كان معزولاً. في حالة الجمهور تتلاشى الشخصية الواعية للفرد وتصبح شخصيته اللاواعية. في حالة من الهياج، ويخضع الجميع لقوة

(1) غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير - ترجمة هاشم صالح، بيروت 1991، دار الساقي.

التحريض وتصييبهم عدوى انفلات العواطف، بحيث تلغى شخصية الفرد المستقل ويصبح عبارة عن إنسان آلي ابتعدت إرادته عن القدرة على قيادته.

- **سرعة انفعال الجماهير،** فالجمهور يقوده، يقوده اللاوعي، فهو خاضع للتحريضات التي يتلقاها، والجمهور لا يعبأ بأي عقبة تقف بين رغبته وتحقيق هذه الرغبة. والجمهور سريع التأثر وقابل لتصديق كل شيء، ولا سيما ما يتعلق بالعاطفة والوجدان والعقائد الإيمانية الموروثة.

إنه الجمهور النفسي، الذي يتكون من عظام الناس كما من أدنيائهم، إنما يشتغل وفق نمط جمعي لا شعوري، يفقد فيه البشر فرادتهم الذاتية وتذوب في الروح الجماعية. كما يمتلئ الجمهور بنوع من المشاعر الخاصة بكائنات لا تستطيع الاحتكام إلى العقل أو القادرة على اتباع روح نقدية. كما أن العواطف التي يعبر عنها الجمهور تحوي تناقضاً لجهة التضخيم والمبالغة أو لجهة التبسيط والاختزال، حيث يتحرر الجمهور من الإحساس بدونيتهم، ويصبحون مجيشين بقوة عنيفة وعابرة، ولكن هائلة. بمعنى ما يخسره الجمهور النفسي من حيث الحس النقدي يربحه في الغالب من حيث الشعور بالقوة.

فعن طريق الجماعة يكتسب الفرد المنتمي إليها شعوراً عارفاً بالقوة والجبروت، مما يجعله ينصاع بسهولة لبعض النزوات التي قد تدفع أحياناً به، مع سائر أقرانه، نحو أعمال عنيفة وحشية. وهذا العنف الجماعي يجد تفسيره في كون الجمهور «قطيعاً» وبالتالي غير مسؤول.

- **تتميز الجماهير أيضاً، بالتعصب والاستبدادية والنزعة المحافظة،** وهو أمر ناجم عن كونها لا تعرف سوى العواطف المتطرفة، مما يجعلها تتقبل الأفكار والعقائد أو ترفضها دفعة واحدة. لكن هذا الجمهور القادر على القتل والتدمير في ظروف معينة، هو نفسه الجمهور القادر على القيام بأفعال تتسم بالتضحية والبطولة في سبيل قضايا اجتماعية ووطنية محقة، فتعاطف الجماهير مع حدث ما قد يتحول نوعاً من التقديس، كما أن النفور من شيء قد يتحول حقداً.

فسرعة تأثير الجماهير وتصديقها لأي شيء عن طريق التحريض أو العدوى النفسية وقابليتها لإحياء وتفعيل الغرائز الأكثر بدائية، فضلاً عن انتهازية أغلب المحرضين والزعماء ودهائهم السياسي، كل ذلك يجعل من الجماهير قوة غاشمة قابلة في كل لحظة للانقلاب من الرقابة الأخلاقية ومن قيد العقل، ولا سيما إذا كان «الزعيم» الذي

يحرّضها، وتسلّم له بالمصداقية – بلا مساءلة أو نقد – مخادعاً، دجالاً.

- **إن مؤسسي العقائد الدينية أو السياسية** كانوا مدركين أهمية فرض عواطف التعصب الديني على الجماهير وسيلة إيمانية تدفع بمعتنقيها إلى التضحية في سبيلها. من هنا تبدو إحدى السمات العامة للعقائد، الدينية منها وغير الدينية، أنّ شرط ترسخها في معتنقيها مرهون باكتسابها حلة دينية ذات توجه إيماني مطلق بما يمنع عنها المناقشة في مدى صحتها.

سواء في الحركات الدينية التي شهدها التاريخ، أو في الحركات والانتفاضات السياسية التي شهدتها الأزمة الحديثة، فإن العاطفة المحركة للجماهير التي آمنت بها كانت دوماً من طبيعة دينية. ذاك أن الزعيم يعتبر شخصية خارقة ومستقطباً للعاطفة الدينية الجماعية على شكل خوف من القوة التي تُعزى إليه، وخضوع تام لأوامره. إن عاطفة الجماهير، سواء أُسقطت على زعيم أو بطل مؤله، أو على «وثن» معبود، أو على إيديولوجيا سياسية مؤمثلة، تبقى دائماً ذات جوهر ديني. هذا الجوهر الديني الثابت في كل عاطفة جماهيرية هو ما يفسر تعصب الجماهير واستبداديتها، واعتناقها للأفكار والعقائد على أنها حقائق مطلقة، ودفعها ما سواها من الأفكار والعقائد بأنها أخطاء مطلقة.

1 – سلوك الحشد:

الجماهير تحترم القوة، ونادراً ما تتأثر بالطيبة التي تعتبرها في أغلب الأحوال شكلاً من أشكال الضعف. ما يتطلبه الجمهور من أبطاله هو القوة، بل العنف. فهو لا شعورياً، يريد أن يسيطر عليه سيده، ويطلب أن يخشاه ويهابه. وفي الواقع، إن الجماهير تكنّ احتراماً ضمنياً للتقاليد، وتكنّ نفوراً لا شعورياً تجاه كل جديد قد يغير شروط وجودها.

أما أخلاقية الجماهير فإن جميع المكفوفات الفردية تتلاشى لدى الأفراد حين يجمعهم جامع مع الجمهور، بينما تستيقظ بالمقابل الغرائز الوحشية، الهمجية، المدمرة، المتخلفة عن الأزمنة البدائية، الراقدة في أعماق كل فرد، وتصير تبحث عن تلبية وإشباع. «يعيش إنسان عصور ما قبل التاريخ داخل لا وعينا دون أي تغيير»[1]. "فالمراحل البدائية يمكن دائماً أن تستعاد، والذهب البدائي غير قابل للزوال»[2].

لكن الجماهير قابلة أيضاً، تحت تأثير الإيحاء suggestion للرضوخ والخضوع والتفاني في سبيل «مثل أعلى».

(1)Freud: considerations actuelles sur la guerre et sur la mort – in: Essais de Psyclanalyse – éd- Payot, Paris 1981, P. 35.

(2)Jbid: P. 22.

إن الأفكار الأكثر تعارضاً وتنافياً يمكن أن تتعايش لدى الجماهير، من دون أن يشوب تناقضها المنطقي نزاع. والجمهور، فضلاً عن ذلك، عظيم التأثر بالقوة السحرية للكلمات، القادرة تارة على إثارة أعنف العواطف في النفس الجماعية، وطوراً على تهدئتها[1]. إن العقل والحجج المنطقية لا تستطيع مجابهة بعض الكلمات وبعض الصيغ.

لا تعرف الجماهير الظمأ إلى الحقيقة، فهي تطلب أوهاماً illusion، وهي تقدم على الدوام اللاواقعي على الواقعي. واللاواقعي يؤثر فيها بنفس قوة تأثير الواقعي.

إن يكن الجمهور بحاجة إلى زعيم، فمن الضروري أن يتمتع الزعيم بإيمان عميق بعقيدة ما أو بفكرة ما حتى يفجر الإيمان والحماس الكامنين لدى الجمهور. وهو ينجح في ذلك بالقدر الذي يتمكن فيه من التماهي مع هذه الجماهير والتعبير عن حاجاتها الحقيقية.

من هنا تكتسب الأفكار التي يبدو أنها صادرة عن الزعيم تأثير السحر الذي لا يقاوم. والواقع أن هذا السحر نابع من الإعجاب بقدرته على تجسيد أفكار وآمال الجماهير بقوة لا تلين وإيمان لا يتزعزع.

اهتمّ علماء النفس بسلوك البشر حين يتجمعون في أعداد كبيرة حيث اتضح اختلاف سلوكهم في هذه الحالة عند سلوكهم في حالاتهم الفردية، وكأن الحشد foule، والتجمع يأخذ أبعاداً نفسية تتجاوز مجموع اتجاهات وآراء الأشخاص منفردين، وكأن تغيراً نوعياً يطرأ يساعد على خروج أفكار ومشاعر لم تكن متاحة لوعي الفرد في حالته الفردية أو في التجمعات الغفيرة. وهذه هي خطورة سلوك الحشد، وهذا هو السبب وراء حرص السلطة على تجنب المواقف الحاشدة للجماهير خاصة حين تكون غاضبة أو تكون مقموعة عن التعبير لفترات طويلة، حيث تصبح إمكانات الانفجار المدمر أكثر احتمالاً.

إن الجماهير في حالة احتشادها وانفعالها واندفاعها تكون بعيدة عن التفكير العقلاني، وإن روح الجماهير تخضع لتحريضات وإيعازات أحد القادة أو المحركين الذي يعرف كيف يفرض إرادته عليها. وفي مثل هذه الحالة من الانفعال فإن كل شخص منوط في الجمهور يبتدئ بتنفيذ الأعمال الاستثنائية التي ما كان مستعداً لتنفيذها لو كان في حالته الفردية الواعية. فالزعيم إذ يستخدم الصور الموحية والشعارات الجذابة يستملك روح الجماهير.

ويمكن تفسير سلوك الحشد على أنه خروج المشاعر المكبوتة بعد إزالة عوامل الكبت والقمع مع الإحساس بالأمان في وسط المجموع مع أصوات الشعارات الجماعية وبتيسير من قائد يعرف ما يحتمل بطبقات الوعي الأعمق للجماهير فيناديها ويحركها. أي أن القائد

(1)Freud: Psychologie des loules et analyse du moi – in: Essais de Psychanalyse – Op.Cit. P. 136.

الجماهيري هنا يفجّر المشاعر المكبوتة لدى الجماهير ويوجهها إلى حيث يريد بموافقة الجماهير. فالجمهور النفسي هو كيان نفسي اجتماعي مؤقت يقوم بدور مطلوب من قبل هذا الكيان.

في حالة الذوبان هذه يحدث تلاشي الشخصية الواعية، وهيمنة الشخصية اللاواعية، وتوجه الجميع بواسطة التحريض والعدوى للعواطف والأفكار، وتحويل الأفكار المحرض عليها إلى فعل وممارسة مباشرة.

ولذلك فإن الجمهور دائماً أدنى مرتبة من الإنسان الفرد، فيما يخص الناحية العقلية الفكرية، ولكن من وجهة نظر العواطف والأعمال التي تثيرها هذه العواطف فإنه يمكن لهذا الجمهور أن يسير نحو الأفضل أو نحو الأسوأ، وهذا يعتمد على الطريقة التي يتم تحريضه أو تحريكه بها.

"إنّ الفرد في الحشد يجد نفسه في شروط تتيح له أن يفكك أسر ميوله اللاواعية المقموعة. والصفات الجديدة تتيح له أن يفكك أسر ميوله اللاواعية المقموعة. والصفات الجديدة في الظاهر، التي يبتدي بها عندئذٍ ما هي في الواقع سوى تظاهرات للأنا اللاواعي الذي تختزن فيه بذور كل ما هو شرير في النفس البشرية[1].

في وسط الحشد يشعر الفرد بالأمان لأنه الآن جزء من كيان ضخم يصعب عقابه أو مساءلته، ويتمركز الشخص حول هذا الكيان، ويتماهى مع الجموع الهائجة، وتصبح العواطف الملتهبة هنا هي السائدة فتحرك الجموع بمشاعر الحرمان أو الرغبة أو الظلم أو الإحباط. وسلوك الحشد من الناحية النفسية أشبه ما يكون بالهستيريا الجماعية، حيث يظهرون حماساً معيناً بشكل مؤثر فينتقل هذا الحماس بما يشبه العدوان إلى الأفراد المحيطين بهم، وكل هذا يحدث بشكل لا واعٍ، ولكي يحدث هذا لا بد من وجود أرضية مشتركة تدعم انتقال هذا الحمال، كأن يكون تحمساً لفكرة أو استجابة لشائعة تجد لها في اللاوعي مقابلاً يدعمها. كل هذا يوفر أرضية مشتركة للتحرك الجماعي اللاواعي والذي يفجر طاقات طال كبتها في اللاوعي الفردي والجماعي على السواء.

"الجماهير سريعة المبادرة إلى التطرف. فلا يكاد الشك يرتسم عندها حتى يتحول إلى يقين لا يقبل نقاشاً. ولا يساورها شعور أول بالنفور حتى يتحول الحال إلى كراهية ضارية»[2].

---

(1)Freud: Psychologie des foules et analyse du moi – in: Wssais de psychanalyse – éd. Payot – Paris 1981, P. 129.

(٢) Jbid: P. 134.

2 – تزييف الوعي:

تعرف السلطة كل هذه الحقائق عن نفسية الحشد وطبيعة الجماهير أثناء التجمعات أو المظاهرات، لذلك تحاول قدر الإمكان دون تكون هذا الكيان الخطر. وإذا حدث وتكون فإنها تستخدم أساليب مختلفة لصدّع أو أنها تحاول تملق هذه الجماهير بإظهار احترامها وتقديرها. في الوقت الذي تنتظر فيه السلطة إلى الجماهير بأنها لا عقلانية.

ولكي تتمكن السلطة من قيادة الجماهير دون مواجهات فإنها تقوم بتشكيل وعي الجماهير بما يتفق مع مصالح السلطة. وقد تتمادى السلطة في تشكيل الوعي الجماهيري حتى تصل إلى تزييف ذلك الوعي – خاصة حين تكون أهداف السلطة غير أخلاقية – لذلك تختار قوى السلطة وسائل الإعلام الموجه للإلحاح على حواس الجمهور من خلال التلفزيون والإذاعة والصحيفة لا قناعة بما تراه السلطة. إن تضليل عقول الجماهير هو «أداة للقهر» إنه يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النهبة من خلالها إلى «تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة»... فالحكان لا يلجؤون إلى التضليل الإعلامي إلاّ «عندما يبدأ الشعب في الظهور كإرادة اجتماعية في مسار العملية التاريخية»[1].

فالتضليل الإعلامي، بوصفه أداة للهيمنة، يسمح بالظهر الخارجي للانخراط النشط بينما يحول دون الكثير من الفوائد المادية وكل الفوائد السيكولوجية للمشاركة الأصلية. وحيث يكون التضليل الإعلامي هو الأداة الأساسية للهيمنة الاجتماعية تكون الأولوية لتنسيق وتنقيح الوسائل التقنية للتضليل على الأنشطة الثقافية الأخرى.

ويشكل الإعلام المرئي الثقافة الجديدة، حيث تحولت البشرية إلى ثقافة الصورة. لقد أصبح التلفزيون منظم حياة الناس وتفاعلاتهم، حيث إنه إحدى أبرز وسائل تحول الكون إلى قرية صغيرة. ولم يعد الإعلام ينقل الأحدث ويروي الوقائع الحية مباشرة، بل أصبح يصنعها.

لا شك أن الإعلام الفضائي يخلق حالة كونية من التقارب الإنساني، وتوسيع الآفاق والمشاركة العالمية في قضايا المسار والمصير على اختلافها. كما أنه يفتح سبل التثقيف والتعلم من الآخرين، من خلال البرامج الوثائقية.

أما سلبياته فتتركز على التسلية والترفيه، من خلال الإثارة الحسية – كالبرامج التي تبث الصخب على مدار الساعة، وبرامج «قراءة الأبراج»، و«العب واربح»، ومختلف ألوان «الطرب الرخيص».

(1) هربرت أ. شيلر: المتلاعبون بالعقول – ترجمة عبد السلام رضوان – «عالم المعرفة» – رقم: 106 – المجلس الوطني – الكويتي 1986 – ص 6-5.

المشكلة هنا لا تكمن في برامج الترويج والترفيه، بل في تصوير الدنيا والحياة على أنها مجرد لهو وفرح، وأن الحظ والمكانة تتجدد كلها في «الأبراج» و«التنبؤات» المستقبلية. تكمن المشكلة هنا، في سياسة «الإلهاء» و«تحذير الوعي»، وامتصاص الإحباطات، من خلال الهروب في المتع الحسية التي توفرها القنوات التجارية. أي أن المشكلة تبرز حين تقدم هذه الثقافة للشباب على أنها نمط الوجود المفضل، الذي يقولب القيم والسلوكيات، على حساب البناء وتطوير الحياة العامة، ثقافياً وسياسياً، والالتزام بقضايا الوطن والمصير[1].

إذن هناك توجيه لثقافة الصورة لخدمة الإيديولوجيا المسيطرة، من خلال مجمل الأنشطة التي تهدف إلى قولبة وتنميط الجمهور عموماً، والناشئة خصوصاً، باعتبار أن هذه القولبة ترمي إلى بناء رؤية عن الذات والكون وما يتبعها من قيم وأنماط وجود.

والأخطر من ذلك هو الإثارة من خلال الصور المرئية المشحونة بمحتوى عنفي حقيقي (أحداث القتل والانفجارات والدمار...)، هذا الفيض من الإثارة من خلال العنف الحيّ والفعلي في بثّ أخبار القتل والتفجير، والمذابح الجماعية تترك آثاراً نفسية صدمية. إنها تثير مشاعر القلق والخوف وانعدام الأمن والإحساس بالعيش في عالم مليء بالأخطار والتهديدات. وإزاء هذه المشاعر يميل الناس العاديون إلى توسل الدفاع النفسي من خلال آلية التبلد وتجميد المشاعر. وتمكن خطورة التبلد الانفعالي في إمكانية تعميمه من خلال الانكفاء إلى الذاتي. وإذا أضفنا إلى الأخبار مقدار نسبة أفلام العنف المتعاظمة التي تعرض على الشاشة، يتضح مقدار تراكم الإثارة الذي قد يقود إلى السلوك العنيف[2].

والجماهير، بعد تزييف وعيها، تصبح كائناً انفعالياً غير منطقي يميل إلى التحيز على أساس عاطفي وحماسي، من حيث إن الجمهور سريع التأثر، سريع التصديق، يعوزه الحس النقدي. وعواطف الجمهور بسيطة جداً وشديدة التأجج. وعليه، لا يعرف الجمهور لا شكاً ولا تردداً[3]، ويميل إلى الاندفاع في الاتجاه الذي يحدده له من قاموا بتزييف وعيه، (إذ إن تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا)، وسلوكنا من قبل «سانتشي عقول».

3 – دينامية العلاقة بين الجماهير والسلطة:

حين تكون السلطة شرعية وقائمة على الديمقراطية وحرية الكلمة وملتزمة بها، وحين يكون الجماهير على درجة عالية من التعليم والثقافة ولديها ملكة التفكير النقدي يصبح الأمر علاقة سلطة ناضجة فيسود العقل وتحتل الموضوعية مساحة كبيرة في العلاقة بين السلطة

(1) المرجع نفسه، ص 104 وما بعد.

(2) مصطفى حجازي: حصار الثقافة – المركز الثقافي العربي – بيروت 2000، ص 62.

(3)Freud: Psychologie des foules… Op.Cit P. 133.

والجماهير، فلا تتحول إلى حب حتى التقديس والاستلاب أو إلى كراهية حتى التدمير. ونتاج ذلك منظومة سياسية واجتماعية تتسم بالسلام وزيادة معدلات الإنتاج والنمو[1].

أما حين تكون السلطة غير منطقية، أو غير شرعية أو استبدادية، حينئذٍ تسود ديناميات مرضية مثل الكذب والنفاق والخداع والعدوان واللامبالاة من جانب الجماهير، بينما تتعامل السلطة مع الجماهير بازدراء وشك وتوجس وترى أنها غير جديرة بالتحاور[2].

والجماهير بعد تزييف وعيها تصبح كائناً انفعالياً يميل إلى الاندفاع في الاتجاه الذي يحدّده له من قاموا بتزييف وعيه. وهذا السلوك الجماهيري يستمر على هذا النحو إلى أن تكشف الجماهير أنها قد غرّر بها أو خدعت، وحينئذٍ يتغير مسارها وتنقضّ على من غرروا بها أو خدعوها، وقد يحدث هذا التحول بسبب هزيمة عسكرية أو انهيار اقتصادي أو أزمة سياسية واجتماعية[3]...

4 – الخصائص العامة للجماعات التكفيرية:

العنف هو الصورة الطاغية وسط المشهد الهرمي بعد تنامي الحركات الأصولية التكفيرية. فقيمنا أو عقائدنا وثقافتنا تدعو إلى التعارف والتسامح كما تصنع العنف والإرهاب الذي يتغذّى منه.

لقد تحولت المنطقة العربية إلى بؤرة لممارسة العنف والإرهاب، كما تشهد على ذلك الحروب الأهلية والنزاعات الوحشية. والوقائع صارخة من الجحيم العراقي والسوري إلى الامتثال الدموي اليمني والليبي والمصري واللبناني...

مشكلة الجماعات التكفيرية هو ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة واحتكار الإيمان وامتلاك الحق المطلق، والخلاص الدنيوي من خلال العودة إلى أصول الدين، وتكفير كل من يخالفها الرأي أو العقيدة.. وهكذا فالجماعات التفكيرية على اختلاف مناحيها، قد تنزلق إلى الدخول في صراع مفتوح مع الآخر، ورفض الاعتراف بحقه في الاختلاف والمغايرة – أي فرض لذاتها في حالة رفض للغيرية – مما يفتح السبل أمام احتمالات العنف. هذا ما تبشّر به الجماعات التفكيرية بيقينية – دغمائية.

هذا الفكر التكفيري يقوم على إلغاء ما ينطوي عليه العالم من الاختلاف والتنوع والتعدد. وعندما يهيمن شعار واحد يعمّ القمع والاستبداد ويمارس العنف والإرهاب.

---

(1) غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير – ترجمة هاشم صالح – بيروت – 1991 – دار الساقي.

(2) سالم القموري: سيكولوجية السلطة – «عالم المعرفة» – رقم 324 – الكويت 2006 – المجلس الوطني.

(3) هربرت شيلر: المتلاعبون بالعقول – ترجمة عبد السلام رضوان – «عالم المعرفة» – رقم 234 – الكويت 1999 – المجلس الوطني.

يتعامل أصحاب الفكر التكفيري مع هويتهم الدينية بأقصى الغلو والتطرف والانغلاق، كجهاز ثقافي للشحن والتعبئة والتحريض، أو كخطاب فكري للنبذ والإقصاء، أو كمتراس عقائدي لحماية الذات ونفي الآخر. وقد لاحظ «نيتشه» «أن جميع أولئك الذين لا يرضون عن أنفسهم مستعدون دائماً للانتقام. ونغدو نحن الآخرين من ضحاياهم»[1].

هذا ما يفعله التكفيري الإرهابي الذي يحمّل الناس كلهم، من غير تمييز مسؤولية بؤسه وشقائه أو فشله وإخفاقه، فيتخذ منهم أدوات للدفاع عن قضاياه.

إن التميز بين العقيدة المغلقة قد أنتج نماذج فكرية تهيمن على الساحة الثقافية من «الدعاة والأوصياء» الذين يقولبون العقول بتعاليمهم المشحونة بالإقصاء والنبذ، لكي ينتجوا «المجاهد» التكفيري الذي يتوهم أنه يجاهد لإنقاذ الأمة والناس من الفساد والضلال. هذا التضليل قد حوّل الحالة الدينية، أو كما يدعّون «الصحوة الإسلامية» إلى تجربة ظلامية أو إلى ثقافة للقتل والتدمير.

1 - **البنية الذهنية:**

أ- **المكوّن المعرفي:** إن الثقافة، بما هي الإطار الفكري الجامع، تتجاوز في الحالة الأصولية (كمعتقدات موجهة لسلوك الجماعة) كي ترتفع إلى مرتبة العقيدة الصريحة التي تمثل مشروعاً وجودياً وسياسياً. يتم الانتقال عندها إلى حالة اليقين المطلق المتسم بالحق واحتكاره، في نظر من يعتنق هذه العقيدة، وذلك على نقيض عقيدة الآخر التي تتسم بالضلال. وبالتالي يتعين محاربته.

تتمثل مرتكزات الأصولية في العودة إلى أصول الدين، أولوية الإيمان على العقل، والتمسك بالمرجعية النقية، والتمسك بسلوك متشدد مع الذات يصل حد التزمت في التعاليم والشعائر وتطبيقها[2].

ب- **المكوّن الانفعالي:** تقوم الأصولية على بنية اجتماعية تتمثل في العصبية، وما تدعو إليه وتتمسك به من وحدة العقيدة وأحاديتها تتغذى على التعصب كموقف سيكولوجي طالما أن هناك نفيا لإمكانية العقيدة المخالفة.

التعصب هو حاجة نفسية قوية لترسيخ الانتماء وإبراز قوته وتماسكه وشد أعضاء الجماعة إليه. ويبلغ التعصب أقصاه حين يكون تعصباً لعقيدة متجسدة في جماعة. في هذه الحالة يصبح التعصب مزدوجاً: للعقيدة وللوجود الموضوعي للجماعة ومصالحها. فالتعصب هو تعصب للوحدة الداخلية، بقدر ما هو تعصب لتمايز الجماعة عن الخارج

(1)Nietzsche: le gai savoir – éd. 10/18 – Paris 1957, P. 191.

(2) عبد الرحمن معلا: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة – بيروت 1999 – مؤسسة الرسالة – ص 48.

وإلغاء اللقاء ما بين «النحن» والآخر. العلاقة مع الخارج تصبح علاقة «نحن» في مقابل رموز وأساطير مجسّدة للشر[1].

هنا يحدث انشطار للعواطف بشكل قطعي ما بين إيجابي طيب، وسلبي خبيث، وتستقطب العصبية كل العواطف الإيجابية بينما تُسقط على الخارج كل المشاعر والانفعالات السلبية.

يوظف الحب كله في الجماعة فتكتسب معه دلالة المثل الأعلى، الخير المطلق، بينما يوظف العدوان كله على الخارج، مما يحوله إلى أسطورة الشر، الذي يتوجب محاربته بل إزالته.

تتوسل الجماعة الأصولية التكفيرية عدة أواليات لتعزيز هذا التماسك الداخلي، وذوبان الأعضاء في كيانها: منها التبسيط الفكري للعقيدة التي تدرك بفعل إيماني بدون تحليل أو نقاش، هذا التبسيط الإدراكي يشحن عاطفياً من خلال الرصد الإيماني. ولهذا السبب يرفع شعار المستند إلى مشروعية إلهية، ومع هذا الشعار لا مجال للنقد أو التساؤل حيث يعتبر ذلك تشكيكاً يرقى إلى مستوى الضلال[2].

ومنها أيضاً إطلاق آلية «التبعية». ولا تكتفي هذه الآية بالارتكاز إلى مثل أعلى إيماني، بل هي تعزّزه بذلك الميل النفسي إلى الانقياد. وهي حالة تنطلق حين يتصعّد الشعور بالتهديد وانعدام الطمأنينة، مع فقدان القدرة على المجابهة. وأكثر حالات التبعية فاعلية تلك التي تتخذ طابع الانقياد لسلطة مرجعية «كاريزمية» تشكل نواة الجذب لأعضاء الجماعة.

فالمرجعية (القائد أو الزعيم) الموهوب يجسد المثل الأعلى للجماعة في نفس الوقت الذي يصبح معلمها ومرشدها من خلال تمثله العميق للعقيدة التي تعبّر عن أعمق دوافعها وأكبر طموحاتها. هنا تكون علاقة الجماعة معه علاقة تبعية كاتكال شبه طبيعي (من حيث إنه يمثل الأب الرمزي)، حيث توكل إليه تدبير أمرها وتسلمه زمام مصيرها[3].

ج – **المكوّن السلوكي:** في الحالة الأصولية، العنف يشكل الوجه الآخر لثقافة تسهم في إنتاجها سمتها أنها أحادية متحجّرة، تكفيرية عدوانية، كما تعمّم نماذجها في دور العبادة والمؤسسات الدينية أو عبر الشاشات والقنوات الفضائية. إنها ثقافة ذات مرتكزات أساسية.

– المعتقد الاصطفائي الذي بموجبه يتصور أصحابه وأتباعه أنهم ملاّك الحقيقة وحراس

---

(1) علي وطفة: التعصب «انتشاره في الوطن العربي» – «عالم الفكر: - عدد 3 – الكويت 2002- المجلس الوطني – ص 30.

(2) عماد الدين شاهين: التطرف والاعتدال لدى الحركات الإسلامية – الإمارات 2002 – مركز الدراسات – ص 20.

(3) عبد الإله بالقزيز: الإسلام والسياسة – بيروت 2000 – المركز الثقافي العربي – ص. 150.

الإيمان وحدهم دون سواهم.

- إنها ثقافة الرفض والإقصاء وعدم الاعتراف، وذلك بالتعامل مع الآخر المختلف بوصفه ضالاً أو كافراً مرتداً.
- أمراء هذه الثقافة يتوسلون العنف والإرهاب، قتلاً وتصفية، وذلك تحت دعوة مزيفة مشبوهة هي «إنقاذ الأمة» من الضلال[1].

إن التلاعب بالعقول الذي يمارسه الإرهاب الداخلي، و«الابتزاز» هو من أبرز مقومات تراكم المأزق الداخلي. بمعنى أن الخلاف بين (الإخوة) الذين يشفقون على بعضهم أو على بعضهم البعض هو الأكثر حدّة وإرهاباً، كما تشهد الحروب الداخلية بين «داعش» و«جبهة النصر» أو «قسد» وغيرها...

وهكذا، فالجماعات التكفيرية الإرهابية تمارس عقيدتها بعقلية «السفّاح» لأن صورة الطغاة لا تزال تستوطن عقولهم وتعشش في الذاكرة بقدر ما تتحكم في المخيلة والتصرف والمسلك، ما دام الوعي يلامسه اللاوعي، والعقل يتغذى من أوهامه وأساطيره. فالإرهاب يسكن المخيلة ويتغلغل في العقول والأفكار والنفوس.

2 – إنّ ظاهرة القتل الوحشي، وقطع الرؤوس، الذي تمارسها الجماعات التكفيرية، تمثل حالة عصابية سيكوباتية معادية للإنسان والمجتمع وجدت بالدين غطاء ومبررا لممارستها الإجرامية، ومنحها القدرة على إعطاء جرائمها صفة الشرعية.

إن الحركات التكفيرية شكلت مشاريع للقتل المنهجي بمنطق أصولي عنصري، ديني. هذه الجماعات تشرّع القتل وتمجّده باسم الدين والمقدس، ذلك أن ذاكرتها مشحونة بالهواجس والمشاعر الدموية. ولذا فهي تقتل وتدمّر من أجل القتل والدمار، مما يعني أن وحش العنف يسكن داخلها. ولعلّ مصدر العنف هو ما تتمسك به من المنطلقات أو المرجعيات، أو العقليات المغلقة. بهذا المعنى يكمن العنف في بنية الثقافة[2].

فالإرهاب التكفيري هو نتاج الثقافة الدينية التي ترسّخت في عقول الناس، بقدر ما هو ترجمة للتمييز والمفاضلات الاصطفائية أو تجسيد للتصنيفات الاستئصالية التي تتعامل مع الأنا والآخر كضدّين متنافيين، يتربع أحدهما في ملكوت الحق والخير والإيمان، لكي يرمي الآخر إلى دائرة الشر والكفر. هذه الظاهرة المتفشية هي نتيجة البيئة الثقافية الدينية الرائجة بتعاليمها ومرجعياتها ورموزها أو بخطاباتها وأحكامها.

هذه هي الرسالة التي يريد التكفيريون إبلاغها: التعامل مع الناس بلغة التهديد والوعيد،

(1) فواز جرجس: الحركات الإسلامية – الإمارات 2002 – مركز الإمارات للدراسات – ص 87.

(2) علي حرب: أزمنة الحداثة الفائقة – بيروت 2008 – المركز الثقافي العربي – ص 88.

لكي ينصاعوا إلى أوامرهم، وأن يكونوا مجرد أفراد قاصرين، لكي يدخلوا السجن العقائدي وينضموا إلى القطيع البشري، وينفذوا بصورة آلية ما يملي عليهم من الفتاوى والأحكام[1].

وفي وسط هذا القطيع يشعر الفرد بالأمان لأنه الآن جزء من كيان ضخم يصعب عقابه أو مساءلته، ويتمركز الشخص حول هذا الكيان أكثر من تمركزه حول ذاته، ويضعف التزامه بالقيود السياسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، ويتماهى مع الجماعة، فتتحرك الجماعة بمشاعر الحرمان أو الرغبة...

يقول **نيتشه:** «لقد وجد في كل زمان كثير من المرضى المستغرقين المتشوهين، فهم يكرهون إلى حد الهوس كل من يطلب المعرفة... إنهم يلتفتون دائماً إلى الوراء... فتيقنت أن جميع رغباتهم تتجه إلى أن يؤمن الناس بهم وأن يصبح كل مسلك فيهم خطيئة، وما فات مداركي ذلك الإيمان الذي يدعون رسوخه فيهم. فإنهم لا يؤمنون بالعوالم الأخرى ولا بقطرات الدماء تفتدي العالم»[2].

يتبدى تشخيص المرض بكشف الحقيقة الفعلية للقيم التي أوجدها أوصياء الفكر التكفيري. فهي مجرد مسبقات وأحكام مغلوطة اعتقدوا في صحتها ونصبّوها كحقائق و«أصنام مطلقة»[3].

ويمكننا أن نتساءل ما مصدر هذا المرض؟

إن الفكر التكفيري محكوم بموقفه الإيديولوجي، وبترسبات لا واعية، الأمر الذي يجعله يتعاطى مع الأحداث والقضايا بنظرة أحادية، وعدم الاعتراف بالآخر. ويبلغ الفكر التكفيري أقصاه في النزعة النرجسية التي تزّين لجماعة دينية معينة، بأنها الأحق والأفضل من حيث معتقدها.

من هنا فإن الفكر الأحادي التكفيري يقيم فصلاً حاسماً بين البشر: مؤمنين وكفرة، بقدر ما يتعامى عما يسم الواقع من التعدد والتنوع.

وذلك يحمل على إعادة النظر في إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر، بحيث نقرأ قراءة تتجاوز الثنائيات الضدية والعقليات الاصطفائية.

وقد اختار نيتشه صوت «زرادشت» الذي يعلم البشر «إرادة جديدة تحرر من الطريق الذي سلكوه حتى اليوم»[4].

---

(1) المرجع نفسه: ص 90.

(2) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت – ترجمة فليكس فارس – بيروت، دون تاريخ، دار القلم – ص 56.

(3) نيتشه: ما وراء الخير والشر – ترجمة جيزيلا حجار – بيروت 1995 – غروب في – ص 22.

(4) نيتشه: هكذا تكلم زرادشت – مرجع سابق – ص 42.

أول تجل لهذا هو الهدم والرفض لتراث قائم على تصنيفات رسّخت بفعل ثنائياتها حول المؤمن والكافر، مفاهيم عن الطاعة، لكن قبل ذلك «يجب علينا سحق ما تبقى من الأخلاق الوضيعة داخلنا لنحاول العبور»[1].

لذلك، كانت مهمة النقد هي تحرير الفكر نفسه من هيمنة الثنائيات في تقييم السلوك البشري[2]. فالنقد مجرد سلاح لقوة الحياة داخلنا. إذ لا شيء في ممارسة فكرنا النقدي يرجع إلى الصدفة، بل هو في غالب الأحوال دليل على أن القوى الحية داخلنا تعمل دائماً لكي تكسر القشور والمظاهر الخارجية[3].

ما نحتاج إليه اليوم هو «مصباح ديوجين» لنرفعه فوق عيوننا، ونستهدي به، ونحن نتجول في وضح النهار، نجوب به دهاليز وشوارع الضياء، الذي ليس هو «النور»، بل هو حاجب النور.

حكيم العصر ليس لديه من أوهام الماضي، ما يعد به من نعيم الفردوس المفقود.

إنه يريد أن يتجاوز أجيالاً من الدعاة الكبار الموجهين لتاريخ الأفكار والعقائد، وللأوصياء الذين يندبون أنفسهم على الناس وعلى تفكيرهم.

حكيم العصر ليس هو العالم تماماً، ولا الواعظ الديني، وليس مخترع أجوبة بقدر ما هو المعارض المزمن للأجوبة، فهو لا يكف عن البحث والتنقيب. فالتزام الحكيم هو أنه أمسى السالك على دروب الحقيقة، وليس المالك لها. فقيمة الحكمة أنها تنير الطريق أمام صاحبها أو المتلقي لها[4].

إنّ حكيم العصر مضطر دائماً أن يوقد مصباح ديوجين مجدداً محاولاً أن يُنير به ظلام الظهيرة مرة بعد مرة. لذلك تبقى المهمة الأولى للحكمة اليوم هي البحث عن الحقيقة دائماً. لكنها في الزمن العولمي أصبح لهذا البحث عن الحقيقة حق إنساني، إنه حق الفهم.

إذا كان جوهر الاجتماع الإنساني يقوم على التواصل فإنه يجيء من سجل آخر مغاير. فالتواصل هو جدلية الهوية والاختلاف الفاتحة على الهوى المشترك بين المختلفين. هذا الهوى الذي لا يمكن مد الجسور إليه إلاّ عبر الحواري الذي يقدم مادة أولية لبناء نسق معقولي مشترك.

---

(1) نيتشه: ما وراء الخير والشر – مرجع سابق – ص 58.

(2) المرجع نفسه: ص 82.

(3)Nietzsche: le gai-savoir – Op.Cit. – P. 297.

(4) مطاع صفدي: «لقاء سقراط في عتبة الألفية الثالثة» – مجلة الفكر العربي المعاصر – عدد رقم 123-122، بيروت 2002 – مركز الإنماء القومي – ص 50.

التمرس بلغة الحوار يؤدي إلى الاعتراف بالآخر والقبول به بوصفه مختلفاً عنا ومساوياً لنا في آن فالحوار بين المتكلمين يشكل بيئة التواصل المجتمعي بقدر ما يخلق مساحة المكن مما هو مفهوم ومعقول، حيث تتوسط بين الناس الحجج والأدلة لكي تخفف من مسائل الإكراه والعنف[1].

وهكذا فما دمنا نتواصل ونتحاور ونتفاعل، ثمة إمكان لأن نتغيّر ونغيّر، عبر تحويل المفاهيم، ولا يتم تغيير من دون الانخراط في علاقة مع الآخر.

فلا أحد يملك الحق الأخلاقي في أن يكون وصيّاً على الآخر، وفي فرض الحل الذي يجده مناسباً لمصالحه الخاصة.

إن الفرد لا يبلغ الإنسان الكامن فيه إلاّ بقدر ما يتشغل على ذاته بتفكيك ما يأسرها من قوالب التنميط المنقولة لأقواله وأفعاله. مثل هذا العمل يحرر الوعي من المطلقات الدغمائية والإيديولوجيات الشمولية، بقدر ما يفتح مفهوم الحقيقة على ما هو معيش ومحايث.

ولذا، فإنه من الضروري أن يبحث الإنسان عن إخلاص داخل ذاته لإخراجها. ولا يكون ذلك إلا بتدمير العبد الذي بداخله عبر تجاوزه.

المراجع العربية:

1. بالقزيز، عبد الإله: الإسلام والسياسة، بيروت 2000، المركز الثقافي العربي.
2. جرجس، فواز: الحركات الإسلامية، الإمارات 2002، مركز الإمارات للدراسات.
3. حرب، علي: الحداثة الفائقة – بيروت 2008، المركز الثقافي العربي.
4. حرب، علي: العالم ومأزقه – بيروت 2002، المركز الثقافي العربي.
5. حجازي، مصطفى: حصار الثقافة – بيروت 2000، المركز الثقافي العربي.
6. شاهين، عماد الدين: التطرف والاعتدال لدى الحركات الإسلامية، الإمارات 2002– مركز الدراسات.
7. لوبون، غوستاف: سيكولوجية الجماهير – ترجمة هاشم صالح – بيروت 1991، دار الساقي.
8. معلا، عبدالرحمن: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، بيروت 1999، مؤسسة الرسالة.
9. نيتشه، فردريك: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس مارس – بيروت، دون تاريخ، دار القلم.
10. نيتشه: ما وراء الخير والشر – ترجمة جيزيلا حجار – بيروت 1995 – غروب في.

المجلات:

1. شيلر، هربرت: المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان – «عالم المعرفة»، رقم 2106، الكويت 1986 – المجلس الوطني.

(1) المرجع نفسه: ص 17.

2. صفدي، مطاع: لقاء سقراط في عتبة الألفية الثالثة – «الفكر العربي المعاصر»، عدد 122، 123، بيروت 2002، مركز الإنماء القومي.
3. قموري، سالم: سيكولوجية السلطة، «عالم المعرفة»، رقم 324، الكويت 2000، المجلس الوطني.
4. وطفة، علي: التعصب، «انتشاره في الوطن ا لعربي»، «عالم الفكر»، عدد 3 – الكويت 2000، المجلس الوطني.

المراجع الأجنبية:

1. Freud : considérations actuelles sur la guerre et sur la mortm in : Essais de psychanalyse – éd. Payot – Paris 1981.
2. Freuf : Psychologie des foules et analyse du moi – in : Essais de Psychanalyse – Op.Cit.
3. Kaes, R. : l'idéologie. Etudes psychanalystiques – éd – Demoel – Paris 1980.
4. Nistzshe, F. : le gai savoir – éd – 10/18, Paris 1957.

مراجع عامة:

1. بورديار، جان: ذهنية الإرهاب – ترجمة بسام حجار – بيروت 2002 ، المركز الثقافي.
2. رشوان، حسين: الإرهاب والتطرف – الإسكندرية 2002 – مؤسسة شباب.
3. الفريدان، عادل: السلفية والجماعات الإسلامية – القاهرة 2010 – الدار الأثرية.
4. فرويد، سيغموند: علم نفس الجماهير – ترجمة جورج طرابيشي – بيروت 2006 – دار الطليعة.
5. فرويد: أفكار الأزمنة الحرب والموت – ترجمة جورج طرابيشي – بيروت 1981 – دار الطليعة.
6. مليكة، لويس كامل: سيكولوجية الجماعات والقيادة – القاهرة 1989 – جزءان – الهيئة المصرية.
7. نصّار، ناصيف: أضواء على التعصب – بيروت 1992 – أمواج.

باب التاريخ:

1- العتبة الكاظمية المقدسة مركز إشعاع ثقافي، مجلة زهور الجوادين (1429 - 1438 هـ)

.د. وجدان فريق عناد / جامعة بغداد
مركز إحياء التراث العلمي العربي
Wjdan_fareeq@yahoo.com

والباحثة حورية الصباحي الوناني
طالبة دكتوراه في جامعة غرناطة
yadssin@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/9/15 **تاريخ القبول: 2021/10/25**

الملخص

مجلة زهور الجوادين واحدة من إصدارات العتبة الكاظمية المقدسة التي تعبر عن رسالتها كونها منبراً ثقافياً وفكرياً وعقائدياً وإيمانياً في العراق بشكل خاص ، والأمة الإسلامية عموماً، الأمر الذي قدم مؤشراً حقيقياً على كونها مركز إشعاع فكري إسلامي رائد في العراق.

فمجلة زهور الجوادين، وهي إحدى النفحات الإيمانية التي تصدر عنها، مختصة بالعناية بشؤون المرأة والأسرة وفق المنهج الإسلامي من خلال المواضيع المتنوعة والهادفة التي تنشرها.

The Kadhimiya Holy Shrine is a cultural center of radiation Zohoor Al-Jawadeen Magazine 14291438 - (AH)

Abstract

Zuhur Al-Jawadeen magazine is one of the publications of the Holy Shrine of Kadhimiya, which expresses its message of being a center of Islamic intellectual radiation in Iraq.

Zuhour Al-Jawadeen magazine, which is one of the spirits of

faith issued by it, is specialized in taking care of women's and family affairs according to the Islamic approach through the various topics it publishes.

المقدمة

شهدت العتبة الكاظمية المقدسة انطلاق العديد من الأنشطة الثقافية، ففي رحاب الإمامين الجوادين تجمع الباحثون من مختلف الصروح العلمية العراقية والحوزات العلمية، فضلاً عن الباحثين العرب والأجانب، محاولين استجلاء فكر الأئمة الأطهار عليهم السلام، في محاولة لإبراز نتاج علمي يختص بسيرة ومآثر الأئمة عليهم السلام.

ويمكن أن نعد مجلة زهور الجوادين من إصدارات العتبة المميزة كونها تعنى بشؤون المرأة والأسرة بأسلوب علمي وفق المنهج الإسلامي، وهي بهذا تسجل السبق في إبداء العناية بشؤون المرأة والأسرة، الأمر الذي قدم مؤشراً حقيقياً على كون العتبة الكاظمية المقدسة مركز إشعاع فكري إسلامي رائد في العراق. نتحدث عن استشعارها مكانة المرأة العلمية في العراق، وثقتها بما تملك من مؤهلات أثبتتها مشاركتها وحضورها بقوة في كل نشاطاتها الثقافية، وذلك يبدو من عنايتها بإصدار مجلة حملت اسم زهور الجوادين.

وسيتناول البحث محورين أساسيين أولهما: دور العتبة الكاظمية المقدسة في تنوير المجتمع الإسلامي، والثاني: مجلة زهور الجوادين منذ صدورها وحتى العدد مائة.

أولا:- دور العتبة الكاظمية المقدسة في تنوير المجتمع الإسلامي

أسس النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لبناء أمة قوية لها معالمها البارزة والمحددة. وهذا الهدف كي يتحقق يحتاج إلى زمن أطول من عمره (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذلك كانت الإمامة الامتداد الطبيعي لقيادة الأمة وفق المنهج القرآني، فكانت بيعة الغدير بداية المهمة لأهل البيت فكانوا العطاء الفياض في جميع الجوانب العلمية والأخلاقية والتربوية... إلخ [1].

إلا إن الظروف السياسية العامة لم تسمح لهم بالقيام بمهام القيادة العملية بالكامل، مما أدى إلى انتشار السنن والمفاهيم المغلوطة، لذلك كان الأئمة (عليهم السلام) يدركون حجم مسؤولية إصلاح المجتمع الإسلامي، من خلال تعميق الوعي الإسلامي، وتربية أتباع يكونون القاعدة الشعبية التي بها يكون تصحيح كل انحراف يصيب المجتمع

(1) محمد علي التسخيري، من حياة أهل البيت (عليهم السلام) ، المجمع العلمي لأهل البيت (عليهم السلام) ، إيران، 1416 ، 244-243.

من أجل تثبيت المنهج الإسلامي الصحيح[1]، ولا سيما أن ذلك العصر شهد الكثير من التيارات الثقافية والفكرية والعقائدية التي بعضها مخالف للشريعة الإسلامية.

وفي ظل تلك الظروف المستعصية قام الأئمة (عليهم السلام) بواجبهم الشرعي في تربية الأمة الإسلامية وحمايتها من الانحراف الكامل، فكانوا صورة الإسلام المشرقة في صفحات تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فهم الذين حَمَلوا أعباء الإمامة ومسؤولياتها فعارَضوا السُلطات الحاكمة، ونادوا بالعمل في كتاب الله وسُنَّة النبي (صلى الله عليه وآله (واتَّخذوا أساليب مختَلِفة لمواجهة الانحرافات، وقد كلَّفتهم عملية التصدِّي ثمناً باهظاً، ومعاناة تحمَّلوا فيها الملاحقة، والسجون، والقتل، وغيرها.

كانت علاقات الأئمة مع مجتمعهم (عليهم السلام) مبنية على تربية الإنسان المسلم الواعي المدرك لمركزه ومسؤوليته، وأنه مكلف بحمل رسالة الإسلام وبناء مجتمعه الأخوي والوحدوي. تمثل علاقات الأئمة صورة متناسقة غير مقتصرة على جانب محدد بعينه. فهي ممتدة مع الجميع من دون استثناء، الأقارب والأتباع وعامة المجتمع بكل طبقاته حتى مع أعدائهم. كانت العلاقات التي جمعت الأئمة بمجتمعهم تبرز من خلال الروايات التاريخية التي ذكرت أخبارا مختلفة من سلوكهم (عليهم السلام)، ومما صدر عنهم من أقوال وأفعال تظهر ركائز تلك العلاقات:

1 – إنها أروع تجسيد لتعاليم الدين الإسلامي لطبيعة العلاقات التي تربط بين طبقات المجتمع، حيث العمل بأحكام الدين الإسلامي.

2 – تأكيد الهدف الاجتماعي من الإمامة من خلال وجود الموجه الذي يسعى إلى الرقي بالمجتمع المسلم كونه المثال الأعلى لمختلف نواحي الحياة.

3 – التوكل على الله، واتّباع الحق مهما كانت النتائج.

4 – مكانة آل البيت كقادة للمجتمع الإسلامي، فهم وحدة مترابطة الأجزاء يكمل أحدهم الآخر، وتمثل سلوكياتهم تطبيقَ الإسلام بأنقى منابعه.

5 – التناسق الكامل والانسجام بين الأفعال والأقوال، بما يعطي صفة الوحدة الموضوعية في اكتمال البناء الإنساني عند الإمام.

ولا بد من الذكر أن علاقات الأئمة مع مجتمعهم لا يمكن فصلها عن الموقف السياسي، لأن قيادتهم للأمة كانت جزءا من تجربة عالمية متكاملة في جميع الجوانب، لأن قيام الأئمة بتربية جماعة واعية ومنحهم الزخم التربوي والأخلاقي، لم يكن موقفا

---

(1) المرجع نفسه، ص 250 – 251.

سلبيا من الحكم، بل يعني محاولة لخلق القاعدة التي سينطلق منها الإصلاح والمحافظة على الأمة من الانحراف. كان هدفهم «تربية القواعد الشعبية الواعية لمكانتهم ثم تقوم تلك الجماعة بعد ذلك بحراسة المكاسب التي تحققت عبر المراحل التاريخية لحياة الأئمة (عليهم السلام) [1].

ويبدو أن وصية الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لأتباعه تختصر كل ما ذكرنا فقال: «أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه وأداء الأمانة لمن ائتمنكم، وحسن الصحبة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين. فقالوا: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكيف ندعو إليكم ونحن صموت. قال: تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتتناهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه قالوا هؤلاء الفلانية، رحم الله فلان، ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه، وعلموا فضل ما كان عندنا، فسارعوا إليه... حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»[2].

إن القاعدة التي بناها الأئمة الأطهار عليهم السلام، والمجتمع الذي أسسوا له، أثمر عطاء فكرياً ودينياً وإنسانياً ثراً، ودورهم لم ينقطع بوفاتهم وإنما تواصل العطاء من خلال الأتباع الذين أحسنوا تربيتهم، لاسيما أولئك الذين أداروا ويديرون عتباتهم المقدسة، والتي يراد لها أن تكون استكمالاً لخط الأئمة الفكري، تلك العتبات التي أصبحت مناراً للفكر والثقافة.

وأبرز وأنصع تلك الصور قدمتها العتبة الكاظمية المقدسة والتي كانت السباقة بين العتبات المقدسة لتبني النشاط الفكري لخدمة مذهب أهل البيت والمجتمع، وكانت مجلة زهور الجوادين ثمرة يانعة من بين الثمار الثمينة التي أنتجتها العتبة المقدسة.

ثانيا:- مجلة زهور الجوادين

هوية المجلة:

مجلة زهور الجوادين تصدر عن قسم الشؤون الفكرية والإعلام / الإصدارات النسوية

(1) محمد علي التسخيري، من حياة أهل البيت، ص134.

(2) وجدان فريق عناد، دفاع الإمام الصادق (عليه السلام) عن العقيدة الإسلامية «الدعوة الصامتة أنموذجا»، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الثالث للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)، كلية الفقه، جامعة الكوفة، 2013 ، ص5-4 ؛ ينظر:- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع). تحف العقول عن آل الرسول، قم، د.ت، ص295- 300.

في العتبة الكاظمية المقدسة، وتعنى بشؤون المرأة والأسرة.

وكانت في بداية الصدور نشرة باسم زهراء الجوادين[1]. صدر عددها الأول في رمضان 1429 هـ، بواقع ثماني صفحات، وهي في حينها كانت ملحقا لنشرة منبر الجوادين، وكانت تصدر عن قسم الثقافة والإعلام، بالتعاون مع شعبة المراقبة النسوية في العتبة المقدسة.

ثم تغير اسمها إلى زهور الجوادين ابتداء من العدد الثاني، الذي صدر في شوال 1429 هـ، وازدادت الصفحات إلى عشرين صفحة، وكانت المجلة بالقطع الكبير إلى أن وصلت للعدد الثالث والعشرين، وكانت هناك نقلة نوعية، إذ ازدادت عدد صفحاتها من عشرين صفحة إلى ثلاثين صفحة، كما تغير نمط الطباعة ونوعها، إذ طبعت المجلة بشكل أصغر وتحولت لقطع مجلة.

أما علامة المجلة (اللوكه) فقد تغيرت أربع مرات، هي العدد الأول، والثاني، ومن ثم العدد الخامس والعشرين الصادر في صفر 1432 هـ، وأخيراً في العدد السادس والتسعين الصادر في صفر 1438 هـ [2].

مبررات إصدار المجلة:

حمل العدد الأول في صفحته الأولى مقالاً افتتاحياً تمت الإشارة فيه إلى مبررات إصدار المجلة، وذكر المقال: «لقد ولى الزمن الذي يُنظرُ فيه باستهجان لعمل المرأة في العتبات المقدسة، وكيف تبقى هذه النظرة الخاطئة والرجل مطمئن إلى أن زوجته أو شقيقته أو ابنته تدخل إلى حرم النساء لا تحرسها سوى النساء ولا يدخله الرجال» [3].

وأضاف المقال: «من هذا المنطلق وبتوجيه من الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ومباركتها قمنا بعد التوكل على الله تعالى بإصدار هذه النشرة التي أطلقنا عليها اسم زهراء الجوادين والمعنية بنشر نتاجات الأقلام النسوية الواعدة التي تتناول مواضيع الدين والمجتمع وما يعنى في شؤون المرأة المسلمة، نشرة تتفق ونهج الإسلام في التبليغ عبر الكلمة الصادقة والمواضيع الهادفة ابتغاء مرضاة الله وحده» [4].

أسرة التحرير

رئيس التحرير الحالي الشيخ عدي الكاظمي هو نائب الأمين العام للعتبة الكاظمية

---

(1) زهراء الجوادين، العدد الأول، السنة الأولى ، رمضان، 1429 هـ.

(2) ينظر: المرجع نفسه، العدد الخامس والعشرين، صفر 1432 هـ؛ والعدد السادس والتسعين، صفر 1438 هـ .

(3) المرجع نفسه، العدد الأول، رمضان 1429 هـ.

(4) المرجع نفسه .

المقدسة، وأول سكرتير تحرير هو جلال علي محمد، وهو صاحب فكرة المجلة، وهو الآن مسؤول دار القرآن الكريم بالعتبة، وترك العمل بها عام 2010. بعده جاء أسامة الدباغ وهو الآن خارج العتبة، ثم رغد عزيز، وبعدها عاد أسامة الدباغ مرة أخرى لسكرتارية التحرير، ثم استلمت غفران كامل كريم منذ عام 2013 وهي مستمرة حتى اليوم. وليس للمجلة هيئة استشارية. وقد ذكرت أسماء هيئة التحرير لأول مرة في العدد الثاني والستين [1].

بالنسبة لأعضاء هيئة التحرير ففي بادئ الأمر كانت المواضيع تهيَّأ بالتعاون والتنسيق مع شعبة الشؤون النسوية في العتبة الكاظمية إلى أن أصبح للمجلة كادر ثابت، وهم كل من: رغد عزيز، ميادة قهرمان، زينب حسين، غفران كامل، شيماء فاضل وهي خارج العتبة الآن، زينة عبد الله خارج العتبة، علياء لطيف خارج العتبة الآن[2].

وهناك كاتبات متطوعات لهن مشاركات قيمة في المجلة، وهن كل من منتهى محسن، وكفاح الحداد، والدكتورة حنان العبيدي، وجنان الساعدي، والدكتورة ايمان الخفاجي، وآمنة عبد النبي، ومن لبنان انضمت إلى أسرة التحرير رجاء بيطار، وعملهن تطوعي وبلا مقابل، وتستقبل المجلة المشاركات الخارجية [3].

إن مراحل إعداد وإصدار المجلة يتم كالآتي: التحرير، ثم فحص وضبط النصوص، ثم التدقيق اللغوي، ثم التصميم، ثم العرض على المشرف، ثم إرسالها بالبريد إلى مكتب الأمين العام للعتبة مرفقة بمذكرة طلب طباعة المجلة، وبعد أن يطالع الأمين العام للعتبة المجلة يوقع على المذكرة المتضمنة الموافقة على أمر الطباعة، بعد ذلك ترسل بالإيميل على هيئة (PDF) لمطبعة الكفيل التابعة للعتبة العباسية المقدسة [4].

التصميم والرسوم والطباعة:

إن أول مصمم لمجلة زهور الجوادين كان المصمم محمد أيوب، ثم المصمم محمد أحمد، ثم المصمم قيصر باسم، وأخيرا المصمم عبدالله جاسم محمد [5]. أما المدققون اللغويون خلال مسيرة زهور الجوادين فهم كل من المرحوم السيد حامد البكاء، والسيد نبيل أبو العيس، ومحمد المالكي، والشاعر مهدي جناح الكاظمي، وأخيراً رياض عبد الغني.

(1) مقابلة شخصية مع الست غفران كامل كريم، سكرتير تحرير مجلة زهور الجوادين.

(2) المقابلة نفسها .

(3) المقابلة نفسها.

(4) المقابلة نفسها.

(5) المقابلة نفسها .

وتم استخدام الرسم في المجلة ولا سيما في الأبواب الأدبية، وبالذات القصة، وهذه الرسوم يقدمها جلال علي محمد وهو رسام قدير، والرسوم الخاصة بقسم الفتيات تضطلع بها إيمان محمد رضا وهي فنانة متألقة، وتلوين الرسوم يقوم به كلّ من ياسر حاتم وعاصف عبود [1].

وأول مطبعة طبعت بها مجلة زهور الجوادين كانت مطبعة في بغداد، وثاني مطبعة كانت مطبعة الضياء في النجف، والثالثة هي مطبعة الكفيل التابعة للعتبة العباسية المقدسة في كربلاء.

والمجلة تصدر كنسخة ورقية، فضلاً عن النسخة الإلكترونية في موقع العتبة الرسمي تحت بوابة الإصدارات الدورية للعتبة الكاظمية. والنسخ الورقية يباع قسم منها في معرض الكتاب للبيع المباشر بسعر (500) دينار عراقي، والبعض الآخر يوزع ويهدى للزائرين الكرام والمتابعين للمجلة وضيوف العتبة[2] .

وقد صدر كتاب من ديوان الوقف الشيعي في الثاني من حزيران 2015 يقضي بإيقاف الإصدارات، بسبب الأزمة المالية التي تمر بها الدولة، وعلى أثره تقرر دمج كل شهرين بعدد واحد في مجلة زهور الجوادين.[3]

اهتمامات المجلة وأبوابها:

اهتمامات المجلة متنوعة، وممكن إجمالها بالعديد من الاهتمامات التي تعبر عن هوية المجلة وانتمائها العقائدي والديني، كونها صوتاً ناطقاً من بين الأصوات التي تهدر بالانتماء لمدرسة أهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام، ومن بين تلك الاهتمامات، ما يأتي[4]:

فقد حسب فتاوى المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف، والعقائد عموماً، والقضية المهدوية بالذات، إذ أفرد باب مهدويات الزهور.

وهناك موضوعات متنوعة تعنى بشؤون الأسرة والطفل في باب أسرة، وكلها تهتم بتربية الأسرة المسلمة، وتقديم التوجيه التربوي المناسب، فضلاً عن الاهتمام بالمجالات الطبية والصحة العامة.

---

(1) المقابلة نفسها.

(2) المقابلة نفسها.

(3) - ينظر مثالا على دمج الأعداد: زهور الجوادين، العدد 72-71، محرم الحرام – صفر الخير، 1436هـ؛ 88-87، جمادى الأولى – جمادى الآخرة، 1437؛ العدد 95- 96 محرم الحرام – صفر الخير، 1438هـ؛ العدد 97- 98، ربيع الاول – ربيع الآخر، 1438هـ؛ العدد100-99، جمادى الأولى – جمادى الآخرة، 1428هـ / شباط – آذار .

(4) ينظر من بين تلك الاهتمامات على سبيل المثال لا الحصر: زهور الجوادين، العدد 38، ربيع الأول، 1433هـ ؛العدد، 48 ، محرم الحرام، 1434هـ؛ ؛العدد 64، جمادى الآخرة، 1435.

وللمجلة اهتمامات أدبية مهمة، ونجد هذا الأمر ماثلاً من خلال مطالعتنا لها، ففي كل عدد هناك صفحات تهتم بالشعر، وفن القصة القصيرة، فضلاً عن وجود المقالات النثرية والومضات التي تزخر بها المجلة.

وهناك باب الأخبار والنشاطات، ويتكفل باستعراض النشاطات العامة والنسوية بالذات المقامة في العتبة الكاظمية المقدسة، وممكن أن نلاحظ ذلك من خلال تغطيتها للمؤتمرات والندوات والمسابقات والجلسات والدورات المقامة في العتبة.

وتعد التحقيقات من الأبواب الثابتة في المجلة، وتعنى بالعديد من الموضوعات العامة التي تعالج اهتمامات القراء، وخدمة رسالة المجلة التوعوية.

وهناك باب تفاعلي يعتمد على أسئلة القارئات عبر البريد الإلكتروني الرسمي للمجلة تجيب عنه الدكتورة حنان العبيدي مديرة مركز البحوث التربوية والنفسية في جامعة بغداد، واسمه بريد الزهور وهو من الأبواب المضافة حديثا.

وغيرها من الأبواب والأعمدة الصحافية الثابتة والمتحركة. وأضيف للمجلة الكثير من الأبواب، وكلما دخلت المجلة سنة جديدة وُجدت تغييرات وإضافات.

وهناك ملحق لمجلة زهور الجوادين، هو فتيات الجوادين، وبالأصل كانت فتيات الجوادين مجلة مستقلة، لكنها اندمجت بزهور الجوادين، وفي الملحق أبواب متعددة منها القصة القصيرة، والقصة القصيرة المصورة، وبعض المقالات التي تكتب بطريقة سهلة، كونها تخاطب فئة الناشئة والمراهقات.

تطور المجلة:

عند دراسة العدد الأول الصادر في رمضان 1429هـ، ومقارنته بالعدد الأخير الحامل الرقم 98 والصادر في ربيع الآخر 1438 هـ، نجد تطوراً هائلاً فيها [1].

كان العدد الأول كما ذكرنا عبارة عن نشرة، وكانت بسيطة في إعدادها وتحريرها، وتضمن افتتاحية تصدرت الصفحة الأولى تحت عنوان عمل المرأة، وتضمنت العديد من الموضوعات هي[2] :

1 – حوار مع الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة فاضل الأنباري.

2 – نساء خالدات.

3 – استراحة القارئ .

4 – المرأة النموذجية زينبية جريئة.

(1) ينظر: زهور الجوادين، العدد الأول، رمضان 1429هـ ؛ العدد الثامن والتسعون، ربيع الآخر 1438هـ.

(2) المرجع نفسه .

5 – حجاب المرأة والعمل في الحياة.

أما العدد الأخير فتضمن أبواباً متنوعة، تعبر عن مدى التطور في إصدارها وتحريرها والموضوعات التي تتناولها، ومع العدد ملحق فتيات الجوادين، وتضمنت الأبواب ما يأتي [1]:

1 – استفتاءات: باب الاستفتاءات من أهم الأبواب الثابتة، وهو على فقه سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف.

2 – شاعر وقصيدة: وتحدث عن قصيدة العلامة السيد رضا الهندي.

3 – مهدويات: إسقاطات الطيف على ادعاءات الزيف.

4 – قلم حر: الفوز المبين.

5 – قصة: جليد ساخن.

6 – قضية في الميزان: بيت الطاعة ما له وما عليه.

7 – النصف الآخر: أريدها فائقة الجمال.

8 – حواء: وتحدث هذا الباب عن موضوعين في غاية الأهمية هما، السفور المقنّع، وكي لا تقعي في المحظور وهو عن استخدامات الهاتف النقال.

9 – بريد الزهور : وهو يعالج الرسائل التي ترد للمجلة وتجيب عنها الدكتورة حنان العبيدي.

10 – تحقيق : التخصص الجامعي للفتاة بين ضوابط القبول وتدخل الأهل.

11 – أسرة : فيه عدة موضوعات هي «قاربي بين أولادك وزوجك»، و«احتياج لا غنى عنه»، وهو يتحدث عن لعب الأطفال، و«كيف نهيئ قدرات أولادنا للتعلم»، و«ليس الرجل من يظلم دائماً».

12 – مرايا : زواج الثأر غصة في حلق الإنسانية.

13 – الصحة كنز : داء القطط .

14 – صحتي في غذائي : في الشتاء ماذا نأكل كي لا نمرض .

15 – شذرات.

---

(1) المرجع نفسه، العدد 97- 98، ربيع الأول – ربيع الآخر، 1438هـ ؛العدد100-99، جمادى الأولى – جمادى الآخرة، 1438هـ / شباط – آذار .

الخاتمة :

إن التفوق والنتاج الفكري والتألق الدائم للعتبة لم يكن إلا من خلال التميز النوعي للعاملين فيها. لقد غرس سفراء العتبة الثقة بينهم وبين المجتمع، ورغبوا بشدة في نشر الثقافة النافعة والكلمة الصادقة، وتحلوا بالإيثار والعلمية والخلق والتواضع، فكانوا مرآة العتبة ولسانها الناطق، الأمر الذي انعكس على إصداراتها التي وجدت صدى طيب بين القراء، ومنها مجلة زهور الجوادين وهي إحدى النفحات الإيمانية التي تصدر عن العتبة الكاظمية المقدسة، والتي تعبر عن جزء من رسالة العتبة المقدسة التي تعد منبراً ثقافياً وفكرياً وعقائدياً وإيمانياً في العراق خصوصاً، والأمة الإسلامية عموما.

نرى ضرورة تشكيل هيئة استشارية للمجلة تتألف من شخصيات فكرية وعلمية مرموقة في مجالات الفقه والتاريخ والتربية وعلم النفس والاجتماع والأدب، ولاسيما أن هناك الكثير ممن يرغبون في تقديم الخدمة التطوعية للمساهمة بخدمة العتبة الكاظمية المقدسة ورسالتها الشريفة.

نتمنى للعتبة الكاظمية المقدسة الاستمرار على هذا النهج الراقي الذي طرز اسمها بحروف من الذهب في سجل النتاج العلمي والحضاري الإنساني، لتستعيد دورها ومكانتها مصدراً للإشعاع الفكري.

ودعواتنا للعاملين جميعاً في العتبة المقدسة بالتوفيق والنجاح، ونتمنى لهم الاستمرار بهذا النهج العلمي الرصين، مثلما نتمنى على الأساتذة والأكاديميين والباحثين جميعاً التواصل مع جهود العتبة العلمية، وتقديم خبراتهم المرموقة للنهوض بفكر أهل البيت عليهم السلام، وإبراز دورهم التاريخي وإرثهم الحضاري الثري.

قائمة المصادر والمراجع

- الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع). تحف العقول عن آل الرسول، قم، د.ت.
- محمد علي التسخيري، من حياة أهل البيت (عليهم السلام)، المجمع العلمي لأهل البيت (عليهم السلام)، إيران، 1416.
- وجدان فريق عناد، دفاع الإمام الصادق (عليه السلام) عن العقيدة الإسلامية «الدعوة الصامتة أنموذجا»، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الثالث للإمام جعفر بن **محمد** الصادق (عليهما السلام)، كلية الفقه، جامعة الكوفة، 2013.
- زهور الجوادين، العدد الأول، السنة الأولى ، رمضان،1429 هـ.
- ــــــــــ، العدد الخامس والعشرون، صفر 1432 هـ.
- ــــــــــ، العدد 38، ربيع الاول، 1433هـ.
- ــــــــــ، العدد، 48، محرم الحرام، 1434هـ.
- ــــــــــ، العدد 64، جمادى الآخرة، 1435هـ.
- ــــــــــ ، العدد 72-71، محرم الحرام – صفر الخير، 1436هـ.
- ــــــــــ، العدد السادس والتسعون، صفر 1438 هـ.
- ــــــــــ، العدد 97- 98، ربيع الاول – ربيع الآخر، 1438هـ.
- ــــــــــ، العدد99 100-، جمادى الأولى – جمادى الآخرة، 1428هـ/ شباط – آذار.
- غفران كامل كريم، سكرتير تحرير مجلة زهور الجوادين.

2- النظام المائي ومنشآته (إقليم الزاب-إفريقية- أنموذجا) دراسة تاريخية أثرية

الدكتور: جمال عناق
أستاذ محاضر في جامعة العربي التبسي/تبسة-الجزائر
djamel.annak@univ-tebessa.dz

تاريخ القبول: 2021/11/11 تاريخ الاستلام:2021/10/30

ملخص البحث :

موضوع هذه الدراسة جاء ليسلط الضوء على النظام المائي، ومنشآته المتعلق بالزراعة والسكان في منطقة معينة من إفريقية: الزاب في جزئه الشرقي.

ويعتمد هذا العمل بشكل أساسي على فحص النصوص الجغرافية العربية الرئيسية للعصور الوسطى ، ولكنه يأخذ أيضًا في الاعتبار مساهمة المصادر التاريخية والأدبية. بالإضافة إلى ذلك، سوف نعتمد أيضًا على المراجع الببليوغرافية القديمة والحديثة حول مسائل الاستيطان والزراعة والري والموارد المائية. لكل هذا، بدا من الضروري أيضًا النزول إلى الميدان لتتبع المنشآت المائية التقليدية.

ويرتبط هذا الاهتمام المنهجي ارتباطًا وثيقًا بمفهومنا للتحليل التاريخي للمصادر: لمحاولة تحديد المشكلات المطروحة في عملنا بشكل صحيح بفضل الأداة النصية من أجل فهم أفضل لقضايا الموضوع التاريخي.

الكلمات المفتاحية: الزاب-المياه-الواحة-القنوات-المنشآت.

الملخص باللغة الفرنسية:

L‘objectif de cette étude est de mettre en relief un certain nombre de caractères et spécificités relatifs aux ressources et Systèmes hydriques ,à l‘agriculture et au peuplement d‘une région concrète du» Iifriquia“ : le Zab dans sa partie orientale.

Ce travail se base essentiellement sur le dépouillement des principaux textes géographiques arabes du Moyen Age mais il

tient compte également de l'apport de quelques sources historiques et littéraires. En plus des types de texte mentionnés, on mettra aussi à profit les productions bibliographiques anciennes et récentes sur les questions de peuplement, d'agriculture, d'irrigation et de ressources en eau. Pour tout cela, il nous a paru également il nous a paru également nécessaire de Suivre les vestiges du système d'eau traditionnel.

Cette préoccupation méthodologique est étroitement liée à notre conception de l'analyse historique des sources : essayer de cerner correctement les problèmes posés dans notre travail grâce à l'outil textuel afin de mieux comprendre les enjeux du sujet historique.

Les Mots Clé: Zab – L'eaux – l'oasis – les canaux – les installations.

مقدمة:

ستكون لنا في هذه الورقة محاولة لمعرفة النظام المائي في اقليم الزاب على ضوء البقايا وآثار الشبكة المائية في العصر الوسيط. طبعا، كان اختيارنا لهذه الحقبة مرتبطا بالأساس بتحليل مجمل مسائل وأحكام المصادر الفقهية النوازلية والتاريخية والجغرافية العربية الإسلامية، لحلحلة قضية شائكة وهي: كيف تعامل سكان هذا المجال مع الندرة المائية؟ وما كان يصاحب ذلك من نزاعات وخصومات حول مسألة ذوي الحقوق المائية، أو السبق المائي بين عالية المجال وسافلته؟ ثم كيف كان تصرف الفقهاء حول هذه المسائل التي طرحت عليهم، والتي لم تكن تستوجب التأخير لحساسيتها الظرفية والمكانية، حتى إنها كانت تفرض على الفقيه والعالِم النزول الى الميدان، لفك الخلاف ومنعا ودرءا لكل خصومة التي قد تبلغ فيها الأزمة إلى إراقة الدماء؟

ومن هنا كان علينا نحن أيضا النزول إلى الميدان، وتتبع بقايا المنظومة المائية التقليدية، وربطها بالتحليل مع ما ورد ذكره من أحكام، وأخبار في مختلف المصادر التراثية، وخصوصا النوازلية منها، مركزين في ذلك على مجال محدد لنتمكن من رصد المعالم المائية، وتصنيفها في المرحلة الأولى، ومن التوصل إلى معرفة التطورات

الحاصلة في المشهد الزراعي والعمراني في الفترة الوسيطة في المرحلة الثانية عقب الاستيطان الروماني في المرحلة الأولى، وبالتالي فقد اخترنا الانطلاق من إقليم الزاب الشرقي على اعتبار تركز بقايا المنظومة المائية بشكل واضح في هذا الإقليم في كلا المرحلتين.

أولا: نظرة جغرافية عامة عن إقليم الزاب:

يجدر بنا في هذا العنصر تحديد موقع إقليم الزاب جغرافيا والذي يقع بين خطي عرض 35° و 34,30° وبين خطي طول 2° و4° شرق غرينتش. عاصمته مدينة بسكرة ويقع جنوب شرق الجزائر **(صورة جوية01)**، والزاب جمعه زيبان: وقاعدته بسكرة حسب ما أورده لنا ابن خلدون في ق8.هـ/14م: (هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب إلى قصور تنومة وبادس في الشرق ويفصل بينه، وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل، جاثم من المغرب إلى المشرق... وهذا الزاب وطن كبير اشتمل على قرى متعددة، متجاورة جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب، وأولاها زاب الدوسن ثم زاب طولقة، ثم زاب مليله- أو مليلي- وزاب بسكرة، وزاب تهودة وزاب بادس وبسكرة أم هذه القرى كلها). [1]

ثانيا: السياسة المائية في إقليم الزاب:

إذا حصرنا مدة استمرار السياسة المائية في إفريقية والتي كان الزاب إقليما تابعا لها إداريا ما بين تأسيس مدينة القيروان سنة 50 هـ -750 م، وتاريخ بدأ التغريبية الهلالية سنة 440 هـ- 1050 م، فإن سولونياك- Solognac يؤكد انعدام نماذج مائية بنفس الكثافة والتوزيع خارج حدود المنطقة السهلية المحصورة بين خط متساوي المطر 400م، وَحَدّه الجنوبي، مع خط متساوي المطر 200 ملم، فإنه لا توجد أي منشأة مائية من النوع المدروس جنوبي منحنى 200ملم، فهذا الأسلوب غير قابل للتطبيق في المنطقة شبه الصحراوية والصحراوية. [(2)]

لذا فإن مهندسي السياسة المائية يعرفون أهمية الدور الذي ينبغي أن تلعبه الفيضانات بسبب عدم انتظام التساقط، ونقصان المطر الذي يشكل القاعدة العامة لأي نشاط زراعي. فاقتنعوا بضرورة امتلاك منشآت موضوعة بطريقة تجعلها قادرة على توزيع، وتخزين مياه السيول قبل اختفائها في الأرض النفوذة، وما دام التبخر معتبرا والطبقة المائية الجوفية بعيدة، فالوصول إليها يصبح صعبا جدا في هذا الإقليم، لذا فقد فهموا أنه يجب عليهم إعطاء أبعاد لتلك الخزانات بحيث يصبح نصيب الاسترجاع الجوي أقل

ما يكون بالنسبة للارتفاع الإجمالي لكمية الماء المجموعة.[3]

وكما لاحظ (Capot Rey) فإن المشتغلين بالفلاحة، وفي ظل هذه الظروف يفضلون استعمال ماء الأودية والسيول للري والاحتفاظ بمياه العيون، والآبار القليلة للشرب. كما أنه يوجد دائما– وتأقلما مع هذه الظروف– نظام للري يتلاءم أكثر مع الظروف المحلية ذاتها، ذلك أن ثروة المياه الجوفية لناحية معينة غالبا ما تكون عكس مواردها المائية، والعكس صحيح. وفي مقارنة بينها وبين منطقة مطماطة الجبلية التونسية المحظوظة من جهة الأمطار والسيول، والتي ليس بها سوى عدد قليل من الطبقات المائية الجوفية فإن هذه الطبقات تكثر في منطقة الجريد المجاورة لها، والأشد منها جفافا، وبالتالي فالمواجل تكثر في المنطقة الأولى وتغيب عن الثانية[4]. وإذا طبقنا هذا المثال على المنطقة المدروسة–إقليم الزاب– التي تكثر فيها السيول النازلة من جبل الأوراس، وتتلقى منسوبا مائيا من المطر لا بأس به خاصة في واحات كالخنقة و ليانة، وبادس على التخوم الأوراسية الجنوبية، فالأكيد أن أهالي هذه الواحات والقرى سيوظفون كل جهدهم لاستغلال هذه المياه النازلة، لذلك قامت في هذه التخوم الجنوبية سياسة زراعية رائعة شهد لها كل من المؤرخ اللاتيني بروكوب، في (ق06 م) والبكري والإدريسي في القرون اللاحقة بأنها كانت تزرع مرتين في الموسم الواحد على عكس يومنا هذا؟!! رغم أن هذه التقاليد الزراعية قديمة لكنها غير مكتوبة[5] ولا تزال مستمرة اليوم، لكن مشاهداتنا لها تجعلنا نقول إنها أصبحت محدودة جدا.

ثالثا: المنشآت المائية الباقية في اقليم الزاب:

1- قنوات جر المياه :

لعل النمط والتقنية المائية المثيرة للإعجاب والدهشة والتي لا يمكن لأي باحث في هذا المجال أن يعتمد على دراسته النظرية دون الوقوف عليها عيانا حيث إن هذا النموذج المائي المدهش والذي يسميه السكان المحليون بمصطلح **(القنارية)** واصطلح عليه (باراداز Baradez) و(بيربونت Berbent) ضمن نموذج القارات المعروفة. ومن خلال استطلاعنا ووقوفنا الميداني على هذا النموذج وهذه التقنية، والتي تنتشر آثارها على ضفتي واد العرب جنوب واحة خنقة سيدي ناجي، وهي عبارة عن سلسلة من الآبار المجتمعة في ما بينها ومرتبطة بنفق أرضي، وقد أحصينا حوالي 32 بئرا متقاربة في ما بينها تقع على مسافة 02 كلم تبتعد عن حافة الوادي أو على الضفة اليمنى بحوالي 36 مترا، وإن كان من المعلوم أن مجرى الوادي قد اتسع مع مرور الزمن فإننا نلاحظ

على كامل ضفتيه –وكنتيجة لعوامل التعرية المائية فقد انكشف نفق ورواق هذه القناة – العديد من الحفر قد يكبر حجمها لتصبح عبارة عن كهف أو مغارة كبيرة يزيد ارتفاعها وعرضها على المتر والنصف، و يجدر بنا أن نذكر اتجاه هذه النفاسات أو الآبار، وهو دوما من الشمال إلى الجنوب لارتفاع المنطقة الشمالية عن الجنوبية، وهذا الاختلاف يساعد على اندفاع المياه من المصدر المائي إلى أن تخرج على سطح الأرض.

–**تاريخها وطرق استغلالها:** بالاعتماد على ملاحظاتنا الميدانية وما طرحناه من أسئلة على بعض ساكنة المنطقة، وما أشار إليه Baradez [6] فإن مصدر مياه هذه «القنارية» تختلف عن المصدر المائي للفجارة في إقليم الصحراء الجزائري، وهو بئر الأم، حيث يتم توجيه مياهها كما أسلفنا الذكر نحو الحقل بحفر آبار ثانوية أخرى، أما في هذا النموذج محل دراستنا فيتم توجيه مياه الوادي، بإقامة سد على سرير الوادي لتتوجه مياهه بعدها إلى النفق، أو الرواق الأرضي، ومن ثمة نحو أراضي الاستغلال بواحة ليانة و بادس، ويتم استغلال مياهها وقسمتها على حسب مشاركة كل فرد في إنجازها، وعلى هذا الشكل يمكن اعتبار هذه القناة كمصرف رئيسي يوجه نحو الحقول ثم يتفرع إلى مقاسم وسواق.

وإن الرومان كانوا قد حلوا مشكل ندرة المياه في المنطقة بإنجازهم القناة المائية الآتية من وادي ملاقو بالأوراس، والتي قد تكون تعطلت في ما بعد لعوامل طبيعية. وحسب Solognac فإن الرومان اجتهدوا بصفة خاصة في التقاط مياه العيون وحفر الآبار، واستغلال الطبقات الجوفية ولم يبذلوا على ما يبدو جهدا كبيرا للاستفادة من مياه فيضانات الأودية، إلا لمنعها من التسرب في الأرض النفوذة بواسطة إقامة سدود حجز، وتبليل صغير لإحداث تغذية زائدة في بعض الطبقات الجوفية. والمسلمون مع استفادتهم من الأعمال المائية لسابقيهم، يظهر أنهم ركزوا جهودهم التقنية بصفة خاصة على مشاكل جمع وحفظ مياه السيول وتوصيلها[7]، وإذا قلنا إن إقليم الزاب إداريا كان تابعا للأغالبة والفاطميين ثم الحفصيين الذين كانت لهم سياسة مائية واضحة خاصة في إنجاز القنوات من خارج المدن وتوصيلها بالمواجل بعد تدارك الصعوبات المرتبطة بأرضية الموقع[8] ، فتخميننا قد يؤدي بنا إلى القول إن هذه التقنية هي أحد تأثيراتهم الوافدة إلى المنطقة.

ومن حيث ملكية الماء وأصحاب ذوي الحقوق فالأرض المزروعة في الواحات كلها ملكية خاصة في غالب الأحيان، فالماء ينتقل بالوراثة وقد يكون أيضا ملكية جماعية.

ففي الزيبان مثلا يوجد ماء مملوك في الزاب الظهراوي والزاب القبلي، ويوجد ماء العرش في الزاب الشرقي[9]، لكنه غير مملوك، إذ إن كل فرد إذا وصل إلى سن البلوغ يصبح له الحق في الماء والأرض، أما إذا مات هذا الشخص أو غاب فتأخذ قسمته من الأرض و الماء[10] ما عدا واحة ليانة حيث تستمر ميزة الملكية الخاصة كشاهد على وفرته التي زالت اليوم[11].

و من خلال ما أوضحه Baradez فإن هذه الأشغال المائية بالرغم أن مبادئ تنفيذها محلية تختلف قليلا عن الماضي، لكنها على العموم كانت متطابقة بطريقة مدهشة وإلى وقتنا الحاضر من منحدر الأرض إلى أصل المياه.

2 – منشآت التخزين:

أ- المواجل والصهاريج: يعتقد سولينياك Solognac أن المسلمين استوحوا فكرة التخزين من مثال البرك التي في النيل، ذلك أنه من المحتمل أن يكون فاتحو المغرب من العرب بعدما عرفوا المفهوم المائي المصري وأعجبوا به أرادوا تطبيقه أولا في القيروان. ومن المتوقع أنهم أعدّوا في البداية نوعا من البرك لكنهم تنبهوا بسرعة إلى عدم مقاومة هذا النوع من المنشآت بسبب عدم ثبات المجاري المائية، الذي يظهر في تنقلاتها المستمرة الراجعة لشدة الفيضانات الاستثنائية المفاجئة، وهذا عكس فيضانات النيل التي كان من المتوقع حدوثها وتوقع توزيعها. ومن هنا تكون قد برزت فكرة تثبيت البرك سواء ما حفرته الطبيعة، أو يد الإنسان بتحويلها إلى أحواض واسعة مبنية يتوقع مقاومتها للفيضانات العنيفة[12]، فهم على الأقل جمعوا المياه التي حملتها بعض الأودية وخزنها بتوجيهها بواسطة سدود تحويلية صغيرة نحو الأحواض الكبيرة المبنية التي تشكل بركا حقيقية[13]، وبسرعة تحسنت هذه الأحواض باتّباع أسلوب الحوضين المجاورين مع اختصاص كل واحد منهما بدور معين[14]، وأصبحت بذلك تعرف بالمواجل[15]. وفي ذلك ذكر الشيخ سحنون معلقا على المواجل التي بناها أمراء الدولة الأغلبية فقال: «إنما هي حجارة، جمعوا ذلك فبنوا به ماجلا فدخل فيه ماء ساقه الله إليه»[16] المائيون العرب مسألة الطمي الذي يتجمع في الخزان، أو في المواجل إذ عكفوا على إيجاد الحلول المناسبة لهدا المشكل، بالاعتماد على نظام التصفية، إذ يقوم هذا النظام على بناء حوض مجاور لحوض التخزين، الذي هو مخصص للتصفية التمهيدية، ويظهر في نهاية الأمر أن عددا كبيرا من المواجل أو خزانات المياه السيلية ظهرت مبنية حسب طاقم وتصميم واحد متكامل الوظيفة، فكل مجموعة تشتمل على حوضين حوض للتصفية وحوض

للتخزين، وكثيرا ما يصطحبها جهاز ثالث هو حوض الغَرْف. وتتفق المصادر على أن تموين المواجل الكبيرة كان يتم عن طريق سيلان مياه الأودية، فكانت تحفر على مقربة من مجاريها بحيث تنساب إليها المياه عند فيضان الأودية عبر مجرى يربطها بحوض لطيف يتخذ للتصفية، وهو متصل بماجل كبير تجمع فيه المياه المصفاة، وقد تستكمل هذه العناصر بصهريج يحفظ فيه قسم من الماء يتخذ للشرب ويتكون من:

1- بركة كبيرة مستديرة الشكل يبلغ قطرها 127.7 مترا وعمقها4.8 أمتار.

2- بركة صغيرة وهي ماجل صغير يتصل بالماجل الكبير عن طريق فتحة تسمى السرج.

3- صهريجين متصلين بالماجل الكبير.[17]

ولا ريب أن مبدأ تجميع مياه السيول في برك قد اعتمد في مختلف البلاد الإسلامية[18] بما فيها الزاب.

وميدانيا فقد لاحظنا وصول مؤثرات المواجل الإفريقية إلى واحات الخنقة وليانة، إذ عثرنا على نموذجين من المواجل تسمى محليا «فسقية» يتغذيان من مياه واد العرب عبر السواقي الموجهة إليهما، ولاحظنا أن لها طاقما متكاملا من حوض للتخزين وحوض للتصفية، فأما ماجل واحة الخنقة فوجدناه في أحد البساتين الواقعة في داخل القرية القديمة على الضفة اليمنى من الوادي، ويتمون من ساقية محرز، **(الصورة رقم 5)**. أما ماجل ليانة فهو على الضفة اليسرى للوادي بكامل أطقمه. وفي واحة بادس لم نعثر على أثر مادي لهدا النوع من المنشآت، وقد وجهنا أحد سكان الواحة الى بقايا ماجلين يبدوان كبرك مائية طبيعية قديمة تمتلئ عند جريان السيول الموجهة إليهما لكن اندثرت أغلب معالمهما، وهذا طبعا بتأثير العوامل الطبيعية المتعددة ونظرا لتداول السكان لمصطلح الماجن أو الماجل، فإن هذا يؤكد معرفة سكان المنطقة لهذا النوع من منشآت التخزين واستخدامها قديما.

ب) أحكام التصرف وطرق الاستغلال :

المتأمل للإطار التشريعي للماء في بلاد المغرب لا بد له من الوقوف على ثلاثة أسس جوهرية مفادها « التشارك» و« نفي الضرر» و« العرف»؛ فالمبدأ الأول، الذي يعني نوعا من العدالة الاجتماعية، مستمد من منطوق الآية الكريمة ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر**﴾[19]، كما أنه منصوص عليه في قول الرسول صلى الله عليه وسلم **(لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ)**. ومن هنا بذلت المصنفات الفقهية

جهودا كبيرة للتوفيق بين الشرع ومعطيات الواقع الاجتماعي؛ فعبارات «العادة والعرف» و«جرى العمل» وغيرها، تكاد لا تخلو منها أحكام القضاة وفتاوى الفقهاء، في إطار تفاعلهم مع صيرورة المجتمع[20]. وكان من أثر ذلك أن اصطبغ الشرع بالخصوصيات المحلية بحسب المصادر النوازلية والتراثية لأنه يعتمد حكم التصرف في مياه هذه المواجل، والصهاريج والأحواض على اعتبار «كل ما احتفره الرجل في أرضه أو داره منها»[21] يريده لنفسه فهو أحق به يتصرف فيه بحرية ويمكن بيعه، وأما ما عمل منها في الصحارى فإن مالكا بن أنس: «كان يكره بيعها من غير أن يراه حراما»[22] إذ هي مثل الآبار التي تحفر للماشية فأهلها أولى بمائها حتى يَرْوُوا، ويكون للناس ما فَضَلَ عنهم«إلا من مر بها لشفتهم و دوابهم، فإن أولئك لا يمنعون من شربهم منها كما لا يمنعون من بئر الماشية»[23]. «وإن أراد بعض الناس من أرض أخرى الاستقاء من ماجل في منزل قوم، فلا يمنعهم من السقي والاستقاء والانتفاع به لغسل الثياب، وغيره من المنافع ما خلا العمارة» أي ماعدا ري الزراعة فإنها تمنع. «أما المواجل التي يستقي منها الناس بالأزقاق كما يطلق عليها اليوم (القِرَب) وغيرها من الأوعية فإنهم يمنعون منها جميع الناس، ولا يجوز لأحد أن ينتفع منها إلا بإذن أصحابها»[24]. وإذا سبق أن بني ماجل «في مكان ما فلا يجوز لمن أحدث ساقية على المجرى الذي يزوده بالماء أن يحجز ذلك الماء ويرده إلى ساقيته إلا بعد ما يمتلئ الماجل» وفقا لمبدأ الأسبقية للأقدم.[25] و«حريم الماجل خمسة أذرع من سعة أسفله وليس في فمه يحسبون خمسة أذرع» أي «يتم حساب حريم الماجل ابتداء من أسفله إلى من أعلاه لأنه غالبا ما تكون قاعدته أوسع من أعلاه» [26]، ولا يبدو كما قلنا سابقا أن تقسيم مياه المواجل والصهاريج ذات الملكية العامة والخاصة يخرج عن الإطار العام للأحكام الشرعية الإسلامية فمن خلال تحقيقنا الميداني وجدنا أن مياه المواجل، والصهاريج يتم قسمة مياهها وفق نظام دقيق وصارم، ترجع في أصولها إلى قرون مضت ولا يزال يتم العمل به إلى يومنا هذا، حيث تخزن مياه العيون والسيول في الصهاريج، أو الماجل الذي يكبر أو يصغر حسب الحجم المائي، حيث تجمع المياه ليلا ليفتح الصهريج نهارا لعملية السقي.

ونظرا لتعقيد عمليات معرفة الحصص، ودرءا لأي خصومات أو منازعات بين الأطراف المستغلة للمياه فإنه يعمد إلى تسجيل كل الحصص ودوراتها بأسماء أصحابها على لوحة خشبية أو توثق، وهذا بتكليف شخص مسؤول يسمى حارس الماء، أو مُصَرِف الماء ويكلف أيضا بمراقبة أدوار استغلال مياه الماجن، أو الصهريج طوال السنة من طرف

مجلس أعيان المنطقة، ويشترط فيه أيضا أن يكون عارفا بأدوار الأوقات والحصص المائية من الدورة الزمانية، وهذا التكليف يتقاضى عليه أجرا معينا لكل سنة لقاء عمله يدفعه له الملاك وأصحاب الماء نقدا أو حبوبا. ويكون عمل المكلف بالمراقبة وتسيير نظام المياه يوميا من خروجه من الصهريج حتى وصوله إلى مكان الاستغلال، وتكون هذه المراقبة بواسطة استعمال خشبتين، الأولى تحمل علامات حصص الماء، والثانية تدل على حركة ظل الشمس، وبهذا فهي تعتبر بمثابة مقاييس التحكم في تقسيم المياه.

3-استغلال الصهاريج الطبيعية:

بالإضافة إلى الصهاريج والمواجل التي حرص الإنسان على بنائها وتجهيزها ينبغي الإشارة إلى ما يمكن تسميته بالصهاريج الطبيعية، إذ إن المياه السطحية أو السيول يمكن أن تتجمع في المنخفضات المغلقة التي يتغير موقعها ومحيطها في كل فيضان حسب قوة واستمرار تدفق المياه أو انقطاعها وهذا ما يسمى محليا بالضاية[27]. وقد يمتلئ مجرى الوادي فجأة خاصة بعد الفيضان، وتبقى كمية من المياه في القِلَت أو الغدران فتحجز مياهها لمدة أطول، أو بتغطيتها فتصبح ماجلا يتزود به لشرب قطعان الماشية، والشيء الملاحظ أن مياهه غير كافية للزراعة، وعلى العكس، إذا أمكن سد مجرى الوادي عندئذ يصبح بالإمكان حجز كميات معتبرة من الماء تستخدم لري الزراعة. إن هذا النموذج المائي الطبيعي أشار إليه ابن بطوطة أثناء سفره إلى بلاد السودان حين ذكر قرية تغازي-التي تبعد عن سجلماسة بـ 25 يوما- بقوله: «ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها هي مسيرة عشرة أيام لا ماء فيها إلا النادر ووجدنا نحن بها ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر، ولقد وجدنا في بعض الأيام غديرا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فروينا منه وغسلنا ثيابنا»[28].

ويخبرنا Seriziat : «أنه إذا وجد غدير واسع سيكفي الحاجة المائية لـ 2000 رجل لمدة عشرة أيام».[29] أما الفرنسي (Ville. M) في رحلته الى الزاب الشرقي فيخبرنا أنه «في شتاء سنة 1860- 1861 الجاف أُلْزِم أهالي واحة بادس وليانة أن تشرب من بركة ماء راكدة، وملوثة بفضلات الحيوانات وماؤها جد رديء وممقوت»[30]. وقد كانت غالبية هذه الأحواض والصهاريج الطبيعية مهمتها تتدرج بالدرجة الأولى لتأمين الحاجيات المائية لتربية المواشي بكثافة، و بعبارة أخرى فهي مساعدة لصناعة رعوية كثيفة التي تعتبر القاعدة الأساسية للنشاط الاقتصادي في المناطق السهبية [31].

4-نموذج خندق تهوذة :

إذا أخذنا بقول البكري عن تهوذة: «بأنها كثيرة الثمار والنخل والزرع... وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة وبها نهر يصب في جوفيها من جبل أوراس، أما سكانها فإن كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسلوا ماء النهر في الخندق المحيط بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم به» [32] ويقول أيضا:«إذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استنجد العرب بعرب تهوذة أو سطيف و المولدون بأهل بسكرة و مواليها».[33] ومن قول البكري هذا يمكننا أن نستنتج الكثير حول دور هذا الخندق المذكور فبالإضافة إلى الجانب الأمني فإنه يقوم بتموين المدينة بمياه الشرب، وسقي المزروعات، والخندق من ناحية استراتيجية دفاعية هو نموذج دفاعي قديم استعملته دول قديمة كالفرس والإغريق وغيرهم لحماية مدنهم، وعنهم أخذه المسلمون في بداية عهدهم في معركة الخندق الشهيرة على رأي الصحابي سلمان الفارسي الذي أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ومنه انتشر استعمال هذا النموذج الدفاعي على باقي الأمصار الإسلامية بما فيها اقليم الزاب خارج قصوره[34] ومدنه، وبالرغم من أن مدينة تهوذة كانت حصنا رومانيا ضمن خط الليمس الاستراتيجي، وكما هو معروف فقد استحدثوا معه ساقية عرفت محليا باسم ساقية (بنت الخراس)، ولقد ورد ذكرها عند الباحث الفرنسي Masqueray بعد معاينته لها، واعتبرها قناة وساقية قديمة عريضة أنشئت جنوب وادي جدي وتمتد مع طول الصحراء شرقا من الزاب إلى بلاد الجريد ويضيف Masqueray أن الأهالي يرجعون أصولها إلى العهود القديمة، ويعتقد أنها كانت ضمن النظام المائي الذي أنشأه الرومان في المنطقة [35] . وبذلك يمكننا اعتبار هذا الخندق ضمن الطاقم المائي المرتبط بهذه الساقية والقناة الكبيرة لسد الحاجيات المائية للمنطقة، كما استعمل أيضا للوظيفة الدفاعية وبقي العمل بهذا إلى غاية عصر أبي عبيد البكري في ق 10م، حيث أشار إلى هذا الخندق في قوله : «فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم، «وهذا تأكيد من البكري على أن أهل تهودة في حالة الحرب يتخذون هذا الخندق ملجأ دفاعيا وتموينيا لسد حاجيات المدينة من المياه، وهي إشارة أيضا يمكن أن نستنتج منها كبر حجم هذا الخندق، وباعتبار أن تهودة كانت مدينة ذات كثافة سكانية كبيرة وبالتالي فالخندق كان يعد من المنشآت المائية الهامة التي كانت تتزود بمياهه مزارع ونخيل مدينة تهوذة.

5-القنوات والسواقي:

إن القنوات والسواقي التي شاهدنها يتم إنشاؤها بنفس الطريقة القديمة، وذلك بحفر الأرض، ثم تستخرج بعدها الأتربة من مكان الحفر وتوضع على الجانبين، ويتم ربط هذه السواقي من مصدر المياه إلى محل الاستغلال وهي الحقل أو البستان، فمن خلال التصوير الجوي لواحة بادس تظهر لنا قنوات السقي متفرعة، وكلها تصل بطريقة جانبية إلى المنطقة المستخدمة حيث إن كل الفروع من السواقي تكون متواجدة بعضها فوق بعض، والتي عادة تأخذ مصدرها المائي من ساقية أو ساقيتين لتتفرع بعدها باتجاه البساتين المخصصة لأصحابها[36]، وعادة ما تكون هذه السواقي مفتوحة على الأراضي الزراعية ومغلقة بحجارة متقاربة عند الحقول، وهذا تجنبا للتبخر أو التلوث أو حتى لسرقة المياه وهذه الفروع من السواقي متساوية تقريبا في كل مكان ما بين 0.30 م و0.35 عرضا و0.40 م عمقا، وتختلف مصادر تموينها المائي ما بين الينابيع الكبيرة الدفق، أو التي تأخذ مصدرها من مجرى الوادي وسدوده كما أسلفنا الذكر[37]ولعل ما أورده لنا أبو عبيد البكري أثناء حديثه عن السواقي، وكيفية قسمتها بمدينة توزر قاعدة بلاد الجريد - التي بينها وبين بسكرة خمسة أيام- مهم، حيث تؤخذ مياهها من الجداول المتفرعة عن وادي الجمال «وتجري في قنوات مبنية بالحجر على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيئا، كل ساقية سعة شبرين في ارتفاع فتر - والفتر هو المسافة بين طرفي الإبهام والسبابة في أكبر تباعد لهما- يلزم كل من يسقي منها أربعة أقداس مثقال في العام، وبحساب ذلك في الأكثر والأقل، وهو أن يعمد الذي يكون له دولة السقي إلى قدس في أسفله ثقبة بمقدار ما يسدها وتر قوس النداف فيملؤه بالماء، ويعلقه ويسقي حائطه أو بستانه من تلك الجداول حتى ينفد ماء القدس، ثم يملؤها ثانية وهم قد علموا أن سقي اليوم الكامل هو مائة واثنان وتسعون قدسا»[38].

وأشهر السواقي هي الموجودة بواحة خنقة سيدي ناجي، والتي عرفت قديما ستّ سواق تأخذ وتحول مياهها من الوادي بواسطة ستة سدود، وكان لكل ساقية لها شيخ يقوم بدور المراقبة وتقسم مياهها على بساتين الخنقة والزاب كل حسب دوره. وهذه السواقي هي:

1. **ساقية الغديرة** : تقسم مياهها على البساتين حسب عدد أيام استغلالها وهي اثنان وعشرون يوما.
2. **ساقية قطع الوادي:** و أيضا تقسم مياهها حسب عدد أيام استغلالها وهي خمسة عشر يوما.

3. **ساقية موسى:** تقسم مياهها على البساتين حسب عدد أيام استغلالها وهي تسعة أيام.
4. **ساقية الجرعة:** تقسم مياهها على البساتين حسب عدد أيام استغلالها وهي ستة أيام.
5. **ساقية محرز:** تأخذ مصدر مياهها من وادي عمار الذي ينبع من جبال ششار، ويلتقي بوادي العرب وتستمر هذه الساقية إلى غاية زريبة حامد مرورا بواحة الخنقة لتسقي بلاد جناح لخضر المحطة الأولى شمال قرية الخنقة القديمة، وتعتبر هذه الساقية من أشهر السواقي وتعود شهرتها إلى أنها كانت قديما سببا في العديد من الخصومات بين الخنقة، وسكان الزاب– ليانة و بادس–على مياهها، وكان يتم تقسيم مياهها بين البساتين بالاعتماد على عدد أيام استغلالها، وهي اثنان وعشرون يوما.
6. **ساقية الطبة:** تقسم مياهها على البساتين حسب عدد أيام استغلالها وهي خمسة أيام.[39]

وأما ما يتعلق بطرق تقسيم وتوزيع مياه الري بقبائل الزاب بالجنوب الأوراسي التي تسقي أراضيها بمياه الأمطار حيث خضع نظام توزيع المياه لنظام دقيق، ففي واحة جمورة كان صالح باي قسنطينة قد قسم مياه عيون هذه الواحة حسب هذا التقسيم:

أولا **من ناحية الحجم:** يفصل الثلث بواسطة موزعة المياه، ثم يقسم الثلثان الآخران إلى ثلاثة أقسام متساوية يسير كل منها في ساقية معينة.

وأما **بالنسبة للعين الكبيرة** فكان الدور يتألف من ست عشرة نوبة، أي ثمانية أيام. وهذا معناه أن كلا من العشائر الأربع القاطنة بالواحة نالت ثلاث نوبات على إثر القسمة، أي تتصرف طيلة يوم ونصف في الموزعات والسواقي وتستعملها كما تشاء داخل المجموعة، وتتم القسمة بين عائلات المجموعة بالنظر إلى مساحة الأرض المزروعة أو عدد أشجار النخيل الممتلكة، ويقوم بإحصاء وتحديد قيمة كل حصة من المياه إحصائي يدعى كيال الماء.[40]

إن مشاهدتنا الميدانية لشبكة المياه الحالية تجعلنا ندرك أننا أمام تقاليد زراعية لا تبدو أنها وليدة اليوم أو الماضي القريب بل هي تعود إلى فترات بعيدة متوارثة جيل بعد جيل.

الخاتمة:

ان مشاهداتنا الزراعية السقوية كشفت عن منظومة مائية متوسطة وصغيرة جاءت وفق بنية عقارية صغيرة ومتوسطة موازاة لضعف فعالية التجهيزات التقنية، وتداخل

الحقوق المائية ومحدودية دور السلطة في تدبير شؤون الري، مما حال دون تحقيق الإشباع المائي الذي من شأنه إثارة القلاقل الاقتصادية في ظل نسيج اجتماعي يتسم بالخصومات على الماء، ولكن تأثيره متذبذب مرتبط بفعالية الجهازين التشريعي والإداري ومدى مرونتهما.

إن تباين العلاقات الاجتماعية متمحور حول المسائل المائية في الواحة بين التضامن والنزاعات، فأما التضامن فتجلى في إقامة تلك المنشآت المائية وصيانتها، وتوزيع النوبات، وأما النزاعات والخصومة فقد فرضتها معطيات اجتماعية واقتصادية، منها ما هو بنيوي ومنها ما هو تاريخي ولدته ظروف ومحطات تاريخية مر بها الإقليم.

إن المسلمين استطاعوا ابتكار البديل الذي يتلاءم مع طبيعتهم، والطبيعة التي يعمرونها، فكان ما يعرف بالمواجل كحل إسلامي خالص لتجميع أكبر قدر ممكن من المياه، وتوزيعه في ما بعد وفق مبادئ الشرع الإسلامي لقسمة المياه بين الجماعات الزراعية في ما بينها لأجل الحصول على هذا العنصر الحيوي وهو الماء .

ورغم أننا لم نجد الكثير من آثار وبقايا المنشآت الإسلامية على عكس الفترة الرومانية وهذا راجع كما هو معروف لاختلاف مادة البناء بين الحضارتين، إلا أن التصوير الجوي Baradez وما ذكره البكري دليل على تحقيق المنطقة للاكتفاء المائي في فترة من فترات العصر الوسيط مثل سابق عهدها في الحقبة الرومانية.

الهوامش:

1 – ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، ط1، ت: تركي فرحان المصطفى– دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص 423.

2 – Solognac (M) Recherches sur les installations Hydrauliques de Kairaouan et des steppes tunisiennes du VII em au XI em siecles (J–C) , Alger 1953.p p 06–07

3 – Ibid. . p 08

4 – Capot –Rey .Op .Cit pp 309–310

5 – **حسن محمد، الجغرافيا التاريخية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004. ص252.**

6 – Baradez Op.cit . P 192.

7 – Solognac.Op.Cit. p 382

8 – مراد الرماح، المرجع السابق، ص 347-346.

9 – Capot-Rey.Op.Cit. pp349-350.

10 – وهذا حسب رواية أحد الفلاحين بواحة بادس الذي أجرينا معه مقابلة حول هذا الموضوع.

11 – Capot-Rey.Op.Cit. p345

12 – Solognac.Op.Cit. p29-30

13 – نفس المرجع، ص383.

14 – نفس المرجع، ص30.

15 – المواجل جمع ماجل وهو الذي يجتمع فيه الماء فإذا بزغ خرج منه ولهذا سمي مستنقع الماء ماجلا، أي أن الماجل هو الماء الكثير المجتمع وكثيرا، ما يرادف اسمه اسم الصهريج والصهريج كلمة فارسية تعني الحوض الذي يجتمع فيه الماء على أرض صلبة، قد تكون حجرية، وبذلك فإن الفرق بينهما هو أن الماجل عبارة عن خزان يصلح لتخزين الماء، أما الصهريج فهو حوض لتجميع المياه قبل إرساله للتخزين. يرجع الى ابن منظور، لسان العرب، ص 83.

16 – الونشريسي، المصدر السابق، ج11.ص571.

17 – Solognac.Op.Cit. p343

18 – المرجع نفسه، ص نفسها.

19 – سورة القمر، الآية:28.

20 – بن حمادة سعيد، الماء والإنسان في الأندلس، ط1، دار الطليعة، بيروت،2007. ص 19-25.

21 – الفرسطائي، المصدر السابق. ص 543.

22 – سحنون المدونة الكبرى، المصدر السابق/، ج3، ص 289.

23 – المصدر نفسه، ص نفسها.

24 – الفرسطائي، المصدر السابق، ص ص549-548.

25 – الونشريسي، المصدر السابق، « ج 8 ،ص 426 .

26 – الفرسطائي المصدر السابق، ص 547.

27 – **Capot-Rey .Op.Cit.p 13** .

28 – **ابن بطوطة، محمد بن عبد الله (ت 779 هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرح طلال حرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 684.**

29 – **Seriziat, OP- cit, p 24**

30 - **Ville. (M),OP- cit, p 261**

31 - **حسن محمد، المرجع السابق. ص44.**

32 - Solognac.Op.Cit. p 383

33 - البكري، المصدر السابق، ص 255.

34 - المصدر نفسه، ص 59.

35 - Masqueray Ruinnes anciennes de khenchela a Besseriani.Revue africaine.1879. pp65-66

36 - Baradez . Op.Cit. p 165 .

37 - Berbent Op.cit. p 187 .

38 - البكري، المصدر السابق، ص ص 225 -226.

39 - Etude sur les resources hydrologique du zab chergui.Op.cit.P

40 - جبائلي محل العين، طبيعة أراضي العرش في جزائر ما قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، رقم21، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1986 ص 85.

لائحة البيبلوغرافيا المعتمدة:

المصادر:

القرآن الكريم

1) **ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرح طلال حرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.**

2) ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ت: تركي فرحان المصطفى، ج6، ط1، - دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.

3) ابن منظور، لسان الدين، لسان العرب»، مجلد7، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1995.

4) البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، ت جمال طلبة، ج1، ج2، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

5) الفرسطائي، أبو العباس أحمد، القسمة وأصول الأرضين، ت بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، ط2 نشر جمعية التراث، غرداية، 1997.

6) الونشريسي، أبو العباس، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ت محمد حجي، الجزء الثامن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1198.

7) سحنون بن سعيد التنوخي، المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، الجزء03، نشر دار الفكر، بيروت، 1986.

المراجع

1) بن حمادة سعيد، الماء والإنسان في الأندلس، ط1،دار الطليعة، بيروت،2007.
2) جبائلي محل العين، طبيعة أراضي العرش في جزائر ما قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، رقم21، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر،1986.
3) **حسن محمد، الجغرافيا التاريخية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004. ص252.**
4) مراد الرماح ملاحظات حول تاريخ إفريقية، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية العظمى، طرابلس 1-7أكتوبر، مطبوعات الاسكو، 1995.

1) Baradez . (J), Fossatum Africae, Arts Emetiers Graphique. Paris, 1949.
2) - Capot –Rey . (R), Le Sahara Français, T02, Paris,1953
3) - Solognac (M) Recherches sur les installations Hydrauliques de Kairaouan et des steppes tunisiennes du VII em au XI em siècles (J-C) , Alger 1953.
(4 .Berbent (J), Aquae Romanae, Recherches D’Hydrauliques Romaines .Dans L’est Algérien. Service des antiquités de l’Algérie, Alger, 1964.
5) Etude sur les resources hydrologique du zab chergui.
6) Masqueray Ruinnes anciennes de khenchela a Besseriani.Revue africaine.1879.
7) Seriziat, Etudes sur L’Oasis de Biskra, 2eme édition, Paris.1875.
8) Mohamed Meouak, Ressources Hydriques, Agriculture Et Territoires Dans La Région De Msila au Moyen Âge: L’apport Des Géographes Et Des Historiens Arabes,3Eme Colloque International, Université de Tunis,2009 P83.
9) Ville. (M), Voyage d’exploration dans les Bassins du Hodna et du Sahara, Paris, 1865.

3- مواجهة الضغط الأمركي في ظل جائحة كورونا

الأستاذة المساعدة الدكتورة: هيفاء سليمان الامام
أستاذة جامعية في مادة الحضارة العربية الإسلامية
ورئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
الجامعة اللبنانية الدولية LIU / البقاع –لبنان

تاريخ الاستلام:2021/10/25 **تاريخ القبول:2021/11/25**

ملخص

تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على أزمتين معاصرتين أثقلتا كاهل الشعوب والدول في المنطقة العربية. كانت الأولى الحصار القاسي والضغط الاقتصادي الذي فرضته الهيمنة الأمريكية على سوريا ولبنان، أما الثانية فكانت وباء كورونا الذي أصاب العالم، وكان تأثيره الأقوى على الدول الفقيرة التي لا تملك استراتيجيات استباقية للأزمات والكوارث. والواضح هنا أن كورونا ستثير كل ما هو صامت من الصراعات وتحرك أكثر ما هو قائم منها، وهذا يعني أن دول المنطقة ستعاني بدرجات متفاوتة، الأمر الذي يعني أن المواجهة مع أمريكا سوف تتعاظم، ذلك أن الأمريكان والقوى الإقليمية يلعبون بحذر شديد لعبة شد الحبل، كل واحد منهما يريد أن يوظف أزمة كورونا لصالحه وعلى طريقته الخاصة، هذا إذا ما تصاعد الصراع الأمريكي- الروسي، وهو احتمال أقوى من التفاهم وبالشروط الروسية. من هنا قامت بعض الصحف العربية بمناقشة أثر أزمة تفشي وباء كورونا في العالم، على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقد بعض كُتابها سياسات إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، وطريقة تعاملها مع أزمة تفشي الوباء. فقد كشفت أزمة كورونا مدى الوهن، الذي أصاب الولايات المتحدة، ليس بسبب عدم كفاءة نظامها الصحي فحسب، وإنما أيضًا بسبب إدارة الأزمة التي جاءت مرتبكة ومترددة، مما ساهم في تصدرها لعدد الإصابات في العالم، حيث أصبحت تستحوذ على أكثر من خُمس الإصابات العالمية في فترة زمنية قصيرة جداً.

Summery

This research paper sheds light on two contemporary crises that have burdened peoples and countries in the Arab region. The first was the harsh siege and economic pressure imposed by the US hegemony on Syria and Lebanon, while the second was the Corona epidemic that crisis the world, and had the strongest impact on poor countries that do not have proactive strategies for crises and disasters. What is clear here is that Corona will provoke all the silent conflicts and move more of the existing ones, and this means that the countries of the region will suffer to varying degrees, which means that the confrontation with America will intensify, because the Americans and the regional powers are playing with great caution the game of tug of war, every One of them wants to use the Corona crisis to his advantage and in his own way, if the US-Russian conflict escalates, which is a stronger possibility than understanding and on Russian terms. Hence, some Arab newspapers discussed the impact of the Corona epidemic crisis in the world on the position of the United States of America, and some of their writers criticized the policies of the administration of US President Donald Trump, and its approach to the crisis of the epidemic. The Corona crisis revealed the extent of the weakness that afflicted the United States, not only because of the inefficiency of its health system, but also because of the management of the crisis that came confused and hesitant, which contributed to its number of infections in the world, as it acquired more than one-fifth of global injuries in a period of time. Very short time.

المقدمة

ستنحسر الأزمة الصحية بعد أسابيع، طالت أم قصرت كغيرها من الأزمات السابقة، لكن آثارها الاقتصادية ستبقى معنا إلى وقت أطول. فالعالم بعد «كورونا» لن يكون

كالعالم قبله. فعلى مدى العقود الماضية ظلت الولايات المتحدة الأمريكية ممسكة بقيادة الدفة العالمية، متأهبة للتدخل في الأزمات الكبرى، وتقديم الدعم والعون لحلفائها أوقات الشدة المحن. لكنها اليوم تتكفئ على نفسها مغلقة أجواءها وحدودها تاركة حلفاءها يخوضون وحدهم معركة غير متكافئة مع عدو غير تقليدي وغير مرئي هذا العدو آثاره بادية للعيان لا تتوقف عند الخسائر في الأرواح بل تهدد بانهيار الاقتصاد وتقويض أسس النظام العالمي كما عرفناه.

إشكالية البحث:

من هنا، هل تطوي أزمة كورونا صفحة التفرد الأمركي المطلق في قيادة العالم؟ وهل تحمل حقا في ثناياها بذور نظام عالمي جديد تتحول فيه القيادة شرقا؟؟؟ وما هي استراتيجية قوى المقاومة لمجابهة تحديات هذا المستقبل؟ وما دورها في تسريع انحسار الهيمنة الأمريكية في عالم ما بعد جائحة كورونا؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذه الورقة البحثية من خلال تسليط الضوء على تأزم العالم عامة ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص ، في ظل جائحة لا تعرف الرحمة، إضافة الى انحسار تسلط واستقواء أمريكا وحلفائها، الغارقة في حل أزماتها الداخلية، وصعود منافسيها خارجيا، مما قد يحدث تغيرات جيو-استاريجية جديدة تستطيع الاستفادة منها قوى المقاومة في المنطقة.

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية الى تركيز مفهوم الصمود أمام غطرسة أعداء الأمة المتهالكين في حل أزماتهم الداخلية، وبسبب أطماعهم الخارجية وسياساتهم الخاطئة والمرتبكة.

منهجية البحث:

استعملت في هذه الدراسة المنهج التحليلي لوقائع التاريخ وحقائقه وعرضها بأسلوب شيق.

كلمات مفتاحية:

لبنان- جائحة كورنا- تأزم العالم- الحصار الأمريكي- التوجه شرقاً.

المتن:

1. جائحة كورونا وتأزيم العالم

ثمة إجماع على أن ما بعد جائحة كورونا لن يكون كما قبلها. ولكن بالتأكيد ليس بسبب فعلها المباشر بالرغم من أنها ستؤثر في الجميع سلباً، وإن بتفاوت. فما بعد

فيروس كورونا، سيعيد إنتاج ما كان قبلها من صراعات وتناقضات. ولكن بعضها بصورة أقوى إلى مستوى التفاقم، وبعضها بصورة أضعف وأخف.

فكما أن الحروب تلعب دورا حاسما في هزّ وتيرة الجمود داخل المجتمعات وبين الأمم، إذ هي أداة التاريخ غير الواعية، فإن الكوارث الطبيعية والبيولوجية –من طواعين وأوبئة وجوائح شأنها في ذلك شأن الأزمات الاقتصادية والسياسية وغيرها– تلعب دورا مهمًّا –وأحيانا حاسما– في هزّ الجمود وتحريك التوازنات داخل الدول وفي ما بينها.

فضمن المنافسة الجيو– استراتيجية والاقتصادية بين الولايات المتحدة والصين، وربما حتى في حجم المؤامرة الكبيرة المعادية لإيران.

فإن تطور مثير للاهتمام في الحملة العالمية ضد الوباء الجديد، تحوَّل علم فيروس كورونا إلى معركة جديدة حول المعرفة واستنزاف العقول، واتجاه جديد في منحى الاستغلال على طريقة الرئيس ترامب. **مناورته الانتخابية الترامبية بانتظار لقاح مضاد لفيروس كورونا.**

والحقيقة أن جائحة كورونا هي أشبه ما يكون بحرب، ستخرج منها جيوش منتصرة وأكثر قوة ومناعة، وأخرى مهزومة ومثخنة. فعالم السياسة ليس بعيدا عن عالم الحروب والجيوش، علما بأن هذا الوباء المُعَوْلَم هو أشبه ما يكون بحرب ساخنة وشرسة، ولكن من دون جيوش مرئية أو عدو واضح الوجه والمعالم، ومن دون أسلحة خفيفة أو ثقيلة. الواضح أن كورونا ستثير ما هو صامت من الصراعات وتحرك أكثر ما هو قائم منها، وهذا يعني أن دول المنطقة ستعاني بدرجات متفاوتة من مخلفات أزمة كورونا؛ وإن كان بعضها معرضا لمخاطر وهزات أكثر من غيره بحكم ضعف الموارد والإمكانيات.

إن الحصار الأمريكي الخانق على إيران اشتد مع هجمة انتشار كورونا، وهو بمثابة حرب ولكنه ليس حلاً ولا يمكن الاكتفاء به، ما دامت إيران صامدة. بل مستمرة في تطوير صواريخها. وليس هناك ما هو أبلغ من إطلاق قمر صناعي، وهي في وسط الحصار وفي عين عاصفة كورونا.

الأمر الذي يعني أن المواجهة بين أمريكا وإيران سوف تتعاظم بعد كورونا ما دام الكيان الصهيوني يفضل أن تكون أمريكية– إيرانية، من أن تكون بينه وبين حزب الله. ولكن ستكون موازين القوى العالمية قد فعلت فعلتها في مصلحة إيران، بسبب ارتفاع حدة الصراع بين أمريكا والصين على إثر انتشار فيروس كورونا إلى مستوى قد يصل حافة الهاوية. وهنا ستتحول الصين إلى حليف لإيران ومناصر لها أكثر من ذي قبل

أضعافاً، إذا ما وُضِعت بالزاوية.

فقادة أمريكا وقادة الكيان الصهيوني يعتبرون إيران هي المسؤولة عن تسليح المقاومتين في قطاع غزة ولبنان ضد الكيان الصهيوني. والأهم يعتبرون برنامجها الصاروخي البالستي، وما كشفت عنه من تطوير لقدرات تكنولوجية حين أسقطت الطائرة الأمريكية المسيرة من علو 50 ألف متر، أو حين قصفت القاعدة العسكرية «عين الأسد» الأمريكية في العراق، يشكل خطراً وجودياً على الكيان الصهيوني، أو على الأقل يشكل حرماناً لجيش الكيان الصهيوني من امتلاك التفوق العسكري الكاسح على المنطقة العربية- التركية- الإيرانية، كما كانت المعادلة بعد عام 1950 حتى 2000. هذا فضلا عن الإشكال بأن إيران تدخل عالم التكنولوجيا النووية. وهنا ينشأ السؤال: لماذا تأخر شنّ الحرب من قِبَل الكيان الصهيوني أو أمريكا ضد إيران طوال العشر أو الخمس سنوات الماضية مع كل ما أحدثته وتحدثه إيران من تطوير لسلاحها وقدراتها العسكرية؟ بل لماذا تأخر شنّ الحرب من قِبَل الكيان الصهيوني لعشر أو خمس سنوات ضد حزب الله، وهو يتسلح ويطوّر قدراته العسكرية يوماً بعد يوم؟

إيران بدورها منهكة بحصار اقتصادي طويل الأمد زاده الرئيس الأميركي دونالد ترامب قسوة على قسوته، وهي -إلى جانب ذلك- تعاني من مخلفات الحروب المفروضة عليها وعلى الامة في محاور صراع كثيرة، من العراق إلى سوريا واليمن ولبنان وأفغانستان وغيرها. من هنا فقد وصل خلافها مع الأمريكان -بعد اغتيال قاسم سليماني- إلى حافة الحرب.

ذلك أن الأمريكان والإيرانيين يلعبون بحذر شديد لعبة شد الحبل، كل واحد منهما يريد أن يوظف أزمة كورونا لصالحه وعلى طريقته الخاصة؛ فترامب يرغب في تشديد الحصار أكثر، وربما الإقدام على ضربات عسكرية خاطفة، في ظل انشغال إيران بمجابهة تفشّي الوباء، أما هي فتريد إيلام الأمريكان أكثر بالضغط عليهم عبر حروب تقودها الجماعات التابعة لها مثل الحشد الشعبي في حديقتها الخلفية في العراق وحزب الله في لبنان والمقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

كما قد يأتي ما بعد كورونا في الاتجاه نفسه، إذا ما تصاعد الصراع الأمريكي- الروسي. وهو احتمال أقوى من التفاهم الأمريكي- الروسي بالشروط الروسية. ولكن على أية حال فإن روسيا بحاجة إلى علاقة قوية مع إيران، ولو بالمستوى الحالي، فكيف إذا احتدم صراعها مع أمريكا؟

أما الكيان الصهيوني ما بعد كورونا فسوف يصبح أضعف مما كان قبلها، أو في أثنائها، ولا سيما إذا ما ذهب إلى ضم الأغوار. الأمر الذي سيفاقم معركته مع الفلسطينيين، ويزيد من عزلته العالمية، ويربك عدداً من المطبعين معه. فالانتفاضة ربما تكون على الأبواب بعد كورونا.

2. انحسار هيمنة أمريكا وأثره داخليا وخارجياً

ناقشت بعض الصحف العربية أثر أزمة تفشي وباء كورونا في العالم، على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقد بعض كُتابها سياسات إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، وطريقة تعالمها مع أزمة تفشي الوباء.

وفي سياق هذه الانتقادات كتب أحمد عبد الباسط الرجوب في «رأي اليوم» اللندنية: «استيقظ العالم على هشاشة دول كبرى، كان يعول عليها في حماية العالم، إن هو تعرض إلى غزو فضائي، فإذا بها تسقط عند أول امتحان، يكاد يهزمها فيروس كورونا المرتبط بمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية. عائلته معروفة وسبق التعامل معه أكثر من مرة، وللتذكير فإن فيروس سارس ظهر في منطقة هونغ كونغ الصينية عام 2003.

ويضيف: «الرئيس الأمريكي لم يأخذ بالجدية المطلوبة مواجهة وباء كورونا، حتى أن جوقة الإعلاميين المحيطين به قد اعتبروا أن هذا الفيروس خدعة إعلامية ليبرالية، والذي على أساسه وافق ترامب على استخدام دواء الملاريا لعلاج هذا الوباء، وفي ذات السياق فقد واجه الرئيس انتقادات كثيرة، خاصة من الديمقراطيين وعلى رأسهم نانسي بيلوسي، باتهمامها للرئيس ترامب بانتهاجه سياسات متخبطة، واتهامه بالفشل والكذب تجاه التعامل مع وباء كورونا.. الكثيرون في أمريكا والعالم لم يكن يتوقع أن أمريكا بهذا الضعف، في البنيات التحتية، أو أنها غير جاهزة حتى بالأقنعة الواقية على أقل تقدير.

ومن جانبها، تحدثت صحيفة «العرب» اللندنية عما وصفته بالتفاؤل الحذر الذي يسيطر على أسواق النفط في العالم، وهي الحالة التي باتت واضحة عقب مكالمة الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتن مؤخراً قبل اجتماع دول أوبك.

وربطت الصحيفة بين تفشي وباء كورونا في العالم ومعدلات الإنتاج في العالم، قائلة إن «النشاط الاقتصادي الضعيف الآن دفع أسعار النفط للتراجع مع مواجهة المنتجين خاصة في ظل إغراق السوق بإمدادات نفطية لا تجد طلباً.

وتحت عنوان «عن أمريكا ما بعد كورونا»، يقول إميل أمين في «الشرق الأوسط» اللندنية: «المؤكد أن هناك إشكالية حقيقية في مقدرة واشنطن على اختراق الستار

الحديدي الجديد، الذي هو صيني في هذه الحقبة التاريخية، وليس سوفياتياً. كان ذلك قبل ظهور أزمة كورونا، ومعها ازداد الوضع ضراوة؛ فلم تستطع ست عشرة وكالة استخبارية الحصول على أي معلومات دقيقة حول سبب تفشي الفيروس السريع، سواء في الصين، أو حتى في الداخل الإيراني، ولا يتوقف الفشل المخابراتي الأمريكي على الصين وإيران، وإنما يمتد كذلك إلى كوريا الشمالية وروسيا.

ويضيف: «أمريكا ما بعد كورونا فحتماً لن تكون كسابق عهدها، ولا سيما أن الصين وروسيا قد قامتا بملء كثير من مربعات النفوذ الاستراتيجي العالمي، وقد رأى العالم بضع طائرات روسية تحطّ على الأراضي الأمريكية حاملة المساعدات الطبية والمعدات المتقدمة لإنقاذ أرواح الأمريكيين».

ويبني جعفر الجعفري في «الميادين» اللبنانية سيناريو كوارثيا للوضع في الولايات المتحدة في أعقاب تفشي الوباء وضمن استنتاجات شخصية، إذ يرى «أن الانتشار السريع لوباء كورونا، وفشل السلطات المركزية في التعامل معه والسيطرة عليه، كما كان مأمولاً وما يرافقه من تفاقم الأزمة الاقتصادية، وتصاعد معدلات البطالة إلى مستويات غير مسبوقة، بل إنها ستتخطى أيضاً معدلات البطالة، إبان الأزمة الاقتصادية الكبرى في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، ومؤشرات المجاعة التي ستطال قطاعات اجتماعية واسعة، كل ذلك سيؤدي إلى جملة من الاحتجاجات، أبرزها فوضى عارمة قد تؤدي إلى اشتباكات مسلحة، وعصيان مدني شامل وحرب أهلية تهدد كيانية الولايات المتحدة.

ويخلص إلى أن كل ذلك قد يشكل «الأرضية الخصبة لتولي القيادات العسكرية زمام إدارة البلاد، وتسخير ما تبقى من قدرات ردعية أمريكية، وتوظيفها في صراع عسكري مفتوح مع الصين وروسيا، لقطع الطريق على تبلور تعدد الأقطاب الدولية، وتكريس السيطرة الأمريكية الأحادية المتآكلة بسبب كورونا.

ويتساءل موسى شتيوي في صحيفة «القدس» الفلسطينية: «هل تطيح أزمة كورونا بزعامة أمريكا؟»

ويقول: «كشفت أزمة كورونا مدى الوهن الذي أصاب الولايات المتحدة، ليس بسبب عدم كفاءة نظامها الصحي فحسب، وإنما أيضًا بسبب إدارة الأزمة التي جاءت مرتبكة ومترددة، مما ساهم بتصدرها لعدد الإصابات في العالم، حيث أصبحت تستحوذ على أكثر من خُمس الإصابات في فترة زمنية قصيرة جداً».

3. صعود الصين وأثره على تفرد النظام العالمي الأوحد

ان المنطقة مرشحة لتعمُّق حالة الفراغ أكثر فأكثر بسبب تراجع القوى الدولية الضابطة للوضع؛ فالأمريكان خفّت قبضتهم، والروس والصينيون أحدثوا اختراقات عسكرية واقتصادية ملموسة، ولكن ليس إلى الحد الذي يمكنهم من إمساك الأمور وفرض نظام جديد. ذلك أن النظام القديم الذي تشكل في المنطقة –منذ انسحاب العثمانيين الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى– بصدد التفكك والتفسخ، ولكن النظام الجديد لم تتحدد صورته أو تتبين معالمه بصورة واضحة، وهذا الأمر لا يعدو أن يكون جزءا من حالة الانتقال الدولي الأوسع. والوضع العربي القادم سيكون من أهم سماته تراجع التأثيرات الخارجية بسبب انشغال الغرب بأزماته الداخلية وأولوية المعركة مع الصين، كل ذلك سيمنح تأثيرا أكبر للعامل المحلي والإقليمي، كما أنه سيعطي فرصة أوسع لأطراف مختلفة وقوى متناقضة. الدول السلطوية ستحاول تعزيز قبضتها الحديدية أكثر بسبب انشغال القوى الكبرى بأوضاعها الداخلية، ثم استغلال صعود النموذج التحكمي الصيني الروسي.

أما قوى التغيير فستتاح أمامها فرص التقدم أكثر في أجواء الفراغ والفوضى التي تمر بها المنطقة، وبسبب تزاحم القوى الدولية والإقليمية، وهو ما يرشحها للعودة مجددا إلى أجواء الربيع العربي وما بعده.

ومجلة فورين بوليسي ترى أن جائحة كورونا، شأنها شأن أحداث مفصلية في التاريخ كسقوط جدار برلين أو انهيار بنك ليمان براذرز، حدث عالمي مدمر يصعب تخيل عواقبه على المدى البعيد.

وسعيا منها للكشف عن ملامح النظام العالمي بعد انحسار جائحة كورونا، نشرت الصحيفة توقعات 12 عالما ومفكرا بارزا من مختلف أنحاء العالم، إليكم أبرز خمسة منها:

1– يرى **العالم ستيفن والت** أستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد الأميركية، أن جائحة كورونا ستسهم في تقوية الدولة وتعزيز الوطنية، وأن الحكومات في مختلف أنحاء العالم ستتبنى إجراءات طارئة لإدارة الأزمة المتمثلة في تفشي الوباء، لكن العديد من تلك الحكومات لن ترغب في التخلي عن السلطات الجديدة عندما تنتهي الأزمة.

كما توقع أن يسرع انتشار الوباء وتيرة تحول السلطة والنفوذ من الغرب إلى الشرق، ويدلل على ذلك باستجابة دول شرقية لمواجهة المرض مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة بشكل أفضل من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية، كما أن تعاطي الصين

مع الوباء كان جيدا بالرغم من تعثرها في البداية عند اكتشاف الفيروس. وقال إن الاستجابة البطيئة والمتخبطة في أوروبا وأميركا من الأشياء التي شوهت الهالة التي طالما أحاطت بالتعامل الغربي.

ووفقا لوالت فإن الوباء الحالي لن يسهم في تغيير السياسة العالمية السائدة التي يطبعها الصراع، ودلل على ذلك بأن الأوبئة التي مرت على البشرية من قبل لم تضع حدا للتنافس بين القوى العظمى ولم تكن نقطة بداية لحقبة جديدة من التعاون العالمي.

وخلص إلى أن المعركة ضد الوباء الحالي سينقشع غبارها عن عالم أقل انفتاحا وأقل ازدهارا وحرية نظرا لتضافر عوامل عدة، من ضمنها الفيروس القاتل والتخطيط غير المناسب والقيادات التي تفتقر للكفاءة مما يضع البشرية على مسار مثير للقلق.

2- أما **روبن نيبليت**، الرئيس والمدير التنفيذي لـ»تشاثام هاوس» المعروف بالمعهد الملكي للشؤون الدولية ومقره بريطانيا، فيرى أن جائحة فيروس كورونا قد تكون القشة التي قصمت ظهر بعير العولمة الاقتصادية.

ويُرجع نيبليت ذلك إلى عوالم قبل ظهور الوباء، من ضمنها القلق الأميركي من تنامي القوة الاقتصادية والعسكرية للصين والذي أدى إلى إجماع سياسي على فصل الصين عن التكنولوجيا العالية التي تمتلكها الولايات المتحدة ومحاولة حمل حلفاء أميركا على أن يحذو حذوها.

كما أن الضغط الشعبي والسياسي المتزايد لخفض انبعاثات الكربون حماية للبيئة، أثار تساؤلات حول اعتماد العديد من الشركات على سلاسل التوريد من مسافات بعيدة.

ووفقا لنيبليت فقد أجبر تفشي «كوفيد-19» الحكومات والشركات والمجتمعات أيضا على تعزيز قدرتها على التعامل مع فترات طويلة من العزلة الاقتصادية الذاتية، ومن المستبعد في ظل كل ما سبق أن يعود العالم إلى فكرة العولمة ذات المنفعة المتبادلة التي طبعت أوائل القرن الحادي والعشرين.

3- رأي آخر مختلف عن سابقه حول تداعيات وباء كورونا على الاقتصاد العالمي، حيث يرى **كيشور محبوباني**، الباحث في معهد آسيا للبحوث بجامعة سنغافورة الوطنية ومؤلف كتاب «هل فازت الصين؟» حول تحدي الصين للهيمنة الأميركية، أن الجائحة لن تؤثر كثيرا على الاتجاهات الاقتصادية العالمية، ولكنها ستسهم في تسريع تغيير كان قد بدأ بالفعل، هو الانتقال من العولمة التي تتمحور حول الولايات المتحدة إلى عولمة

تتمحور حول الصين.

وأشار محبوباني إلى أن هذا السيناريو بات مرجحا في ظل فقدان الشعب الأميركي الثقة بالعولمة والتجارة الدولية، والذي بات أيضا يرى أن اتفاقيات التجارة الحرة أصبحت سامة، سواء في ظل حكم الرئيس الأميركي دونالد ترامب أو غيره.

وفي المقابل، لم يفقد الصينيون ثقتهم بالعولمة والتجارة الدولية نظرا لعدة أسباب بعضها يعود لأسباب تاريخية، حيث يدرك القادة الصينيون جيدًا الآن أن قرن الذل الذي عاشته الصين من عام 1842 إلى عام 1949 كان نتيجة لتهاونها والجهود غير المجدية التي بذلها قادتها لقطعها عن العالم.

وقد أثمر انفتاح الصين على العالم خلال العقود القليلة الماضية انتعاشا اقتصاديا وعزز ثقة الشعب الصيني بثقافته، فبات الصينيون يؤمنون بقدرتهم على المنافسة في أي مكان من العالم.

4- ترى نائبة المدير العام للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، **كوري شاك**، أن عالم ما بعد فيروس كورونا لن يشهد استمرار زعامة الولايات المتحدة للعالم.

وقالت شاك في توقعاتها التي نشرتها فورين بوليسي، إن العالم لن ينظر إلى الولايات المتحدة بعد الآن كقائد دولي نظرا لسلوك الإدارة الأميركية الذي يقوم على تغليب المصالح الذاتية الضيقة وافتقار تلك الإدارة الفادح للكفاءة.

وأشارت إلى أنه كان بالإمكان التخفيف من الآثار العالمية لهذا الوباء إلى حد كبير من خلال قيام المنظمات الدولية بتوفير مزيد من المعلومات في وقت مبكر، الأمر الذي سيمنح الحكومات الوقت الكافي لإعداد وتوجيه الموارد للأماكن التي تعد أكثر حاجة إليها، وكان بمقدور الولايات المتحدة الاضطلاع بهذا الدور وتنظيم تلك الجهود لتثبت أن اهتمامها لا ينصب فقط على الشأن الداخلي الأميركي.

4. تغيرات جيوسياسية عالمية واستفادة محور المقاومة من اللحظة التاريخية

من غير المتوقع أن يؤدي فيروس «كورونا» إلى مثل ما انتهت إليه الحرب العالمية الثانية، لكن الاقتصاد العالمي يتعرض حالياً لأزمة كبيرة ستنهار على إثرها شركات عديدة، وترتفع البطالة، وسيفلس أفراد كثيرون، وستتعرض دول كثيرة لهزات اقتصادية واجتماعية عميقة. فلا يظن أحد أن الأزمة عابرة أو قصيرة المدى. لكن كل أزمة تحمل في طياتها بذور انطلاقة جديدة نحو فضاء أوسع، إن تم استيعاب الدروس المناسبة وإعادة النظر في الأولويات التي لا يحددها الوضع الاقتصادي فقط، وإنما أيضاً تغيير

النهج غير القادر على التعامل مع الأزمات. كما أن في وسع الأزمات أن تقود للهلاك، إن أصرت الدول أو الأفراد على نهجها السابق في إدارة الحكم والموارد. فإن استطاعت دولة شحيحة الموارد كالأردن إدارة الأزمة بفاعلية أكبر من دول أخرى أكثر ثراء، فهو درس صارخ على أن نظم الحوكمة أهم بكثير من الموارد المالية أحياناً، وأنَّ نظم الحوكمة الاقتصادية والسياسية في العالم العربي غالباً ما هي عليه من الضعف، بحيث تجعل الاستجابة لأي أزمة، صحية كانت أم اقتصادية أم سياسية، ضعيفة وغير فاعلة.

لا شك أن العولمة بمفهوم سيطرة اقتصاديات السوق الحرة قد انتهت إلى غير رجعة، بل إن نهاية اقتصاديات السوق الحرة لم تنتهِ على يد «كورونا» فحسب، وإنما بدأت بالأفول بعد الأزمة المالية العالمية عام 2008. من الواضح اليوم، أن تدخل الدولة ضروري في بعض القطاعات كالصحة والتعليم والنقل، في حين يجب ابتعادها عن نشاطات أخرى كالتوظيف وإدارة الأنشطة الاقتصادية. لكن الثورة المعرفية وثورة التكنولوجيا ربطت العالم بشكل لا يمكن تفكيكه، وإنما من الضروري أن تمتد وتتبدل العولمة لتشمل التعاون في مجالات كالوقاية الصحية ومكافحة الأوبئة، وأن تخصص الموارد الكافية لذلك بدلاً من تخصيصها لمجالات كالتسلح مثلاً. لم يخلق فيروس «كورونا» بسبب العولمة، لكن العولمة هي من ستنجح في محاربته من خلال بلورة رؤية فاعلة، مبنية على انعدام الأنانية والتفاف الأفراد نحو العمل الجماعي وتشارك المعلومة والمعرفة، تماماً كما نجحت في الخروج من أزمات مشابهة شهدناها في العقود الماضية.

وقد تنتج عن أزمة «كورونا» سلوكيات اجتماعية جديدة مبنية على التباعد الاجتماعي، والإقلال من الحركة الحيوية وتفعيل التواصل الإلكتروني، والاستعاضة عن النشاطات الاجتماعية التقليدية باجتماعات افتراضية عبر الإنترنت وغيرها من وسائل التكنولوجيا. كما قد يبدو للبعض أن المرحلة المقبلة ستشهد انحساراً في العمل السياسي وتقوقع المنادين بالإصلاح السياسي، من منطلق أن الإجراءات الاستثنائية في مواجهة هذا الوباء قد فرضت واقعَ حالٍ جديداً يبرر تعليق الحقوق والحريات الشخصية في سبيل الصالح العام أياً كان. لكن لا يجوز أن يتم الخلط بين تقديم الصالح العام وغياب المشروعية، بين مفاهيم الإصلاح السياسي وأدواته التي تتغير بتغير الظروف والضرورات، وبين التباعد الاجتماعي والحاجة لتقارب سياسي ومجتمعي داخل الدول، فالقيم الأساسية التي تشكل جوهر الإصلاح السياسي تبقى محصنة حتى في ظل الظروف الاستثنائية والحاجة للتساوي في المواطنة، وعدم التمييز في الحقوق والواجبات، هي سبب جوهري لتحقيق

التضامن الاجتماعي المطلوب لمواجهة الأزمات من خلال الاستجابة لتدخل الدولة للتعاطي مع مثل هذه الأزمات، وفرض إجراءات ضرورية قد تكون قاسية، سواء أكانت هذه الأزمات صحية أم سياسية أم اقتصادية أم مجتمعية. ما يجب مقاومته في عالم ما بعد «كورونا» هو محاولة بعض الدول لإبقاء بعض القيود على مواطنيها والتي إن كانت تصلح في ظروف مقاومة الوباء، إلا أنها وبعد زوال الأزمة تصبح عائقاً للتنمية والبناء على نجاح الدولة في مواجهة أزمة وجودية ضربت صميم العمل الإنساني وإنتاجيته. ما يحتاجه العالم هو المزيد من الانفتاح والديمقراطية، وليس المزيد من السلطوية.

ولقد أثبتت أزمة «كورونا» أن الدول التي لديها نظم حوكمة فاعلة هي الأقدر على مواجهة الأزمات والتغلب عليها. لا تستطيع دول العالم أجمع، ولا يستطيع العالم العربي تحديداً، تجاهل دور نظم الحوكمة في بناء الأرضية المناسبة لمستقبل واعد. ولا يستطيع أحد أن يعزل تطوير نظم صحية فاعلة، مثلاً عن تطوير نظم حوكمة فاعلة في باقي المجالات، فالحوكمة لا يمكن تجزئتها بعد اليوم، والأخطار المحدقة بالعالم تتطلب معالجات كلية تنال المجالات كافة.

أزمة «كورونا» يمكن أن تكون حافزاً لبداية جديدة تبني نظم حوكمة مختلفة في المجالات كافة، قادرة على التعامل مع تحديات القرن الحادي والعشرين، كما يمكن لها أن تكون مقدمة لمستقبل أكثر سواداً. في عالم اليوم لن يساعدنا أحد ما لم نساعد أنفسنا.

5. استراتيجيات قوى المقاومة في الانتصار على الأزمات الداخلية المستجدة

لقد تعرض العالم العربي للعديد من الأزمات التي سبقت أزمة «كورونا» في العقد الأخير، فالثورات العربية التي بدأت في عام 2011، كانت سبباً مباشراً لضعف نظم الحوكمة السياسية، كما كان انخفاض أسعار النفط ابتداء من عام 2014، سبباً مباشراً لطرح تحديات أمام العديد من نظم الحوكمة الاقتصادية، وضرورة الاعتماد على الإنتاجية. وها هي «كورونا» تكشف محدودية العديد من نظم الحوكمة الصحية، ونظم البنية التحتية والإدارة في المنطقة. فما الطريق لبداية جديدة؟

كما أن دول وأحزاب محور المقاومة تتعرّض في هذه المرحلة لحصار مالي واقتصادي أميركي غير مسبوق، فبرغم وصول محور المقاومة إلى مرحلة شبه الردع الاستراتيجي المتبادل، من الناحية العسكرية، بينه وبين الحلف الأميركي كحصيلة للمواجهات العسكرية التي خاضها محور المقاومة ضد القوات الأميركية وحلفائها على جبهات عدّة، خلال العقدين المنصرمين.

أمّا الحصار المالي الأميركي على حزب الله في لبنان، فقد وصل إلى مديات غير مسبوقة، وبات يصيب الدولة اللبنانية بعمومها، بغية تشديد الضغط على الحزب، في محاولة لانتزاع تنازلات جوهرية منه تتعلّق بأمن كيان العدو الصهيوني، وترسيم الحدود مع فلسطين المحتلّة، بما يتيح لإسرائيل سرقة المزيد من الغاز اللبناني والعربي، هذا فضلاً عن تنازلات أخرى في قضية توطين اللاجئين الفلسطينيين، بما ينسجم مع مخططات «صفقة القرن». وبغض النظر عن مبادرة فرنسية أو غيرها، الظاهر أنّ الولايات المتحدة ماضية إلى النهاية في هذا النهج، حتى ولو أفضى إلى انهيار لبنان وتقسيمه، بحسب ما بات يُتداول في بعض مراكز الأبحاث المدعومة أميركياً وسعودياً. وأمّا عن «قانون قيصر» الجائر ضد سوريا، الذي يرمي إلى تعطيل مشروع إعادة إعمار الدولة السورية، فحدِّث ولا حرج.

ومن المرجّح أن تستمرّ هذه الحرب الاقتصادية الضروس ضد أركان محور المقاومة، بغضّ النظر عمّا ستُفرزه الانتخابات الرئاسية الأميركية المقبلة، على عكس ما تذهب إليه بعض التحليلات التي تربط بين وصول الديموقراطيين إلى سدّة الحكم، وبين استمرار هذه الحرب الاقتصادية.

لم يَعُدْ، اليوم، في جعبة الأميركي سلاح قليل التكلفة عليه، عند استخدامه ضدّ أطراف محور المقاومة، سوى سلاح العقوبات الاقتصادية، وعليه، قد يُعَدّ التخلّي عن هذا السلاح طواعيةً، بمثابة إعلان استسلام. ويرى كثيرون أنه ليس من الحكمة بمكان الرُكون إلى هذا الاحتمال، بل يضيفون أنه يلزم الجهاد لنزع هذا السلاح الأخير من يد الأميركي، أو تقليل فعاليته على أقل تقدير، على غرار ما حقّقه محور المقاومة في مواجهة آلة الحرب الأميركية. ويمكن لأطراف محور المقاومة خوض معركة الانعتاق من قيود العقوبات الاقتصادية الأميركية، عبر مسارين باتا معروفَين، أحدهما: تطوير مستوى التعاون الاقتصادي بين أطراف المحور ذاته، حتى يحاكي ما وصل إليه مستوى التعاون والتنسيق العسكري بين هذه الأطراف؛ والآخر: وقف أي رهانات على انفتاح غربي ـ لن يأتي من دون تقديم أثمان باهظة ـ والإقدام على خيار التوجه شرقاً، وبشكل حاسم واستراتيجي، لا سيما أنّ كسب الرهان على الغرب مشكوك فيه لأسباب عدة، منها ما يتعلّق بأوضاع الغرب الداخلية المستجدة. وقد طرح السيد حسن نصر الله هذا الخيار في أكثر من مناسَبة، أخيراً، والشرق قادر وحاضر لتلقّف خيارات كهذه.

وما تصريح السفير الصيني في لبنان بشأن استعداد بلاده للاستثمار في البنية التحتية

اللبنانية، بقُرابة الاثني عشر مليار دولار، وما العرض الصيني المقدَّم لإيران في صيغة اتفاقية شراكة استراتيجية للاستثمار في البنية التحتية وقطاع النفط، إلا دليلان على مدى جدية الصين في هذا المضمار، حيث تصبّ هذه العروض الصينية مباشرة في طاحونة مشروع الحزام والطريق الصيني. لكن الصين، وبشكل مفهوم، لن تمضي في خيارات كهذه ستكون لها تبعات في المواجهة القائمة حالياً بينها وبين الولايات المتحدة، إلّا إذا ضمنت جدية الطرف المقابل، على أن يكون توجهه هذا استراتيجياً لا عودة عنه، وليس توجّهاً تكتيكياً تفاوضياً من أجل تحسين شروط التفاوض مع الغرب، وربما يفسر هذا انخفاض منسوب الحماسة الصينية، بقدرٍ ما، تجاه هذه العروض بعد تقديمها.
لا يُظْهِر تطور الأحداث أنّ الأميركي سينسحب من المعركة الاقتصادية والمالية التي يشنّها على أطراف محور المقاومة من تلقاء ذاته، ومهما بدا خيار التوجّه شرقاً مكلفاً ودونه عقبات ترتبط بتوازنات دولية وأخرى داخلية، فإنّ البدائل المطروحة تبدو أكثر كلفة، ويشير مسار الأحداث إلى أنّ محور المقاومة سيكون مُضطراً إلى الإقدام على خيار التوجه شرقاً عاجلاً أم آجلاً، فضلا عمّا يأمّنه هذا التوجه من مصالح حيوية لشعوب المنطقة على الصعيد المعيشي والتنموي في المديين المتوسط والبعيد، والأهم ما يشكله هذا التوجّه من دعامة حقيقية لاستكمال مسيرة التحرّر الوطني وبناء الأوطان، لا سيما إذا ما اقترن بمشروعِ تعاون إقليمي في ما بين دول الإقليم الطامحة للخلاص من السطوة الغربية، وإلى الأبد.

إن المقاومة أفشلت مشروع الشرق الأوسط الجديد، وستبقى المنطقة عصية على التطويع، ولن تُحكم إلا بإراداتها، ومن حضارتها ومن عقيدتها وفكرها، واستراتيجية المواجهة، هي مزيد من المقاومة، ومزيد من الاستعداد لكل الاحتمالات، ومزيد من الممانعة، ومزيد من التمسك بالحقوق، لا سيما في فلسطين والقدس، ليكن ذلك واضحاً، فإن اللبنانيين معنيون بتحرير مزارع شبعا، وتلال كفر شوبا، وبناء دولتنا القوية القادرة الممانعة والمقاومة والتي تستطيع التصدي للإسرائيلي.

في فلسطين، المقاومون يحددون بأنفسهم وظيفتهم الهادفة الى استعادة الحقوق في فلسطين والقدس، ومزيد من الوحدة والتصدي للفتن في كل أشكالها، العرقية أو الدينية أو المذهبية، ومزيد من التلاحم والتحالف بين سورية وإيران وحزب الله وفلسطين بكل قواها وبالأخص حماس، ومزيد من استنهاض الشارع العربي بكل الوسائل: الإعلامية، والثقافية، والتربوية، والسياسية، وما إلى هنالك.

إن الشرق الأوسط هو شرقنا وسيكون مقاوماً ممانعاً لا يقبل الهيمنة ويرد الشر والعدوان، شرق أوسط نحن أهله... شرق أوسط نحن سكانه... شرق أوسط قيمه هي قيمنا نحن، القيم العربية، القيم الإسلامية، قيم أهل الدار، وليست قيم الواردين والمستوردين والمزروعين زوراً وبهتاناً على أرضنا وفي قلبنا...

فالشرق الأوسط الجديد الذي يرسمونه لنا هو الهجين التفتيتي والتقسيمي والفيدرالي على أسس عرقية أو دينية.

في المنطقة الآن محوران محور تحالف وممانعة لكل احتلال ومقاومة له، ومحور تبعية للسيد الأمريكي وآخرين لا يجرؤون على الوقوف بوجه سياساته، موضحاً أن الأمريكيين مستمرون في محاولاتهم لتحقيق هذا المشروع ولو بأشكال مختلفة رغم الإخفاقات المتعددة في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين وسورية وإيران، إن استراتيجية المقاومة في المواجهة هي مزيد من المقاومة والممانعة والتلاحم والتمسك بالحقوق.

يجب على المقاومة أن تبقى في الطليعة وعلى الأمة كلها أن تقف خلف المقاومة ومع المقاومة ومساندة للمقاومة، فعلى الشاعر، والمسؤول السياسي، والمرأة، والرجل، والنقابي، والإعلامي، أن يكونوا جميعهم في المعركة.

السؤال عن المستقبل، في المستقبل الصراع قائم، والأمريكي سوف يستمر في محاولاته لتحقيق مشروعه رغم الإخفاقات التي حلت به في كل المنطقة، فرغم كل هذه الإخفاقات إلا أن الأمريكي مستمر في مشروعه وسوف يستمر بأشكال مختلفة في هذا المشروع.

من هنا كان المساس المتواضع في معادلة ميزان القوى بين الكيان الصهيوني وأية دولة عربية، أو مقاومة فلسطينية، وبما لا يُقارن مع الاهتزاز لتلك المعادلة في الوقت الراهن، مدعاة لشن حرب استباقية أو توسعية أو تأديبية لا تبقي ولا تذر. وهذا ما حدث في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وفي 1967، وفي 1982 ضد المقاومة الفلسطينية في لبنان، وفي 1991 و2003 ضد العراق.

بل ومنذ أكثر من سنة، أعلن نتنياهو أن حزب الله يحوّل صواريخه البالستية، إلى صواريخ ذكية (تصيب هدفها المحدد بهامش قليل جداً من الخطأ). علماً أن كل يوم تأخير يعني أن الخسائر والمخاطر على الكيان الصهيوني تصبح أشد مما كانت عليه. وإن الوضع نفسه بالنسبة إلى قطاع غزة، ولو نسبياً، بأقل إمكانات، بسبب بُعده وحصاره فلسطينياً ومصرياً وعربياً، ولكن بخسائر ومخاطر يجب أن يُحسب لها ألف حساب كذلك.

إن كل الدول الإسلامية والعربية مهددة بالمخططات الأمريكية القائمة والمستمرة التي تحاول القضاء على حركات المقاومة، والنهضة بين العرب والمسلمين.

ودور المقاومة في لبنان وفي فلسطين هو صمودها والعمل على تنمية قدراتها، والتعاون وتوظيف كل قدرات المثقفين والإعلاميين، والخطباء والسياسيين، للاستعداد لمواجهة العدو بكافة الوسائل.

فبين انتصار المقاومة 14 آب 2006 وانفجار الفاجعة 4 آب 2020 وفي أعقابِ التّطوراتِ والمستجِدّات سَواءٌ على صعيدِ الجائحةِ الكورونيّةِ وطنيّاً وإقليمياً ودولياً...أو على صعيدِ الانفجارِ الفاجعة في المرفأ التاريخيّ العريق لبيروت «أُمِّ الشرائع»، والتّداعيات المُزلْزِلة فوّتتِ الحكومةُ فرصةً ثمينةً برِهانِها الطويلِ المدى على صندوق النّقد الدولي، وبعدم التوجُّهِ شرقاً، لملاقاة عروضٍ سخيّةٍ قدّمتها دولٌ صديقةٌ لو استُجيبَ لها، لكانت فَتحت للحكومةِ منافذ واسعةً أمامَ حُلولٍ عمليّةٍ فورا، وشقّت طُرُقاً لإنقاذِ لبنانَ من فظيعِ محنتِهِ والمآسي. أوَلم يكنِ الأجدى للبنانَ، بألّا تُقدِمَ الحكومةُ على تركِ المسؤوليةِ فجأةً بِلا استشارة؟ وفي تِلكُمُ الظروفِ العصيبية؟ ولو فعَلتِ الحكومة ذلك، لما خَذَلت أو خُذِلت، لأنّ موازينَ القُوى كانت لِتسمَحَ للحكومةِ بالفلاح، لو كانت لبَّت نداءَ التوجُّه شرقاً، ولكانت وضعت لبنانَ فوراً، على سكّةِ الخلاصِ الاستراتيجيّ. أمّا الأدلَّةُ الثبوتيةُ على صحّةِ ما نقولُ فعديدة، ويكفي أن نُشيرَ الى شاهدٍ من أهْلِهِ، هو نفسُهُ المبعوثُ الأميركيُّ السّيد هيل، الذي، في زيارته لبنان، جا مُتكبِّراً مُتجبِّراً لِيفرِضَ شروطاً أميركيةً على لبنان، توحي بإقصاءِ حزبِ الله عن الحكومة اللبنانيّة تمهيداً لنزعِ سلاحِه، وإذ بالمبعوثِ نفسِهِ، بعد تصريحاته المزَلزِلة، وبعد صدورِ الحكمِ المهزلة عن المحكمةِ الدولي يُصرِّحُ بما معناه: إنّ أميركا تعايشت وتعاملت مع حكوماتٍ سابقةٍ شاركَ فيها حزبُ الله (وفي مثل هذا التّصريح الفصيح طبعاً) إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ أميركا على استعدادٍ للتعاملِ مع الحكومة اللبنانيّة المُقبلة، التي لن تُشكَّلَ إنْ لم يكن حزبُ اللهِ، فيها، شريكاً.

إنّ المقاومةَ شرطٌ وجوديٌّ في حياةِ الإنسان، لأنه فطرةٌ طبيعية وسُنَّةٌ تواكِبُه مع نشأتِه وفي تكوينه، سواء بمناعته الجسدية، أم بمناعته النفسيّة، مناعةٌ جسدية لِدفع أذىً يطالُ الجسد، ونفسيّة لِردع ظلم ينالُ من النّفس... أولم تلِدْنا أمهاتُنا أحراراً؟

ألا تتجلّى هذه السِّمات في سِيَرِ الأنبياءِ والشهداءِ والعلماءِ والقادةِ العظماء؟ وعند الشعوب المناضِلة والأقوياءِ في نفوسهم مُذ كان التمرّد على الظلم والطغيان؟

فالحروبُ الاقتصاديةُ العدوانيةُ بديل عن الحروب العسكرية الظالمة عند فشلها في

تحقيقِ غاياتها وأهدافها السياسيّة. لقد سارع حلف العدوان بعد تعثُّر مخططه الدمويّ الى إحكام أدوات الحصار والخنق الاقتصادي على سوريّة وإيران، وكذلك على لبنان، بينما كانت الحكوماتُ اللبنانية المتعاقبة قاصرةً بخططها وتوجهاتها عن ابتكار وتنفيذ البرامج الوطنية، التي ترعى فرصاً جِديّة لتوفير مستلزمات الصمود، ولتطوير القُدرة على كسر الحصار الغربي الاستعماري، والتصدّي لمسار الانهيار الاقتصادي والمالي، الذي كان أبرز وجوهِه النافرة اختناق القطاعات المنتجة، وتمادي الريعيّة والفساد.

ولا تزال الضرورة الوطنية تفرض على لبنان اعتمادَ خطةٍ للصمود الوطني، ترتكز على تطوير قطاعات الإنتاج وإحياء الثروة الحقيقية، وتثبيت دعائم الاستقلال الوطني، والتحرُّر من الهيمنة الاستعمارية عبر التمسُّك بشراكة الحياة مع سوريّة والعراق وإيران وسائر دول الشرق. وإنّ عدم ملاقاة هذه الفرص بخطوات عملية يوقعُ لبنان رهينة في فخّ الهيمنة الغربية اللصوصية أيا كان غطاؤها الخادع، وهو ما يجب أن ينتبه إليه جميع اللبنانيين القادرين على توسيع الفرص ومضاعفة القدرات عبر تنويع الخيارات. بيننا وبين الاستعمار قضايا لن تُصفَّى بالمناشدة والخنوع أو التملّق العاطفي... بل هي تدعونا الى كفاح عمليٍّ شاقٍّ وطويل... بيننا وبين الاستعمار قضية فلسطين التي شاؤوها لقمة سائغة للصُّهيونية المجرمة، ولكنها، لن تكون في معركة الوجود مهما أبطأ الزمن إلَّا لأبنائها بدمائنا وبجهادِ الأجيال ستكون. فلا صفقة قرنٍ ولا صفقاتِ قرونٍ تعيد فلسطين لأهلها عربيّةً أبيّةً. لقد ضاع عمرُنا الرّخيص بالمساومة، وفلسطين لن تعود إلّا بالمقاومة المسلّحة أساساً، وتجلياتها السياسيّة والدبلوماسيّة والجماهيريّة والثقافيّة، تكون في خدمة الكفاح المسلّح. قضية فلسطين هي قضيتُنا المركزيّة في الصراع العربيّ الصُّهيونيّ. «لا صلح لا تفاوض لا اعتراف، المقاومة وُجِدت لتبقى وما أخذ بالقوة لا يُستردّ بغير القوة»، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. إنّ وضع حدًّ للنزف الخطير، الذي يعيشه اللبنانيون، ومنعَ الاختناقات المعيشيّة المتزايدة يستدعي التزامَ فكرةِ التحرُّر من الارتهان للغرب، وأقلُّه، الانتقال الى علاقات وشراكات متوازنة على أساس تكافؤ المصالح مع الشرق والغرب، والارتكاز على تنمية القطاعات الإنتاجية، وملاقاةُ فرصِ الشّراكة مع الجِوار القومي والإقليمي والشرقي على أساس المصالح المشتركة والمتكافئة. والبديل من هذا الخيار ليس سوى المزيدِ من التسوُّلِ والاستدانة، وفي الاستدانة تبعيةٌ وإذلالٌ، وفي مطلق الأحوال لم تعد متاحة كالسابق، وباتت قرينةَ شروطٍ وإملاءاتٍ تخنقُ البلادَ مالياً واقتصادياً، وترهن إرادتَها السياسيّة للهيمنة الأجنبي.

وفي هذا المجال توّج السيد حسن نصرالله مقاربته للمواجهة الدائرة تحت عنوان الحرب المالية، بمناقشة مضمون المعادلة التي يعرضها الأميركي، وملخصها هو محاولة مقايضة خطر الجوع بالتنازل عن مصادر القوة وفي مقدمها سلاح المقاومة، كطريق لحماية أميركا لأمن كيان الاحتلال، وفرض مصالح الكيان خصوصاً في ملف النفط على حساب لبنان، ورسم السيد معادلة تعمّد إبقاءها عنواناً عاماً دون تفاصيل بقوله للأميركي بلسان اللبنانيين، أنت تعرض عليّ الجوع أو التخلي عن السلاح، وتهدد بقتلي في النهاية. والجواب هو أننا لن نجوع ولن نترك السلاح ونحن سنقتلك، مكرراً سنقتلك ثلاث مرات، تأكيداً على المعنى.

وكشف أن «لدينا معادلة مهمة وخطيرة ولن أتحدث عنها، في حال استمر الأميركيون في محاولتهم لتجويع اللبنانيين»، وأضاف «من سيضعنا بين خيار القتل بالسلاح أو الجوع، سيبقى سلاحنا في أيدينا، ونحن سنقتله». وشدد على أن على اللبنانيين ألا يفرحوا بقانون قيصر لأنه يؤذيهم كثيراً وربما بما هو أكثر من سوريا. كما أكد لجميع المراهنين أن المقاومة لن تسمح بالفتنة. وهي مستعدّة لتأمين النفط بالليرة من إيران وأكد أن الصين جاهزة للاستثمار في لبنان ودعم اقتصاده.

مصادر سياسية قرأت في كلام السيد نصرالله بداية مرحلة جديدة على مستوى مواجهة محور المقاومة للعقوبات الماليّة الأميركيّة التي رسم السيد نصرالله بلسان المحور أهدافها، بتأمين أمن كيان الاحتلال، ومضمون المرحلة الجديدة، توفير مقدرات اقتصادية عنوانها تشبيك وتبادل اقتصادي، من دون المرور بالدولار الأميركي، سواء عبر التبادل العيني أو التبادل بالعملات الوطنية، أو التمويل الميسّر الذي يمكن للصين تقديمه، لكن في نهاية المطاف إذا توهّم الأميركي أن السلاح سيبقى صامتاً مهما بلغت الأزمة الاقتصادية من مراتب، فهو واهم، لأن معادلة أمن الكيان في الميزان والميدان ستكون الوجهة التي تغيّر المعادلة. مشيراً الى أنّ «مسؤولية كل القوى السياسية والدينية عدم السماح بالذهاب ببلدنا إلى الفوضى والفتنة المذهبية أو السياسية.

وخلاصة القول، أن ميزان القوى في المنطقة العربية، الإيرانية- التركية لن يكون في مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني بعد جائحة كورونا، ليس بسببها مباشرة. لأن الرياح التي تهب في أثنائها أو ستهب بعدها ستكون باتجاه الرياح السابقة لها. وما دام دونالد ترامب هو القادم بعد كورونا، كما ترجح الاستطلاعات الأمريكية، فهو على الأغلب في غير مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني، بالرغم من أنف «صفقة القرن» التي لم تعد تذكر.

الخاتمة

من باب أن التاريخ يكتبه المنتصرون على كورونا توقع جون آلن، مدير معهد بروكينغز، أن المنتصرين في المعركة ضد فيروس كورونا القاتل هم من سيتسنى لهم كتابة التاريخ كما هي الحال عبر تاريخ البشرية. وواشنطن قد فشلت في اختبار القيادة وأن العالم قد بات أسوأ حالا نتيجة لذلك الفشل. وقال إن كافة الدول باتت تعاني من الإجهاد المجتمعي الناجم عن انتشار الفيروس بطرق جديدة وقوية، وإن الدول التي تنجو بفضل نظمها السياسية والاقتصادية والصحية الفريدة، ستفوز على الدول التي خرجت بنتائج مختلفة ومدمرة في معركتها ضد الفيروس القاتل.

وخلاصة القول، أن ميزان القوى في المنطقة العربية، الإيرانية– التركية لن يكون في مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني بعد جائحة كورونا، ليس بسببها مباشرة. لأن الرياح التي تهب في أثنائها أو ستهب بعدها ستكون باتجاه الرياح السابقة لها. وما دام دونالد ترامب هو القادم بعد كورونا، كما ترجح الاستطلاعات الأمريكية، فهو على الأغلب في غير مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني، بالرغم من أنف «صفقة القرن» التي لم تعد تذكر.

أما على صعيد لبنان المقاوم فإن ابتكار خطة وطنية لكسر الحصار وللخروج من حلقة الاستنزاف والدمار، يوجب أمرين اثنين علمياً وعملياً.

علمياً:رؤية برنامجيّة سياسيّة اقتصاديّة اجتماعيّة إنتاجيّة وطنيّة.

عمليّاً: خطوات شجاعة عاجلة لإحياء قطاع الإنتاج، والتحرُّر من الرِّيعيّة التّابعة، وبناءُ الشركات العربيّة والإقليميّة والدوليّة التي تدعمُ إعادةَ بناءِ الاقتصاد الوطني، وتطوير موارد جديدة تُنعش الحركة الاقتصادية، وهذا يوجب لبنان من الارتهان لأحادية الارتباط بالغرب الساعي إلى الهيمنة والنّهب والسّلب والعمل على اعتماد توجُهات جديدة تحقق التوازن في البناء الاقتصادي، والخلاص من الريعية لردّ الاعتبار إلى الصناعة والزراعة والصناعة السياحيّة وجميع فروع الإنتاج المعرفيّ، مما يُسهمُ في توسيع المجالاتِ الاقتصادية المجدية، والاعتماد على الشراكات المفيدة، وملاقاةِ الفرصِ، التي تمنعُ الاختناق في قبضة الهيمنة الغربية الاستعمارية. وقد أثبتت الكارثةُ، التي تعرّضت لها البلاد أنّ لنا في هذا الشرق دولاً شقيقة وصديقة، يمكن أن نستندَ إلى الشراكة الوثيقة معها في المصالح والتوجُهات الاستقلالية بعلاقات متكاغئة بعيدةٍ عن الأطماع والهيمنة والنهب، وقد قدّمت مساعدتها لنا دون سؤال أو أيّ شكل من أشكال الاستثمار السياسي التملّقي الرخيص.

المراجع

1. دور انتصار المقاومة العربية والإسلامية في تقويض مشروع الشرق الأوسط الجديد نشر بتاريخ الثلاثاء,14 شباط/فبراير 2012، بمشاركة الدكتور محسن بلال وزير الإعلام، والدكتور حسين الحاج حسن النائب في البرلمان اللبناني عن كتلة الوفاء والمقاومة، والدكتور موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، والشيخ محمد حسن أختري سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،
http//:www.baath-party.org/index.php?lang=ar
2. إيران وأمريكا.. نحو إعادة تقييم استراتيجية بعد فيروس كورونا.
3. فيروس كورونا: هل تطيح أزمة الوباء بزعامة أمريكا؟ / قسم المتابعة الإعلامية/ بي بي سي 4 /أبريل/ نيسان 2020
4. التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية - (الجزء 1)/ محمد الشرقاوي/ باحث أول بمركز الجزيرة للدراسات./ نشرت في: 23/03/2020
5. مقالات الكتاب الأربعاء 30 نيسان 2020 ما بعد جائحة كورونا: كيف نكون في اهتمام الآخر؟ مازن صاحب/ كورونا الوباء أزمات فساد النفط التدخلات الخارجية العراق.
6. فورين بوليسي/ هكذا يبدو العالم بعد كورونا.. نهاية النفوذ الأمريكي وصعود الصين.
7. عمرو علان / السبت 3 تشرين الأول 2020Top of Form/كسر القيود بِمِعوَلٍ شرق كاتب وباحث في الشؤون السياسية/ اشترك في «الأخبار» على يوتيوب.
8. مروان المعشّر/ أزمة «كورونا» وإمكانية التغيير للأفضل/ 30 آذار/مارس 2020/ مقال تحليلي/ المصدر: Gettyتم نشر هذا المقال في صحيفة الشرق الأوسط.
9. جريدة البناء: الرئيسية/أولى/ما العمل لإنقاذ لبنان/ ما العمل لإنقاذ لبنان/ ما هو عِلميًّا وعَمليًّا مُقتَرحُنا الخَلاصيّ؟/ سبتمبر 2, 2020/ زاهر الخطيب.

باب الجغرافيا:

1 – واقع زراعة القمح في غرب بعلبك

بقلم المهندس الزراعي: مصطفى محمد شمص

طالب دكتوراه جغرافيا سنة سادسة

Mostafa Mohammad Shamas :agriculture engineer

(PHD student geography) 6th year

تاريخ الاستلام:2021/11/5 **تاريخ القبول:2021/11/13**

الملخص:

تعد زراعة القمح من الزراعات الأساسية في منطقة البقاع وهي مادة أساسية واستراتيجية وتشكل العمود الفقري للأمن الغذائي ان كان من حيث المساحات المزروعة او عدد المستفيدين منها لان لها مردودا اقتصاديا عاليا وكلفتها منخفضة بالنسبة لباقي المزروعات. ان انواع القمح التي تكثر زراعاتها في العالم هي اثنتان : القمح الطري Tritium aestivum والقمح القاسي Triticum durum وتتأثر بالظروف المناخية و البيئية (كالأمطار ,الحرارة, الإضاءة والتربة) الا انها تتعرض للعديد من المشاكل الطبيعية كتراجع معدلات الامطار والصقيع بالاضافة الى الأضرار الناتجة عن مبيدات الأعشاب وفأر الحقل والأمراض الفطرية والحشرية. أمَا المشاكل البشرية فمنها الحرائق المفتعلة وانعدام المصانع وارتفاع ثمن البذور الأجنبية وارتفاع كلفة الري التكميلي و زيادة تكلفة حصاد القمح مما يرتب مشاكل اقتصادية واجتماعية وبيئية متعددة ولكن يمكن للدولة بالتعاون مع البلديات والجهات المختصة ايجاد حلول لتنمية الوضع الزراعي للقمح.

Summary:

Wheat cultivation is one of the basic crops in Bekaa region. It is basic and strategic material and composes the backbone of food security, whether in terms of cultivated areas or the number of beneficiaries, because it has a high economic return and a low cost compared to the rest of the crops. The types of wheat that

are widely cultivated in the world are two: soft wheat (Tritium aestivum) and durum wheat (Triticum durum) and are affected by climatic and environmental conditions (such as rain, heat, lighting and soil), but they are exposed to many natural problems such as declining rates of rain and frost in addition to herbicides damage and mice field, fungal and insect diseases. Human problems including artificial fires, lack of factories, high price of foreign seeds, increase in the cost of supplementary irrigation and increase in the cost of wheat harvest, which results in multiple economic, social and environmental problems, but our country in cooperation with municipalities and the competent authorities can find solutions to develop the agricultural situation of wheat.

الكلمات المفتاحية :

النزوح: الانتقال من المنطقة لأكثر من 6 أشهر.

الصقيع: تدني الحرارة عن الصفر درجة.

موجات الحر: ارتفاع درجات الحرارة عن ال40 درجة.

انحباس الامطار: توقف الامطار عن الهطول ابتداء من اول نيسان.

المقدمة:

يعتبر القمح مادة أساسية واستراتيجية تشكل العمود الفقري للأمن الغذائي، لذا نجد أن العديد من النزاعات العسكرية والسياسية سببها مادة القمح. يشكّل القمح الغذاء الرئيسي للعدد الأكبر من شعوب العالم ومن بينها لبنان الذي يستهلك سنويا ما بين 450 و 550 ألف طن سنويا، بينما يبلغ إنتاجه ما بين 100 و 140 ألف طن سنويا. يزرع القمح في كل المناطق اللبنانية وخاصة في البقاع.

إشكالية البحث:

تشهد منطقة غربي بعلبك تراجعا تدريجيا لزراعة القمح بسبب متغيرات بيئية وبشرية متعددة مما أثر سلبا على الوضع الاقتصادي للمزارعين والأسر المستفيدة من زراعته، اضافة الى النزوح الريفي وترك الارض بورا او تغيير وجهة استخدامها.

أهداف البحث:

1. تحديد العوامل المؤثرة في الزراعة من اجل التحكم بها.
2. تطوير قطاع الزراعة و تثبيت المزارعين في اراضيهم مما يؤدي الى تنمية القطاعات الاخرى وفق تنمية مستدامة ومتكاملة وشاملة.

أهمية البحث:

هذا الواقع يتطلب استصلاح الاراضي المهملة والبحث عن أساليب علمية جديدة لتطوير زراعة محصول القمح واستغلال المتوفر من الإمكانيات والوسائل بالشكل الأمثل من الأرض والمياه والبذار والمخصبات للوصول إلى أعلى إنتاج كماً ونوعاً.

يتمحور هذا المقال حول نقطتين رئيسيتين :

1. ابراز أهمية محصول القمح والمشاكل المتعلقة بزراعته.
2. تطوير زراعة القمح وزيادة المساحات المزروعة.

أهداف البحث:

3. تحديد العوامل المؤثرة في الزراعة من اجل التحكم بها.
4. تطوير قطاع الزراعة وتثبيت المزارعين في اراضيهم مما يؤدي الى تنمية القطاعات الاخرى وفق تنمية مستدامة ومتكاملة وشاملة.

تشهد منطقة غربي بعلبك تراجعا تدريجيا لزراعة القمح بسبب متغيرات بيئية وبشرية متعددة مما أثر سلبا على الوضع الاقتصادي للمزارعين والأسر المستفيدة من زراعته، اضافة الى النزوح الريفي وترك الارض بورا او تغيير وجهة استخدامها.

هذا الواقع يتطلب استصلاح الاراضي المهملة والبحث عن أساليب علمية جديدة لتطوير زراعة محصول القمح واستغلال المتوفر من الإمكانيات والوسائل بالشكل الأمثل من الأرض والمياه والبذار والمخصبات للوصول إلى أعلى إنتاج كماً ونوعاً.

يتمحور هذا المقال حول نقطتين رئيسيتين :

- إبراز أهمية محصول القمح والمشاكل المتعلقة بزراعته.
- تطوير زراعة القمح وزيادة المساحات المزروعة.

موضع القمح في مملكة النبات:

ينتمي القمح الى فئة النباتات التي تحمل بذورا.

القسم	الصف	الرتبة	العائلة	الجنس
مغطاة البذور	ذوات الفلقة الواحدة	Graminalis	النجيليات	Triticum

يضم جنس Triticum عدة انواع منها برية لا تصلح للزراعة ومنها معتمد في الزراعة في كل بلدان العالم. تصنف انواع القمح حسب عدد كروموموزوماتها. الانواع التي تكثر زراعتها في العالم هي اثنان : القمح الطري aestivum Tritium والقمح القاسي durum Triticum، ولكل نوع عدة أصناف وكل صنف يتميز بمواصفات معينة تميزه عن الصنف الآخر. وجهة استخدام القمح القاسي و القمح الطري:

القمح الطري يدعى قمح الخبز ، فهو يستعمل في صناعة الرغيف البلدي و الصناعي وصناعة الكعك و الحلويات، وذلك نظرا لتركيبته الوراثية المميزة التي تسمح له بإعطاء طحين ناعم له قابلية جيدة للامتصاص الماء، والغلوتين فيه قوي يتمدد كالمطاط، بالإضافة الى هذه الخصائص هناك اصناف قمح طري ذات حبة سمراء كالسلموني، سوبر اكس وبعلبك وهي تدخل في صناعة البرغل.

القمح القاسي يدعى قمح المعكرونة، وهو يستعمل في صناعة المعكرونة، البرغل، السميد، وذلك نظرا لقساوة حبته وخشونة طحينه.

الأهمية الاقتصادية لنبات القمح:

يعتبر القمح محصولاً نشوياً ويحتوي في الوقت نفسه على البروتينات والفيتأمينات والأملاح المعدنية ويعتبر مصدراً لعدد كبير من أنواع الخبز والبسكويت والمعكرونة ويستعمل على نطاق واسع في عمل صناعة الشوكولاته، كما أن التبن الناتج عن القمح يمكن أن يدخل كعلف خشن ويستعمل أيضاً كفرشة للحيوانات، والنباتات الخضراء الغضة من القمح يمكن أن تؤخذ بأي شكل لتغذية الحيوان وكذلك النباتات غير الناضجة يمكنها أن تحصد وتستعمل في صناعة السيلاج والدريس أيضا.

تركيبته:

يتألف القمح من عدة طبقات، الطبقة الخارجية الأولى هي النخالة 9 % من وزن القمح، تليها قشرة رقيقة سمراء 3 % من وزن الحبة، وهي تحتوي البروتين، الطبقة الثالثة، وهي عبارة عن نشاء وهي بيضاء 85 % من وزن القمح. ويقبع في أحد قطبي القمحة «الرشيم»، وهو يحتوي على الجنين الذي ينمو منه القمح الجديد ويؤلف من وزن القمح. يتألف خبز النخالة من مطحون جميع طبقات القمح. يتألف الخبز الأسمر من الطبقة الداخلية النشوية البيضاء مع القشرة الرقيقة السمراء.

يتألف الخبز الابيض من الرشيم او جنين القمح، وهو اغنى أجزائه بالفيتأمينات و المعادن، و كلما دخلنا الى الداخل كانت أقل غنى بالفيتأمينات و المعادن، و الطبقة الداخلية نشوية بأكثرها.

الظروف المناخية والبيئية الملائمة لنبات القمح :

الأمطار : تنتشر زراعة القمح في المناطق التي تتراوح فيها كميات الامطار من 350 الى 1200 ملم بالسنة. يحتاج نبات القمح الى الرطوبة خلال أطوار الاشتاء والاسبال و تكوين الحبوب لكي تعطي إنتاجا وفيرا، لذا يجب أن تكون الهطولات موزعة بشكل متجانس خلال أشهر النمو، أما اذا انحبست الامطار باكرا فتحتاج الى ري تكميلي، أما في الزراعات البعلية فتوقف الهطولات خلال شهر آذار يؤدي الى انخفاض كبير في الإنتاج.

الحرارة : افضل درجات حرارة لإنبات القمح 25 و اقل درجات الحرارة التي يتحملها القمح تصل الى 15 تحت الصفر، اما اعلاها فيتراوح من 32-30 م، يحتاج نبات القمح الى درجات حرارة منخفضة في بداية الموسم (35يوم) من تاريخ الانبات. مما يشجع على عملية التفسيخ وزيادة النمو الخضري، وبعد ذلك يحتاج الى درجات حرارة معتدلة في مرحلة الازهار والعقد وتطور الحبوب، وتعتبر درجة الحرارة 15م ليلا و 20م نهارا هي افضل درجات الحرارة المناسبة لتطور الحبوب.

الارتفاع : تنتشر زراعة القمح في المناطق ذات الارتفاع 100 متر عن سطح البحر وصولا الى 1600 متر فوق سطح البحر.

الإضاءة : يعتبر القمح من نباتات النهار الطويل، حيث يلعب الضوء دورا هاماً في عملية ظهور السنابل التي لا تتم إلا إذا تجاوز طول النهار 10 ساعات مع العلم أن أفضل فترة إضاءة في اليوم هي من الساعة 12 إلى 14.

الترب : يُمكن زراعة القمح في أنواع مختلفة من التربة، بشرط أن تكون غير حامضية أو غير قلوية أكثر من اللازم، وذات قدرة على الاحتفاظ بالماء أو تصريفه بشكل جيد ومعتدل، لأن القمح يتأثر بشكل كبير باحتباس الماء داخل التربة، إذ تعدّ التربة الطينية أو التربة الطميّة ملائمة لزراعته، كما يُمكن زراعته في التربة الرملية مع تحسين قدرتها على الاحتفاظ بالماء والمواد الغذائية.

معدل الإنتاج:

هناك عدة عوامل تحدد كمية إنتاج دونم القمح من الحبوب و الدريس وأهمها : نوع التربة – المحصول السابق – الدورة الزراعية – كمية التسميد و نوع التسميد – الزراعة مروية او بعلية – كمية الامطار – أصناف القمح.

يتراوح معدل إنتاج الدونم من القمح من 200 كلغ للدونم، وقد يصل الى 1000 كلغ للدونم في بعض الاصناف مثل الصنف الايطالي والتنوري.

يترواح معدل إنتاج الدونم من الدريس من 1 قنطار (250 كلغ) و 3.5 قنطار.

تمتد منطقة غربي بعلبك من بلدة تمنين الى محاذاة بلدة نبحا، وتضم عدة اتحادات بلديات وتقع عند خطي عرض 33–10 وخطي طول 34–40. وجرى اختيار المنطقة بسبب تراجع مساحات القمح فيها لصالح زراعات أخرى بالرغم من ملاءمة تربها ومناخها المحلي لزراعة القمح مقارنة بباقي المناطق الاخرى في البقاع الشمالي.

تكمن أهمية زراعة القمح في عدة أسباب منها :

- كلفة زراعة القمح منخفضة مقارنة بباقي الزراعات اذ يبلغ تكلفة زراعة دونم قمح وحصاده ما بين 2 مليون و 2.5 مليون أما زراعة 1 دونم بطاطا فتبلغ كلفته ما بين 12 مليون و 14 مليون.
- يؤمن محصول القمح عملة صعبة للمزارعين حيث يبلغ سعر طن القمح ما بين 230 و 250 دولارا.
- مصدر دخل أساسي للعديد من الاسر الفقيرة اذ ان زراعة 30 دونم من محصول القمح يمكن ان يعيل اسرة مكونة من 4 أشخاص.
- مردوده الاقتصادي المرتفع اذ تتراوح إنتاجية الدونم ما بين 300 كلغ و 1 طن من الحبوب و 250 و700 كلغ من الدريس. يتراوح سعر كلغ من الدريس ما بين 2000 و 4500ل.ل.
- يمكن للمزارعين تأجير الارض بعد حصادها للمواشي لتقتات على مخلفات محصول القمح، ولهذه الخطوة آثارها الايجابية على التربية حيث تغنيها بالمواد العضوية اضافة الى المردود الاقتصادي للمزارع حيث يؤجر الدونم بملغ يتراوح ما بين 50.000 و 75.000 ل.ل.
- يعمد بعض المزارعين الى زراعة القمح او الشعير في الاراضي الملوثة ببذور الاعشاب المستعصية مثل نبات الرزين و النجيل لمساهمة هذه المحاصيل من

تخفيف من حدة وانتشار هذه الاعشاب.

العوامل المؤثرة في القمح:

- العوامل الطبيعية:
- يؤثر تراجع معدلات الامطار على الآبار الجوفية والسطحية اضافة الى الينابيع التي تروي مساحات القمح مثل نبع الاربعين الذي جفت مياهه في غضون 15 يوم خلال سنة 2015 مما تسبب في عدم ري محصول القمح، وبالتالي انخفاض إنتاجيته بشكل كبير اضافة الى تأجير مساحات واسعة من الاراضي لمربي الماشية.
- قد يحدث الصقيع تأثيراً كبيراً على نباتات القمح والشعير ويتوقف حجم الضرر الناتج على الحالة الفيزيولوجية للنبات وطور النمو وقت حدوث الصقيع وعلى مدى مقاومة الأصناف المزروعة. وبصورة عامة فإن خطر الصقيع الربيعي في مرحلة الإسبال والإزهار يسبب خسائر كبيرة وبالتالي تدنيا في إنتاج الحبوب.
- تتفاوت أعراض تأثير الصقيع من جفاف للأطراف فقط إلى الجفاف الكلي للأوراق والنباتات، كما يؤدي إلى عقم جزئي أو كلي للسنابل، ويعزى التأثير الضار للصقيع إلى تجمد العصير الخلوي وتلف الجدر الخلوية بالبلورات الإبرية للجليد.
- انحباس الامطار لفترة طويلة : تبدأ حاجة نبتة القمح الى المياه خلال مرحلة نموها الخضري وخصوصا في مرحلة نمو الساق وصعوده. اذا ما تعرضت نبتة القمح الى الجفاف في مرحلة تكوين السنيبلات تقلص عددها. أمّا مرحلة الإسبال وتكوين الحبوب فهي الاكثر حساسية على الجفاف، لأن إنتاج الحب يعلق مباشرة بكمية المياه التي تستهلكها نبتة القمح في هذه المرحلة الدقيقة. تتلخص اضرار الجفاف بما يلي : اذا تعرضت نبتة القمح للجفاف قبل الاشتاءات يتقلص عدد الاشتاءات ويخف الإنتاج.

أما اذا تعرضت للجفاف قبل الاسبال بفترة قليلة، فيظهر الاثر في نمو الساق الذي لا يبلغ طوله المعتاد فتظهر السنبلة ولكنها تبقى عالقة في غمد الورقة لأنها لا تقوى على الخروج، فتعطي حبوبا صغيرة و قليلة ما يؤثر مباشرة على الإنتاج. أما الجفاف خلال مرحلة تكوين الحبة فيؤدي الى حبوب صغيرة الحجم متجعدة وضامرة فيكون الإنتاج ضعيفا والنوعية متدنية.

- الأضرار الناتجة عن مبيدات الأعشاب Herbicide Damage : إنّ سوء استعمال مبيدات الحشائش قد يلحق ضرراً بالغاً في حقول القمح والشعير. وقد يكون الضرر

ناتجاً عن استعمالها بتركيزات تفوق التركيزات الموصى بها. أو عند رشها في طور نمو غير مناسب، أو لدى استعمال مبيدات لا يجوز رشها على كلا المحصولين، ويزداد فعلها الضار مؤثراً على النمو الخضري، إذا أعقب الرش موجات من الصقيع أو الحرارة المنخفضة أقل من 7م°.

- الأضرار الناتجة عن فأر الحقل: أهم الآفات الحيوانية الضارة فأر الحقل حيث يعتبر آفة خطيرة لما يسببه من خسائر اقتصادية لمحصول القمح. إنه يتغذى على محصول القمح من بداية الزراعة وحتى الحصاد وتزداد نسبة الضرر عند تغذي الفأر على نبات القمح في مرحلة الإشتاء وما بعدها. وهناك العديد من أنواع فأر الحقل وأهمها فأر الحقل الاجتماعي. socialist Microtus وصف الفأر: لون الجسم بني إلى رمادي، لون البطن أبيض، طويل الذيل 2 سم، وزن الفأر من 30– 50 غ. يعيش هذا الفأر على شكل مستعمرات في الحقل ويتميز هذا الفأر بسرعة تكاثره حيث تصبح الأنثى قادرة على التزاوج بعد مرور 25 يوماً من ولادتها. أما الذكر فيصبح قادراً على التزاوج بعد 30 يوماً من الولادة. عدد المواليد 7–2 أفراد، فترة الحمل 21 يوماً، والأنثى قادرة على الحمل مرة أخرى بعد مرور 4 ساعات على الولادة فقط، عدد الأجيال يزيد على 7 أجيال/سنة.
- وتشمل مرض (صدأ الأوراق) الصدأ الأصفر و (صدأ الساق) الصدأ الأسود و (الصدأ المخطط)،
- والأعراض العامة لهذه الأمراض ظهور بثرات مائلة للاحمرار دائرية أو مستطيلة على الأوراق والسيقان والسنابل والقنابع الزهرية ويتحول لونها في نهاية الموسم إلى الأسود.
- التفحم النتن أو المغطى : T.foetida Caries Tilletia عند الإصابة بهذا المرض تتحول حبوب السنبلة إلى كتلة جرثومية متفحمة وعند الضغط على الحبوب باليد أو عندما تتكسر هذه الكرات المتفحمة Bunt Balls أثناء الحصاص أو الدراس تظهر جراثيم الفطر على شكل هباب أسود ذي رائحة مميزة تشبه رائحة السمك المتعفن وتكون السنابل المصابة داكنة اللون ومنفرجة القنابع (العصافات) أكثر من السليمة وتكون النباتات المصابة أقصر نسبياً من السليمة وتؤدي الإصابة بالسلالة T.controversa إلى تقزم النباتات بشكل واضح، ويعرف المرض بهذه الحالة بالتفحم القزم Dwarf Bunt. تحدث العدوى بواسطة البذور الملوثة بالجراثيم أو عن

طريق التربة، حيث تنبت جراثيم الفطر عند الزراعة وتصيب القمة النامية للبادرات وتنمو معها، ثم تصاب الحبوب في طور تكونها وتتحول إلى كتل جرثومية مع بقاء الغشاء الخارجي للحبة. يلائم هذا المرض الجو البارد ودرجة حرارة التربة 10-5 م° كما تساعد الزراعة العميقة على زيادة الإصابة حيث تستغرق البادرات لظهورها فوق سطح التربة فترة أطول من الزراعة غير العميقة فتزداد بالتالي فرصة تعرضها للإصابة.

- التفحم السائب: Loose Smutالفطر المسبب Tritici Ustilago يصيب هذا المرض القمح والشعير والعديد من نباتات العائلة النجيلية، تظهر السنابل المصابة قبل السليمة بعدة أيام وتتحول الحبوب فيها إلى كتل جرثومية سوداء اللون مغطاة بغشاء رقيق تمزقه الرياح التي تعمل على نثر الجراثيم فتظهر محاور السنابل عارية تماماً من الحبوب تحدث العدوى بواسطة الجراثيم المحمولة بالرياح حيث يتوافق انتشار الجراثيم مع فترة إزهار السنابل السليمة فتسقط على الأزهار ثم تنبت وتصيب مبيض الزهرة ثم يكمن الفطر في أو بجانب جنين الحبوب المتكونة فيبقى المظهر الخارجي لتلك الحبوب طبيعياً ولا يمكن تفريقها عن الحبوب السليمة.
- عند زراعة هذه الحبوب في الموسم التالي، ينمو الفطر الكامن ويلازم القمة النامية للنبات ثم يهاجم السنبلة ومن العوامل المساعدة على انتشار المرض الرطوبة الجوية العالية ودرجات الحرارة المعتدلة (15 درجة مئوية).
- البياض الدقيقي: يتميز بظهور بقع صغيرة دقيقة المظهر (طحينية) على الأوراق ثم تتسع هذه البقع وتغطي معظم سطح الورقة فتصفر وتذبل، لكن هذا المرض نادر الحدوث في محصول القمح.
- التبقع السبتوري في القمح: أعراض المرض تتميز بظهور بقع على الأوراق وأغمادها لونها بني فاتح مع وجود أجسام صغيرة سوداء اللون بشكل بقع صغيرة محاطة بمناطق مصفرة.
- الاصابة بأمراض فطرية وحشرية منها:
- أمراض الصدأ: القرحف أو السونة pest Sunn و Eurygaster pest Suni integriceps حشرة السونة أو القرحف من اخطر الحشرات التي تصيب بشكل أساسي محاصيل القمح و الشعير لما تسببه من أضرار كبيرة على المحاصيل.
- وصف و تصنيف الحشرة : يبلغ طول الحشرة كاملة 13 ملم، لونها يتدرج من اللون

البني الفاتح الى اللون الاسود، جسمها بيضاوي محدب من الناحية العلوية.

- أضرار الحشرة: تصيب الحشرة معظم أجزاء النبات من الاوراق الى السيقان الى السنابل. كما تصيب الحبوب بالتلف الكامل في مرحلة الطور اللبني. كما تؤدي الى ضمور الحبوب في مرحلة النضج المتأخر وبالتالي انخفاض في حيوية الحبوب للموسم المقبل وتدني نوعية منتجات الحبوب المصابة (طحين – خبز) . وجود 8 حشرات/م2 في الحقل المصاب يمكن أن يؤدي إلى القضاء على المحصول. تكثر الإصابة بهذه الحشرة في السنوات القليلة الأمطار وذات الشتاء الدافئ.
- العوامل البشرية:
- تفتت الحيازات الزراعية وتأهيلها الى مناطق قابلة للعمران خاصة في المناطق القريبة من الخدمات.
- وضع اليد على مساحات كبيرة من الاراضي المملوكة من قبل الدولة أو البلدية الممكن زراعتها محصولَ قمح واستثمارها في زراعات ممنوعة او زراعات أخرى ذات مردود اقتصادي أعلى .
- هيمنة بعض الاشخاص ذوي النفوذ على مياه الينابيع والانهر وبيعها او توزيعها حسب رغباتهم، وهذا الواقع ينعكس ارتفاع كلفة الري التكميلي خاصة ان بعض المناطق مثل كفردان، يعمد فيها المزارعون الى الاعتماد على الآبار الجوفية في ري محصولهم عند انقطاع مياه الينابيع و الانهار.
- الحرائق المفتعلة وغير المفتعلة التي تسبب خسائر فادحة بمحصول القمح.
- غلاء ثمن البذور الاجنبية المغربلة و المؤصلة ذات الإنتاجية العالية،حيث يتراوح سعر طن البذور في بعض الاصناف مثل التنوري و الايطالي ما بين 400 و 500 دولار.
- افتقار بعض المناطق النائية خاصة البقاع الشمالي للحصادات الحديثة مما يؤدي الى تأخر في عملية الحصاد و بالتالي فقدان كمية كبيرة من المحصول بفعل انفراط السنابل و العصافير.
- زيادة تكلفة حصاد القمح بفعل استخدام التقنيات التقليدية في الحصاد خاصة في الحيازات الصغيرة التي يصعب استخدام الحصادات الكبيرة لجني المحصول.
- غياب كلي للقطاع الصناعي المتعلق بالمعامل التي تنتج مشتقات القمح القاسي وذلك بسبب اعتبارات كثيرة منها الوضع الامني و هيمنة بعض الاشخاص ذات

النفوذ في السلطة،مما يضطر المزارعين الى بيع محصولهم للتجار.

- ندرة وجود الغرابيل التي تستخدم في غربلة محصول القمح، وإن وُجدت فهي لا تكفي لغربلة كمية كبيرة من البذور تكفي لكل المساحات مما يضطر المزارعين الى زراعة بذور غير مغربلة مما ينعكس سلبا على نسبة الانبات في الحقل بسبب ان العديد من البذور اما ان تكون نحيلة او مكسورة.
- يوجد مركز تجارب وإنتاج الحبوب المؤصلة تابع لمصلحة تل عمارة و مصلحة اكساد في منطقة كفردان بمساحة 500 دونم، هذه المساحة لا تستثمر بشكل كلي اضافة الى تعدد الاصناف المزروعة فيها، فلا تتمكن من تلبية متطلبات المنطقة من البذور المؤصلة ذات الإنتاجية العالية.
- اسعار القمح المقدمة من الدولة هي غير كافية لسد حاجات المزارع لا سيما المزارع الذ يعتمد على الزراعة كمدخول أساسي في معيشته،و الأسوأ من ذلك ان تدني السعر يجبر المزارع غاليا على بيع المحصول في السوق السوداء، المفترض تسليمه الى مصلحة تل عمارة من اجل تعقيمه وغربلته وإعادة تسليمه للمزارع بأسعار مناسبة.
- مراكز الدفاع المدني المنتشرة في المنطقة غير كافية للإخماد الحرائق في محاصيل القمح إن اندلعت، مما يضطر المزارعين الى اتلاف قسم من محصول القمح، خاصة الحيازات القريبة من الطرق لإبعاد شبح الحرائق عنها.
- يعمد معظم المزارعين الى الزراعة التقليدية اذ لا يوجد آلات حديثة لزراعة القمح الا عند بعض المزارعين الكبار و مصلحة الابحاث . هذا الواقع يتسبب في زيادة كمية البذور لزراعة 1 دونم، اذ انه في الزراعة التقليدية يحتاج الدونم من 25 الى 30 كلغ من البذور، اما في الزراعة باستخدام الآلات الحديثة فيحتاج الدونم من 15 الى 16 كلغ من البذور.
- المشاكل المترتبة على المشاكل البشرية و الطبيعية :
- النزوح الريفي إذ ينزح العديد من الاسر الريفية التي تعتاش من زراعة القمح نحو المدينة مما يتسبب بأزمة توفير خدمات عديدة منها : الصرف الصحي والمياه والنفايات والتعليم...
- ترك الاراضي مما يؤدي الى تعريتها و تدني خصوبتها مع الزمن.
- اختفاء فئة المزارعين الصغار لصالح المزارعين الكبار من خلال بيع اراضيهم او

تأجيرها لهم، مما يسمح لهم بالتحكم بمياه الري وتحديد ثمن تأجير الارض مما يفاقم من مشكلة زراعة القمح الموجودة اصلا لدى المزارعين الصغار.

- الحلول المقترحة:
- التنسيق بين البلديات والاتحادات للأمور التالية:
- تأمين مراكز اضافية للدفاع المدني من شأنها اخماد الحرائق في الوقت المناسب.
- تأمين مساعدات مالية من الجهات الخارجية من أجل شراء معدات اللازمة لزراعة القمح (حصادات – آلات حديثة لزراعة القمح....)
- تأمين مياه للري التكميلي في الاوقات التي تشتد فيها أزمات المياه خاصة أوائل أيار.
- الطلب من الجهات المختصة ما يلي :
- رش المبيدات الخاصة بحشرة السونة بالاستعانة بطائرات الجيش اللبناني.
- تأمين الاسمدة و البذور و المبيدات الزراعة بأسعار مدعومة و الحؤول دون احتكارها من التجار.
- تأمين تمويل من جهات خارجية أو جلب المستثمرين و حمايتهم بهدف تشييد معامل للإنتاج مشتقات القمح لما له من فائدة لكل أبناء المنطقة حيث ينهض بالعجلة الاقتصادية.

يسمح هذا المقال بالتصويب نحو مسار تطور الزراعة والعمل على تأهيل الزراعة مما يسمح بزيادة الإنتاجية والتنمية المستدامة في المنطقة.

ملحق الجداول :

جدول رقم 1:كلفة زراعة 10 دونم من القمح

البند	الكمية	السعر الإفرادي $	السعر الإجمالي $	السعر الإفرادي ل.ل	السعر الاجمالي ل.ل
ضمان أرض\ دونم	10			150.000	1.500.000
حراثة\دونم	10			30.000	300.000
زراعة\ دونم	10			35.000	350.000
ثمن بذور \ كلغ	250			3500	875.000
حدل \دونم	10			8000	80.000
ثمن مبيدات أعشاب \ ظرف – ربعية	2	12	12		
ثمن مبيدات فطرية وحشرية \ ربعية	4	6.5	26		
ثمن أسمدة \كلغ يوريا – سلفات الامونيوم	450	0.38	171		
ثمن رش المبيدات \ خزان	1			40.000	40.000
ثمن شوالات وأكياس	240			3000	720.000
أجرة حصاد \ دونم	1			60.000	600.000
أجرة عتالة عامل\10 ساعات	2			5000	100.000
كلفة ري \ساعة	30			20.000	600.000
المجموع			209		5.165.000

جدول رقم (2) يبين مواصفات القمح الطري المعتمدة في لبنان

الصنف	المواصفات
تل عمارة 2	إنتاجيته عالية, اعتمد عام 2001, مقاوم للجفاف, محتواه البروتيني جيد. مقاوم للصدأ الأصفر وصدأ الورق ومتحمل لمرض السبتوريا. يصلح للزراعة في منطقة البقاع الشمالي, الأوسط والغربي وفي عكار.

جدول رقم(3) مواصفات القمح القاسي المعتمد في لبنان

الصنف	المواصفات
لحن 2	إنتاجيته عالية، مقاوم للرقاد وامراض الصدا، اعتمد سنة 2004 . يصلح لصناعة البرغل و الفريكة والمعكرونة. يصلح للزراعة في البقاع الاوسط و الغربي، وفي عكار والبقاع الشمالي مع ري تكميلي.
تل عمارة 1	إنتاجيته عالية، مقاوم للأمراض الصدا،اعتمد سنة 2010 . يصلح لصناعة البرغل و المعكرونة، لا يتحمل الصقيع، ولكنه متحمل للجفاف، يمتاز في باكورية الاسبال،يصلح للزراعة في البقاع الاوسط و الشمالي.
تل عمارة 3	إنتاجيته عالية، اعتمد سنة 2013 . تمتاز حبوبه بجودة ونوعية عالية، يصلح لصناعة البرغل و المعكرونة. يمكن زراعته في كل المناطق اللبنانية.
بردوني (ميكي2)	اعتمد سنة 2013 . نوعية حبوبه جيدة، مقاوم للأمراض الصدأ. يصلح لصناعة البرغل والمعكرونة. مقاوم للرقاد ولأمراض الصدأ, يصلح للزراعة في جميع المناطق اللبنانية.
لحن 3 (أزيغار 2)	اعتمد سنة 2013 . نوعية حبوبه جيدة، مقاوم للأمراض الصدأ. يصلح لصناعة البرغل والمعكرونة. مقاوم للرقاد ولأمراض الصدأ, يصلح للزراعة في جميع المناطق اللبنانية.
غزيّل (ايكارشا 2)	اعتمد سنة 2013 . إنتاجيته عالية, يصلح لصناعة البرغل, السميد والمعكرونة. مقاوم للأمراض الصدأ, يصلح للزراعة في جميع المناطق اللبنانية.

مسرة	اعتمد سنة 2000 . إنتاجيته عالية, يصلح لصناعة البرغل والسميد. مقاوم لأمراض الصدأ, يصلح في الزراعة في منطقة البقاع الشمالي بدون ري تكميلي لتحمّله الجفاف.
إيطالي	يتميز بثخانة الساق و ذو سنبلة كبيرة و حبوب كبيرة , يستخدم لصناعة المعكرونة و البرغل, لا يتحمل ابدا الجفاف, بحاجة الى ري تكميلي اكثر من الاصناف الاخرى ، إنتاجيتة عالية، مقاوم للرقاد
تنوري	يتميز بطول ساقه وثخانة سنبلته وحبوب كبيرة، مقاوم للرقاد، بحاجة الى ري تكميلي، إنتاجيته عالية.
ستورك	إنتاجية عالية، يمكن استخدامه في الزراعة البعلية، مقاوم للرقاد، يصلح لصناعة البرغل والمعكرونة.

قائمة بالمراجع:

1- كتاب زراعة القمح في لبنان الصادر عن مصلحة تل عمارة.

2- مقال للدكتور حسين حمود تاريخ النشر سنة 2012 في مجلة الجيش حول أهمية القمح.

3- أصناف القمح المزروعة واحتياجاتها، صادرة عن مصلحة الابحاث الزراعية تل عمارة.

4- الدليل الحقلي لأهم آفات القمح والشعير، إعداد د. أحمد حسن كامل، نشرة فنية صادرة عن الإيكاردا سنة الإصدار 1985.

5- دليل الفلاح لزراعة القمح في المغرب.

6- دراسة موجزة عن زراعة القمح في مصر اصدار جامعة طنطا.

7- خطة عمل مشروع تطوير الزراعة المطرية ونقل التكنولوجيا الحديثة إلى المزارعين للموسم الزراعي 1996-1995 الصادر عن المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد)، دمشق، حزيران 1995.

2- التأثير الحراري والمطري على تباين مؤشر (NDVI) في مناطق مختارة من العراق

بقلم الدكتور: عدنان كريم گهار الجبوري
كلية المستقبل للجامعة/ قسم الإعلام
adnan.sport89@yahoo.com

تاريخ الاستلام:11/27/ 2021 تاريخ القبول:2021/12/14

The plant diversity was affected by temperature and rainfall in the governorates of Sulaymaniyah، Kirkuk and Muthanna

Researcher: Adnan Kareem Ghar Ali Al Jabouri
Prof. Dr. Salih Ati Al Mousawi

المستخلص

تؤثر العناصر المناخية على العمليات الحيوية للنبات ومنها النتح والتنفس والتمثيل الضوئي والامتصاص والنمو وخاصة مع ارتفاع درجات الحرارة بحدود معينة، والعكس صحيح عند انخفاض درجات الحرارة، فإن تلك النشاطات تقل ويصاب النبات بالضرر عند الانخفاض الشديد وكذلك الارتفاع الحاد للحرارة ايضا يعرض النبات لضرر. ويهدف البحث الى توضيح اثر درجة الحرارة والتساقط المطري في التنوع النباتي في محافظات السليمانية وكركوك والمثنى باستعمال مؤشر الاختلاف الخضري الطبيعي (NDVI) من خلال تقسيم السنة الى فصلين فصل جاف (الصيف والخريف) وفصل اخر رطب (الشتاء والربيع). وتم تحليل الخصائص المناخية في محافظات السليمانية وكركوك والمثنى ومعرفة مدى اثرها في اختلاف توزيع النبات الطبيعي في منطقة الدراسة بالاستعانة بالمرئيات الفضائية وتحليل التباين الزماني والمكاني للنبات الطبيعي بين اجزاء منطقة الدراسة ومعرفة حجم التغير بين الفصل الجاف والرطب لكل محافظة.

الكلمات المفتاحية : النبات الطبيعي، درجة الحرارة، التساقط المطري

Abstract

The elements that begin in the past and the research is to clarify the effect of temperature and rain fall on plant diversity in the governorates of Sulaymaniyah، Kirkuk and Muthanna using a commercial indicator Natural Vegetable Index (NDVI) by dividing the year into two seasons (summer and autumn) and another wet season (winter and spring)). Analyze the climatic fluctuation in the governorates of Sulaymaniyah، Kirkuk and Muthanna and find out the extent of its difference in the difference in the natural plant difference in the study area by visuals، oceanography and spatial sciences of plants between the parts of the study and knowledge of the size of the change between the dry and wet season for each governorate.

Key words: natural vegetation، temperature، rainfall

المقدمة

يجد المتتبع للنبات الطبيعي في العراق ذلك التنوع واضحاً، ويمكن رؤيته بوضوح في المحافظات الثلاث التي تحتل كل منها إقليماً مناخياً تختلف الواحدة فيها عن الأخرى، مما جعل ذلك التنوع يتباين بين غابات البحر المتوسط إلى حشائش الإستبس القصيرة إلى النباتات الصحراوية، وتحليل ذلك التنوع، على وفق المؤشرات والمعايير الخاصة بكثافة الغطاء النباتي ومقدار الاخضرار. لذلك تستخدم تقنيات الاستشعار عن بعد في مراقبة الغطاء النباتي وتقدير حالته العامة ودرجة تدهوره سواء كان هذا التدهور ناتجاً عن موجات الجفاف او عن قطع الأشجار او عن الرعي الجائر وغير ذلك، اعتماداً على ملاحظة الاستجابة الطيفية للغطاء النباتي [1]. وقد أصبحت تقنيات الحصول على البيانات والتي من بينها الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية تفرض نفسها بقوة مما يعني ضرورة الإلمام بهذه التقنيات وكيفية الاستفادة منها [2]. كما ان لهذه التقنيات أهمية وقدرات في إمكانية المراقبة والرصد لهذه الظواهر بمسافات واسعة جداً وبأوقات وأزمان مختلفة [3].

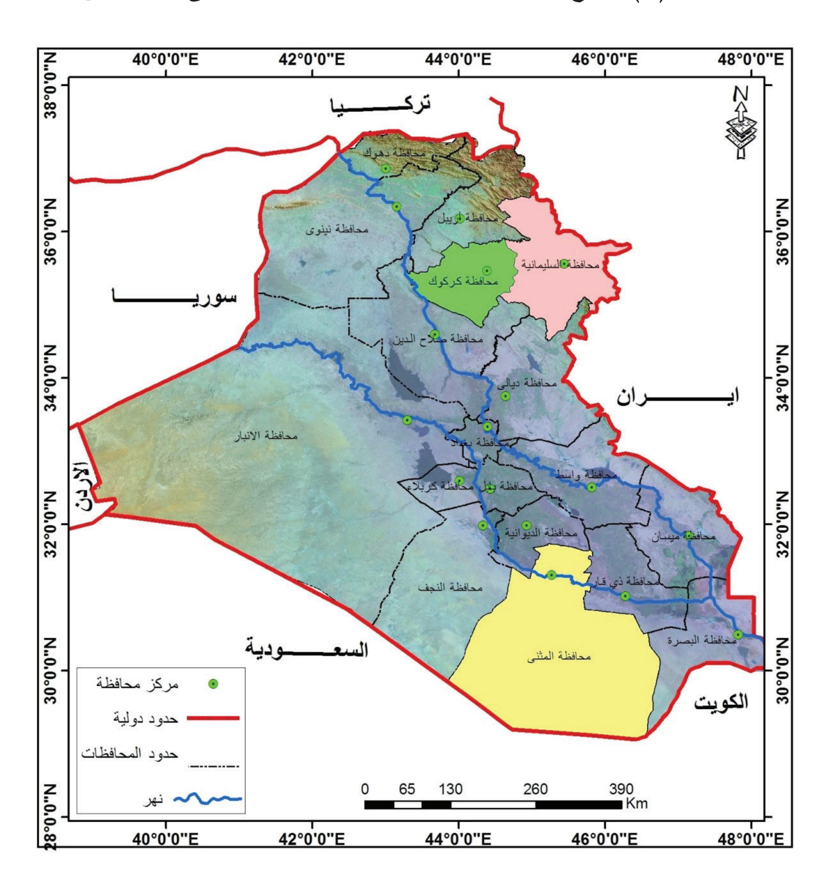
– **مشكلة الدراسة :** ما علاقة درجات الحرارة والتساقط المطري بتنوع النبات الطبيعي في محافظات السليمانية وكركوك والمثنى؟

– **فرضية الدراسة :** لدرجة الحرارة والتساقط المطري اثر كبير في تنوع الغطاء النباتي في محافظات السليمانية وكركوك والمثنى.

– **أهمية الدراسة :** تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على الجانب التطبيقي في الدراسات المناخية ومعرفة اثر الدور الذي تمارسه عناصر المناخ وبالتحديد درجة الحرارة والتساقط المطري في رسم صورة التباين المكاني والزماني للنبات الطبيعي بين الاقاليم المناخية في العراق وما لهذه الصورة من اهمية كبيرة في العديد من المجالات منها على سبيل المثال الاهمية البيئية والاقتصادية للنبات الطبيعي الذي يشكل العامل الرئيس في اضفاء الشكل البيئي المميز لكل إقليم.

– **حدود الدراسة :** تتمثل الحدود المكانية لمنطقة الدراسة بثلاث محافظات هي محافظة السليمانية التي تقع بين دائرتي عرض ($^{-}40$ $^{5}34$ – $^{-}15$ $^{5}36$ شمالا) وخطي طول ($^{-}30$ $^{5}44$ – $^{-}15$ $^{5}46$ شرقا) التي تحدها من الشمال الشرقي جمهورية إيران الإسلامية ومن الجنوب محافظة ديالى ومن الغرب محافظة كركوك ومن الشمال الغربي محافظة أربيل. ومحافظة كركوك التي تقع بين دائرتي عرض ($^{-}45$ $^{5}34$ _ $^{5}36$ شمالا) وخطي طول ($^{-}25$ $^{5}43$ – $^{-}44$ $^{5}44$ شرقاً) والتي تحدها من الشمال محافظة اربيل ومن الشرق محافظة السليمانية ومن الجنوب محافظة صلاح الدين، ومحافظة المثنى التي تقع بين دائرتي عرض ($^{-}05$ $^{5}29$ _ $^{-}42$ $^{5}31$ شمالاً) وخطي طول ($^{-}50$ $^{5}43$ – $^{-}32$ $^{5}46$ شرقاً) والتي تحدها من الشمال محافظة القادسية ومن الجنوب المملكة العربية السعودية ومن الغرب محافظة النجف الأشرف ومن الشرق والشمال الشرقي محافظة ذي قار والبصرة.

الخريطة (1) موقع محافظات السليمانية وكركوك والمثنى من للعراق



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Land sat 8، وبرمجيات نظم المعلومات الجغرافية GIS

درجة الحرارة لمنطقة الدراسة

إن درجة الحرارة العظمى والصغرى والمعدل الشهري، شهدت تبايناً في محطات منطقة الدراسة من شهر لآخر، إذ نلاحظ درجات الحرارة أخذت بالارتفاع التدريجي بدءاً من شهر آذار، وسجل هذا الشهر معدلاً حرارياً بلغ(13 و 16 و 20م^{0}) لكل من محطات السليمانية وكركوك والسماوة على التتالي إلى أن وصلت ذروتها خلال أشهر(حزيران وتموز وآب) إذ بلغت معدل درجة الحرارة لهذه الأشهر في محطة السليمانية (3،30 و 4،33 و 4،33م^{0}) على التتالي، وفي محطة كركوك(34 و 1،37 و 9،36م^{0}) على التتالي، في حين سجلت محطة السماوة معدلات بلغت(5،35 و 2،37 و 4،37م^{0}) على التتالي، ويعود السبب في ذلك الارتفاع في درجات الحرارة في تلك الأشهر إلى حركة

الشمس الظاهرية وتعامدها على مدار السرطان، مما جعل العراق تحت تأثيرها، وخلال شهر كانون الثاني سجلت معدلات درجات الحرارة المقدار الأدنى في محطات منطقة الدراسة فبلغت(8،6 و 6،9 و 8،11 م^0) على التتالي لكل محطة، ويعود ذلك الانخفاض الكبير في درجات الحرارة إلى حركة الشمس الظاهرية، إذ تزحزحت باتجاه النصف الجنوبي نحو مدار الجدي. وفيما يخص المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة الصغرى، فيتبين من الجدول (1)، بأن أدنى معدل الحرارة الصغرى سجل خلال أشهر(كانون الأول وكانون الثاني وشباط) بمعدلات بلغت (7،4 و 7،2 و 1،4م^0) كحرارة صغرى سنوية في محطة السليمانية، بينما سجلت محطة كركوك(5،6 و 9،4 و 9،6م^0)على التتالي للأشهر ذاتها، كما انخفضت تلك المقادير في محطة السماوة إلى(4،8 و 3،6 و6، 8م^0) ، ويعود هذا الانخفاض خلال تلك الأشهر إلى ميلان زاوية الأشعة الشمسية، فضلاً عن ذلك زيادة التقلبات الجوية، وقدوم المنخفضات المتوسطية والمندمج، والسوداني والمرتفع السايبيري والأوربي التي تعمل على خفض الحرارة [5].

الجدول(1) المعدل الشهري لدرجة الحرارة العظمى والصغرى (م^0) في محطات السليمانية وكركوك والسماوة للمدة (2007_2017)

الشهر المحطة	درجة الحرارة	كانون 2	شباط	آذار	نيسان	ماي	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المعدل السنوي
السليمانية	الصغرى	7،2	1،4	8	8،12	2،18	1،24	9،26	9،26	7،21	5،16	9	7،4	14،7
	العظمى	9،10	8،12	18	5،23	7،29	5،36	9،39	40	2،35	2،28	1،19	1،14	7،25
	المعدل	8،6	4،8	13	1،18	9،23	3،30	4،33	4،33	4،28	3،22	14	4،9	2،20
كركوك	الصغرى	9،4	9،6	4،10	3،15	1،22	1،27	30	7،29	25	1،20	3،11	5،6	4،17
	العظمى	4،14	2،17	6،21	8،27	9،34	9،40	2،44	1،44	38	7،30	23	2،17	5،29
	المعدل	6،9	12	16	5،21	5،28	34	1،37	9،36	5،31	4،25	1،17	8،11	4،23
السماوة	الصغرى	3،6	6،8	4،13	8،18	9،24	6،27	1،29	9،28	9،24	4،20	13	4،8	7،18
	العظمى	3،17	2،21	7،26	3،23	2،39	5،43	3،45	46	7،41	1،35	2،25	8،19	8،23
	المعدل	**8،11**	**9،14**	**20**	**5،25**	**32**	**5،35**	**2،37**	**4،37**	**3،33**	**7،27**	**1،19**	**1،14**	**7،25**

المصدر: الباحث بالاعتماد على جمهورية العراق، وزارة النقل، الهيأة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية.

التساقط المطري في منطقة الدراسة

إن كميات التساقط المطري تشهد تبايناً زمانياً على مدار السنة وتبايناً مكانياً بين محافظات السليمانية وكركوك والمثنى إذ تسجل أعلى كمية للتساقط المطري في فصل الشتاء (كانون الأول وكانون الثاني وشباط) بمجموع مقداره (84،3 و 104،5 و 106،7ملم) على التتالي في محطة السليمانية، فيما سجلت محطة كركوك تساقطاً مطرياً مقداره (41،8 و 43،8 و 32،3ملم) على التتالي، في حين سجلت محطة السماوة (12،4 و 12،9 و 8،4ملم) على التتالي، أما في فصل الربيع (آذار ونيسان وماي) فنلاحظ انخفاض مقدار الأمطار عما كانت عليه في فصل الشتاء باستثناء شهر آذار الذي سجل كمية أمطار مقاربة لأشهر فصل الشتاء في جميع محطات منطقة الدراسة، إذ بلغت المقادير (90،3 و 80،5 و 31،2 ملم) على التتالي في محطة السليمانية، أما محطة كركوك فسجلت (48،3 و 29،9 و 13،7 ملم) على التتالي، في حين سجلت محطة السماوة (10،7 و 11 و 8،22 ملم) على التتالي، ونلاحظ أن فصل الصيف المتمثل بأشهر (حزيران وتموز وآب) ينقطع به التساقط المطري تماماً الا بعض القطرات التي سجلتها محطة السليمانية لشهر حزيران، ويعود السبب إلى انتقال نطاقات هبوب الرياح الغربية نحو الشمال صيفاً وبذلك تفقد منخفضات البحر المتوسط تأثيراتها على العراق وتكون المنطقة متأثرة بالرياح القارية المدارية التي تتصف بالجفاف والحرارة المرتفعة[6].

الجدول(2) معدل المجموع الشهري والمجموع السنوي للتساقط المطري بـ(الملم) في محطات السليمانية وكركوك والسماوة للمدة (2007 - 2017)

الشهر / المحطة	كانون 2	شباط	آذار	نيسان	ماي	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين 1	تشرين 2	كانون 1	المجموع السنوي
السليمانية	104.5	106.7	90.3	80.5	31.2	0.7	_	_	2.4	46.2	85.8	84.3	632.6
كركوك	43.8	32.3	48.3	29.9	13.7	_	_	_	0.2	15.2	40.4	41.8	265.6
المثنى	12.9	8.4	10.7	11	8.2	_	_	_	0.1	5.3	15.2	12.4	84.4

المصدر: بالاعتماد على جمهورية العراق، وزارة النقل، الهيأة العامة للأنواء الجوية، قسم المناخ، بيانات (غير منشورة).

حساب مؤشر الغطاء النباتي

هو مؤشر بسيط يمكن استخدامه لتحليل قياسات الاستشعار عن بعد، غالباً من منصة

فضائية، ويمكن من خلاله التقييم إذا ما كان الهدف الذي يتم ملاحظته يحتوي على نباتات خضراء طبيعية أم محاصيل زراعية. ويستخدم هذا المؤشر لقياس كثافة الغطاء النباتي ودرجة الخضرة ويتراوح مقداره بين (1 – إلى 1) اذ يشير المقدار الموجب الى وجود غطاء نباتي والمقدار السالب ما يعني ان الاراضي بور، ويعتمد مؤشر (NDVI) على الخصائص الطيفية للغطاء النباتي ويعرف بانه فرق الانعكاس بين الاشعة تحت الحمراء والحمراء مقسوما على حاصل جمع الانعكاس لهما وفي حالة حساب مؤشر الغطاء النباتي يمكن اعتماد المعادلة الآتية[4]:

NDVI=NIR-RED/NIR+RED

اذ ان :

(NDVI)= مؤشر الاختلاف الخضري الطبيعي

NIR= نطاق الاشعة تحت الحمراء القريبة (Band 5)

RED= نطاق الاشعة الحمراء (Band4)، مرئية فضائية من القمر الامريكي Landsat L8

ثانيا– التحليل المكاني والزماني للتغيرات المساحية لمتغيرات الدراسة

تعد المعلومات الصحيحة والدقيقة، القائمة على التحليل العلمي أحد الشروط الرئيسة، التي تقودنا الى الاستعمال الأمثل والمستدام للموارد الأرضية، اذ تظهر أهمية البحث في توفيره المعلومات والخرائط الخاصة بأصناف استعمالات الأرض والغطاء الأرضي للمنطقة، من أجل التخطيط لاستعمالات الأرض بشكل مستدام والإدارة الصحيحة للموارد، ومن ثم تحقيق التنمية والرفاء الاجتماعي والاقتصادي، اذ تهدف الدراسة إلى استخدام التحسس المائي والمعالجة الرقمية للمرئية الفضائية المتوافرة، من أجل تصنيف الغطاء الأرضي واستخدام نظم المعلومات الجغرافية في الإدخال وخزن البيانات والمعالجة والتحليل والإخراج للنتائج، ومن ثم بيان الصورة النهائية لدور المقاومة الطبيعية والبشرية، التي تظهر عليها تلك الاصناف للمنطقة. تم تقسيم الدراسة في منطقة الدراسة الى موسم جاف (فصل الصيف والخريف) وموسم رطب (فصل الشتاء وفصل الربيع)، ففي الموسم الجاف يلاحظ ارتفاع درجات الحرارة العظمى والصغرى، وانخفاض كميات الامطار أو انقطاعها نهائياً، وعلى العكس من ذلك يلاحظ في الموسم الرطب انخفاض درجة الحرارة العظمى والصغرى، وارتفاع كميات التساقط المطري، وقد تم تقسيم منطقة الدراسة كل محافظة على حدة وهي كالآتي :

محافظة السليمانية

1. الموسم الجاف لسنة 2017

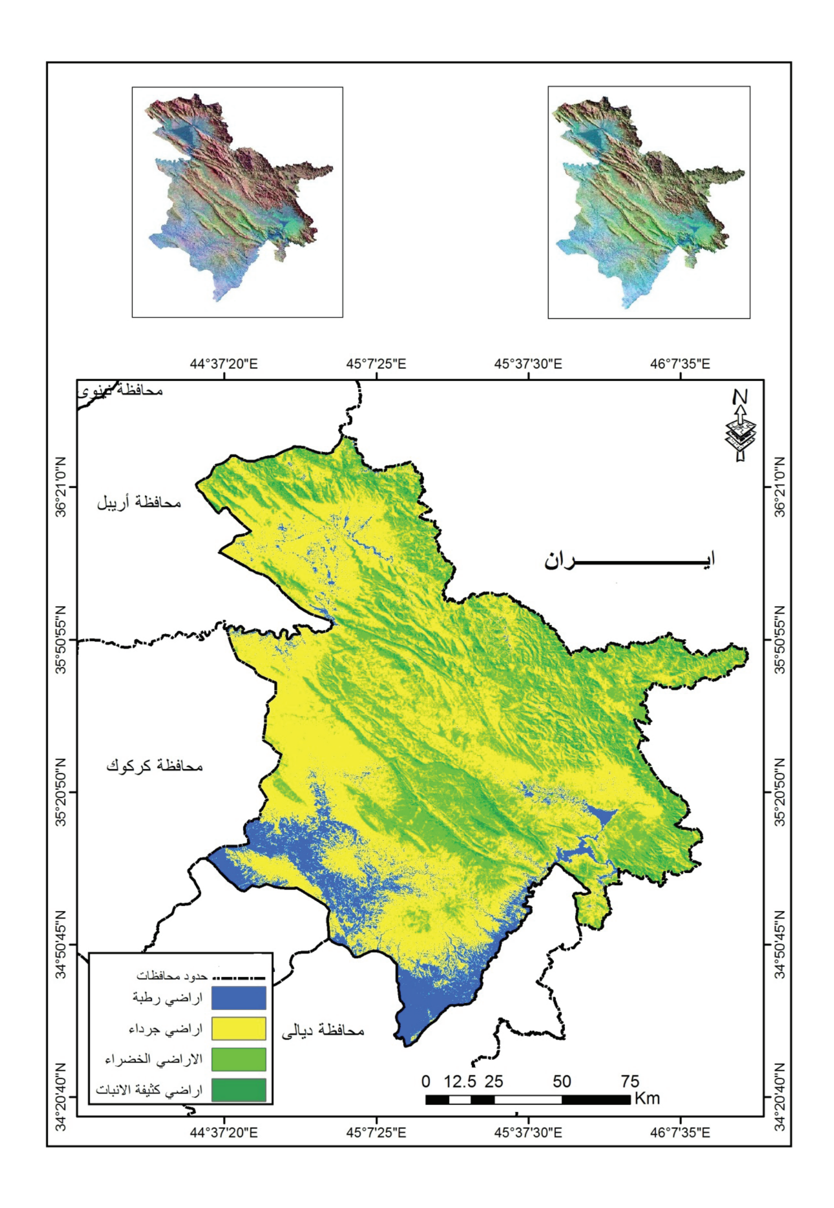
يلاحظ من معطيات الجدول (3) والخريطة (2) والشكل (1) ان هناك تبايناً في نوع النبات الطبيعي ومساحاته في محافظة السليمانية اذ بلغت مساحة الاراضي الرطبة (2074.8 كم^2) وبنسبة (10.3 %) من مساحة الكلية، بينما بلغت مساحة الاراضي الجرداء (10777.0 كم^2) وبنسبة (53.5 %) بينما بلغت الاراضي الخضراء (5096.4 كم^2) وبنسبة (25.3 %) بينما بلغت مساحة الاراضي كثيفة الانبات (2195.7كم^2) وبنسبة (10.9 %) ، ويلاحظ ارتفاع درجات الحرارة اذ بلغت الحرارة العظمى لأشهر الصيف معدلا مقداره (19.5) درجة مئوية ولأشهر الخريف (15.5)، اما درجة الحرارة الصغرى لأشهر الصيف فكانت (12.9) درجة مئوية ولأشهر الخريف (8.8) وانخفاض كمية الامطار اذ بلغت (114.8 ملم)، لذلك يلاحظ ارتفاع نسب الاراضي الجرداء لتصل الى (53.5%) من المساحة الكلية للمنطقة.

جدول (3) مساحة الغطاء النباتي في محافظة السليمانية ونسبته المئوية للموسم الجاف لسنة 2016 - 2017

	وصف النبات الطبيعي	المساحة كم	النسبة المئوية	معدل الحرارة العظمى (م°)		معدل الحرارة الصغرى (م°)		كمية الامطار ملم	
				الصيف	الخريف	الصيف	الخريف	الصيف	الخريف
1	الاراضي الرطبة	2074.8	10.3						
2	الاراضي الجرداء	10777.0	53.5	19.5	15.5	12.9	8.8	0	114.8
3	الاراضي الخضراء	5096.4	25.3						
4	الاراضي كثيفة الانبات	2195.7	10.9						
	المجموع	20144	100	34.1		21.7		114.8	

المصدر : 2 – المرئية الفضائية landseat8 بتاريخ 4/9/ 2017 و 7/7/2017 والاعتماد على العمليات الحسابية في بيئة ARC MAP GIS V10.7 صورة الفضائية والمأخوذة من القمر الصناعي landseat والمصححة حسب نظام الإسقاط (WGS 84-UTM – ZONE 38 N)، باستخدام برنامج Arc-GIS v10.7 .

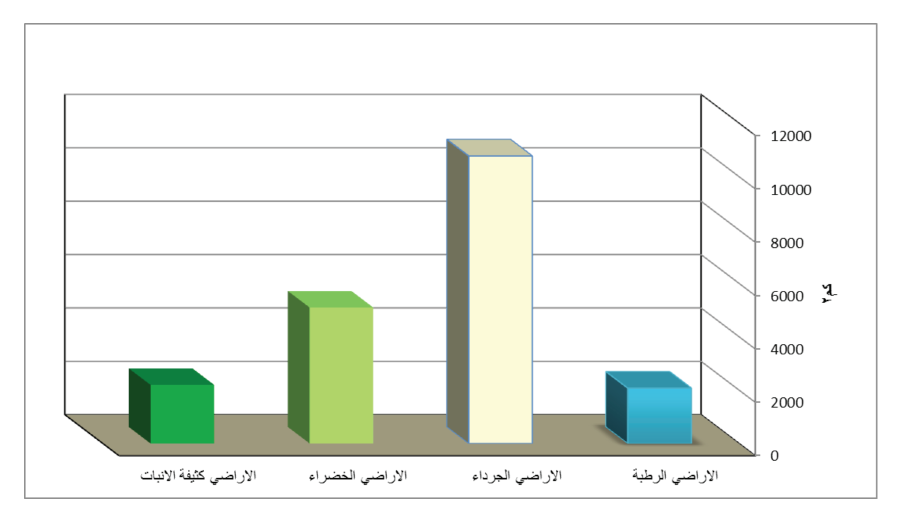
الخريطة (2) تنوع النبات الطبيعي في محافظة السليمانية للموسم الجاف لسنة 2017



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8، حيث تم استخراج خريطة التغطية النباتات من دمج مرئيتين المرئية الأولى هي الغطاء الارضي والمرئية الثانية هي الغطاء النباتي للحصول على المخرجات النهائية للخريطة.



الشكل (1) تنوع النبات الطبيعي في محافظة السليمانية للموسم الجاف لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (21)

2 - الموسم الرطب 2016 - 2017

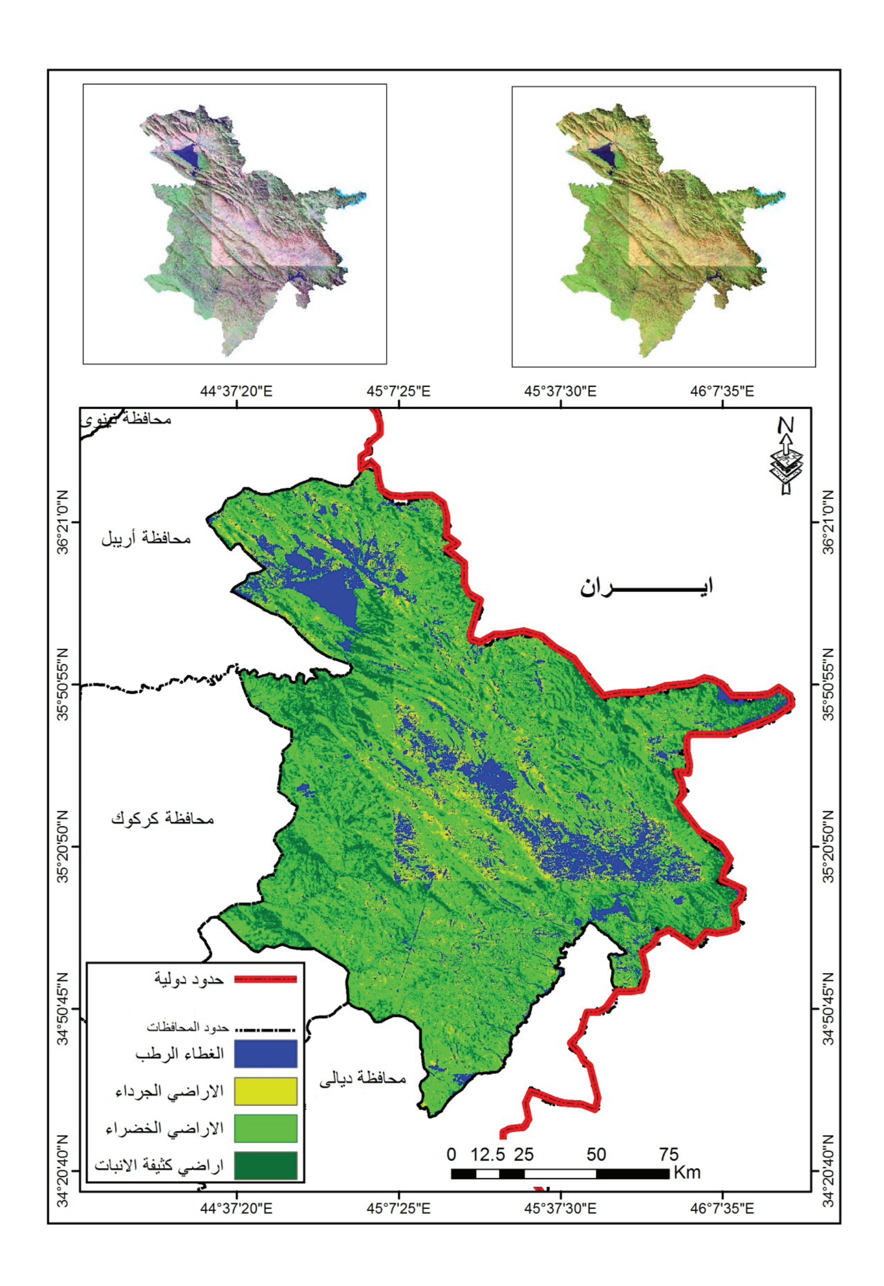
يلاحظ من معطيات الجدول (4) والشكل (2) والخريطة (3)، ان هناك تبايناً في مساحة النبات الطبيعي للموسم الرطب أذ بلغت مساحة الاراضي الرطبة (**5116.6** كم^2) وبنسبة (25.4 %) بينما بلغت مساحة الاراضي الجرداء (946.8 كم^2) وبنسبة (4.7 %) من المساحة الكلية للمحافظة، بينما بلغت مساحة الاراضي الخضراء (7070.5 كم^2) وبنسبة (35.1 %) بينما بلغت مساحة الاراضي كثيفة الانبات (7010.1كم^2) وبنسبة (34.8 %) من المساحة الكلية، ويلاحظ في هذا الموسم انخفاض معدل درجات الحرارة، اذ بلغت العظمى في أشهر الشتاء معدلاً مقداره (6.5) درجة مئوية والحرارة الصغرى (2.5) درجة مئوية بينما بلغت درجات الحرارة لأشهر الربيع، بمقدار (10.6) ، والصغرى بلغ معدلها (6.6) درجة مئوية، بينما ارتفعت كمية الامطار حتى بلغت (517.8 ملم) .

جدول (4) مساحة الغطاء النباتي في محافظة السليمانية ونسبته المئوية للموسم الرطب لسنة 2016 - 2017

<table>
<tr><th colspan="2">وصف النبات الطبيعي</th><th>المساحة كم²</th><th>النسبة المئوية</th><th colspan="2">معدل الحرارة العظمى م°</th><th colspan="2">معدل الحرارة الصغرى م°</th><th colspan="2">كمية الامطار ملم</th><th></th></tr>
<tr><td>1</td><td>الاراضي الرطبة</td><td>5116.6</td><td>25.4</td><td>شتاء</td><td>ربيع</td><td>شتاء</td><td>ربيع</td><td>شتاء</td><td>ربيع</td><td></td></tr>
<tr><td>2</td><td>الاراضي الجرداء</td><td>946.8</td><td>4.7</td><td rowspan="3">6.5</td><td rowspan="3">10.6</td><td rowspan="3">2.5</td><td rowspan="3">6.6</td><td rowspan="3">358.9</td><td rowspan="3">158.9</td><td></td></tr>
<tr><td>3</td><td>الاراضي الخضراء</td><td>7070.5</td><td>35.1</td><td></td></tr>
<tr><td>4</td><td>الاراضي كثيفة الانبات</td><td>7010.1</td><td>34.8</td><td></td></tr>
<tr><td colspan="2">المجموع</td><td>20144.0</td><td>100</td><td colspan="2">17.1</td><td colspan="2">9.1</td><td colspan="2">517.8</td><td></td></tr>
</table>

المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

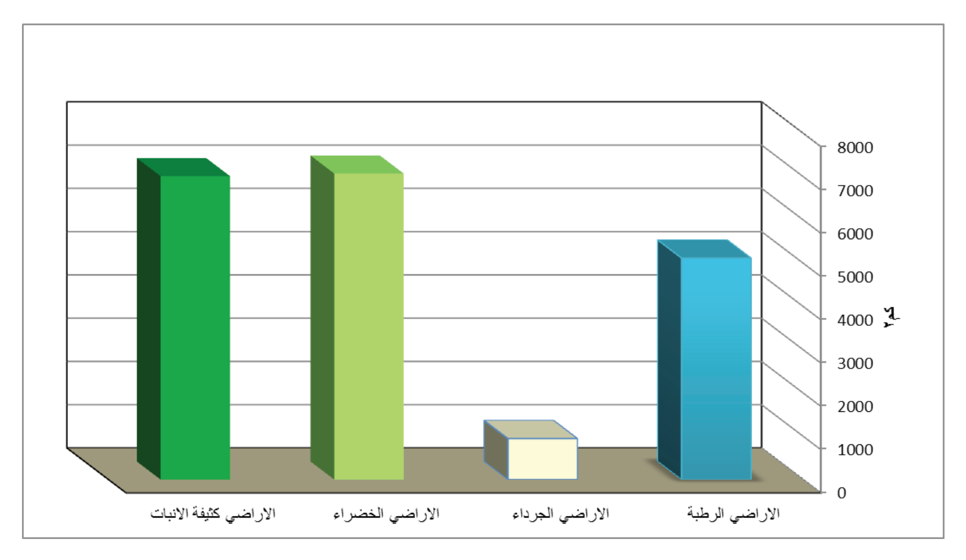
الخريطة (3) مساحة تنوع النبات الطبيعي في محافظة السليمانية للموسم الرطب لسنة 2016– 2017



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8، حيث تم استخراج خريطة التغطية النباتات من دمج مرئيتين المرئية الأولى هي الغطاء الارضي والمرئية الثانية هي الغطاء النباتي للحصول على المخرجات النهائية للخريطة.



الشكل (2) تنوع النبات الطبيعي في محافظة السليمانية للموسم الرطب لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (4)

3. حساب معدل التغيّر والنسبة المئوية للموسم الجاف والموسم الرطب لسنة 2016 _ 2017

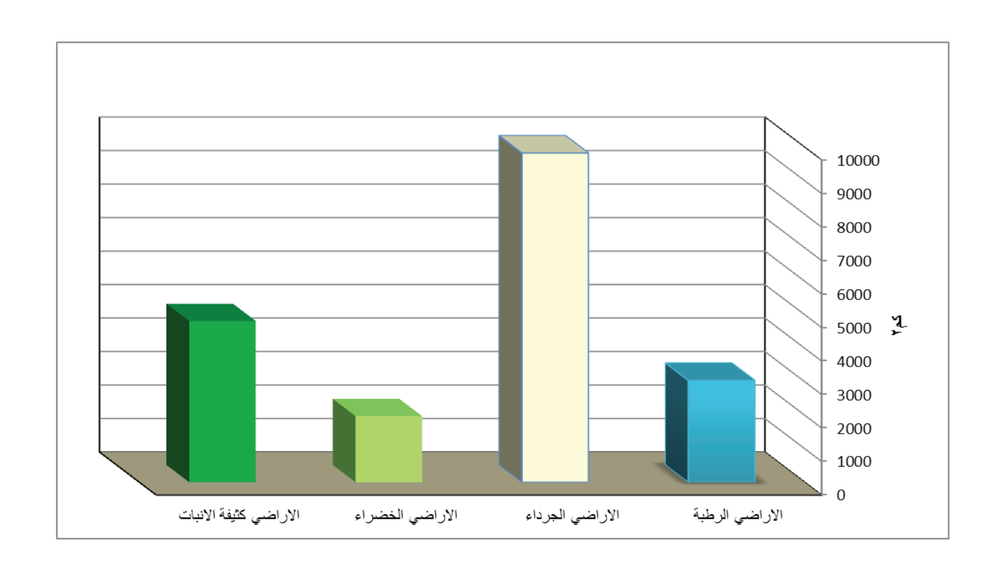
يتبين من خلال معطيات الجدول (5) والشكل (3) ان هناك تباينا في معدل التغير بين الموسمين اذ يلاحظ ان اعلى مساحة للتغير كانت في الاراضي الجرداء اذ بلغت (9830.2) كم^2 وبنسبة (50 %)، بينما في المرتبة الثانية تأتي الاراضي كثيفة الانبات اذ بلغت (4814.4 كم^2) وبنسبة (24.5 %)، وفي المرتبة الثالثة تأتي الاراضي الرطبة اذ بلغت (3041.8 كم^2) وبنسبة (15.5 %)، اما بالمرتبة الاخيرة فتأتي الاراضي الخضراء اذ بلغت (1974.1 كم^2) وبنسبة (10 %) اذ يلاحظ أن اثراً كبيراً لمعدل درجة الحرارة المتباين بين الصيف والخريف، من جهة والشتاء والربيع من جهة أخرى، ومقدار الفرق الكبير في كمية التساقط المطري، بين الموسمين الجاف والرطب، في تنوع المساحات للنبات الطبيعي في المحافظة.

جدول (5) مساحة النبات في الموسم الجاف والرطب ومعدل التغير للموسمين لسنة 2016 - 2017

وصف النبات الطبيعي		المساحة في الموسم الجاف كم^2	المساحة في الموسم الرطب كم^2	التغير كم^2	النسبة المئوية
١	الاراضي الرطبة	2074.8	5116.6	3041.8	15.5
٢	الاراضي الجرداء	10777.0	946.8	9830.2	50.0
٣	الاراضي الخضراء	5096.4	7070.5	1974.1	10.0
٤	الاراضي كثيفة الانبات	2195.7	7010.1	4814.4	24.5
المجموع		20144	20144.0	19660.5	100.0

المصدر: الباحث بالاعتماد على الجدولين (21) (22)

الشكل (3) مساحة التغيّر بين الموسم الجاف والموسم الرطب لسنة 2016 -2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (23)

محافظة كركوك

1 - الموسم الجاف لسنة 2017

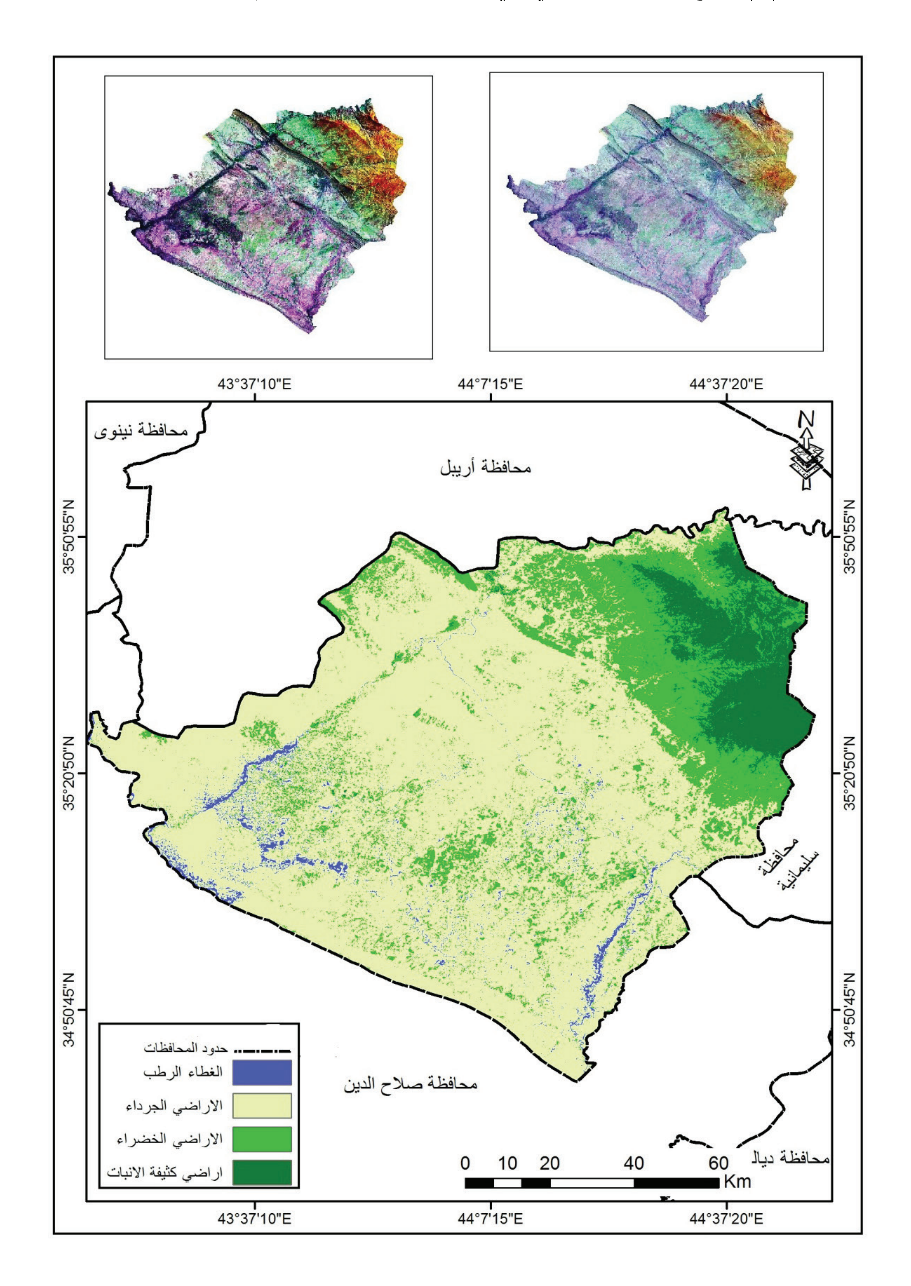
يلاحظ من معطيات الجدول (6) والخريطة (4) والشكل (4) ان هناك تبايناً في المساحات للنبات الطبيعي اذ بلغت مساحة الاراضي الرطبة (513 كم^2) وبنسبة (5.3 %)، بينما بلغت مساحة الاراضي الجرداء (5962.3 كم^2) وبنسبة (61.6 %) بينا بلغت مساحة الاراضي الخضراء (1964.8 كم^2) وبنسبة (20.3 %)، اما النباتات كثيفة الانبات فقد بلغت (1238.9 كم^2) وبنسبة (12.8 %) من المساحة الكلية للمحافظة، إذ بلغت درجة الحرارة العظمى لأشهر الصيف معدلاً مقداره (21.2) ولأشهر الخريف (17.1) ، أما درجة الحرارة الصغرى لأشهر الصيف فكانت (14.6) ولأشهر الخريف (10.2) درجة مئوية وبكمية الامطار بلغت (43.8 ملم).

جدول (6) مساحة الغطاء النباتي في محافظة كركوك ونسبته المئوية للموسم الجاف لسنة 2017

	وصف النبات الطبيعي	المساحة كم/	النسبة المئوية	معدل الحرارة العظمى م°		معدل الحرارة الصغرى م°		كمية الامطار ملم		
1	الاراضي الرطبة	513.0	5.3	الصيف	الخريف	الصيف	الخريف	الصيف	الخريف	
2	الاراضي الجرداء	5962.3	61.6							
3	الاراضي الخضراء	1964.8	20.3	21.2	17.1	14.6	10.2	0	43.8	
4	الاراضي كثيفة الانبات	1238.9	12.8							
	المجموع	9679.0	100	38.3		24.8		43.8		

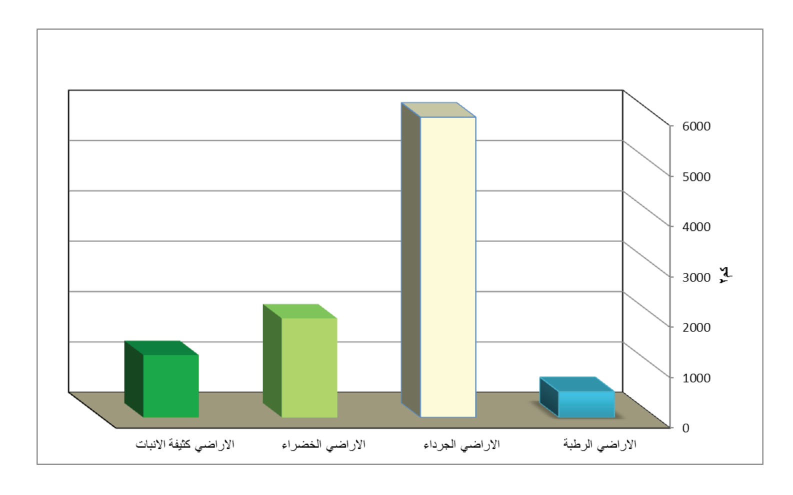
المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

الخريطة (4) تنوع النبات الطبيعي في محافظة كركوك للموسم الجاف لسنة 2017



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

الشكل (4) مساحة تنوع النبات الطبيعي في محافظة كركوك للموسم الجاف لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (6)

2 – الموسم الرطب لسنة 2016 – 2017

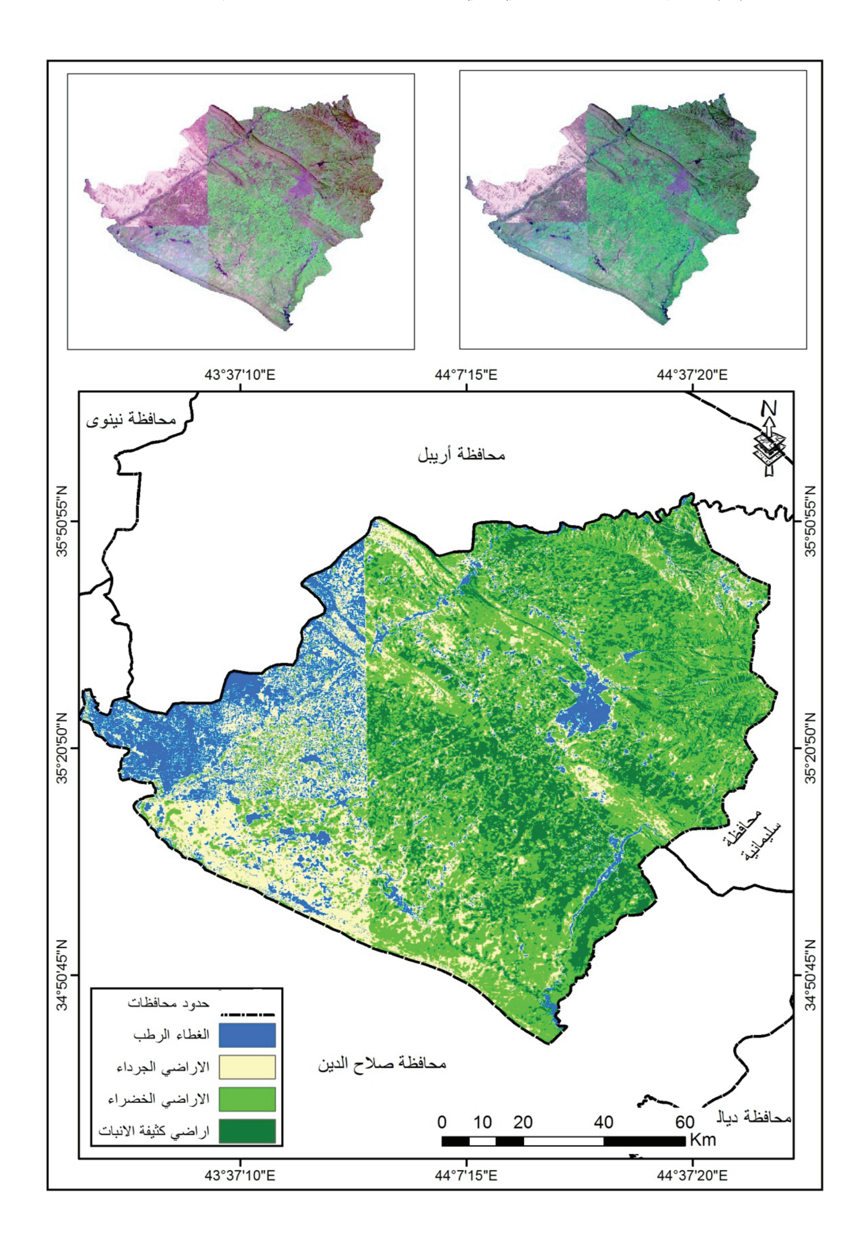
يلاحظ من معطيات الجدول (7) والخريطة (5) والشكل (5) أن هناك تبايناً في مساحات النبات الطبيعي للموسم الرطب اذ بلغت مساحة الاراضي الرطبة (1955.2 كم^2) وبنسبة (20.2 %) بينما بلغت مساحة الاراضي الجرداء (609.8 كم^2) وبنسبة (6.3 %) بينما الاراضي الخضراء كانت مساحتها (4229.7 كم^2) وبنسبة (43.7 %) بينما بلغت مساحة الاراضي كثيفة الانبات والسيقان الطويلة (2884.3كم ^{2}) وبنسبة (29.8 %) من المساحة الكلية للمحافظة، ويلاحظ في هذا الموسم انخفاض معدل درجات الحرارة، إذ بلغت العظمى في أشهر الشتاء معدلاً مقداره (8.2) والصغرى (5)، بينما بلغت درجات الحرارة لأشهر الربيع، العظمى بمقدار (12.4)، والصغرى بلغ معدلها (5.01) درجة مئوية وبكمية امطار بلغت (221.8 ملم) .

جدول (7) مساحة الغطاء النباتي في محافظة كركوك ونسبته المئوية للموسم الرطب لسنة 2016 - 2017

	وصف النبات الطبيعي	المساحة	النسبة المئوية	معدل الحرارة العظمى (مْ)		معدل الحرارة الصغرى (مْ)		كمية الامطار ملم	
				شتاء	ربيع	شتاء	ربيع	شتاء	ربيع
1	الاراضي الرطبة	1955.2	20.2						
2	الاراضي الجرداء	609.8	6.3						
3	الاراضي الخضراء	4229.7	43.7	8.2	12.4	5	5.01	131.8	90
4	الاراضي كثيفة الانبات	2884.3	29.8						
	المجموع	9679.0	100	20.6		10.01		221.8	

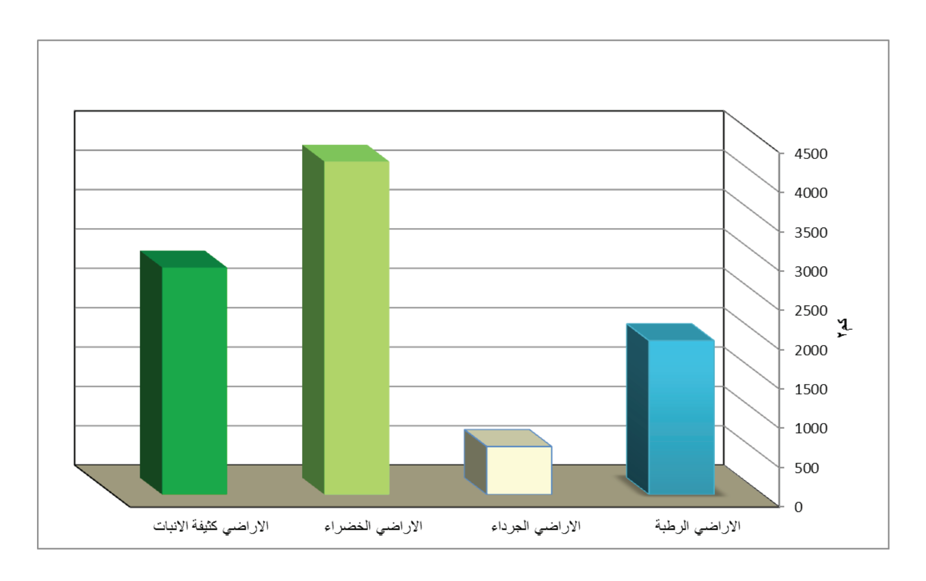
المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

الخريطة (5) تنوع النبات الطبيعي في محافظة كركوك للموسم الرطب لسنة 2017



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

الشكل (5) مساحة تنوع النبات الطبيعي في محافظة كركوك للموسم الرطب لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (7)

3. حساب معدل التغيّر والنسبة المئوية للموسم الجاف والموسم الرطب لسنة 2017

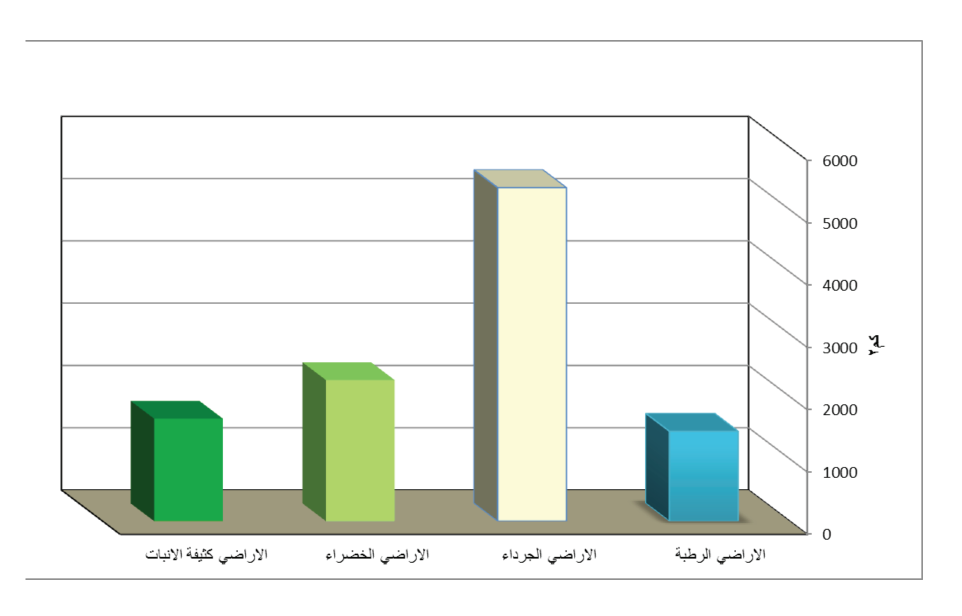
يتبين من خلال الجدول (8) والشكل (6) ان هناك تغيراً في مساحات الغطاء النباتي اذ يلاحظ ان اعلى مساحة للتغير كانت في الاراضي الجرداء اذ بلغت المساحة المتغيرة (5352.5 كم^2) وبنسبة (% 50)، بينما في الدرجة الثانية فتأتي الاراضي الخضراء بمساحة (2264.9 كم^2) وبنسبة (21.1 %)، اما في المرتبة الثالثة فتأتي الاراضي كثيفة الانبات اذ بلغت (1645.4 كم^2) وبنسبة (15.4 %)، اما بالمرتبة الاخيرة فتأتي الاراضي الرطبة اذ بلغت (1442.2 كم^2) وبنسبة (13.5 %) من المساحة الكلية لمحافظة كركوك.

جدول (8) مساحة الموسم الجاف والرطب في محافظة كركوك ومعدل التغير للموسمين لسنة 2016 - 2017

	وصف النبات الطبيعي	المساحة في الموسم الجاف كم²	المساحة في الموسم الرطب كم²	التغير كم²	النسبة المئوية
1	الاراضي الرطبة	513	1955.2	1442.2	13.5
2	الاراضي الجرداء	5962.3	609.8	5352.5	50.0
3	الاراضي الخضراء	1964.8	4229.7	2264.9	21.1
4	الاراضي كثيفة الانبات	1238.9	2884.3	1645.4	15.4
	المجموع	**9679**	**9679**	**10705**	**100.0**

المصدر : الباحث بالاعتماد على الجدولين (24)(25)

الشكل (6) مساحة التغيّر بين الموسم الجاف والموسم الرطب في محافظة كركوك لسنة 2016- 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (7) (8)

محافظة المثنى

أ. الموسم الجاف لسنة 2017

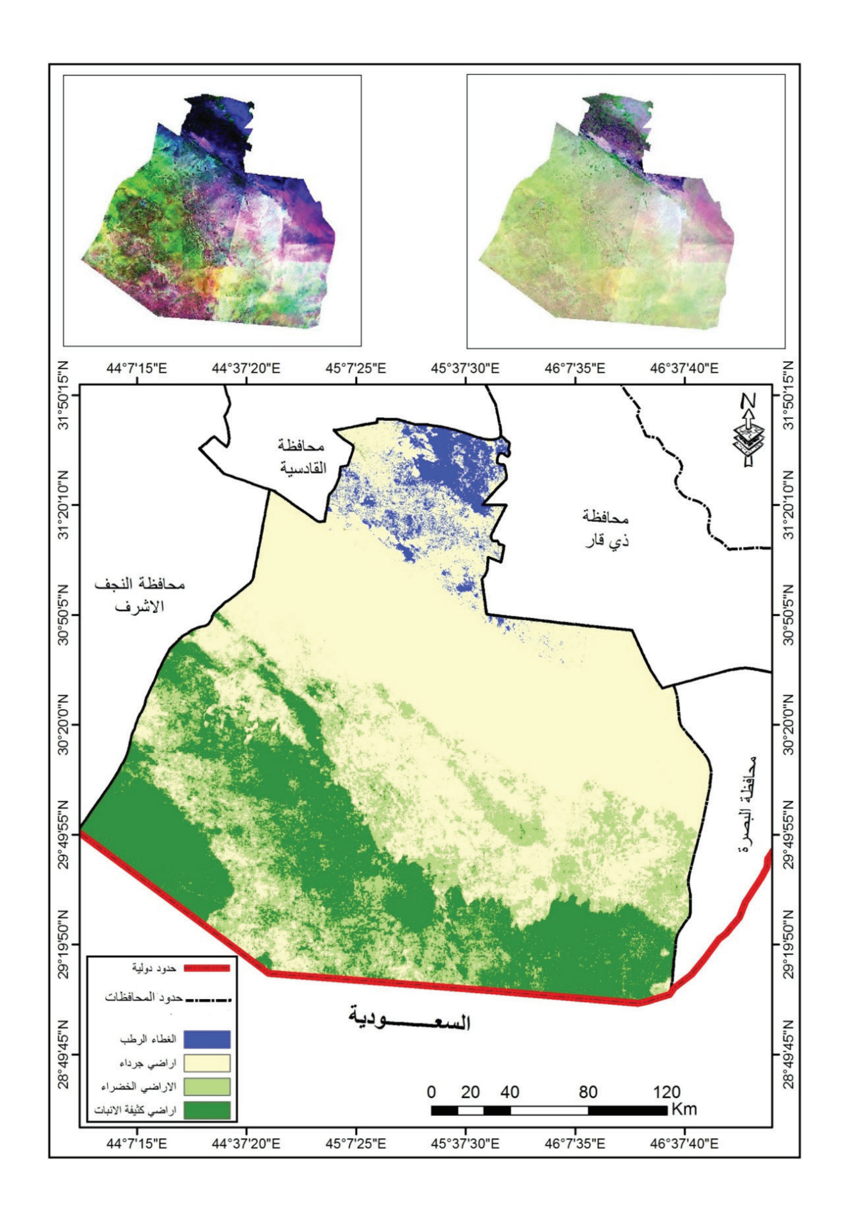
يلاحظ من معطيات الجدول (9) والخريطة (6) والشكل (7) ان هناك تبايناً في المساحات للنبات الطبيعي للموسم الجاف، اذ يلاحظ ان مساحة الاراضي الرطبة بلغت (3518.3 كم^2) وبنسبة (6.8 %)، اما الاراضي الجرداء فقد بلغت (30112.7 كم^2) وبنسبة (58.2 %) بينما بلغت مساحة الاراضي الخضراء (9778.9 كم^2) وبنسبة (18.9 %)، بينما بلغت مساحة الاراضي كثيفة الانبات (8330.1 كم^2) وبنسبة (16.1 %) من المساحة الكلية لمحافظة المثنى ، فضلاً عن ذلك يلاحظ ارتفاع درجات الحرارة اذ بلغت درجة الحرارة العظمى لأشهر الصيف معدلاً مقداره (24.7) ولأشهر الخريف (16.6) ، أما درجة الحرارة الصغرى لأشهر الصيف فكانت (16.9) ولأشهر الخريف (8.8) درجة مئوية مع انخفاض في كمية الامطار اذ بلغت (19.3 ملم)، ومن ذلك يلاحظ اتساع الرقعة المعرضة للتصحر وبالتالي اتساع المساحة الجرداء وانخفاض الاراضي الخضراء في محافظة المثنى .

الجدول (9) مساحة الغطاء النباتي في محافظة المثنى ونسبته المئوية للموسم الجاف 2017

	وصف النبات الطبيعي	المساحة كم^2	النسبة المئوية	معدل الحرارة العظمى		معدل الحرارة الصغرى		كمية الامطار ملم	
				الصيف	الخريف	الصيف	الخريف	الصيف	الخريف
1	الاراضي الرطبة	3518.3	6.8	24.7	16.6	16.9	8.8	0	19.3
2	الاراضي الجرداء	30112.7	58.2						
3	الاراضي الخضراء	9778.9	18.9						
4	الاراضي كثيفة الانبات	8330.1	16.1						
	المجموع	51740	100	41.3		25.7		19.3	

المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

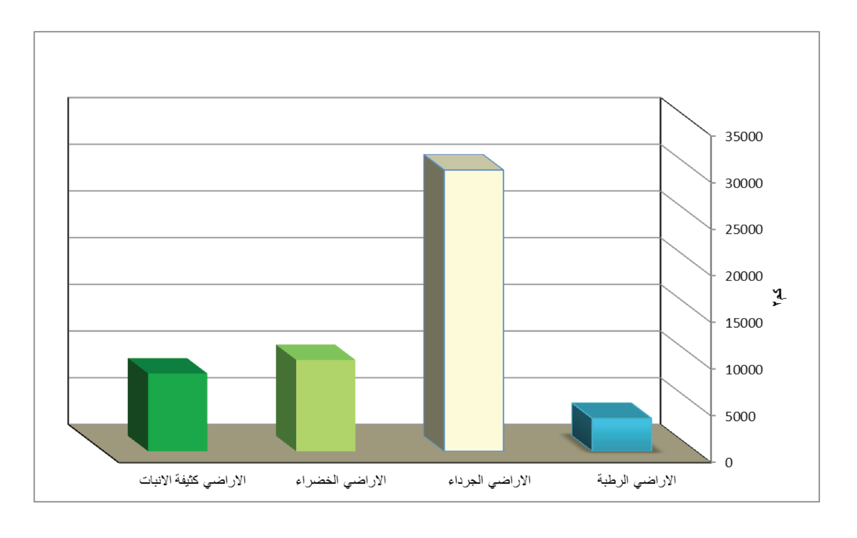
الخريطة (6) تنوع النبات الطبيعي في محافظة المثنى للموسم الجاف لسنة 2017



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8



الشكل (7) تنوع النبات الطبيعي في محافظة المثنى للموسم الجاف لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (9)

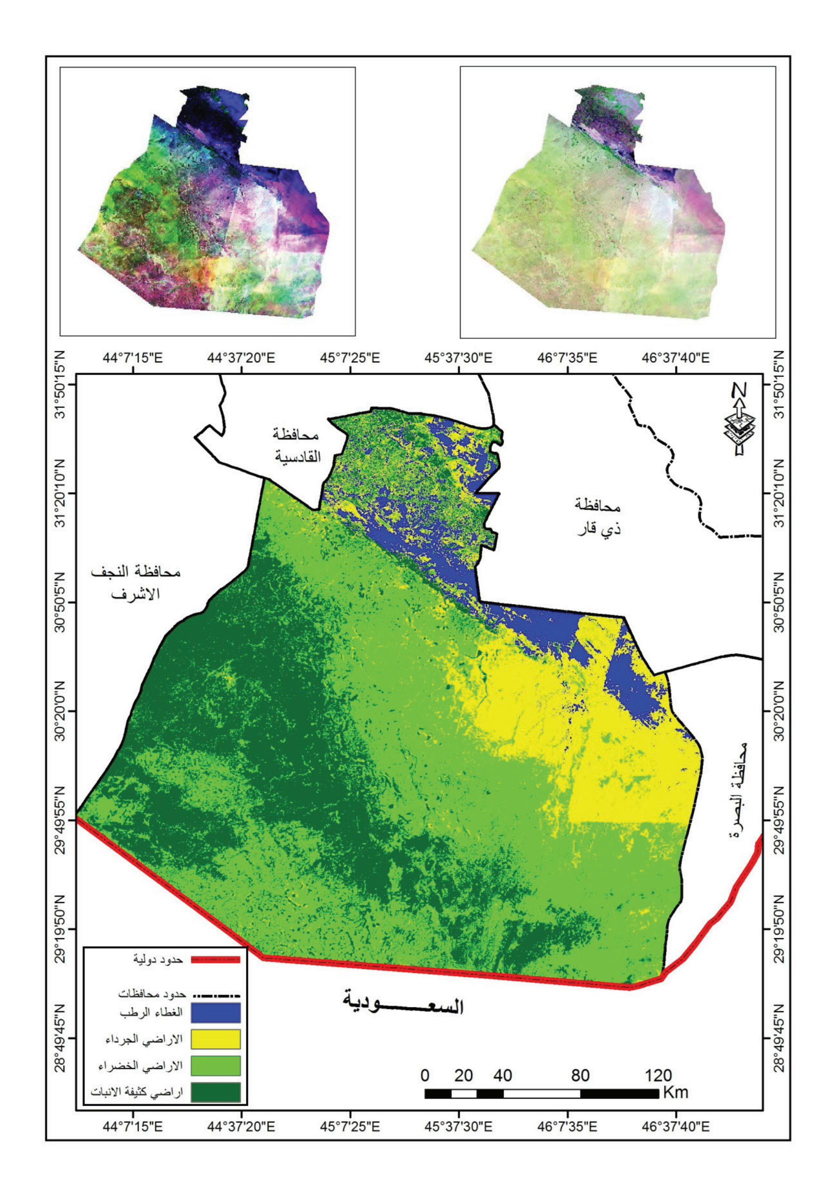
2. الموسم الرطب لسنة 2016 - 2017: يتبين من معطيات الجدول (10) والخريطة (7) والشكل (8) ان هناك تبايناً في مساحات النبات الطبيعي اذ بلغت مساحة الاراضي الرطبة (11020.6 كم^2) وبنسبة (21.3 %) بينما بلغت مساحة الاراضي الجرداء (5587.9 كم^2) وبنسبة (10.8 %)، اما مساحة الاراضي الخضراء فقد بلغت (20799.5 كم^2) وبنسبة (40.2 %)، بينما بلغت مساحة الاراضي الكثيفة الانبات (14332 كم^2) وبنسبة بلغت (27.7 %) ، ويلاحظ ان اتساع النبات الطبيعي في الموسم الرطب كان لانخفاض درجات الحرارة عنه في الموسم الجاف اذ بلغت درجة الحرارة العظمى في أشهر الشتاء معدلاً مقداره (8) والصغرى (3.2)، بينما بلغت درجات الحرارة لأشهر الربيع، العظمى بمقدار (16.2)، والصغرى بلغ معدلها (8.4) درجة مئوية، فضلاً عن ارتفاع كمية الامطار اذ بلغت (74.9 ملم) . يلاحظ مما تقدم ان النباتات كثيفة الانبات في محافظة المثنى تشكل (27.7 %) من المساحة في الموسم الرطب وهذا يعود الى اتساع مساحة البادية الغربية في محافظة المثنى والتي تتغطى بشكل كامل بالنباتات في هذا الموسم، بالإضافة إلى أن سطح المحافظة يمتاز باستوائه شبه التام، الأمر الذي جعل إمكانية زيادة القيمة الفعلية للأمطار من بشكل أفضل من محافظة كركوك.

الجدول (10) مساحة الغطاء النباتي في محافظة المثنى ونسبته المئوية للموسم الرطب 2016-2017

وصف النبات الطبيعي	المساحة كم ^{2}	النسبة المئوية	معدل الحرارة العظمى /م°		معدل الحرارة الصغرى /م°		كمية الامطار ملم		
1	الاراضي الرطبة	11020.6	21.3	شتاء	ربيع	شتاء	ربيع	شتاء	ربيع
2	الاراضي الجرداء	5587.9	10.8	8	16.2	3.2	8.4	70.3	4.3
3	الاراضي الخضراء	20799.5	40.2						
4	الاراضي كثيفة الانبات	14332.0	27.7						
المجموع	51740	100	24.2		11.6		74.9		

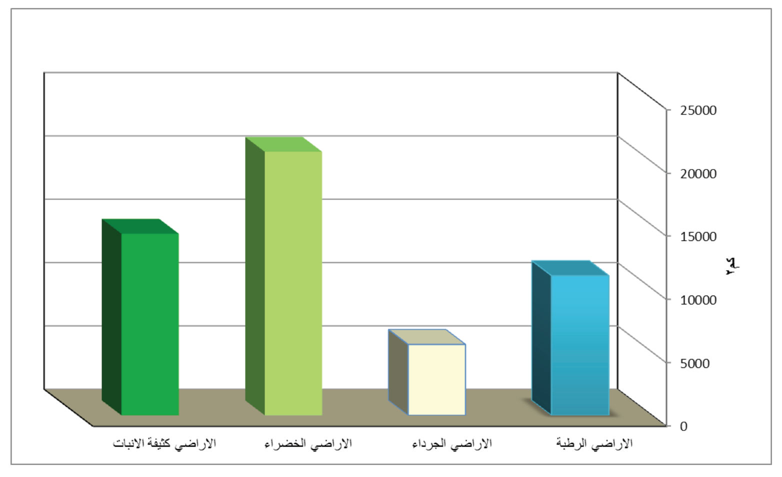
المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

الخريطة (7) تنوع النبات الطبيعي في محافظة المثنى للموسم الرطب لسنة 2017



المصدر : الباحث بالاعتماد على المرئية الفضائية Landsat8

الشكل (8) مساحة تنوع النبات الطبيعي في محافظة المثنى للموسم الرطب لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (28)

3. حساب معدل التغيّر والنسب المئوية للموسم الجاف والموسم الرطب لسنة 2017

يتبين من خلال الجدول (10) والشكل (9) ان هناك تغيراً في مساحات النبات الطبيعي في محافظة المثنى ، اذ تأتي في الدرجة الأولى الاراضي الجرداء اذ بلغت (24524.8 كم^2) وبنسبة (50 %)، وتأتي في المرتبة الثانية الاراضي الخضراء اذ بلغت (11020 كم^2) وبنسبة (22.5 %)، وتأتي بالمرتبة الثالثة الاراضي الرطبة بمساحة تغير بلغت (7502.3 كم^2) وبنسبة (15.3 %)، اما بالمرتبة الاخيرة فتأتي الاراضي كثيفة الانبات اذ بلغت (6001.9 كم^2) وبنسبة (12.2 %) من المساحة الكلية للمنطقة ويرجع سبب التغير الى التباين في درجات الحرارة وكمية الامطار للموسمين الجاف والرطب.

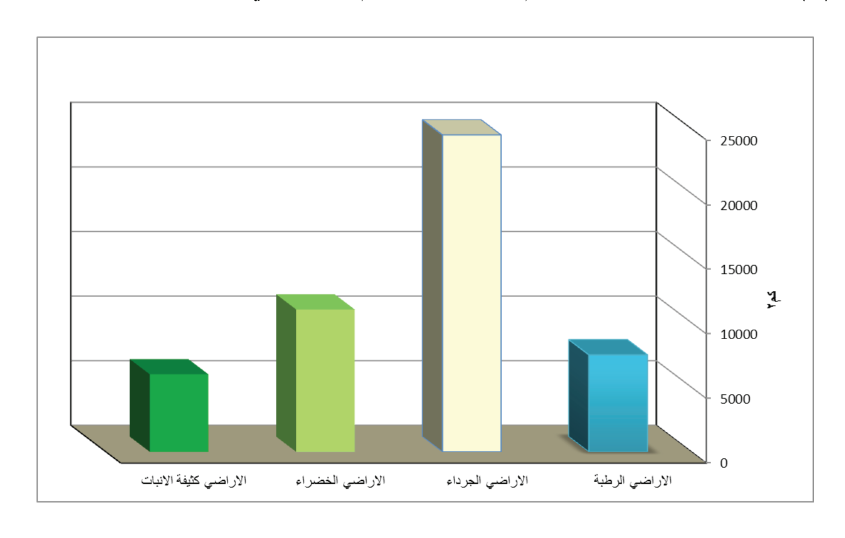
جدول (10) مساحة الموسم الجاف والرطب في محافظة المثنى ومعدل التغير للموسمين لسنة 2016 - 2017

وصف النبات الطبيعي		المساحة في الموسم الجاف كم^2	المساحة في الموسم الرطب كم^2	التغير كم^2	النسبة المئوية
1	الاراضي الرطبة	3518.3	11020.6	7502.3	15.3
2	الاراضي الجرداء	30112.7	5587.9	24524.8	50.0
3	الاراضي الخضراء	9778.9	20799.5	11020.6	22.5

4	الاراضي كثيفة الانبات	8330.1	14332.0	6001.9	12.2
المجموع		51740	51740	49049.6	100.0

المصدر: الباحث بالاعتماد على الجدولين (27)(28)

الشكل (9) مساحة التغيّر بين الموسم الجاف والموسم الرطب في محافظة المثنى لسنة 2017



المصدر: الباحث بالاعتماد على جدول (9، 8)

الاستنتاجات

1 - أظهرت الدراسة ان هناك تنوعاً في الغطاء النباتي ما بين اقليم الغابات والنباتات الكثيفة في محافظة السليمانية واقليم الحشائش القصيرة بنوعيها الجافة والرطبة في محافظة كركوك ثم اقليم النباتات الصحراوية في محافظة المثنى.

2 - تم تقسيم منطقة الدراسة الى موسم جاف (فصل الصيف والخريف) وموسم رطب (فصل الشتاء وفصل الربيع) ففي الموسم الجاف يلاحظ ارتفاع درجات الحرارة العظمى والصغرى وانخفاض كميات الامطار، بينما على العكس من ذلك يلاحظ في الموسم الرطب انخفاض درجة الحرارة العظمى والصغرى وارتفاع كميات تساقط الامطار.

التوصيات

1 – انشاء محطات ارصاد جوي متطورة لالتقاط الصور الفضائية بشكل دوري للنبات الطبيعي وتشخيص التغير الذي يحدث فيه، بغية معالجة ذلك التغير.

2 – تشجيع الباحثين ودعمهم في مجال دراسة الغطاء النباتي وتوفير التسهيلات المادية والمعنوية لهم لتحقيق دراسات علمية رصينة من اجل الوصول الى الهدف المنشود.

المصادر والمراجع

1 – حليمة بنت إبراهيم بن علي الزبيدي، مصدر سابق، ص 8

2 – عبد الرحيم وطفة وآخرون، استخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في دراسة تراجع الغطاء النباتي الطبيعي وتوسع الأراضي الزراعية بحوض جريف (سهل ولجهان) ، الندوة الدولية الثالثة لمستخدمي نظم المعلومات الجغرافية، جدة 23-22 ،2016، ص 20.

3 – محمد عباس الحميري، مصدر سابق، ص 247.

4 – منى بركات، تقدير عامل الغطاء النباتي (C) باستخدام مؤشر الاختلاف النباتي القياسي (NDVI) لمنطقة الحوض الاوسط والادنى لنهر الكبير الشمالي في محافظة اللاذقية، سوريا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية سلسلة العلوم البيولوجية،مجلد36 ، العدد5 ،.2014، ص104.

5 – عمران حمدان عبدالله الشجيري، مؤشرات التغير المناخي وأثره في الواقع المائي في محافظة واسط، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، 2015، ص33

6 – شاكر خصباك، العراق الشمالي (دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية)، مطبعة شفيق، بغداد، 1973، ص73.

باب النقد والأدب:

1 – سلطة الزمان وتجلياته المكانيّة في الكتابات السرديّة

بقلم الأستاذة الدكتورة: مها خير بك ناصر

أستاذة النحو العربيّ المنطقيّ والنقد العربيّ الحديث

maha_h86@hotmail.com

أولاً: فاتحة البحث

إنّ الزمن في العلوم الرياضيّة والفيزيائيّة هو العنصر المتحوّل الوحيد الذي لا يرتبط تحوّله بأي متحوّل آخر، وبه تتم دراسة حركة الأجسام وسرعتها وتسارعها وقوتها وعملها على أنّها توابع بالنسبة إليه. أمّا المكان فهو الفضاء الثابت والذي يحتمل التغيير فيضيق أو يتسّع أو ينقبض أو ينبسط، وتكون تحوّلاته توابع لحركيّة الزمن.

تناول الكثيرون من الفلاسفة والعلماء قضية الزمان والمكان، وكان كلام الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» أكثر تصويرًا لمفهوم المكان، فقال:» إنّ للمكان وجودًا تبعيًّا لا ذاتيًّا، وهو يتراءى لنا بالطول والعرض والارتفاع، ووجوده التبعيّ يختلف باختلاف العمر»، وهذا الكلام يشير إلى أنّ المكان تابعٌ لحركة زمن يمنحه وجوده التبعيّ، وهذا الوجود له ثلاثة أبعاد؛ الطول والعرض والارتفاع، أمّا الزمان فهو المتبوع المتحوّل باستمرار وغير الخاضع لأيّ متحوّل، وغير المحدود بثلاثيّة الأبعاد.

تأسيسًا على ما سبق يمكن القول إنّ للمكان ثلاثة أبعاد، وللزمن بعدًا واحدًا هو الحركة الأماميّة، ولمّا كان الواحد أسبق على الجمع، فإنّ الزمان سابق على وجود المكان، فلا مكان خارج الزمان، فالمكان تابع حركة الزمان، وهو ثابت وفق ما ذهب إليه أرسطو في مقولته: «المكان هو الحدّ اللا متحرك المباشر الحاوي»، ولأن قيمة الحاوي ترتبط بالحجم وبنوع مادة الامتلاء، فلقد شبّه الرازي المكان بالوعاء، والوعاء محدّد، وله حجم، وقيمته مرتبطة بقيمة المحتوى وبفاعليته. فرأى فيه ابن رشد « النهاية المحيطة بالحركة».

يكتسب المكان، إذًا، قيمته من المحتوى الذي يمنحه الامتلاء، وقيمة المحتوى مرتبطة بطبيعة فعل الحراك الإنسانيّ الذي يمنح المكان هويّة تتمايز بتمايز الفعل الحركيّ، والحركة لا تكون من دون زمان، فلا هويّة للمكان، إذًا، من دون زمان يكسبه الوجود

والحضور والهويّة. لأنّ المكان وفق فلسفة أفلاطون وأرسطو يحتوي الأجسام، ويحيط بحركتها، ويكون شاهدًا على فاعليتها، فلا وجود، إذًا، لفعل الإنسان من دون وجود المكان/ المختبر الذي يحتوي وجودًا محقّقًا بحركة الزمان. فالمكان ثابت لا فاعليّة له من دون حركة زمن، سمته الأساس حركة لا تعرف الثبات، فالزمن حركة دائمة نحو أمام لانهاية له.

يمكن الاستنتاج مما سبق أنّ المكان لا هويّة له من دون مسارات زمن يصنعها إنسان يمنح جغرافيا المكان هويتها، فالمكان، إذًا، « ليس الامتداد ولا الممتد، بل هو ما يمتدّ الممتد فيه»[1] ، ولذلك ربط العالم الفيزيائيّ من أصل روسيّ «اسحق عظيموف» قيمة المكان بفاعليّة الضوء، فقال: «المكان لا وجود له، وإنّ الضوء هو الذي يوجد المكان، وإنّ أشعة الضوء وموجاته هي المكان».، فالمكان يستمدّ أبعاده من أشعة الضوء وموجاته، والضوء تتسّع فاعليته بقدر ما تشعّ الذوات البشريّة من ذواتها على أماكن شهدت اختباراتها فتتسع دائرة الضوء المكانيّ باتساع ضوء الحركة في زمن محدود أو ممتد.

استنادًا إلى ما سبق يجوز القول إنّ المختبرات التي يفعّل تجاربها، عن قصد أو غير قصد، إنسان عاقلٌ وفاعلٌ هي الأمكنة الأكثر بروزًا وديمومة واستمرارًا وحضورًا في محطات زمنيّة تمارس على ذاتها الثبات والصيرورة، فالثبات من حيث هوية مكان تابع، وسيرورة من حيث الفعل الإنسانيّ المرتبط بحركة الزمن الممتد إلى ما لانهاية. ولأنّ الإنسان عاجزٌ عن مصارعة الزمن وعن اللحاق به، فهو يسعى دائمًا إلى ستر هذا العجز بسيادته على مكان تابع مثله لفعل الزمن. فما هي قيمة المكان التابع لزمن مقاوم؟

يمنح الفعل المقاوم جغرافيا الصراع والحروب حضورًا بالقوة وبالفعل، فتكتسب الأمكنة ألقها وفاعليتها وماهياتها من طبيعة الحركة المقاومة، وتصير الحركة المقاومة أيقونات في أعمال أدبيّة تتجلّى فيها جدلية العلاقة بين الزمان والمكان، وبخاصة ما جاء منها فنًا روائيًا، لأنّ الأعمال القصصيّة والروائيّة لا تكون من دون وعاء تتضح فيه الأحداث على أيدي شخصيات ترتبط بأمكنة تابعة لزمن يمنحها الوجود الماديّ والمعنويّ، وبهذه العلاقة تكتسب الأمكنّة من أشعة الضوء المقاوم حضورًا مغايرًا ممتلئًا بقيمة الفعل الجهاديّ الذي تشعّ به الذوات المقاومة، فتتسّع دائرة الضوء المكانيّ باتساع ضوء الحركة في زمن محدود أو ممتد. فكيف تجلّت هذه العلاقة في الروايات الناطقة بفعل

(1) عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، ص197.

مقاوم في زمن وسمت سيرورته بالمقاومة؟

ثانيًا: جدلية العلاقة بين الزمان والمكان في تشكيل الحدث المقاوم

إنّ المكان هو مختبر أحداث تنتجها لحظات عابرة ومرتبطة بزمن متحرك متحوّل، فجسّد المكان عالم الثوابت، واختصّ الزمان بالتحوّل والحركة والتغيير، والتغيير لا يكون في جوهر الزمان بل في طبيعة المسارات المكانيّة التي غيّر الزمان من صورتها ووظائفها وحضورها، فلا يُقرأ الزمن إلاّ من خلال سيرورة تركت علامات على صفحات أمكنة يشكّل وجودها ضرورة من ضرورات رؤية الحدث وقراءته وكتابته وتأويله.

تترك حركة الزمان علاماتها على ذاكرة الأمكنة، فتؤرّخ اللحظة عينها سمات العلاقة الحتميّة بين المكان والزمان في أماكن لا حصر لها، ولذلك تتمايز العلامات بتمايز النتائج المرتبطة، حكمًا، بطبيعة المكان الخاضع لفعل زمن متحرك، فيكتسب المكان خاصيتي الثبات والتحوّل؛ الثبات من حيث الجغرافيا والكينونة، والتحوّل من حيث الشكل والفعل الحضاريّ، فالمكان أشبه بوعاء ينضح بقيمة فعل الزمان الفيزيائي الحركيّ الذي يمنح المكان هوية متجدّدة، ويمنحه المكان، في اللحظة عينها، علامات تشير إليه من دون أن يحتويه.

تضمر الفرضيات السابق ذكرها حقيقة علاقة الزمان بالمكان، فالزمان روح الوجود لا يُدرك بذاته بل بأفعاله من خلال أدواته، فأسماء الأمكنة، إذًا، صور تجسّد دلالات فعل الزمان وفاعليته، فالأمكنة تتغيّر صورها وفق فعل الزمان فيها، وبها يُستدلّ على قيمة اللحظات العابرة. فلا معرفة بقيمة الزمان من دون مكان يجسّد بعض حركته، ولا قيمة لمكان غير خاضع لسلطة زمن يمنحه الحضور المعنويّ، فالزمان، من حيث إدراكه، باطن مستتر يدرك ذاته بذاته ويعرّف بنفسه من خلال فعل حركته، والمكان هو الظاهر الدّال بعلاماته على فعل الزمان فيه وعلى احتوائه أحداثًا يؤرّخ لها في لحظة زمنيّة مقتطعة من الزمن الكليّ، ولذلك يمكن القول إنّ الزمن المقاوم اكتسب اسمه من خلال فعله في جغرافيا، اكتسبت هي أيضًا، من فعل الزمن فيها دلالات ومعاني جديدة. ولأنّ الفعل لا يقوم من دون أدوات تصنع الحدث، يمكن القول إنّ البشر هم أدوات الزمان، وبهم يُصنع الحدث الذي يحتويه مكانٌ خاضع لفعل الزمان.

تؤكّد الحروب اللبنانيّة /الإسرائيليّة أنّ أبناء الجنوب صنعوا الحدث المقاوم في فترات زمنيّة مقتطعة من الزمن الكليّ، فكان الشعب الجنوبيّ أدوات فعل الزمن في جغرافيا محدّدة من هذا العالم الأرضيّ، ووسمت حركته المقتطعة من كليّة لا تعرف الثبات باسم

زمن المقاومة/ زمن التحرير/ زمن الانتصار/ زمن النصر. فحافظت الأمكنة على ثباتها الجغرافيّا، واكتسبت من الحراك الجديد دلالات التحوّل والتغيير، فتحوّل المكان من مرتع للمير كافا إلى مقبرة لها.

استنادًا إلى ما سبق يمكن القول إنّ الأرض الجنوبيّة كانت المختبر الذي احتوى موادّ إنضاج النصر في مراحل زمنيّة متعددة، كان آخرها زمن الانتصار 2006، فأكسبت الحروب الأمكنة هويّة أكثر جدة وفرادة، فوادي الحجير، على سبيل المثال، لم يبقَ منطقة جغرافيّة تحمل مفهوم الوادي، لأنّ زمن المقاومة والانتصار أكسب هذه الجغرافيا مفهوم البطولة، وصار للاسم مرادف جديد هو مقبرة المير كافا، وغيرها من الأسماء الناطقة بعظمة الحدث الأسطوريّ المقاوم في زمن صنع هويته شعب مقاوم.

تؤكّد عملية رصد للأعمال القصصيّة والروائيّة التي أعادت صياغة أحداث الحروب اللبنانيّة وصوّرت أبطالها وأمكنتها وحدّدت أزمنتها، أنّ معظم هذه الأعمال تقوم على الإخبار وسرد الأحداث التي شهدها لبنان، وعلى قراءة النواتج والآثار في خلال مدة زمنيّة محدّدة ومقتطعة من الزمن الكليّ المتحرك نحو اللانهايّة، ولذلك يجوز أن يسمّى زمن المنتج السرديّ بالزمنيّة ؛ لكونه زمنًا خاصًا يعيشه القاصّ أو الروائيّ، ثمّ يعبّر عنه بلغه إبداعيّة قادرة على إعادة إنتاج المشاهد والمعارف بصور لغويّة فنيّة ترتبط بالأصل بقدر ما تعكس قدرة الكاتب الفنيّة.

ترتبط قيمة عملية إعادة تصوير المشاهد وصياغتها وترتيبها بقدرة الأديب على استرجاع ذاكرة اختزنت أحداث زمن تجاوز الحاضر، وعملية الاسترجاع تتمايز بتمايز التجربة الإنسانيّة وبتمايز الطاقات اللغويّة وغير اللغويّة القادرة على قراءة مشاهد مقتطعة، افتراضيًّا، من حركة الزمن الكليّ، ومن ثمّ إعادة تشكيلها، فالزمن بوصفه حركة فيزيائيّة نحو أمام لانهاية له يرسم مسارات حركته على أمكنة لا تعرف التحوّل إلاّ في أشكال تعكس أثره وتجلياته، وهذا التحوّل يرصده مبدع ما ليصوغ منه عملاً فنيًّا يؤكّد جدليّة علاقة الزمان بالمكان، فيأتي المنتج الإبداعيّ أشبه بوثيقة تاريخيّة واجتماعيّة ووطنيّة وإنسانيّة.

أرّخ الأدباء والمفكّرون للأحداث بنتاج أدبيّ وفكريّ، وكثرت الإصدارات القصصيّة والروائيّة التي تحدّثت عن الحروب اللبنانيّة، والتي جاء معظمها نوعًا من التأريخ للأحداث، وتوصيفًا للواقع الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ والوطنيّ والنفسيّ، وتصويرًا للخراب والدمار والقتل والمآسي الإنسانيّة في أمكنة وأزمنة مختلفة من لبنان،

وكان للجغرافيّة الجنوبيّة حضور بارز في الكتابات القصصيّة والروائيّة، لكونها تعيش واقعًا مشحونًا بالصراعات والحروب والمآسي الاجتماعيّة والإنسانيّة، فيحرّض هذا الواقع الأقلام المبدعة على التصوير الفنيّ، فتولد رسوم كلاميّة؛ شعريّة ونثريّة، تنطق بالأحداث والقيم.

رسمت معظم القصص والروايات طبيعة الحروب الإسرائيليّة على جنوب لبنان، وأشارت إلى الأهداف، وكشفت عن حجم الخراب والدمار في أمكنة كانت وعاء للأحداث، فأخبرت هذه القصص والروايات عن عظمة شعب لم يخفّف من صموده ودفاعه عن أرض الجنوب ما جلبته الحرب من دمار وقتل وثكل ويتم وإعاقة، فكان الجنوبيون أدوات صنعت الحدث في زمن مقتطع من زمن كليّ، وفي مكان ثابت احتوى الحدث ووسِم به، فحافظت الأمكنة على ثباتها الجغرافيّ، واكتسبت قيم التغيير والتحوّل من معنى الفعل المقاوم في زمن المقاومة.

مما لاشكّ فيه أنّ النتاج القصصي والروائي اللبنانيّ يحظى بالتقدير، ويستحقّ من النقّاد قراءة نقديّة علميّة، ولأنّ هذا البحث يعجز عن الإحاطة بكلّ ما باحت به أقلام إبداعيّة، فستكون هذه الدراسة مقصورة على عملين أدبيين كتبهما أديبان لبنانيان من الجنوب اللبناني، أولهما مجموعة قصصيّة بعنوان « عناقيد العطش»1 للدكتور علي حجازيّ، وثانيهما رواية «شجرة النور»2 للأديبة لطيفة الحج، فيكون هذان العملان أنموذجين ناطقين بالعلاقة الجدليّة بين الزمان والمكان، وذلك من خلال لغة سرديّة كشفت عن الثبات والتحوّل في شخصية مكان كان مسرحًا لأحداثٍ رشحت بأخبار الدمار والخراب والمقاومة والبطولة.

ثالثًا: تجليات الزمان والمكان في كتاب «عناقيد العطش»

تكشف قراءة المجموعة القصصيّة «عناقيد العطش» للدكتور علي حجازي عن علاقة الدكتور حجازي ابن الجنوب بأرض الجنوب، فاقتصر وعاء الأحداث على مكان كليّ هو جغرافيا الجنوب اللبنانيّ وما يحتويه من أوعيّة مكانيّة محتواة في المكان الكليّ، وهذه الأمكنة يضيء عليها زمن يتحرك، ويتحرّك معه أبطال يصنعون الأحداث.

خلت عناوين المجموعة القصصيّة من أسماء الأمكنة، باستثناء عنواني «لم تبصر دمارًا في الضاحية» و«الحجير»؛ ولكنّ الأمكنة تفرض نفسها في أيّ حدث مقاوم،

(1) «عناقيد العطش» مجموعة قصصيّة للدكتور علّي حجازي – دار الفارابي- بيروت- لبنان- ط1 2012.

(2) « شجرة النور» رواية للأديبة اللبنانيّة لطيفة الحج، صادرة عن دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1 2009

والحدث مرتبط بزمان قام به أبطال في لحظات مقاومة أضاءت الأمكنة ومنحتها هويّة أكثر تعبيرًا عن الفعل المقاوم، فاكتسبت الأمكنة حضورًا فاعلاً في وجدان أحرار العالم، وصار اسم « الضاحية – وادي الحجير –العديسة– القنطرة– مارون الراس– عيتا– بنت جبيل– عيناتا– مركبا– كفركلا– الغندوريّة –السهيلة» أكثر من جغرافيا. لقد تحوّلت الأسماء إلى رموز للصمود والوفاء والانتماء والبطولة والشهادة.

تضمّن الكتاب أربع عشرة قصة قصيرة، قوامها الحدث البطولي المقاوم في جغرافيا جنوبيّة، وذلك في خلال عدة أزمنة مقتطعة من الزمن الكليّ. ولقد جاء ترتيب القصص غير خاضع لترتيب زمنيّ، وربّما كان هذا النوع من الترتيب الزمنيّ نتيجة إيمان علي حجازي بأنّ المكان الثابت يستمدّ معاني جديدة من ضوء الحدث، وتدوين الحدث خاضع لعملية الاسترجاع الزمني، وهذه العمليّة لا تخضع في الترتيب لحركة الزمن بل لموقع الحدث في ذات الكاتب.

لم يخضع علي حجازي، إذًا، ترتيب قصصه لتسلسل زمنيّ، فالقصة الأولى والتي جاءت بعنوان«لم تُبصر دمارًا في الضاحية» كُتبت بعد حرب تموز، وقصة «أملاك خاصة» قدّم لها الكاتب بعبارة «ما يشبه المقدّمة» وترك زمنها مفتوحًا، ليربط القصة بعام التحرير «2000»، وقصة «الطالب الجامعي يحاضر شهيدًا» كُتبت بعد التحرير عام 2000. وقصة الحجير كتبها عام 2009 أي بعد النصر بثلاثة أعوام، وقصة أيقونة نادرة...رائحة عرقهم» 2006 بعد الانتصار. أمّا «عناق حار على هامش الأيام السبعة» فلقد اقتطع الكاتب زمنها، وتركه من دون تاريخ، ثم يؤرّخ لـ « حميد الجمّال» بـ«بعد الاجتياح 1982»، ولـ «ذنب الأفعى بـ » قبل الاجتياح الأميركي للعراق 2003، ولـ «فراشة الضوء الشمالية» بـ«بعد انتصار 2006» ولـ «عناقيد العطش» بـ«عقب مجزرة قانا 1996»، ولـ«عرس الدوريّ» بـ«بعد التحرير 2000»، ولـ «عجنة 1» « بقبل الاجتياح 1982» وترك «عجنة 2 » من دون تاريخ، ولكنّه ختم القصة بعبارة تختزل علاقة الأرض بزمن المقاومة، فقال:«تغيّرَ زمن السهيلة .أنت الآن في زمن آخر، أنت الآن في زمن المقاومة»[1] .

يشير هذا التداخل في تأريخ القصص إلى أنّ المكان بالنسبة إلى الكاتب وعاء يحتوي أحداثًا تقوم بها شخصيات تنتمي إلى مكان يؤّثر في تشكيل الشخصيّة وفي أدائها، لكونهما مرتبطين بحركة تبادليّة خاضعة لحركة الزمان، ولذلك يمكن القول إنّ للمكان

(1) عناقيد العطش، ص 132.

دورًا أساسًا في صياغة الشخصيّات والأحداث الروائيّة، وإنّ للشخصيّات دورًا أساسًا، أيضًا، في صياغة شكل المكان وفي رسم تحوّلاته التابعة حركيّة الزمان. فهل يرفض علي حجازي، في اللاوعيّ، تبعية المكان الجنوبيّ وتبعية أبنائه لحركة الزمان؟ هل يحاول علي حجازي أن يحرّر تأريخ قصصه من سلطة الترتيب الزماني؟ وهل الزمن المقاوم، في رأيه، خارج على التقطيع والتأريخ؟ وهل العلاقة الجدلية بين المكان المقاوم والزمان علاقة تكامل وتوأمة؟

تصعب الإجابة عن أسئلة تحتاج إلى دراسة نفسيّة للألفاظ والعبارات ، ولكن مما لا شكّ فيه أنّ مجموعة القصص كشفت عن ارتباط علي حجازي بالمكان الذي تعددت صوره بتعدّد أنساق حركات المقاومة، وعن ارتباطه بجغرافيا المكان الثابتة والتابعة أزمنة تخبر عن فاعلية الحدث المقاوم، فهذه الأزمنة المقتطعة من الزمن الكليّ تؤكّد أنّ زمن الفعل المقاوم في جغرافيا مقاومة لا تتغيّر فاعليتها ونتائجها، ولذلك لا يعني الكاتب أن يقدّم زمنًا مقتطعًا على زمن آخر مقتطع، لأنّ غايته المعنى، والمعنى واحد لأنّ الجوهر واحد.

يحاول علي حجازي من خلال تصويره الأمكنة والشخصيات، أن يُعرّف بأناه العاشقة المقاومة، وباعتزازه بأمكنتها وبأبطالها المنتسبين إلى أزمنة مختلفة، والمنتمين إلى عادات وتقاليد وقيم أخلاقيّة ودينيّة واجتماعيّة وإنسانيّة، فربط فاعلية الحدث المقاوم بثبات الجغرافيا، من جهة، وبتحولاتها الناتجة من فعل الزمان، من جهة ثانية، فالجغرافيا الجنوبيّة هي عينها في القصص جميعها، ولكنّ البطولات التي حقّقت الانتصارات ليست واحدة، لكون حركتها مقترنة بحركة زمان لا يعرف الثبات. ولذلك لا يمكن قراءة هذه النصوص إلا من خلال العلاقة الجدليّة بين الزمان والمكان، وفي هذه القضيّة قال الناقد العربيّ عبد الملك مرتاض: « لا يمكن تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان كما يستحيل تناول الزمان، في دراسة تنصب على عمل سرديّ، دون (من دون) أن لا(ألاّ) ينشأ عن ذلك مفهوم المكان، في أيّ مظهر من مظاهره»[1].

تظهر مجموعة قصص « عناقيد العطش» أنّ فعل الزمان في المكان متغيّر، وهذا التغيّر ينتج مصطلحات جديدة تتوافق ونتائج الحدث، وتمنح المكان معاني جديدة، فحرب تموز، على سبيل المثال لا الحصر، منحت وادي الحجير اسمًا جديدًا مرتبطًا بدلالات الفعل المقاوم البطوليّ، فأثبت الكاتب المصطلح الجديد في حوار، كان هدفه

(1) عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر 1995، ص 227.

تكريس الفعل المقاوم حضورًا روحيًّا يرشح بمعاني البطولة في وجدان التاريخ والأجيال، فقال: « وادي الحجير ليست مغارة إنّها مأسدة» [1].

يحاول علي حجازي من خلال رسم الأحداث والتركيز على انتماء الشخصيات إلى المكان أن يؤكّد أنّ علاقة الإنسان بالمكان وبساكنيه وقيمه وعاداته وتقاليده لا تتغيّر فأبو شكيب الآتي من زمن بطوليّ مضى يدعو إلى المحافظة على عادات المكان وتقاليد أهله، على أن يكون التجديد موسومًا بالنظافة والطهارة والعمل الجماعيّ، فنبّه إلى عدم انتظام وقع أقدام الشبان والصبايا وإلى الأرض غير المرتوية بالماء، فقال:

«رشوها بدموعكم...رشوها من عرق أجسادكم، بللوها بدمائكم...لا أحبّ رؤية الغبار يأكل أشكالكم، يغيّب صوركم» [2] ، لأنّ هذا الشهيد استمرّ فعل حياة في المكان، واستمرّت علاقته به على الرغم من حركة الزمان وتغييراته ، فكانت شخصيّة أبي شكيب رمزًا لحبّ الأرض والارتباط بها، لذلك «مسّد على أغصان الزيتونة المهمشّة ، قبّلها، ومضى» [3] ، وكان أبو شكيب، أيضًا، رمزًا لمقاوم يعترف بالتغييرات التي تفرضها الأحداث، ولكنّ التغيير بالنسبة إليه يكون في الشكل وليس في الجوهر فخاطب ابنه قائلاً: «أعد بناء البيت بحجارتها ذاتها يا بني» [4].

يكشف فعل الشخصيات القصصيّة عن ارتباطهم بالمكان، وعن رفضهم الانفلات منه، على الرغم من سلطة زمان تركت حركته تغييرات وتحوّلات في الشكل ، فالبطل مرتبط بكلّ شبر من مكان انتمى إليه، لذلك «راح يغسل عينيه بالأرض البور التي يقصدها» [5]، ويشجع على توظيف الوقت من أجل حماية المكان، لأنّ «لكلّ دقيقة ثمنًا غاليًا»، [6] ، ويحرّض الشباب على الانخراط في صفوف المقاومة ، لأنّ الدفاع عن الأرض حقّ وواجب ودينٌ لا يدرك حقيقته إلاّ من تنشّق عطر الأرض وآمن بانتمائه إليها، فخاطب أبو شكيب ابنه قائلاً: «اجمع شميلة من الزهر الذي نبت على تربة السهيلة فهي تخبرك بالحساب المتبقي لك في رقبة الخنازير» [7].

---

(1) عناقيد العطش، ص 42.

(2) عناقيد العطش، ص 120

(3) م.ن.

(4) م.ن. ص 121

(5) م.ن. ص 122

(6) م.ن. ص 123

(7) م. ن. ص124

يؤكّد الحوار في المجموعة القصصيّة أنّ سلطة الزمان تفرض تغييرات على طبيعة المكان، ولكنّ الفكرة المقاومة تبقى حيّة وفاعلة في نفوس الأبطال الذين يفيدون من الماضي ليجعلوا منه قوسًا يسدد سهامهم نحو الآتي بدقّة ونجاح، فكان لهذا الماضي فعله في وجدان سارد تعلّم فعل الانتماء إلى مكان له حاضر وماض ومستقبل فقرّر الذهاب إلى جغرافيا مقاومة متسائلاً عن سرّ الانجذاب والتعلّق بأرض أكثر ما نبصر عليها صور المآسي وقوافل الشهداء، فرسم أثر المكان والزمان في نفسه وقال: «جثوت على التراب، لمّسته، أحسست بحنين يشدني إلى الماضي»[1]، ثم يتعرّف مع أبي شكيب من خلال شاشة تلفاز إلى أنّ زمن السهيلة تغيّر بفضل مقاومين وسموا زمن الحدث بزمن المقاومة.

يجسّد هذا العمل الفنيّ القصصي حقائق اجتماعيّة ونفسيّة ووطنيّة، فلم يكن الكلام على المكان وحركة الشخصيات مجرد سرد وإخبار، بل كان له وظائف ودلالات ومقاصد وغايات، فالمكان الذي خسر أبناءه ما يزال الزمن الحاضر يحترم غيابهم الجسديّ ويحفظ حضورهم المعنويّ في أمكنة تخبر عنهم، والمكان الذي كان ممتلئًا بحضور الطالب الجامعيّ، على سبيل المثال، صار فارغًا من حيث الشكل، ولكنّه ما يزال ممتلئًا بفعل النموذج الناطق بالأمثلة والمعارف، فيبقى المكان في زمن مضى منارة لكلّ طالب جامعيّ تشخص عيونه إلى كرامة الوطن.

تؤكّد هذه الصورة التي رسمها علي حجازي أنّ الزمان المتحرك دائمًا لا يُفقد المكان قيمته ومعانيه، فاستطاع بلغة سرديّة متماسكة ومعبّرة أن يظهر هذه العلاقة الجدليّة بين زمن يغيّر في شكل المكان، من دون أن يسلبه قيمة اللحظات المضيئة، وهذا ما تظهره عبارة يصف فيها فراغ المكان وامتلاءه في اللحظة عينها: «مقعد فارغ فقط في الصف الأماميّ، إنّه مقعد حسين، وهذه طاولته تحمل أمثلة الدرس، والكلّ شاخصٌ إليهما. أينه؟»[2].

تضمر لفظة «أينه» حضور المكان الفارغ، وغياب الزمن الماضي، فكان حضوره المضمر مرتبطًا بمكان يشهد على الحضور والغياب، لأنّ كلمة « أين» تفيد المكان، وكلمة «الهاء» تفيد الغياب. وبهما تبقى العلاقة سؤالاً يحتاج إلى دراسات لتجيب عن سرّ هذه السلطة الزمنيّة على أمكنة تتغيّر وتتحوّل من دون أن تتخلّى عن ثباتها.

(1) م. ن. ص 125.

(2) م.ن، ص 31.

رابعًا: تجليات الزمان والمكان في كتاب « شجرة النور» للطيفة الحاج

كان لحرب تموز فعل تحريض إبداعيّ تجلّى في صدور عدد من الروايات والقصص التي رسمت الأحداث والنتائج بريشة استمدت ألوانها من الخصب التلويني الدلالي لعناصر اللغة وقوانين تعالقها، وكانت رواية «شجرة النور» للروائية اللبنانيّة لطيفة الحاج واحدة من الروايات التي تناولت الحرب ونتائجها، لتكبر النصر الذي حقّقه أبطال المقاومة.

تبدأ الرواية بالكلام على الشعور بانتهاء الحرب وبانتهاء رحلة النزوح عن بيروت نتيجة القصف الاسرائيليّ، غير أنّ العودة إلى بيروت كانت بداية الكشف عن النتائج الاجتماعيّة والنفسيّة والاقتصاديّة والانتمائيّة بعد معاينة ضخامة الكوارث التي خلّفتها الحرب، فألقى منير زوج نور المسؤولية على مقاومة وفّرت ذريعة للعدو، فتذكّره نور بطبيعة العدو وبأنّ قرار الحرب قد اتخذته قيادة العدو، وبأنّ المقاومة هي شجرة النور الوحيدة في تلك الغابة الشائكة وتلك العتمة الحالكة، ولقد استطاعت بفضل بسالة المقاومين الشرفاء وتضحياتهم أن تبدّد غطرسة الجيش الذي لا يُقهر.

مزجت لطيفة الحاج في روايتها بين التاريخيّ والواقعيّ وشحنت الأحداث بطاقة تخييليه رسمت الأحداث بدقّة، واختارت أسماء شخصيات الرواية التي تؤكّد انتماءها إلى جغرافيا كانت مناطقها وأمكنتها أهدافًا رئيسة في أثناء الحرب، فأوردت ،بأمانة العارف، أسماء الأمكنة التي شهدت الغطرسة، من دون أن تحصر معرفتها في منطقة الجنوب، وربّما كان سبب مروحة أسماء الأمكنة في الرواية ناتج من اتساع الرقعة الجغرافيّة التي تمّ تدميرها، فذكرت ،على سبيل المثال لا الحصر، « الضاحية- بيروت- صيدا- جسر المدفون، وجسر الفيدار، وجسر المعاملتين»، وغيرها من المناطق التي نال منها عدوٌ أُصيب بالهلع والخوف والإرباك بعد أن أسقط رجال الله مقولة « الجيش الذي لا يقهر» وأسندوا الفعل الأسطوريّ إلى مقاومة أرغمته، ومن وراءه، على الاعتراف بتفوّق المقاومة وعلى إلغاء فكرة الأسطورة من قاموسه وقاموس العرب المتخاذلين.

تضمّنت الرواية موضوعات إنسانيّة، قوامها الحب والوفاء والفراق واللقاء والألم والتضحيّة والتعاون والقهر، وكانت الركيزة الأساس لهذه الموضوعات الإنسانيّة تكمن في موضوع العقم الذي حرم الزوجين نعمة الأبناء، فعوّضا عنها بنعمة سعادة عاشاها وهما يعتنيان بمدرسة تشهد نماء وتطورًا، غير أنّ هذا الولد الفكري والروحيّ وقع ضحية التخريب والتدمير، فكانت خسارة المكان نوعًا من الثكل، وأمام تجربة الثكل ترشح

النفوس بمعدن المكان الذي تنتسب إليه.

أظهر منير زوج نور وشريكها في نمو المدرسة وتطويرها تذمّره من الحرب، فأنطقته الروائيّة بما كان يدور في رؤوس بعض المنهزمين من الداخل، ورسمت في موازاة هذه الصورة صورة ثكل رسمت الاستشهاد مستقبلاً، فالمكان عينه والحرب عينها أنتجت صورتين متناقضتين، فالحرب بالنسبة إلى ضعاف النفوس كان سببها عملية الوعد الصادق، والاستشهاد بالنسبة إلى المؤمنين بالمقاومة حقٌ ووعدٌ بحياة لا تعرف الفناء، لأنّهم يؤمنون بقوله جلّ وعلا: « ولا تحسبّن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربّهم يرزقون»[1].

اشتغلت لطيفة الحاج على قضية تعكس موقف شعب الأرض المقاومة من حرب تموز، فالزوج منير يتهم الحزب بإشعال الحرب، فيقول: «المشكلة أنّ اللبنانيين أنفسهم غير متفقين على رأي واحد، وأنا منهم يرون أنّ عملية الوعد الصادق التي قامت بها المقاومة كانت السبب المباشر لاندلاع هذه الحرب الهمجيّة»[2]، ويتهّم قيادة الحزب بالوهم لأنّ حسابات منير ماديّة وقريبة المتناول، ولا ينظر إلى حركة زمان يجعل من الأمكنة أيقونات على امتداد حركته، فيقول منير: «لقد حوّل هؤلاء الواهمون جنة الصيف الواعد الذي كنا ننتظره وننتظر معه عشرات آلاف السائحين ...لقد حوّلوا صيفنا إلى جهنم بما يسمى الوعد الصادق»[3]، وهذا الموقف عينه تبنّاه شقيق منير الذي اتهم المقاومة بأنّها مأجورة وتريد أن تضحّي بلبنان من أجل إرضاء الخارج، فيقول:«المشكلة أنّ هذه المقاومة تريد تحويل لبنان إلى ساحة لحروب الآخرين كرمى لعيون حلفائها في سوريا وإيران، فهم مرتبطون بولاية الفقيه، أكثر من ارتباطهم بمصلحة الوطن»[4]، وهذا الكلام يعبّر عن مواقف شرائح سياسيّة وغير سياسيّة، ويعكس فعل الإعلام في تفكير المتلقين.

أنطقت لطيفة الحاج شخصياتها بأحاديث دارت في أكثر من مكان، لتؤكّد أنّ الإنسان غير المنتمي يرتبط بشكل المكان فقط، من دون أن يدرك سرّ حركة الزمان وفعله، فكشف المنطوق السرديّ عن علاقة بعض اللبنانيين الماديّة بالمكان، فهؤلاء رأوا أنّ ما يقوم به الحزب ليس إلاّ تدميرًا للبنان، وهذا الموقف كان نتيجة إيمانهم بتفوّق العدو، ونتيجة قناعتهم بعجز المقاومين عن الصمود وتحقيق الانتصار، فتذكر الكاتبة على لسان

(1) آل عمران: 169

(2) شجرة النور، ص32.

(3) م. ن. ص 33

(4) شجرة النور، ص32.

إحدى شخصيات الرواية وهي تهزأ من صواريخ المقاومة:«بضعة صواريخ قد تجعل المقاومين يشعرون بالزهو يومًا أو يومين، أو أكثر، ولكن وبعدها...؟ هل سيتفوقون على ترسانة الأسلحة النوويّة التي تملكها اسرائيل؟ إنّ الزمن زمن القوة والهيمنة والسيطرة، ولا أحد يستطيع تحدّي الدول الكبرى التي تملك المال والسلاح والقرار...[1] «وهذا الموقف السلبي تنطق به شخصيّة أخرى ترى في الرحيل سلامتها وسلامة عائلتها ولذلك قرّرت أن تهاجر، وأن تعوّض عن مكان بمكان، كأنّ المكان ثوبٌ يبدّله المرء ساعة يشاء، فتقول:» هذا البلد لم يعد وطنًا صالحًا للحياة، سوف أبدأ بتحضير الحقائب استعدادًا للرحيل في أيّ وقت....الأمور واضحة كوضوح الشمس، والذين يدّعون المقاومة وحماية الوطن جرّوا البلاد إلى هذه الكارثة[2].

أظهرت الكاتبة أنّ مستوى الانتماء إلى الوطن والمكان متفاوت، وهذا التفاوت تكشفه ظروف وأحداث تخلق نوعًا من النفور، كان سببه في رواية «شجرة النور» مغامرة حزب الله وفق ما ذهب إليه بعض من رؤساء الدول والمسؤولين، وهذا النفور يقابله التحام بالأرض تؤكّده إحدى الشخصيات في رحلة بحث عبر الذاكرة، فترسم صورة والدها الذي رفض الرحيل عن مكان كرامته ولم يقبل المغادرة، وصمّم على البقاء في بيته إلى جانب المقاومين، فقال:«كيف أترككم تقاومون وأنزح بعيدًا؟ لا بدّ أن أكون معكم. إمّا أن نحيا معًا أو نستشهد معًا»[3]، لأنّ الإيمان بالمقاومة فتح في وجدان المتمسكين بالأرض يقينًا بأنّ زمن الانتصار آتٍ، و«أنّ المقاومة وحدها تستطيع أن تعيد الحقّ إلى أصحابه الحقيقيّين»[4].

ترصد الرواية عددًا من الأحداث والمشاهد التي ترويها شخصيات تتمايز بتمايز أبناء الحياة، فترك زمن الانتصار سلطته على الأمكنة، وغيّر من موقف المتهميّن والمترددين، فصارت المقاومة بعد الانتصار يقينًا وحاجة وقدرًا جميلاً، فأكبروا عمل المقاومة، واعتزوا ببطولات الشهداء، وتحوّل، بعد الانتصار، حقد منير زوج الساردة إلى إيمان بأن «الاستشهاد هو النسغ الذي يجري في عروق الأوطان ليبقيها على قيد الحياة»[5] وامتلكه اليقين بأنّ المقاومة هي شجرة النور ولقد أينعت في قلبه ولن تموت أبدًا.

---

(1) م. ن. ص29.

(2) م. ن. ص39.

(3) م. ن. ص 169.

(4) م. ن. ص 173.

(5) م. ن. ص 295

أثارت لطيفة الحاج في هذه الرواية عددًا كبيرًا من القضايا وربّما كان أكثرَها بروزًا حجمُ البشاعة والإجرام والتآمر والخيانة والتدمير والتهجير والقهر الذي قابله نورُ التضحية والمقاومة والفداء والصمود والثبات والإصرار على البناء، فالخراب حوّل معالم المكان، ودمّر المظاهر الخارجيّة ولكن الزمن لم يلغِ بحراكه أضواء زمنيّة تخبر، وتسترجع وتعيد صور المكان في مرحلتي القبل والبعد.

أظهرت الكاتبة قدرتها على بناء شخصيات روايتها، وعلى رسم أساليب تفكيرهم، فرصدت علاقتهم بالمكان وبالأحداث، وكشفت عن طبيعة الشرائح الاجتماعيّة من خلال التركيز على آليات تفكير الشخصيات المجسّدة كتلاً وهيئات اجتماعيّة تنتمي إلى مكان واحد، ولكنّها تختلف من حيث النظرة إلى الأحداث وقراءة نتائجها، فلم يكن الهدف من هذه الرواية الإضاءة، فقط، على جوانب إيجابيّة يتفق عليها أبناء البيئة المقاومة، بل الإضاءة على فعل زمن الانتصار في نفوس من انزاح تفكيرهم عن الفكر المقاوم، لأنّها أرادت أن تؤكّد أنّ زمن المقاومة وما حقّقته من نصر أعاد تشكيل العواطف وبلسم جراحات النتوءات النفسيّة، ومن ثمّ تجذير المكان في فكر الأجيال وتأصيل فاعلية حركة الزمان.

كشفت الرواية أنّ للزمان سلطة على أمكنة احتفظت بثباتها الجغرافيّ بقدر ما استسلمت للتغييرات والتحوّلات التابعة لفعل الزمن في الأمكنة كلّها، فالحرب عينها التي تركت الخراب في الجغرافيا اللبنانيّة والتصدّع في النفوس، هي عينها أعادت تشكيل الأمكنة أيقونات بطولات وانتصارات، وبلسمت الجراحات النفسيّة، وبهذه التغييرات النفسيّة ستعيد نور بمساعدة زوجها بناء المدرسة وتأهيلها لتكون صالحة لتعليم الأجيال معنى الارتباط بالمكان، وليتعرّفوا إلى قيمة الزمن المقاوم .

تمايزت هذه الرواية بسلطة الزمان من خلال طغيان التذكر والاسترجاع ما يحيل على مكوث الذاكرة في زمن الحرب التي ألبست الأمكنة شكل الخراب والقتل والتدمير والقهر، غير أنّ هذه النمطيّة التصويريّة أضافت إليها حرب تموز التعريف بزمن لا يعرف المكوث، وبالتالي فحرب تموز زمن ممتد إلى ما لا نهاية وسيبقى كتابًا مفتوحًا يتعلّم منه وبه أبناء الحياة.

خامسًا: نقطة على سطر

تكشف الأعمال القصصيّة والروائيّة اللبنانيّة التي رسمت الحروب اللبنانيّة / الاسرائيليّة عن جدليّة العلاقة بين المكان والزمان، فالمكان عنصر رئيس وأساس في بناء الشخصيّة

الروائيّة فلا وجود لشخصيّة من دون مكان، ولا وجود لمكان وشخصيّة من دون زمن يمنحهما نعمة الحركة والتطوّر، فالمكان هو الوعاء الذي تتضح فيه الأحداث المتنوعّة والمختلفة في خلال زمن محدّد أو ممتد، ولذلك لا يمكن قراءة أيّ عمل قصصيّ أو روائيّ خارج مكان موسوم بالثبات والتحوّل، لأنّ الثبات شرط أساس في التكوين الجغرافيّ، والتغيّر حقيقة تقولها حركة الزمان .

تؤكّد الأعمال السرديّة أنّ حركة الزمان المقاوم تمنح ظاهر الأمكنة المقاومة مفاهيم ومعاني ودلالات جديدة، فتكتسب هذه الأمكنة من أشعة الضوء المقاوم حضورًا مغايرًا ممتلئًا بقيمة الفعل الجهاديّ الذي تشعّ به الذوات المقاومة، وبفاعليّة الحدث الجهاديّ تتسّع دائرة الضوء المكانيّ، فكلّما اتسع ضوء الحركة في زمن محدود أو ممتد يزداد المكان حضورًا وتألقًا في حركيّة التاريخ.

يكتسب المكان، إذًا، وجوده وهويته وشخصيته من فاعليّة زمن يترك بصماته على أمكنة تستمدّ ألق حضورها الجغرافيّ والتاريخيّ من فاعليّة أبناء الحياة الذين يمنحون جغرافيا المكان حضورًا بالقوة وبالفعل، فترتبط خصوصيّة المكان بفاعليّة أبناء الحياة ، ومن ثمّ يمنحهم المكان الخصوصيّة والهويّة، فالعلاقة بين الإنسان والجغرافيا علاقة تفاعل وتكامل وتواشج وتأثر وتأثير، وهذه العلاقة خاضعة في تجلياتها لسلطة الزمن المتمرد على الثبات، والزمن المتمرد على الثبات أظهرته القصص والروايات اللبنانيّة التي صوّرت الحروب اللبنانيّة/ الإسرائيليّة زمنًا مقاومًا متمردًا على الثبات، وضوءًا ينير حاضر هذه الأمّة ومستقبلها وتاريخها.

المراجع:

- عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة،
- عناقيد العطش مجموعة قصصيّة للدكتور عليّ حجازي – دار الفارابي– بيروت– لبنان– ط1 2012.
- «شجرة النور» رواية للأديبة اللبنانيّة لطيفة الحج، صادرة عن دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1 ،2009
- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر

2- الأسلوب الإقناعي الحجاجي في خطاب الرئيس رفيق الحريري

The Argumentative style in the president

بقلم الدكتورة: هبة الحشيمي

الباحثة أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية

Drhibahouch@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/31 **تاريخ القبول: 2021/11/20**

ملخص:

تتدرج خطابات الحريري في إطار عمل حضاري نضالي، مما يجذب المختصين في البلاغة للانخراط في تحليله، وخصوصًا المهتمين بنظرية الخطاب لأنه مسؤولية جسيمة.

يندرج هذا البحث تحت تحليل الخطاب السياسي والاجتماعي والاقتصادي للرئيس الشهيد رفيق الحريري، على منهج الحجاج وعملية تأويل الكلام.

ويعتمد البحث دراسة الأسلوب الإقناعي والحجاجي في خطاب الرئيس رفيق الحريري. هو موضوع بحثي العام الذي ينهض على دعامات أساسية وهي: دراسة الخطاب بالأبعاد الإنسانية والذاتية والإصلاحية، وإظهار خصائص المفردة ودلالتها ضمن الجملة، ودراسة الخطاب بسبر غور المنهج الحجاجي الإقناعي التأثيري، لكشف الدلالات السياسية والجدلية والقضايا المتعلقة بالإصلاحات والتقدم والتطور.

فنحن بحاجة إلى ثورة إعلامية يعرفها العالم للسعي الحثيث لتأويل الماضي الوطني والقومي، وتقوم التجارب الماضية، لمصلحة أطروحات سياسية صريحة حينًا، وضمنية أحيانًا. وفي عملية التأويل هذه تمارس كل الانزلاقات الخطابية كي لا يقف المتلقي العربي مستهلَكًا فقط بل يتكون لديه قدرة على كشف الخدع والأضاليل ويقف اللعب بعواطف الناس دون أي اعتبار ولا احترام للمستمع وللحقيقة. وفي ذلك إفساد للديمقراطية باعتبارها نظاما تخضع الاعتبارات المصيرية فيه للرأي العام عند المواطنين.

ومن هنا يكتسب التحليل البلاغي لهذا الخطاب أهمية قصوى حيث تتدخل الحجج والضوابط ليرتسم حدود التخاطب المسؤول والمعقول والمتزن الذي يسيّر المجتمع في الاتجاه الإيجابي، محافظًا للمكتسبات وحريصًا على تحقيق مكتسبات جديدة.

Summery:

Hariri's speeches fall within a framework of struggle civilized work, which attracts specialists in rhetoric to engage in its analysis, especially those interested in the theory of discourse because it is a huge responsibility.

This research falls under the analysis of the political, social and economic discourse of the martyred President Rafik Hariri, on the approach of the pilgrims and the process of interpreting speech.

The research adopts the study of the persuasive and rhetoric method in President Rafik Hariri's speech, which is a general research topic that is based on the main pillars: the study of the discourse in human, subjective and reform dimensions, and to show the characteristics of the singularity and its connotation within the sentence, and the study of the

We need a media revolution known to the world to strive for the interpretation of the national and national past, and past experiences are based, in the interest of political theses that are frank at times, and sometimes implicit. In this process of interpretation, all rhetorical slides are practiced so that the Arab recipient not only stands consumer, but has the ability to detect tricks and misalities and stop playing with people's emotions without any consideration and respect for the listener and the truth. This is the corruption of democracy as a system in which crucial considerations are subject to the public opinion of citizens.

Hence, the rhetorical analysis of this discourse is of utmost importance, as arguments and controls intervene to characterize the boundaries of responsible, reasonable and balanced speech that follows society in a positive direction, preserving the gains and guarding to achieve gains.

المقدمة

الأسلوب الإقناعي والحجاجي في خطاب الرئيس رفيق الحريري هو موضوع بحثي العام الذي ينهض على دعامات أساسية وهي: دراسة الخطاب بالأبعاد الإنسانية والذاتية والإصلاحية، وإظهار خصائص المفردة ودلالتها ضمن الجملة، ودراسة الخطاب بسبر غور المنهج الحجاجي الإقناعي التأثيري، لكشف الدلالات السياسية والجدلية والقضايا المتعلقة بالإصلاحات والتقدم والتطور.

تسويغ اختيار الموضوع وأهميته

لمَ الأسلوب الإقناعي الحجاجي في خطاب رفيق الحريري؟ ولمَ الجدلي؟ ولمَ رفيق الحريري؟

إن بحثي هو إعادة بناء استراتجيات بلاغية جدلية إقناعية في خطاب الحريري من خلال مناهج التحليلي ومن معايير الحكم الإنسانية والتفاعلية الذاتية. وقد أثبت هذا البحث تجدد آفاق تتجلي عن معان وقيم جديدة جدلية معبرة عن النزعة التداولية اللسانية لنمذجة الفاعلية التدليلية.

لمَ الجدلي؟ تقتصر الدراسة على البنيات التركيبية النقدية ودراسات التكوينية الحجاجية إظهارًا للقضايا اللغوية الدلالية في سياق الخطاب. فمفهوم الموضع يرجع في جذوره إلى التنظيرات الأرسطية للاستدلالات الذي تناوله أرسطو في كتابي التحليلات (نظرية القياس) و(نظرية البرهان)[1].

لمَ الحريري؟ شخصية عالمية وتاريخية لا تتحصر بالأعمال السياسية والتجارية بل بالأعمال الخيرية وأعمال الإحسان أيضا، ومشاركته الناس من خلال مناسباتهم ونشاطاتهم وفئاتهم وشرائحهم الاجتماعية المختلفة أيضا. فقبل أن يعرفه الناس في نشاطه كرجل سياسي فقد كان معروفا في حقول الخير. أنشأ عددًا من الشركات في مختلف بلاد العالم. كان له دور بارز في إنجاز اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية اللبنانية، ثمّ تولى رئاسة مجلس الوزراء لأول مرة عام 1992. أعاد إعمار بيروت وعرف بوسطيته السياسية، وأعماله الخيرية، وصداقته للكثير من زعماء العالم. أثار

(1) لقد ذهب بيير دولاراميه (1555) إلى حد القول بأن أرسطو كان يتطلع إلى صياغة منطقين، منطق العلم ومنطق الرأي. نقلا عن :

Ekkehard EGGS,L actualite du debat sur les topoi dans la rhetorique et la dilectique traditinnelles, in lieux communs, tropoi, stereotypes, clichés, plintin C. (ed.). Paris, Editions kime, p.393 J. C. Anscombre et O.Ducrot . largumentation dans la langue, Pierre Mardaga editeur, 2ed, 1988, Liege Bruxelles, p.168.

اغتياله في بيروت يوم 14\2\2005 عاصفة لم تهدأ حتى اليوم، وما زال اللبنانيون جميعًا بانتظار معرفة الحقيقة.

ماهية الخطاب تحليلًا ومنهجًا:

نجد في لسان العرب تعريف الخطاب بأنه:» مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر حيث يتم تبادل رسائل لغوية»[1].

ويتكرر التعريف أيضًا عند التهانويّ بأنه « توجيه الكلام نحو الغير للإفهام»[2]، أما عند أبي البقاء الكوفي في الكليات «والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطابًا»[3].

يعتمد الخطاب على مسار تواصلي إلى الأدب الحديث خاصة في مجال النقد، بحيث يرتبط بالتراث العربي ارتباطًا هامّا في هيكله، هذا ما فصّله الدكتور عبد الرحيم الخلادي في كتابه « الخطاب وتحليل الخطاب» بأن الخطاب هو» مظهر نحوي مركب من وحدات لغوية ملفوظة أو مكتوبة تخضع في تشكيله أو في تخزينه الداخليّ القابلة للتنميط والتعبير، مما يجعله خاضعًا لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه»[4]. ويقدم أصحاب «معجم اللسانيات» تحدّيات متنوعة للخطاب «يعني اللغة في طور العمل، أو اللسان الذي تتكلف بإنجازه ذات معينة أو... وحدة توازي أو تفوق جملة تتكون من متتالية... لها بداية، أو هو مرادف للملفوظ ويتجلى في استعمال الخطاب لكل ملفوظ يتعدى الجملة ناظرًا إليه من وجهة قواعد تسلسل متتاليات الجمل»[5]. ها هي أساسيات لغوية أو أخرى معرفية تتداخل لتكوّن عملية الاتصال التي تعتمد على فهم السياق، لتخلق داخل النص سياق آخر له مؤشراته وبنيته التأويلية والاستنباطية للرموز، متمسكًا بالوظائف التعبيرية الانفعالية واللغوية والكلامية، فنجد براون بول يقول: «إن عملية الاتصال لا تعتمد فقط على فهم السياق،» بل إنها تغيير ذلك السياق، ويمكن أن تنشئ داخل السياق النصيّ سياقًا آخر له سرده الخاص من المؤشرات، وبالفعل يمكن اقتحام

(1) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج3 (خ-د-ذ)، مادة (خطب) 1994م، ص261.

(2) محمد علي القاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفي عبد البديع و.د. عبد النعيم محمد حسنين، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972م، ج2، ط2، ص175.

(3) أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، دار الرسالة 1412ه، 1992م، ص173.

(4) الحوار المتدن، العدد 2979، عبد الرحيم الخلادي، «الخطاب وتحليل الخطاب»، 18-4-2010 ، ص1. نشر على موقع Dr.khaladi.com

(5) - سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1988م، ص17.

سياقات جديدة داخل السياقات المركبة»[1]. ويؤكد فوكر على ضرورة التمييز» بين لغة الخطاب ولغة النص المستلزمة دراسة الوحدات المتماسكة من حيث التركيب البيانيّ. أما الخطاب فهو العملية المعقدة من التفاعل اللغوي بين المتحدثين والمستقبليين»[2] من خلال الوظائف اللغوية التي حددها جالبسون ابتداءً بالوظيفة الإفهامية والانفعالية والجمالية. يعتمد تأويل النص على درجة من الوعي والثقافة لفهم وتحليل الخطاب المرتبط بالمرسِل وترجمة أفكاره.

منهجية خطاب الشهيد

ربط الحريري خطاباته بالواقع والأحداث المستجدة دائمًا كأنها سلسلة تمثل الأحداث التي في مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فيشعر القارئ بأنه أمام مشاهد متكاملة من الأفكار والرؤى، فحين قال: « أدركت الحكومة اللبنانية السابقة أهمية الإحصاءات الاقتصادية الشاملة، الأمر الذي يدخل ضمن سياسة الحكومة الاقتصادية، ومن في ظل محليات والإمكانيات المحددة، لم تستطع إدارة الإحصاء المركزي القيام بهذه المهام في حينه، علمًا أنها عالقة على تطوير طاقاتها الذاتية الآن». ألقى كلمته في مستهل المؤتمر الصحافي الذي عقدة في السرايا في5/19/ 2003.

وضع الحريري المتلقي على بيّنه من الموضوعات المطروحة بملخص مبسّط في وقت سماعه وإن كان غير متاح للأحداث في ما قبل، ويكمل الرئيس في المؤتمر عن الحسابات القومية لعام 1997، فبلغ الناتج المحليّ المجمل في حينه أكثر من 24 ألف مليار ليرة، ليبلغ الدخل المجمل المتوفر، والذي يتكون من مجموع عائدات اللبنانيين المقيمين سواء أكان ذلك نتيجة لعملهم أم جراء تحويلات دولية خاصة بلغت 29 ألف مليار ليرة، وهو يزيد الناتج المحلي القائم بنسبة 20 %» [3]. وهنا تتحقق علمية السيوسيولوجية لبيريودو بالتركيز على الفرضيات، والانطلاق من المفاهيم الموضوعية، واستعمال المناهج الكميّة والكيفيّة للتحقق من النتائج المتوصلة إليها، والتأرجح بين منهجين الفهم والتفسير معا. تتميز سيوسيولوجيا الرئيس بالطابع العلمي والمنطقي، والابتعاد عما هو السياسي الإيديولوجي، دراسة العنف الرمزي وفق مقاربات علمية دقيقة صارمة، دون إدخال ما هو شخصي وسياسي في البحث العلمي. يطرح الرئيس من

---

(1) براون بول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزلطني ومنير التركي، جامعة الملك سعود، 1997م، ص59.

(2) - R .Fowler ,Linguistic Outicism ,Oxford university press, 1975, pp 80-90

(3) - اللحام، د. محمد سعيد، مسيرة الشهيد رفيق الحريري،تصريحات الرئيس، المركز الثقافي اللبناني، ط1، 2005.

خلال الحديث ضرورة حياد الأنا عندما يبحث في مشكلة مجتمعية قوامها التنافس، ومن ثم الحقيقة المضمرة في الخطاب السياسي التي تتأرجح بين منهجي الفهم والتفسير معًا.

لا نجد خطابًا مفصولاً أو معزولاً عمّا قبله أو عمّا سبقه فقال الحريري: «إن دعوتنا إلى الابتعاد عن المنازعات والمشاحنات، بسبب دقة المرحلة لا تعني أننا نقبل تحت شعار الهدوء، أن نتنازل عن حقٍ لأي لبناني، سواء في مدينتنا أو في مدينة أخرى مُسلِما كان هذا اللبناني أم مسيحيًّا» [1]، وقد ظهرت في عدد من الخطابات وهي الدعوة إلى السلم والابتعاد عن المنازعات. «فالمرحلة مرتبطة إلى حد كبير بالأوضاع السائدة في المنطقة ما قبل الخروج السوري، فلا تعني هدنة الحرب أننا في سلم، بل إننا في ترقب دائما للأوضاع وانطلاقًا من اللحظة المناسبة لا يسمح بمسح أي كرامة لبناني»؛ ابتعد الرئيس من مبدأ حب الذات أو حب المجاملة من الطرف الآخر على حساب كرامة اللبناني، فارتباط هدوء المنطقة بحقوق وبكرامة اللبنانيين مع مبدأ عدم التمايز بين المسحيين والمسلمين يؤمن حياة ترفع من مستوى المجتمع، ومدّه بعناصر سليمة يحتاج إليها المجتمع، ليضع مبدأ السلام في قبضة المواطن للحفاظ على سلامته فتلازم الحفاظ على كرامة الإنسانية متلازمًا مع السلام في المنطقة. ويعني تلازم رفع الظلم ونشر العدالة بين المجتمع تلازمًا مع الهلاك وانفجار المجتمع أو سيطرة الأعداء عليه. وبهذا الترابط، يعتمد قطب الإرسال (الحريري) إلى نتاج الأفكار المتسلسلة والمنطقية في ترابطها، وإرسالها إلى قطب التلقي من جهة المرسل إليه، أكان حاضرًا أم مستمعًا للخطاب أم غائبًا عنه، وهذا الترابط أدى الغاية البراغماتية العقلانية من ناحية وتأثيرية من ناحية أخرى. خمسة خطابات قد طرحت في هذا الخطاب؛ أولاً: الدعوة إلى السلام، ثانيا: التذكير أننا في هدنة وليس في سلم، ثالثا: حفظ حقوق اللبنانيّ، رابعًا: المساواة بين المدن والقرى في لبنان، خامسًا: المساواة بين المذاهب.

«لأن الحريري أب لكل اللبنانيين ويحتفى به» على حد قول مدير المدرسة الأليزية إيلي مسلم، ترجل الحريري وقال: « عندما علمت أن مدرسة الأليزية اختارتني من أجل تكريمي كأب شعرت بمزيج من الفخر والخوف»[2]. تظهر في هذا الخطاب البرغماتية التداولية العقلانية والتأثيرية لتغدو تكاملية هادفة لما تحدث وخطط ونفّذ له مسبقا، وبهذا يتّجه الخطاب ليكون كلامًا وظيفيًّا دلاليًّا في خدمة الأهداف العامة لأنه يعي جمهوره

(1) اللحام، د محمد سعيد، مسيرة الشهيد رفيق الحريري، تصريحات الرئيس، المركز الثقافي اللبناني، ط1، 2005م، ص52-51.

(2) اللحام، تصريحات الرئيس، ص 55

ويعي ثقافتهم وقدراتهم الفكرية. هكذا نتعرف على خطاب الحريري الذي غدا شجرة متكاملة تنمو مع تطوره العقلي والمنطقي لأبنائه، ويتجذّر من تماسك مواضيعه ويتآلف مع الخطاب النصي ليكونا وحدة سلام في المجتمع.

ألقى دولة الرئيس رفيق الحريري كلمة، بمناسبة انطلاق جريدة المستقبل

وشكرهم على الدعوة وشكر الحضور وشكرهم على كلمات الترحيب وكل ما قيل في هذه المناسبة. ليس سهلاً أن تنجح أي مطبوعة في بلد مثل لبنان، حيث المنافسة شديدة جدًا وحيث الكفايات وحيث العراقة في الصحافة، صحافتنا نعتز بها، عمرها يزيد على مئة عام ولها تاريخ طويل ونضال طويل في الحفاظ على الحريات وعلى الديمقراطية في هذا البلد الصغير، في هذا الشرق الكبير الذي نحبه ونعشقه.....

إن مناسبة الذكرى الرابعة لانطلاق الجريدة هي تأكيد على اتباع نهج الحريري للسلام في المنطقة والازدهار والتطور لأتباعه، والاستمرار في النجاح. يؤكد الرئيس استمرار النهج والمسيرة باستعماله حروف التوكيد، مثلا تجده في التكرار اللفظي حرف التوكيد (أن) (أود أن \ أؤكد أن \ تحاول أن\ أود أن\ إن قرار)، خمس مرات في المقطع الأول بعد المقدمة التي لا تتجاوز الأسطر الخمسة. والتكرار لحرف (لا) ثلاث مرات في الذي يليه مباشرة (لا أتدخل\ لا أوجه\ ليس معقولا) حروف التوكيد تتغلب على عدد حروف النفي. وهذا إشارة إلى تنفيذ ما يخطط له الحريري ولو بعد حين.

فالصدق مفتاح النجاح، والإصرار يجلي حقائق ويرسم خريطة الطريق الذي يؤدي للنجاح. وضع منهجيته وحدد نقاط معالجتها، وتسلسله في سياق كلمته، مما رسم استراتجية للوظيفة التداولية بسهوله وانسياب؛ مما يعكس على المستمع والمتوقع راحته المستقبلية بأي خطاب سياسي. ولأن الحريري كان يحدد النقاط الأساسية الواضحة دون المزج أو الخلط بين النقاط أدت الوظيفة الكلامية وظيفتها بكل سهولة، وبعيدًا عن التكلف مع المحافظة على فهم المتلقي للمواضيع التي تناولها في خطابه.

يذكر الحريري في النتائج التي سيتوصل أو وصل إليها. فيقول «إذا كنتم تتحدثون عني فأنا لن أجبركم، أما بالنسبة لغيري فلا أعرف، ولكن بالتاكيد أنا لن أجبركم. سألوني: هل يُشطب شي نكتبه فأجبتهم:» حتما من جهتي، كلا».

كأن الحريري يتبنى في خطابه المقارنة الماركسية ذات الأساس الجدلي أي على أساس أن التنافس والصراع وظيفتان أساسيتان للمجتمع. والجميع قائم على صراع الطبقات الاجتماعية ضمن حقول وفضاءات مجتمعية فرعية قبل أن يتحول إلى ظاهرة

اجتماعية عامة.

فيطابق (ببير بورديو) الذي بلور نظرية الفعل التي ترتبط بمفهوم الهابتيتوس بمعنى أن الفاعلين المجتمعين يطورون مجموعة من الاستراتيجيات التي يتمثلونها عن طريق التنشئة الاجتماعية، فتسليم الحريري لبعض الناس الذين لن يجبرهم على كتابة مقالات لا يقتنعون بها لمجرد المصلحة السياسية لصاحب هذه الصحيفة؛ يضعهم في دائرة الهابيتوس الذي هو عبارة عن مجموعة مواقف ومكتسبات وقيم وعادات وأعراف وخبرات وتجارب ومعايير التي يكون الفرد قد استعمرها عن طريق التنشئة الاجتماعية بغية استخدامها أثناء مواجهة الوضعيات الصعبة والمعقدة في العالم الاجتماعي. وعلى ما سبق، فإن البناء الخطابي يوفق بين الفعل والبنية أو يجمع بين الفاعل المجتمعي وبنية المجتمع؛ فكل واحد من هذين العنصرين يؤثر في الآخر.

بمعنى أنه لولا وجود البعض (بعض الصحافيين الموجودين في صحيفة المستقبل الذين تحدث عنهم الحريري في خطابه) لما كان هناك تفاعل وتماثل بين الفاعل والمجتمع الآخر، وبين الضرورة والحرية التي ذكرها الحريري في قوله «إن هذه الجريدة فعلًا جريدة مستقلة». وبهذا يكون الخطاب قد وفق بين التصور التفسيري، والتصور الإنساني الذاتي النفسي، أي أن الحريري لا ينكر دور البعض في التأثير على الأفراد سلبًا وإيجابًا، لأن ثمة ضرورة حتمية مجتمعية تمارس تأثيرها على الفاعلين المجتمعين. وفي الوقت نفسه، يثبت أن للإنسان دورًا مهمًا في تغيير المجتمع بإنتاج إنسان فاعل ومؤثر في المجتمع. وبهذا يتجاوز خطاب الحريري الثنائية الذاتية والموضوعية إلى الثنائية الفعلية والبنيوية باعتبارهما ثنائيتين ترسخان في خطاب الحريري لتكونا عنصرين وسيطيين وجامعين وموحدين للمجتمع.

ويكمل الحريري مضيفًا «إن الحرية في لبنان هي الهواء وهي الأوكسجين، وهي كل ما لنا في هذا البلد وما يميز هذا البلد»، القسم الثاني من الخطاب جاء تتمة لفكره وفكرته بتواشج معرفي يهدف إلى بناء ذهنية الإنسان المتلقي، وشحنه بالقضايا المصيرية الثقافية والسياسية وذلك بتكرار كلمة البلد ثلاث مرات في مقطع لا يتجاوز ثماني عشرة كلمة يقابلها تكرار لكلمة الحرية ثلاث مرات، وبذلك تترسخ كلمة الحرية وكأنها قانون وحكم ممنهج للرئيس في بياناته وأصول مخطاطاته لطريق البلد لبنان بالرشد والاكتفاء الذاتي، وبرسمه لمنهج الحرية ضمن جريدة المستقبل الناطقة بمنهج الرئيس. هكذا حدد الحريري نقاط منهجه الثابت على المستقبل بهيمنة عاطفية وعقلية

مميزة ثقافية تنظيمية سياسية. وسيطرت هذه الهيمنة بالتأثيرات الاجتماعية والأخلاقية انسجامًا لطمأنة المواطن بمواطن القوة لديه؛ وهذا الاطمئنان جاء ليسبغ على المواطن السكون والاستقرار في أخذ القرار الصائب والمناسب.

مؤتمر الاقتصاد اللبناني وأبعاد التطورات الإقليمية: بتاريخ 7تموز 2003

إن انسجام مجموعة خطابات وتواليها بشكل رسالة أو رسائل بين أطراف مختلفة؛ جعلت من خطاب الرئيس خطاب كرد على تلك الرسائل بدءًا من المقدمة حيث قال: « لفتني كلام الصديق الأخ عدنان القصار حول مؤتمر باريس (2) ... وأعتقد أن الأمر من مسؤولية الجميع في الدولة وليس من مسؤولية الحكومة وحدها. فأردت الإشارة من الأخ عدنان إلى أن محاسبة الحكومة في هذا الإطار هي محاسبة في غير محلها....

وأكد الرئيس الحريري في ختام كلمته أنه من المفيد أن يضع مؤتمركم تصورًا للبنان خلال العشر سنوات المقبلة، كيف سيكون، وما هو دوره، وما يحتاج إليه؟ وهذا الأمر يتماشى تمامًا مع ما تفكر به الحكومة في الوقت الحاضر، وفي المستقبل إن شاء الله»[1].

المقدمة شكلت استنطاقًا للرموز والإشارات هادفةً إلى إعطاء نتيجة صريحة لمضمون خطاب عدنان القصار والرسالة التي يوّد أن يرسلها عبر المؤتمر إلى الحضور، وأن يؤطرها في سياقها الاجتماعي والإيديولوجي والواقعي والجدليّ غير النهضويّ. ومن هنا تبدو أبعاد الخطاب المتنوعة والتي ظهرت على إنتاجية البعد الذاتي والبعد الإنساني والبعد الواقعيّ والبعد الجدليّ.

إنتاجية البعد الذاتي: إن فك شيفرة النص بالتعريف على ما وراءه من افتراضات أو ميول فكريّة أو مفاهيم، وفك الشيفرة اللغوية يهدف إلى فهم المضمون العام للخطاب الذي يود المرسِل أن يرسلها يضيف الرئيس: عنوان المؤتمر عنوان كبير: الاقتصاد اللبناني وأبعاد التطورات الإقليمية هذا أمر في غاية الأهمية، والبحث في هذا الأمر الآن وفي هذا الظرف بالذات يدل على أيضا على بعد النظر، وعلى ضرورة أن يكون لبنان متأهبا ومستعدا لمواكبة التطورات التي نعيش مخاضها الآن. وفي رأيي المتواضع في هذا الإطار، علينا أن ننظر إلى لبنان، نظرًا للأوضاع السياسية السائدة في البلاد.» بقدر ما أدرك الرئيس أهمية أبعاد الخطابات السابقة وأهدافها يحصل التحليل في خطابه، فمن المؤكد إن لم يكن في خطابه أثر اتصالي هادف، فذلك دون جدوى. يمتلك الحريري وعيًّا ثقافيًّا بالأمور الفكرية والسياسيّة والاقتصادية، فكان التأثير إقناعيًّا لأنه

(1) - اللحام، د محمد سعيد، مسيرة الشهيد رفيق الحريري، تصريحات الرئيس، المركز الثقافي اللبناني، ط1، 2005م، ص-77 80-79-78.

كان عقليًّا، أتى عن خبرة اقتصادية في السوق لا تقل عن عشرين عاما، فالمعطيات أو الفرضيات تستوجب منا الانتظار. وشحن التأثير العقلي كان بحضور ضمير المتكلم، بالاسم (برأيي) وإتباعه بنون الجماعة (علينا) والفعل (ننظر) وأدوات التأكيد(أن)؛ يقول حسن حنفي إن استجلاء حضور المتكلم في خطابه لا يهدف إلى التعرف إلى شخصية المتكلم لذاتها، ولكن من أجل اختيار انسجامها مع القصدية الأساسية، التي ينبري الخطاب لإشاعتها من جهة، واكتناه مدى فعل حضورها في إذكاء تلك الخطبة وتقوية فعلها من جهة ثانية. وجود ضمير المتكلم بشكل مباشر وغير مباشر لترتسم الانفعالات الذاتية، لتستتبع بضمير الجماعة (نحن) لأن المتكلم غدا فردا في جماعته، وتفكيره في الأزمة الاقتصادية تخطى شخصه بشكل تام، حتى لنرى دمج المتكلم مع المخاطب واضحا، وفي ذلك تأدية لوظيفة انفعالية عمومية لا خصوصية تعبر عن وجدان الجماعة وقناعاتهم. في الفقرة ذاتها نلاحظ نسبة حضور ضمير المتكلم بصيغة الجمع بنسبة (90 %) فعلينا أن ننظر (تكررت مرتين) تدعونا بمقابل نسبة حضور ضمير المتكلم المفرد التي لا تتعدى 10 %.

وهذه النسبة تؤكد غياب الأنا بوجدان الجماعة وضميرهم. ولعب فعل (ننظر) ومرادفه الذي تكرر في فقرة لا تتعدى عشرة أسطر، حيث يدعونا هذا الفعل إلى إنتاجية حضور ردة فعل يقابله التفاؤل فيقول الرئيس ليختم هذه الفقرة «أعتقد أن نظرة واقعية للأمور تدعونا إلى تفاؤل أكثر من أي شيء آخر، وهذه ردة الفعل تحمل إنتاجية تداولية ترتقي بالمستقبل وبتطوير حاجاته. وورود ردود الفعل العشوائية غير المنظمة، أو في استقطابها لدرجة تحميل الخطاب بالآمال والتفاؤل المنطقي والعقلي على الفتنة وجروح الوطن والأوضاع المستجدة فيه. ومواجهة الأوضاع بروية ورؤية تفاؤلية تستدعي مسؤولية جماعية لا فردية أمام الأزمة الاقتصادية السياسية والاجتماعية. فطموح اللبناني لا يقف أمام ألعاب سياسية دولية ومحلية تقرر مصيره، بل إن لم يمتلك تلك الرؤية التفاؤلية سيقف أمام التحديات في تحديد مصيره ومستقبله. ويبدأ الرئيس الفقرة الثانية ليكمل الفقرة الأولى بقوله: « التفاؤل أولًا لأن الشعب اللبناني أثبت في كل الظروف أنه قادر على تخطي العقبات والصعوبات مهما بلغ حجمها، ثانيًّا: إن ما قام به الشعب اللبناني خلال السنوات العشر الماضية وضع البلاد أمام مرحلة التجديد، يستطيع الإفادة مما يحصل في العالم، خصوصا الاتفاقات التي وقعها مع الاتحاد الأوروبي».

بعد تكرار فعل (ننظر) تجد ردة الفعل أكثر من أي موضع، ويبتدئ بها الفقرة لأهمية

موقعها ووظيفتها الإقناعية، إضافة إلى وضوحها في كلام الرئيس، لأنها صادرة عن ضمير الجماعة (نحن) في عدة مواضع. فيقف «الرفيق» أمام التاريخ والأجيال في تحمّل المسؤولية بنقل الجمهور والانفعال المتشبثين بالرؤية، وبخروج لبنان من وضعه الاقتصادي المتأزم إلى مستوى التأثير الإقناعي، بعيدًا عن الاستدلال المعقد، وبعيدا عن صيغة الفتنة والكره والقمع، وبإلحاح إلى التفاؤل بمستقبل واعد، وبتخطي الصعوبات ليقدم طروحات جديدة، وهي الاتفاقات مع الاتحاد الأوروبي ومجموعة اتفاقات أخرى.

فالأبعاد الإصلاحية تأتي من الشعب وتنظيم علاقات خارجية لتوسع أسواق العمل، وفي هاتين الحالتين تعتبر البنية التحتية هي عملية تفاعلية وتأثيرية متبادلة ضمن مجالات عديدة، أولها البعد الإصلاحي في الدائرة الاجتماعية، وثانيها العلاقات الدولية الخارجية، وثالثها البعد الإصلاحي في البعد الوطني، ويعتبر مفتاح تلك الإصلاحات التفاؤل.

إنتاجية البعد الحجاجي

يستكمل الشهيد خطابه في المؤتمر «الاقتصاد اللبناني وأبعاد التطورات الإقليمية» وتبدو أن ردة الفعل على الفقرة السابقة متعلقة بفعل (وقع) الذي أسند إلى رؤية لبنان، «يستطيع الإفادة مما يحصل في العالم خصوصا الاتفاقات التي وقّعها مع الإتحاد الأوروبي»، لجأ الرئيس إلى ميزان يُحدد على أساس نجاح الحياة الاقتصادية وفشلها في الاتفاق مع الآخر. وهذا التعامل مع الأسرة الأوروبية، سيشكل نجاحًا يصلح الوضع الاقتصادي، فالانتماء داخل دائرة الدولة دون التميز بين الانتماء الديني أو المذهبي أو الأيديولوجي والعرقي والجغرافي، هو البعد الأساسي للنجاح. فلا يكتمل الاقتصاد إلا مع الانفتاح على التعامل بالحوار مع الدول الغربية. سعى الرئيس إلى بناء علاقات مختلفة تحمل في طيّاتها البعد الإصلاحي المتعلق بوسائل التعامل للمنتجين اللبنانيين وتوسيع السوق التجاري.

الإصلاح والانفتاح يهدفان إلى استعمال الإيجابية للبعد الإنساني، ويقومان عبر الاتفاق مع الاتحاد الاوروبي بالاقتصاد الحر المتميز به لبنان، والأمر الآخر التراث الموجود لدينا، الأنظمة بمعنى الاقتصاد الحر. فالجماعة الإنسانية بتعبير الحريري هي الأسرة الإنسانية، قناعةً منه بأن الانفتاح على الأسواق والاتفاقيات غاية ننطلق منها لتحسين الاقتصاد اللبناني «فلديهم قدرات شرائية مرتفعة نسبيًّا وتصل حوالي 550 مليون... هذا الأمر مهم جدًا وعلينا أن نتعوّد على الإفادة من اتفاقية الشراكة».

فالاقتصاد هو العلاقة الجدلية بين السياسيين والمجتمع هو أساس المنهج التحليلي السياسي، فمن خلال دراسة أهم الأفكار والآراء التي نشأت على صعيد العلاقات الدولية والتجارب الذاتية بالمجتمع، والغوص في الأعمال الاقتصادية والتجارية لتسييرهما في الأطر الاجتماعية التي تنطلق فيها الأنظمة الاقتصادية.

فالحريري لن ينظر إلى المستقبل دون الأخذ بأمر «الأنظمة والتاريخ والتراث الموجود لدينا»، الذي عمل به منذ الاستقلال. فالبعد الإصلاحي للاقتصاد يبدأ من ذواتنا ومن تاريخنا ومن تراثنا بكفاءتنا الزراعية والصناعية والخدماتية. فالأبعاد الإصلاحية تأتي من الشعب وتنظيم العلاقات الخارجية لتوسيع سوق العمل. وفي هذه الحالة تعتبر البينة التحتية هي عمليات التفاعل والتأثير المتبادل ضمن مجالات عديدة. أولها البعد الإصلاحي في الدائرة الاجتماعية، وثانيا العلاقات الدولية، وثالثًا البعد الإصلاحي في الدائرة الوطنية، يعتبر مفتاح تلك الإصلاحات هو التفاؤل.

وإذا تتبعنا كلمة (التفاؤل) في بداية الفقرة بشيء من الإيجابية، والمقارنة التي حصلت بين الأعوام العشرة الماضية وبين الأعوام العشرة المقبلة، نجعل التفاؤل بالعشر السنين المقبلة القادمة حتميا ولا مجال للاختيار. والدرس الذي تعلمناه من سنوات الحرب كفيل بأن يجعل اختيارنا هو التفاؤل بشكل حتمي، للحصول على النجاح في الاقتصاد والقيام باتفاقيات دولية؛ لأنّ الرئيس يعي حصيلة التجربة الذاتية والجماعية.

إن ما تقدمه الاتفاقيات سلسلة من المحاولات للخروج من الأزمة الاقتصادية؛ فهنا يقف بنا الرئيس في الموقف الضدي، إمّا العودة للنفي الكليّ للاقتصاد إمّا وجوده. فهذا الجدل النظري والعملي حوّل الثنائية الضديّة (الحاضر/ الماضي) يدفعنا إلى تخطي العقبات والصعوبات مهما بلغ حجمها لربطها المباشر بالتفاؤل والتتابع المنطقي العقلي. قناعته بالاتفاقات الأوروبية قناعة منه، بأن غاية الانفتاح والمنطلق على الصعيد الاقتصادي وإبرام الاتفاقيات، وهما جوهر النهوض والرؤية التفاؤلية التي تكفل مصالح لبنان السياسية والاقتصادية وهو جوهر لبنان.

إنتاجية البعد الواقعي

يتجلى البعد الواقعي في هذا الخطاب بالتفاؤل، وربط هذا التفاؤل بمستقبل لبنان الجيد، إن من حيث جغرافيته أو من حيث تاريخ شعبه وطموحه ومحبته للآخر. وما كان للحريري أن يطرح هذه الواقعية والإشكالية، لولا تأكده من منطلقاته والنتائج المتوقعة تجاه وحدة شعبه وتفاؤله، فهذه الرؤية لا تقطع لولا وجود نواة الوحدة الوطنية، وجوهرها المتثبت

بالتراث والتاريخ ووحدة اللغة، مهما عصفت بلبنان الأوضاع، والأهداف الاقتصادية الساعية إلى التطور الاجتماعي والثقافي، والخروج من عقلية الأنانية وحب الذات نحو التمحور حول التجارة والسياحة والصناعة والزراعة، لتحريك الدورة الاقتصادية ولحماية العامل من البطالة والخسارة.

فالكفاءة بالشعب اللبناني بخاصة في القطاعات المصرفية والتجارية والسياحية، لديها جوهر إنساني لبناني متأصّل فكريًّا بالاختلاف عن الآخر، والآخر هو الدول المجاورة عربية أم غير ذلك. فيعود الحريري ليربط تسلسل أفكاره بالفقرة السابقة حيث طرح الأسواق الأوروبية مفتوحة أمام اللبنانيين بشكل كبير جدًا، ليركز علة إرادة النهوض بالتبادل والتواصل بين أفراد الوطن والمجتمعات الأخرى، لتضمن انعكاسات واقعيّة تتماشى وطروحاته وإشكالياته إلى الوحدة والتعايش المشترك والتضامن والتبادل لبناء المجتمع الكلي. فتلك الأقطاب أساسية للتطور الاقتصادي، لينعم لبنان بالرفاهية وقيام مجتمع صالح. فالإصلاح الاقتصادي ليس عبر طرحه منطق التبادل فحسب، بل «الاقتصاد الحر الذي أخذنا به منذ الاستقلال وحتى الآن»

اعتمد على مبدأ التفاعل مع الواقع. هذه الحلول تستدعي التعاون على صعيد المجتمعات يؤلف بين الامتيازات الموجودة والنظرة الى المستقبل بتفاؤل. « إن باستطاعتنا عبر التركيز على الثوابت وعلى الحفاظ على الاقتصاد الحر وتصغير حجم القطاع العام، والإقلال من الإنفاق وإعادة النظر بالنظم الضرائبية الموجودة لدينا لتتلاءم مع أوضاعنا». إن فعل (استطيع) هو حصيلة المحاولات والإدراك المعرفي بالعقلي العملي والعلمي، والقيمة الإصلاحية علينا الاعتماد عليها والتعامل معها. فهي القادرة والفاعلة في إتمام مشروع الإصلاح لا مجرد وسيلة أو أداة لتحقيق ذلك، «دون أن يمس ذلك إيرادات الخزينة، وبالعكس علينا أن نجد وسائل لزيادة إرادات الخزينة، والعمل على تخفيض الفائدة».

عمد الحريري إلى مناقشة عدة أمور ومناقشته جاءت بشكل متسلسل وبشكل منطقي وجدلي، وصولًا إلى النقد المتكامل للأفكار والقضايا المطروحة، بغية الاقتراب من الحقيقة والتماس ما يستدعي ذلك من عملية تواصلية مع المتلقي مما يجعلها تخلق تواشجًا فكريًّا حجاجيًّا برهانيًّا، ينقل المخاطب إلى الإقناع بمقاصد الاقتصاد بالدلائل المادية والمحورية. ويطلب الحريري تضميد نزف الانحياز الاقتصادي بالوسائل الأنجح والأقدر، لذا طرق الحل أمام مطرقة النقد، فتجادل بالحجة وصولا إلى نتائج بحثية موضوعية.

ويضيف بقوله «كل هذه المؤشرات والعوامل تجعل من لبنان مركزًا أساسيًّا في المنطقة ومستفيدًا أساسيًّا من التطورات الحاصلة، فلبنان هو الأقل تأثرًا بهذه السلبيات». يناقش الحريري نظرياته بمنطق علم الاقتصاد ويجعل من منطقه هذا قيمة جوهريَّة حيث بدأت توحي المؤشرات بأن التوجه واضح باتجاه منخفض للفائدة. وقد شاهدنا تخفيض الفائدة على القطاع الخاص. تشير نظرية القيمة إلى مجموعة من الطرق لفهم كيف، ولماذا، وإلى أي درجة يعطي الأشخاص قيمة للأشياء، سواء كان موضوع التقييم فكريا أو شخصيا أو أي شيء آخر. فالكثير من نظرية القيمة يطمح إلى التجربة العلمية، وتسجيل ما يقدره الناس ومحاولة فهم سبب تقديرهم له، في سياق علم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد. طرح الحريري المشكلة وأرجأ تلك المشكلة إلى الحرب، ووضع الحلول من جهة القطاع المصرفي والسرية المصرفية بالحل الرأسمالي، وعنصر العمل على تخفيض الفائدة عليها ويفتح النقاش الجدليّ «المؤشرات توحي بأن التوجه واضح باتجاه خفض الفائدة كما تكلمنا سابقًا، وإن تأخر إلى بضعة أشهر لظروف معينة، لكن بدأنا الآن نرى مؤشرات واضحة نحو تخفيض الفائدة على القطاع الخاص».

ويعلل الحريري بأن المفهوم القيمة يصبح مرتبطًا بالأسواق الأجنبية والتجارة والسياحة وخفض الفائدة على القروض للأعمال والصناعات في القطاعات الخاصة. ويأتي فعل «نرى» ليسقط الوضوح على المؤشرات والتأكيد بتخفيض الفائدة، ويأتي تكرار كلمة المؤشرات (ثلاث مرات) لتتبعها كلمة الموضوع (ثلاث مرات)، ليأتي دور التصورات للتطورات الحاصلة في المنطقة وتتبعها كلمة السلبيات (ثلاث مرات) في نهاية الجملة؛ لتكون مبتورة دون وضوح «وإذا كان هناك من سلبيات، وهناك سلبيات من هذه التطورات فلبنان هو الأقل تأثيرًا لهذه السلبيات» يقابلها تكرار كلمة لبنان ثلاث مرات في المقطع ذاته. هنا يجادل الحريري فيبيّن الآثار السلبية لنظريته بالاقتصاد، وما هي حصة لبنان من الاستفادة من أن يجعل لبنان مركزًا أساسيًّا، ومستفيدًا من كل التطورات والأسواق والاقتصاد الحاصل في الدول المجاورة والدول الأوروبية؛ فهو لم يكن فقط ناقل للحدث بل أظهر موقفه بالوضع.

هذا التركيز يظهر حرصه على مستقبل لبنان وخوفه من السلبيات، ولكن يطمئن الحضور أنه لن يحصل سلبيات وإن حصل فأقلّه على لبنان. وهذا التركيز المتجسد بالتكرار يظهر خوف وحرص الحريري الذي يتحدث مع وجدانه وضميره على مستقبل لبنان، لأنه مركز مهم بحضاراته وتراثه وثقافاته وتراثه وأنظمته وتاريخه. فهذا التزامن

بالخوف والحرص والتفاؤل يختمه في خاتمة الخطاب، ليؤكد الرئيس بعد ذلك رؤية تتماشى مع رؤيته وخياراته وأحاسيسه وإيمانه بلبنان القوي. ولولا تعابيره المتجسدة بالاستفهام، الاستفهام الذي وضعه الخطيب الذي لا يريده منه الغموض، إنما يريد أن يطرح الأمل والتأمل في العشر السنين المقبلة «أن يضع مؤتمركم تصورًا للبنان خلال العشر سنوات المقبلة، كيف سيكون؟ ما هو دوره؟ وما يحتاج إليه؟

فالتقنية الاستفهامية المستفيضة باستحضار ما يعد للاقتصاد وللمستقبل وللوطن وللبنانيين، هي هذه المسؤولية الكبرى التي تضع الحريري أمام ضمير المفرد الخاص(برأي)، ونقله إلى الدائرة الشعبية الأوسع إلى ميم الجماعة (مؤتمركم)؛ لينقل التعبير من الأنا الانفعالية الواردة في تحمّل المسؤولية إلى الجميع تجاه اقتصاد الوطن. وليشكل المتلقي المحور الأساسي لهذا المؤتمر من ناحية الشراكة في إبداء رأيه، بالخروج من الأزمات بوضع الحلول الملائمة، ليزداد التأثير بين المرسِل والمرسل إليه، ليتماشى «مع ما تفكر به الحكومة في الوقت الحاضر، وفي المستقبل إن شاء الله «. ويريد هنا إعادة الطموح اللبناني إلى الساحة الممتدة على مساحة العالم، وذلك من خلال أبعاد فكرية وعقلية وعملية ورؤيوية لتتوافق مع رؤية الحكومة بأبعادها المختلفة. ويشير الحريري إلى الدلالة والنتيجة معتمدًا بذلك منحى الإقناع بنسج خطابه، وفق أسلوبية التكرار المؤدية إلى تشبّع المتلقي، مما أظهر ارتفاع حدة التأثير على المستقبل وارتباطها مع تواتر التشبع الاقناعي المرتبط بالنتيجة ويؤدي إلى الاستجابة عند المتلقي. ويختم بالبعد التأثيري الديني الصادق بتعبير «إن شاء الله» وكأنه يوعد اللبنانيين من بعد الله عز وجل.

أظهر الحريري أنه ناقد اجتماعي وسياسي واقتصادي في هذا الخطاب، إذ هناك علاقة وثيقة بين الاقتصاد والمجتمع، فأرسل المرسِل بصمات تأثيرية عبر أسلوب التأثر والتأثير. وبالتالي أدى إلى الإقناع والتأمل بمستقبل واعد، حيث كان أقرب إلى الفلاسفة والعلماء منذ القدم، في ظل عدة نظريات ليبيّن على أساس المنهج التحليلي من خلال أهم الأنظمة التي نشأت على صعيد علاقة الفرد بالمجتمع.

كلمة في حفل إفطار اتحاد جمعيات العائلات البيروتية

يقول فيليب بروتون: الإقناع واحد من الحالات الأساسية للتواصل، وذلك تبعًا لكون القصيد هو التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة خاصة إلى أقصى درجة لمقام ما، أو إضافة إلى ذلك، الإقناع، أي التوجه إلى المستمع بالمبررات المقبولة لتبني رأيٍ ما».

إذا أمعنا النظر إلى فقرة الخطاب تبدو لنا يسعى إلى التأثير في سلوك المخاطبين وهو سلوك الوحدة والتماسك والبعد عن التشرذم والأذى. وهو خطاب يبدو لنا ويكشف أمامنا باعتباره ينطوي على طاقات حجاجية جبّارة.

يقول الحريري:

منذ فترة وأنا مبتعد عن الكلام، وأعتقد أنه في هذه المرحلة من الأفضل لنا أن نراقب الأمور من أن ننخرط فيها، ونتيح فرصة للحكومة لكي تُظهر ما لديها، عسى أن تنجح في مهمتها التي آلتها على نفسها، ولكني أعلم أن كثيرًا من بينكم يتساءل عن المستقبل وعن الأوضاع العامة....

وتابع: «عندما قدمت استقالة الحكومة والاعتذار، جاء كثيرون يقولون إنه في آخر الاستقالة هناك سطران تضمّنا العبارة الآتية: أستودع الله لبنان الحبيب».

سألوني ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني ما قلته بالضبط أن لبنان واللبنانيين وباستمرار إيمانهم بالله سبحانه وتعالى كبير وثقتهم بأنفسهم كبيرة........ وختم: «في كل مرة نجتمع أشعر أكثر فأكثر، بأن بيروت وأهالي بيروت أعطوني أكثر بكثير مما توقعت، وإن شاء الله يكون ما أخذته منكم وأعطيتموني من دعم ومحبة وثقة، أن أكون على قدر هذه الثقة والمسؤولية التي أوليتموني إيّاها، كل عام وأنتم بخير والله يوفقكم جميعًا ويوفقنا لما فيه خير هذا الوطن وخير هذه المدينة العظيمة»[1].

من المعلوم أن افتتاح الخطبة يكون الهدف منه إثارة اهتمام الجمهور وتهيئته لتقبّل مضمون الخطاب، ويمثل هذا البعد الأخطر في كل بلاغة، إذ الغاية من النهاية هي التأثير في هذا المتلقي. والواقع أن كل التوقعات الأخرى لا تكتسب الأهمية إلا عندما تجد الصدى المناسب والمطلوب في المتلقي. وهذا ما يسميه أرسطو الباتوس. إن محاولة التحكم أو التأثير في الإنسان بواسطة اللّغة هو ما يدعى الحجاج ويكون هو العمل والتقنية والعلم. وإن توجيه الحريري خطابه للأسر البيروتية بكلمات مقتضبة تحمل في طياتها أبعاد حجاجية وذاتية وواقعية نعانيها في كل مراحلنا السابقة والحالية، وهي المرحلة الانتقالية بين الحكومات المتعاقبة على لبنان. فالترقب أهم من الكلام في هذه المرحلة والكلمة أهم من الخطابات في بعض الأحيان، لأن الحجاج هو كلمة. هذا يعني أن اللغة التي نتوسل بها في الحجاج هي من جنس اللغة الطبيعية، التي يثقفها الإنسان ويهذبها بضروب الإيحاءات، هذه اللغة المعتمدة في الحجاج بعيدة كل البعد عن تلك

(1) د سعيد اللحام، محمد، مسيرة الشهيد رفيق الحريري، نشاطات الأسرة الاجتماعية والإنسانية،المركز الثقافي اللبناني، ص 137-136-135.

المعتمدة في العلم. بهذا وضعت لغة الحجاج وهي لغة اصطلاحية تعاقدية مصنوعة لأداء دور محدد غير مفيد للاستعمال العلمي أو التقني من أجل إحداث تغيير، أو تثبيت رأي المتلقي أو سلوكه.

لا شك أن الفقرة تعجّ بفيض من التجارب الحجاجية الدافقة بفضل الاستعارات التي تضارع القوة والحصن والوحدة، وهو ما يخرج المتلقي من دائرة العصبية والتشرذم إلى الوحدة الوطنية بدائرة التمعن العقلي والفكري. إذ لا يتركنا الرئيس قلقين بل يعدل موقفنا وموقفه إزاء الحكومة وما يحدث فيها وكيفية التعامل مع الوضع الذي ألمّ بنا. فهناك تلك الاستعارة التي تكشف عن هذه النوايا الحجاجية. هناك «الإجهاز عليها، وضرب حماتها» أي التمسك بالوطن إلى الوحدة «أوقات الشدائد».

هذه الفقرة مقطع خطابي، علاوة على بلاغته الدافقة، واجهة حجاجية إقناعية، إنه يعدل ويرسخ رأي الرئيس وإحساسه بأهمية الوحدة ضمن إطار التنوع، ووضع التنوع في إطار الوحدة لانها الحصن الوحيد في التحديات ومواجهتها. هذه البراهين العاطفية أو الانفعالية ممزوجة بالبراهين العقلية؛ تسمو بتلك الحجج عن الأوصاف التي تكتفي فقط بنقل الوقائع كما هي، والتي تكون عديمة الفعالية إلى إشغال عناصر شاعرية وعاطفية تتوقد فيهما الحجة العقلية التي تعوض بالبلاغة الضرورية للتأثير في الآخر.

أضاف الحريري بخطابه فقال « أنتم تعلمون أنني بطبعي متفائل وهذا التفاؤل أثبت أنه حقيقة ولكن من دون أدنى شك لدينا تساؤلات والكثير من علامات الاستفهام ولدينا تخوف ولكن لدينا أيضا تاريخ، تاريخ هذا البلد يقول إنه مهما كانت الصعوبات فاللبنانيون قادرون بإيمانهم وثقتهم بأنفسهم على تخطي الصعاب». قدّم الرئيس القليل من المقتنعات مقابل الكثير من المخيلات، بينما أنه يجوز للخطيب أن يستعمل القليل من المخيلات مقابل الكثير من المقتنعات، وذلك حتى الإقناع الذي يعتبر هدف هذا الخطاب. «لأن الغرض في الصناعتين (المعاني واللغة) واحد، وهو أعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه. فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما»[1].

القبول والتأثر مسعًى حجاجي واضح أقامهما الحريري في بلاغته ضمن خطابه في قول «أنتم تعلمون»، قدم هذا التعبير محاورة في أسس لمناهضة القيام بالوطن لأن الوطن للجميع ولذلك استعمل ضمير جمع المتكلم «لأنهم قادرون بإيمانهم وحبهم للوطن أن

(1) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص361.

يشاركوا في صناعة القرار». والواقع أن هذا الشعب هو الضمير وهو العنصر الأساسي في مقام الإغراء الذي تقيمه البلاغة. إنها تمثل ضرورة الإقناع المكثف «من دون أن يتوافر إمكان الاعتراضات أو الانتقادات، إذ إنه من المتعذر أمام المتلقي للخطابة هنا وضع الأسئلة أو مساءلة الآثار التي يحدثها إغراء الخطابات. ففي مقابل الحشود، يمكن بسهولة إقامة واقع إقناعي، بل قهري، للخطاب البلاغي»[1]. فالشكل الخارجي لبلاغة الخطاب الحريري لا يسمح بإنتاج المعرفة فحسب، بل إنه يزيل الشك واليقين بمستقل؛ يطرح الحجة والدليل على نجاح المواطن للخروج من الأزمات هو صراع اللبناني مع تاريخ عبر الأزمات التي مرت على لبنان.

أمام هذا الحشد الإقناعيّ أمام المستمع المكوّن من الأسر البيروتية، وحيث الخير الزمني غير المحصور بمنطقة أو زمن، وحيث الموضوعات المعروضة للمناقشة معروفة، لامجال إلا لإنتاج المعرفة واليقين لأن الخطيب المتمكن من خطابه لن يعجز عن الكلام المقنع أكثر من أي صانع آخر، فسلطة الفن الخطابي أعظم سلطة. إن أفعال الناس تتخذ نقاشًا لأنها بحث غامض، ويتطلب الدقة في الاستدلالات، بقدر ما يتقبله الموضوع المطروح، فلهذا لا يمكن إخضاع الأفعال الإنسانية لأي قاعدة ثابتة ودقيقة، وبالأحرى دراسة خاصة لأن لكل واحد منها يكون تأثيره أشد غموضًا فهي لا تندرج ضمن فن منتظم، ولا في أي سلوك منتظم وتكون تبعًا لحالات استعداد والمتلقي ومدى الاستجابة لكل المؤثرات في اتجاه تعديل الإحساس أو الرأي أو السلوك.

الواقع أن المناقشة بين طرفين مفكرين وهما الأسر البيروتية والرئيس غير مستعينين بأي شكل من أشكال السلطة والضغط أو الإرغام تحقق البلاغة الحقيقية، أي الجدل. هذا الحوار أو الجدل او النقاشات بين الخطيب والجمهور، تنتج المعرفة والتعبئة أو التحريض الجماهيري. وبهذا الخطاب يصل الحريري إلى تعريف من أفلاطون على لسان سقراط يقول: «إنّ البلاغة ليست في حاجة إلى معرفة ماهية الأشياء التي تتحدث عنها، إنها البلاغة بكل بساطة قد اكتشف أنها أداة تستخدم للإقناع، والنتيجة هي أنها أمام جمهور من الرعاع تبدو كأنها تعرف أكثر مما يعمله العلماء»[2].

يذهب الرئيس إلى إدخال مشتركًا ثالثًا في الخطاب والمناقشة وهو التاريخ، تاريخ هذا البلد يقف شاهدًا وحجة مع الرئيس أمام الجمهور، والذي يؤكد قدرة اللبنانيين في تخطي الصعاب. فهذا الحوار الثلاثي يتكون في ثلاثية متخاطبين مختصين في مجال المطروح

(1) - Canto, Monique, “introduction” in. Platon,Gorgias,P.61.

(2) Canto, Monique, “introduction” in. Platon,Gorgias,P149

للمناقشة، وحيث لا يحتكم إلا إلى المعرفة القابلة للتفنيد في أي لحظة، ويستبعد فيها أي نوع من أنواع السلطة القهرية، بمعنى أن المعرفة والتماس الحقيقة هما المقياس الوحيد الذي يتحكم بالخطاب. وهذا النقاش أو هذه الصناعة البلاغية هي أقرب إلى النقاشات التي تقوم بين العلماء والمختصين وبين المدرّس وتلميذه. «نحن نمثلكم وإن شاء الله نمثلكم خير تمثيل الى حين انتهاء المهمة التي أيدتمونا فيها وهي عند الانتخابات النيابية المقبلة. فالأمر يعود لكم إذا كنّا قد مثلناكم كما يجب أو أن هناك من قصر بالتمثيل، والمحاسبة الشعبية هي الأساس». ارتبط الخطاب بالجدل، إن لم نقل مترادفًا معه. وكان الكشف عن الفائدة التي تهمنا في هذا النص والتي نجنيها من الجدل المتعلق هي التواصل مع الآخر. فعل (نمثلكم) وفعل (أيدتمونا) لأن من الضروري الإلمام بالآراء العامة التي يسلمون بها. إذ بذلك تتيسر محاولات إقناعهم برأي الرئيس. كما تتيسر محاولات صرفهم عن القلق والاضطراب الذين ضربا المنطقة حين قدّم الرئيس استقالته 2004.

وفي هذا يكون التساؤل ملجأ حينما تستحضر أحد تعريفات أرسطو للخطابة «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»[1]. هذا التحديد للخطابة دال على الأجناس الخطابية الثلاثة، أي التشاورية والقضائية والاحتفالية. فقصد الحريري الجدل لأن الجدل ضرب من ضروب الخطابة الذي يقصد به إلى ضرب من الرياضة المعنوية واللفظية، وإلى خطاب يراعي فيه الحريري اقتناعات المخاطب لأجل تثبيتها أو تعديلها. يجعل جدله محيط بكل الأمور ليحصل على إقناع العامة، ويجعل جدله محفل في التجمعات الشعبية والمحاكم والمحافل العمومية. وفي هذه المقامات مخاطبة المجموع مخاطبة شفوية تكون بغاية الإقناع والتحفيز على الفعل.

إن قيم العدل والظلم، والجميل والقبيح، والخير والشر، في خطاب الحريري، تندُّ عن التقويم الكمي حيث تعيش في كنف المقامات الثلاثة السابقة. العدل والظلم يلازمان الخطابة القضائية، الجميل والقبيح يلازمان الخطابة الاحتفالية في الجمعية العامة، الخير والشر يلازمان الخطابة الاستشارية في مجلس الحاضرة. هذه المحافل والمقامات هي الحلبة التي يتبارى فيها الخطباء لا العلماء أو الفلاسفة. وكل هذه الموضوعات ترتبط بالفعل والشأن الإنسانيين ولا تستجيب، إلا في الخطابة. فهي تنأى عن الغموض والأسرار والاستدلالات المعقدة. وحينها نتذكر عبارة أرسطو الآتية :»لكل واحد من هذه

(1) أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ص29.

الأجناس غاية مختلفة، وبما أن هناك ثلاثة أجناس من الخطابة، فإن هناك أيضا ثلاث غايات. فبالنسبة إلى الخطيب المشاور، نجد الخير والشر إذ إن من ينصح يقدم ما يوصي به اعتباره الأحسن وذلك الذي ينهى عما ينكر باعتباره شرًا أمام كل الاعتبارات الأخرى، مثل العدل والظلم، والجميل والقبيح فمندرجة كلواحق. وغاية الخطيب في المنازعات القضائية هي العدل والظلم، وفي هذه الحالة أيضا تندرج سائر الاعتبارات كلواحق. وغاية من يمدح أو يذم هي الجميل والقبيح، وتلحق سائر الاعتبارات بهذين»[1].

تابع الرئيس قوله : «عندما قدمت استقالة الحكومة والاعتذار، جاء كثيرون يقولون إنه في آخر الاستقالة هناك سطران تضمّنا العبارة الآتية: «أستودع الله لبنان الحبيب". سألوني ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني ما قلته بالضبط أن لبنان واللبنانيين وباستمرار إيمانهم بالله سبحانه وتعالى كبير وثقتهم بأنفسهم كبيرة». اتسم خطاب الحريري بالمجال الرحب، مجال القيم حيث لا مجال للاختيار، فهي محسومة حسمًا نهائيًّا. إنه مجال واضح وغير غامض وهو المستند إلى أي أساس ضروري، كما هو الأمر بالنسبة للعلوم.

من أفضل من الله تعالى بتوكيله أمر لبنان؟ فالعلاقة لم تعد بين الجمهور فحسب، فهي علاقة مع الله وتوكيله أمر لبنان، أم لحبه الكبير لبنان من ناحية، ومن ناحية ثانية الجو العام المسلم والمسيحي الذي يؤمن بالله فتزداد ثقته بالشخص المؤمن. عللت هذه الجملة مضمون الخطاب بما فيه رؤيته الإصلاحية مع تلاؤم الأديان لحب لبنان لأن الهدف واحد، والله واحد ولبنان شعبه واحد. هذه الرؤية الإصلاحية تحوّل المتلقي المتأثر بالخطاب الموجه إليه إلى التشديد والعناية الأساسية من الناحية السيكولوجية والنفسية والثقافية والإيديولوجية إلى عمل بالغ الأهميّة وهو السكينة.

فالحريري عالم بحالة المتلقي وبنفسيته وتفكيره وإيمانه؛ ولكي يتمكن بالانفعالات التي يحب إثارتها، هو أن يقدم عبارة «أستودع الله لبنان الحبيب»، لأنها عبارة تحمل مجموعة إيديولوجيات وسيكولوجيات يميل الناس إليها بالفطرة. وهذا التحكم في الانفعالات يجعلننا ندرك بوضوح السبل التي تجعلنا نقود المتلقي في الاتجاه الذي نريده. بل ربما تجعلنا هذه المعرفة على علم بالوسائل التي ينبغي أن نتوسل غاية الإقناع. فالخوف على مستقبل لبنان وإيداعه بين يدي الله، والتفاؤل الذي يمتلكه تاريخ الحريري، وثقة اللبنانيين به بعد الحرب الأهلية يناسبهما جنس واحد من الخطابة. وهي الخطابة القضائية الاستشارية حيث يخطط للمستقبل والحاضر معا، ويكون أيضا إثارة المتلقي لرفض

(1) Aristote,Rhetorique, ed. Iivre de poche, p.195

الواقع والتأمل بمستقبل متغاير.

يقول ميشيل مايير :« إن القدرة على الحجاج الجيد، أي القدرة على الإقناع، تقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب، أي معرفة ما يحركها»[1]. فالرئيس جعل المخاطب أمام ما يملكه من إيمان ويجعله يحسّ بهول ما يتركه بيد الله (عز وجل)، فإن الإنسان المؤمن سيكون أكثر حساسيّة أمام هذا النوع من الحجج، وإنّ فِعلَ الإيمان سيحرك أكثر مما يمكن أن يحركه رفض الفعل. وعلى كل حال فإن هذا المقوم النزوعي ينبغي أن يراقب من جهات الثلاث. أي تحديد الحالة النزوعية التي يتحملها المتلقي أو المستمع، وتحديد الشخص الذي يتوجه إليه هذا النزوع أو الهوى، وتحديد المسببات لهذا النزوع. إنّ أي واحدة من هذه الزوايا يمكن أن تسخر بفعالية إقناعيّة في إيقاد نزعة أو في إخمادها.

البعض فهم من هذا الكلام أنني لا أريد أن أستمر في العمل السياسي. الحقيقة ليست كذلك ولكن هناك بعضًا منها وهي الآتي: لقد مثلت بيروت منذ العام 1996 وحتى الآن الأمر يعود إلى أهالي بيروت إذا أرادوا دعمنا فنحن إلى جانبهم، وإذا أرادوا غير ذلك فنحن نحترم إرادتهم. وبالتالي ما عنيته أنني بتصرف هذه المدينة طالما أن أهلها يريدونني أن أمثلهم.»

يقول أرسطو :«إنني أسمي المضمر قياسًا خطابيًّا، وأسمي الشاهد استقراءً خطابيًّا. كل الناس يبرهنون على إثبات ما، إما بالشاهد وإمّا بالمضمر، ولا يوجد غيرهما من أجل هذه الغاية»[2].

نحن أمام برهان منطقي يسميه أرسطو قياسي، فقدم الحريري قياسًا منطقيًّا علميًّا انطلق من مقدمة كبرى وهي القياس المضمر، وأن بعض الناس وضح لها إنه لا يريد العمل السياسي، فهو عمل قياسي صغير مُسَلّم به ولا يحمل الاحتمال عند كثير من العامة. وهذا مجرد احتمال لأن الصادقين والمخلصين والأمناء يحالفهم النصر دائمًا. فالمقدمة الكبرى تلتها الصغرى، ثم الاستنتاج في آخر الفقرة لأنه يتضمن موضوعًا واحدًا. فهذه العبارات جاءت متراصة متلاحقة الواحدة تلوى الأخرى، لتوضح اللاحقة الجملة السابقة ولتقف بعبارات منطقية علمية.

تظهر الحجج المضمرة التي تأتي في الشاهد بعد طرح الفكرة العامة، فنجد الحجج المضمرة في قوله :» إنني بتصرف هذه المدينة طالما أهلها يريدونني أن أمثلهم.» لو تصور أهالي بيروت المشهد المعاكس في عدم انتخاب الرئيس، سيقوم المتلقي باستقراء

(1) Michel Meyer, (introduction), Aristote, Rhetorique, p 158.

(2) Aristote,Rhetorique, ed. Iivre de poche, p 85

الخطاب واندماجه مع الواقع، فيتذكر الحرب الأهلية التي جرت واستمرارها ولم تنتهِ إلا بعد حضور الحريري وقيامه باتفاق الطائف. فيرى المتلقي أنه مجبر ولا مخير باختياره ليضع الرجل المناسب في المكان المناسب، من أجل استمرار الاستقرار في الوطن. هذه الصورة السمعية مسارها الحيّز النفسيّ والفيزيولوجيّ الموجّه للمستقبل يقول أرسطو :»لا يقوم الشاهد على علاقة الجزء بالكل، ولا علاقة الكل بالجزء، فحينما تقدم لنا قضيتان من الجنس نفسه، وتكون إحداهما أشهر من الأخرى، فإننا بصدد الشاهد أو المقارنة».

حينما يؤكد لنا الرئيس أنه يسعى إلى كسب أصوات الشعب، فإنما هذا يعني العودة إلى السلطة بقرار منهم، وهذا القرار سيؤدي إلى الاستقرار والاستمرار به، مما يعني الازدهار والتطور بالصناعة والتجارة والاقتصاد. فإن كل هذه الحالات تنضوي تحت القضية العامة الدالة إلى الانتخابات واختيار الأفضل للوطن ولأبنائه.

ختم الرئيس «في كل مرة نجتمع أشعر أكثر فأكثر، بأن بيروت وأهالي بيروت أعطوني أكثر بكثير مما توقعت، وإن شاء الله يكون ما أخذته منكم وأعطيتموني من دعم ومحبة وثقة، أن أكون على قدر هذه الثقة والمسؤولية التي أوليتموني إيّاها، كل عام وأنتم بخير والله يوفقكم جميعًا ويوفقنا لما فيه خير هذا الوطن وخير هذه المدينة العظيمة». قصد الرئيس التعظيم ليستقطب الإجماع (أهالي بيروت أعطوني أكثر بكثير مما توقعت)، فإن الحجاج لا يكون له داعٍ، بحيث يفسح المجال أمام المقوم التفخيمي الذي يكتفي بتفخيم الأعمال المتفق عليها عند كل المتلقين. إن المبالغة والتزيين المتوسل بالتشبيهات والاستعارات والتوازي؛ هي المسيطرة في خاتمة الخطاب، كما نجده عند البلاغيين المعاصرين حيث يجيدون أصل مفهوم الأدب في هذا الجنس الاحتفالي من الخطابة.

هذا الخطاب من مقدمة وعرض وخاتمة تميز به خطاب الحريري الإقناعي والذي ينضوي تحت الأجناس الثلاثة (التشاورية والقضائية والاحتفالية). وهذه الأجناس وليدة النظام الديمقراطي اللبناني بمحافله الثلاثة: الحشد الشعبي لانتخاب مجلس النواب، ويتشاور المجلس النيابي لانتخاب مجلس الوزراء، والذي يتشاور بدوره بشأن المشاريع المستقبلية التي تعني الحاضر والواقع، وانعقاد مجلس النواب والوزراء مع رئيس الجمهورية في الاطر العليا ولتشريع القوانين وتنفيذ المشاريع، حيث تلغى في هذه المحافل الخطابية الشفوية التي تلقى أمام الشعب على شاشات التلفزة والإعلام، وغايتها دفع اللبنانيين والحكومة إلى الفعل. غير أن الخطابة هي مجرد قطعة من مجال عريض هو الجدل الذي يقوم على استخلاص استنتاجات انطلاقا من آراء محتملة.

أرفع جاهزة دولية للإعمار

من نشاطات الأسرة الاجتماعية والإنسانية.

تسلم رئيس مجلس الوزراء جائزة الشرف الخاصة لبرنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية «إعادة إعمار لبنان»، ألقى الرئيس الحريري كلمة قال فيها : «أشعر بالفخر والاعتزاز اليوم للوقوف أمام هذا الجمهور الكريم الذي يمثل الأمم المتحدة، هذه المنظمة التي تمثل طموحات العالم مجتمعًا بالسلام والأمان والتعاون. إني مسرور بوجودي هنا لتسلم هذه الجائزة لأسباب عدة: ....

توجه الرئيس الحريري إلى مؤسسة الأمم المتحدة للإسكان بالقول: « لقد اخترت تجربة لبنان الإعمارية للاحتفاء بها كحلّ مثالي لبلدان عانت وتعلمت الدرس، وأرادت بناء المستقبل بسواعد أبنائها فنجحت بذلك. وأريد أمام هذه النخبة المتميزة من مثقفي العالم، وفي هذا البلد الزاهر الصديق للعرب والمسلمين أن أشكر لكم هذا التقدير، وأن أوجه باسمكم نداءً بإنقاذ حضارة القدس وبيت لحم ورام الله وغزة وبغداد والموصل والنجف.

وختامًا،..... إن الأمم المتحدة ستبقى أساسا في حياتنا وعبر الحوار والانفتاح والتفاهم سننجح في جعل العالم والأمم المتحدة يفهمون قضايانا أكثر. وينظرون في آرائنا ويعتمدونها. إن السلامة هي مصيرنا، لنعمل معًا لتحقيق هذا المصير، لنعمل دائمًا من أجل السلام، شكرًا لكم[1].

التحليل: تسلم الحريري جائزة الشرف الخاصة ببرنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية «وإعادة إعمار لبنان» . وألقى الرئيس هذه الكلمة وجعل من مقدمتها من أهم ما جاء في الخطاب، فمثلت مقدمة الخطاب النظريات الحجاجية الاحتفالية؛ حيث القصد وهو التفخيم والتعظيم بالمنظمة، وبمكانة لبنان الذي يكرم. فشكلت المبالغة والتزيين المتوسلات بالتشبهات والاستعارات حيث تندرج تحت عبارات الشعور والفخر، وجعلت طموحات العالم تنتسب إلى الجمعية المتمثلة بالأمن والسلام والتعاون. وهذه الشواهد تنتسب أيضا إلى التمثيل بالوحدة والمحبة والتآخي بأسلوب سلس مرسل بعيد عن التكلّف ومحافظًا على المقوم التفخيمي بتكثيف الاستدلال والمدلول، فيكتفي بتوسع البلاغة إلى الحدود البعيدة وذلك عبر دمج الجدل بالصفات الإنسانية العامة، والتحاور اليومي العملي، في هذا النموذج ترتسم البلاغة الجديدة.

---

(1) د محمد سعيد اللحام،مسيرة الشهيد رفيق الحريري، نشاطات الأسرة الاجتماعية والإنسانية، المركز الثقافي اللبناني، ص 112-111-110-109-108.

والواقع أن الحريري يقف على آليات مشتركة بين كل أشكال الكلام، سواء النفسي والشخصي أو الثنائي أو الجماهيري أو الخطاب المختص في مجال القانوني والعلوم الإنسانية. وبهذا مثّل الخطاب فكر العامة والمثقفين والمتعلمين لتفعيل المخاطب. وبهذا التحول نقف عند شايم بيرلمان الذي تعمّد إبعاد الجوانب السيكولوجية التي استأثرت بالمقدمة جاءت على شكل تقرير الخطاب المناهض لخطة الخطاب. وفي الوقت ذاته يتطلب النقاش حولها الأخذ والعطاء وقد دعم الرئيس هذا الدخول الحجاجي القوي بالتشجيع (جميعا – الأمن – التعاون) لترسيخ تلك الحقيقة في ذهن المتلقي، كما أن فيه نوعا من الاستقرار. فمواقع الكلامات وتوازنها يوهم بدون تفكير بالصدق دون مغالطة أو غموض، بل يكاد يكون حجة على علم مسبق.

ومن هنا، يتضح لنا البعد الحجاجي الواضح، فهو ذو صيغة توجيه اثباتية، هذه الصيغة التي يقول عنها شايم بيرلمان وأولبريخت التعبيرية؛ وقد قسمها « إلى أربع صيغ إثباتية، صيغة إلزامية، صيغة استفهامية و صيغة التمني ذات دور حجاجي مهم قادر على تعديل الحقيقة واليقين، أو تعديل أهمية المعطيات في الخطاب»[1] . يعلن الرئيس من خلال مقدمته خططه وموقفه بقوة، لخطط السلام والتطور والتقدم، والمتلقي يعرف ذلك منذ البداية، ويعرف أن الحريري متيقن تمام اليقين من رأيه في هذا الخطاب وحاسم في موقفه منه وفي ذلك ما لا شك فيه من قدرة على التأثير فيه. ومن حيث الأسلوب في هذه المقدمة فضلا عن التشجيع يستخدم عبارة مأنوسة من قبيل العبارات المكررة، ونعني بذلك عبارة الفخر والاعتزاز. هذه القوالب تساعد على خلق وفاق بين الخطيب والجمهور، والاتخاذ بينهما فكرًا ووجدانًا وإثارتها ناتجة عن المجال التركيبي الدلالي الذي ألحقت به. « إني مسرور بوجودي هنا لتسلم هذه الجائزة لأسباب عدة»، بمعنى هي جائزة للشعب اللبناني من قبل الأمم المتحدة، ذلك الشعب استطاع أن يعيد حلمه. يفتخر الرئيس باختيار برشلونة الشعب اللبناني الممثل بالحريري لمنح هذه الجائزة. ويشكر عائلته الصغيرة بدعمها لكسب حب العائلة الكبيرة وتحقيق النجاح.

اتبع الرئيس الخطوات التالية في التمهيد: فبعد الافتتاح والافتخار، سرد مجموعة من الأفعال الفخرية، ليكون الهدف من هذا الافتتاح إثارة اهتمام المتلقي، وتهيئته لتقبّل مضمون الخطاب. فهو كسب أذن المتلقي لمصلحة الأطروحة التي يدافع عنها، وإثبات عمله وانتصاره على الحروب بالسلام والعمران وبناء المراكز وتعبيد الطرقات، النتائج

(1) Perelman (Ch.) et Tyteca (o.), Traite de l argumentation. La nouvelle rhetorique, Editions de L Universite de bruxelles, 3eme ed. Belgique, p. 207.

ظهرت في برشلونة وهي أكبر دليل على اعتراف الدول الكبرى على نجاحه. لم يكن اختيار برشلونة عن عبث لمنح هذه الجائزة، بل بما تمثّله برشلونة من انتصاراتها على النازية والفاشية. حضور الحريري بين الرؤوساء، واحترامهم كلماته، وثقتهم به وبتاريخ نجاحه في التجارة، وسرعة النهوض من الدمار، وإعادة البناء بالسرعة غير المتوقعة.

وهنا يبرز نجاحه أيضا في الخطاب حين فنّد الأسباب ووظفها لتحقيق الغايات الثلاث التي ذكرت في الأعلى، وأنّه اهتم بالولوج إلى موضوعه الأساسي وهو الإعمار وبناء الذات اللبنانية؛ وبهذا ربط المقدمة بما سيأتي بعدها.

إن قراءة الأحداث كفيلة بوضع الحريري في مركز التكريم فالمبادرة إيجابية، والمنفتحة بالآراء والتواصل ترسم منطق الفعل ورد الفعل، وسلوك القبول والسعادة التي تطال كل اللبنانيين. وهذه الوقائع هي جزء من التاريخ والحريري حاضر بقوة في تلك الفترة. فالصراع حول تنفيذ خطته للنهوض بلبنان امتدت على مساحة الوطن بفترة زمنية ليست طويلة، وهنا لا يعني أن الحريري تصرف بالأفعال فقط، بل تصرف في اختيار الأحداث الكبرى والمفصلية في مسار الصراع لتحقيق هدفه.

وتحقيق نجاحه الواقعي انعكس على نجاحه الخطابي من ناحية بالأسلوب الحجاجي، إذ إن «انتقاء المعطيات أمر حاسم في الحجاج، بل إن أي حجاج يفترض وجود اختيار ما»[1] ، وليس عبثا أن يعقد شايم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا فصلا بأكمله في القسم الثاني من مصنفيهما تحت عنوان « اختيار المعطيات وتكييفها لأغراض الحجاج»، جاء في مقدمة الفصل :« تشكل التوافقات (les accords) الموجودة تحت تصرف الخطيب والتي بوسعه الارتكاز عليها في حجاج معطى، ولكن هذا المعطى هو من قابلية الاستعمال المتنوع ما يجعل الاستفادة منه ذات أهمية قصوى، لذلك فمن اللازم لفت الانتباه إلى دور الاختيار الأولي للعناصر التي تستخدم كمنطلقات للحجاج، وكذا تكييفها خدمة لأهدافه»[2].

أضف إلى ذلك أن استحضار هذه الوقائع هو في حد ذاته فعل حجاجي، يقول بيرلمان وتتيكا: «إن القيام بانتقاء عناصر معينة وتقديمها للمستمع ينطوي مسبقا على أهميتها وملاءمتها للنقاش ... وبالفعل يمنح هذا الاختيار لهذه العناصر «حضورًا» يُعتبر عاملًا جوهريًّا للحجاج، كما يقول بيرلمان في كتابه «إمبراطورية البلاغة» إن اختيار عناصر

(1) Perelman (Ch.) et Tyteca (o.), Traite de l argumentation. La nouvelle rhetorique, Editions de L Universite de bruxelles, 3eme ed. Belgique, p.160

(2) Perelman (Ch.) et Tyteca (o.), Traite de l argumentation. La nouvelle rhetorique, Editions de L Universite de bruxelles, 3eme ed. Belgique, p.154

معينة نحتفظ بها ونقدمها في خطاب ما يجعلها تحتل موقع الصدارة في وعينا، وبذلك فهو يعطيها حضورًا يمنع من إهمالها»[1]. ثم تحدث عن التطورات اللاحقة لاستكمال الإعمار ويبدأ هدفه بالحوار، ولتثبيت خطته ومشروعه يواجه الإحباط حينًا، لأن البعض يعتبر هذا المخطط مستحيلا تحقيقه، يهدف هذا القول إلى ترسيخ الصورة السلبية لسلوك المعارضين في ذهن المتلقي. وذلك باستحضار أنموذج عن رفضهم للإعمار وفي إطار تدخله لإعطاء الأحداث أبعادها الحجاجية.

أشار الحريري إلى أن معارضي الخطة، راهنوا على إفشال الخطة بأكملها بالاعتراض على جزء منها حين تحدث عن مراحل البناء. إن الحريري في هذه الجملة يحدد الدعامتين الرئيستين اللتين بنى عليهما الخطاب المناهض لحظة الإعمار بطريقة حجاجية، والتي سيستهدفها إذ استعمل طيلة الخطاب طرح الحجج في رسم الخطط بالنهوض وبالتحدي، الذي يتمثل بتحقيق وتنفيذ هذا المخطط والذي يحجّم الخصوم في دوافعهم السياسية لحكم البلد. فالانتقال من الإحباط إلى التحدي هو إفشال الخطة المضادة للراسمين لأنفسهم بذلك صورة المدافعين عن الوطن. وهذا الخطاب يكشف عن رسم الحريري لكيفية استراتجيات وتكتيكيات ومحاولته في تحقيقها، ومنطق الاستراتيجية والتكتكة هو منطق سياسي بامتياز، وهذا معناه أن أهدافهم لا تمت إلى سياسة الإعمار والانجاز بصلة، بل هي أهداف سياسية تنطلق من حسابات حزبية ضيقة. وفي ذلك كشف لعدم مصداقية توقعاتهم وخطاباتهم بانجازاته المحققة وباستلامه جائزة برشلونة.

يكمل الرئيس: «هناك متغيرات كثيرة حصلت وقد تحصل في الأشهر المقبلة، وقد تبقى الأمور على ما هي عليه، ولكن الأكيد أن لبنان موجود، بيروت موجودة، أهالي بيروت موجودون ومبادئنا وثوابتنا الوطنية لن نتنازل عنها». أدخل الرئيس هذه المسلمات ليوجه للمتلقي بطريقة خفية ذكية، حيث يلاحظ العنصر المضمر في هذا القياس هو النتيجة التي ترك المؤلف أمر استخلاصها لعناية وذكاء المتلقي، غير أننا لا نذهب بعيدًا حتى نجد في ثنايا كلامه ما يساعد على تكوين هذه النتيجة، ليبني المتلقي نتيجة القياس اعتمادًا على هذه المعطيات. من ضمن النتائج التي يمكن الخروج بها:

1 – علينا أن ننهض بعبء إعادة بناء القطاعات.

2 – كسب ثقة المؤسسات الإقليمية والدولية.

3 – التوافق والتوازي مع حشد اللبنانيين من أجل مستقبلهم.

---

(1) Jean cohen, le haut langage, p.172

النتيجة الأهم في الخطاب تأكيد نجاح الخطة الإعمار باعتبارها نوعًا من أنواع الحوار مع الحاضرين. إضافة إلى ما سبق أن استعان الرئيس به في حجاجه:

– استخدام الألفاظ المحسوسة لتجسيد المقصود بـ «الأنا» و»الآخر»؛ اللبنانيين\ الغرب\ منطقة الشرق الأوسط.

– إبراز العواقب واعتبارها خطيرة، من حيث استعمال ألفاظ ذات وقع قوي على المتلقي (في لبنان نعني عدم التكافؤ في طرق كثيرة منها التربية والصحة والكثير من الخدمات الأخرى). وفي هذا الإطار يستخدم عبارات تحيل المتلقي على أحداث واقعية، تحيل المتلقي الذي يعاني وعانى خلال فترة الحرب في لبنان، وما يزال يعيشه. ومعلوم أن الألفاظ تخضع في الحجاج للاختيار واستعمال تلك التعابير بعينها تخضع للهدف الذي يتوخاه. توجّه الخطاب إلى الأمم المتحدة بالقول: « لقد اخترتم تجربة لبنان الإعمارية للاحتفاء بها كحلّ مثالي لبلدان عانت وتعلمت الدرس، وأرادت بناء المستقبل بسواعد... «بهذا يعرض الخطيب نجاح التحليل الذي اعتمد من قبل الأمم المتحدة في لبنان. وبهذا البيان يفند فيه أمكنة الصعوبات والتحديات وبمغالطة المعارضيين له بفشل الخطة، وفتح الباب أمام إصلاحات ضرورية في العراق وفلسطين، وشد الثقة بين البلاد العربية انطلاقًا من تلك الفترة. يمكننا القول إن الأساس الحجاجي العام لهذه الفترة هو عرض الوقائع التي تم الوصول إليها، من تنفيذ خطة الإعمار والمقارنة في ما مضى من السنين العجاف. وما قد تحقق من استكمال الخطة، وتنفيذ ما بقي من الإعمار المتوازن في كل المناطق بكل ما للكلمة من معنى. وتظهر سلامة الحجاج في قوة العبارات بربط العمل بالقول، وقد أحاط كل الخطط بالمهارات التي تقتضيه الخطط الطامحة إلى خلاص ملايين اللبنانيين من الجوع، الفقر والتخلف، والى التعامل الحضاري بالعلم والتثقيف ونشر روح الإيجابية بين المواطنين.

يختم الحريري خطابه فيقول :»أريد أن أوجه تحية إلى الأمم المتحدة، إلى هذه المنظمة التي حملت على مرِّ أكثر من نصف قرن طموحات شعوب العالم بالتحرر والتنمية والأمان والسلام».

إن منح الأمم المتحدة هذه الجائزة للبنان يعني أن باب هذه المنظمة سيبقى دائما مشرعًا للدول التي تسعى إلى تحسين حياتها وحياة شعبها. إنّ لبنان دائما مشرع على الديمقراطية والحرية، وعلى كل ما هو نبيل على هذه الأرض، وفي مقدمته رسالة السلام والتسامح التي تحملها هذه المنظمة وكل من آمن بها. إنّ الأمم المتحدة

ستبقى أساسا في حياتنا وعبر الحوار والانفتاح والتفاهم، سننجح في جعل العالم والأمم المتحدة يفهمون قضايانا أكثر. وينظرون في آرائنا ويعتمدونها. إن السلامة هي مصيرنا، لنعمل معًا لتحقيق هذا المصير، لنعمل دائمًا من أجل السلام، شكرًا لكم»[1].

هذه الخاتمة ساهمت في تفعيل دور الأمم المتحدة والإعلاء من شأنها، وبالتالي إعلاء من شأن دور لبنان في تحقيق النجاح والخروج بسرعة من الحرب، وضمه في إطار حضارة التكنولوجية. وضمّه بالتالي إلى القرية الكونية عبر الحوار والتفاعل البلاغي، الذي انزلق به من برج التنظير إلى الخطاب التداولي بتفعيل البلاغة وجعلها تنفتح على الواقع. فتقوم بالتحليل النقدي لما هو سائد في الواقع بسبر أغوار المغالطات وكشف الحقائق، وبذلك مساعدة السامع على التثقيف لما يدور حوله بعدة أساليب لتكوين مناعته الذاتية، لكشف المغالطات السياسية التي تحاك ضد المواطن لمصلحة السياسي الشخصية، فيعامل أصحاب الخدع بنقيض قصدهم ليرد كيدهم في نحرهم.

وأخيرا يندرج هذا الخطاب في إطار عمل حضاري نضالي، مما يجذب المختصين في البلاغة للانخراط في تحليله، وخصوصًا المهتمين بنظرية الخطاب لأنه مسؤولية جسيمة. فنحن بحاجة إلى ثورة إعلامية يعرفها العالم للسعي الحثيث لتأويل الماضي الوطني والقومي، وتقوم التجارب الماضية، لمصلحة أطروحات سياسية صريحة حينًا، وضمنية أحيانًا. وفي عملية التأويل هذه تمارس كل الانزلاقات الخطابية كي لا يقف المتلقي العربي مستهلَكًا فقط بل يتكون لديه قدرة على كشف الخدع والأضاليل ويقف اللعب بعواطف الناس دون أي اعتبار ولا احترام للمستمع وللحقيقة. وفي ذلك إفساد للديمقراطية باعتبارها نظاما تخضع الاعتبارات المصيرية فيه للرأي العام عند المواطنين.

ومن هنا يكتسب التحليل البلاغي لهذا الخطاب أهمية قصوى، حيث تتدخل الحجج والضوابط ليرتسم حدود التخاطب المسؤول والمعقول والمتزن، الذي يسيّر المجتمع في الإيجابية، محافظًا للمكتسبات وحريصًا على تحقيق مكتسبات جديدة.

---

(1) د محمد سعيد اللحام، مسيرة الشهيد رفيق الحريري، نشاطات الأسرة الاجتماعية والإنسانية، المركز الثقافي اللبناني، ص 112-111-110-109-108.

قائمة المصادر والمراجع العربيّة

1. ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، 1994م.
2. أبو البقاء الكفوي، **معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، دار الرسالة 1412هـ، 1992م.
3. أرسطو، **الخطابة**، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد للنشر، العراق، 2011م
4. براون بول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزلطني ومنير التركي، جامعة الملك سعود، 1997م.
5. حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3-1986.
6. سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، ط1، 1988م.
7. سعيد اللحام، د. محمد سعيد، **مسيرة الشهيد رفيق الحريري،تصريحات الرئيس**، المركز الثقافي اللبناني، ط1، 2005م.
8. د سعيد اللحام، محمد، **مسيرة الشهيد رفيق الحريري، نشاطات الأسرة الاجتماعية والإنسانية**، المركز الثقافي اللبناني، ط1، 2005م.
9. محمد علي القاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د. لطفي عبد البديع و.د. عبد النعيم محمد حسنين، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972م، ج2، ط2.

8. المصادر والمراجع الأجنبية

1- Aristote,Rhetorique, **philosophie–grands textes**, ed. livre de poche, librairie Decitre, 1991

2- Jean cohen, **le haut langage,Theorie de la poeticite**, Flammarion, 1979

3- Monique Canto, Platon,Gorgias, **L'Antiquite' CLASSIQUE**, "introduction et notes par M.C" in. Paris, Flammarion, 1989.

4- Perelman (Ch.) et Tyteca (o.), **Traite de l argumentation. La nouvelle rhetorique,** Editions de L Universite de bruxelles, 3eme ed. Belgique,

5- R .Fowler ,**Linguistic Outicism** ,Oxford university press, 1975,

المجلات والدوريات

الحوار المتدن، العدد 2979، عبد الرحيم الخلادي، «الخطاب وتحليل الخطاب»، 2010-4-18، ص1. نشر على موقعDr.khaladi.com

باب العلوم الاجتماعية والفلسفة:

1- مفكرو العربِ المعاصرين والإضراب عن التفكير

«نحو تكوين رؤية جديدة في التفكير العربي»

بقلم الدكتورة: فوزية محمد مراد
كلية الآداب جامعة المرقب- ليبيا
fmmurad@elmergib.edu.ly

تاريخ الاستلام: 2021/9/9 **تاريخ القبول:2021/10/19**

الملخص:

يعيش المفكر العربي المعاصر حالة إضراب عن التفكير في قضايا الأمة وهمومها، كما أنه تخلى تمامًا عن التأثير والتأثر بمحيطه الشعبي وبيئته الاجتماعية، الأمر الذي جعله منعزلًا عن مجتمعه ليعيش في برج عاجي منقطع تمامًا عن القواعد الشعبية للأمة، أي يقطع الصلة بينه وبين واقعه الذي تعيشه أمته، لذلك فجميع محاولاته أطرت في نهجين: إما باستحضار الماضي ومحاولة تشكيل الواقع وفقًا لقواعد الزمن الماضي وإمكانياته، متجاهلاً حركة التاريخ، وإما القفز على التاريخ أو إلغائه، في حركة يائسة للحاق بالغرب، وذلك باعتماد نظرياته وتعميماته وحتى قوانينه، ظنًا منه أنه بمجرد تبني المفاهيم الغربية في قضايا الأمة سيعبُر إلى الحضارة الغربية بأمان، وهنا أيضًا يتجاهل حركة التاريخ. وكلا النهجين إضراب عن التفكير، والركون إلى المتاح والسهل، وذلك إما بالهروب إلى الماضي، ليس بقصد إعادة بنائه، وإنما للعيش فيه، وإما بالهروب إلى ما وراء البحر حيث الغرب وتبني مفاهيمه دون خوض تجربة تشكيل تلك المفاهيم وتموضعها في ثقافتهم المؤسسة على حركة تاريخهم.

الكلمات المفتاحية:

الإيديولوجيا - القومية - الفكر - الحضارة - الحداثة.

Abstract

Thinkers and their Strike on Thinking

(A Way to Make New Vision to Arab Thinking)

The contemporary Arab thinker is currently suffering from the state of strike on thinkinking about the Arab nation and its issues. Besides, s/he has totally abandoned to affect or being affected by the social relationships. This leads him/her to live in an isolation environment without any connection to the real situation that his/her nation is currently living. This makes him/her end any relationship between him/her and the real situation experienced by his/her nation. That is why all his/her attempts have been classified into two:

The first notion, which represents those who relive in the past and try to form the current situation based on to its rules of regardless of how history getting changed. The second notion is represented by those who skip the history or delete it in order to follow the western world. This is done through following the west theories, generalizations and rules. That is because they believe that if they do so they can safely reach to the western civilization. Here, it can also be noticed that the Arab thinker ignores the history movement. That is to say, both notions prove that the Arab thinker is on strike about thinking as this means an escape to the available and quite salution. This is done by escaping to the past, not to reform it but to live in it. On the other hand, those who represent the other notion prefer to travel beyond the sea (the western world) and absorb its thoughts without adapting it to be suitable to their culture which is based on their history improvement.

Key words:

Ideology, nationality, thinking, civilization, modernism.

المقدمة

تضرب لنا الإنتلجانسيا العربية مثالاً دقيقًا –من خلال كتاباتها واطروحاتها– للرفض التام لأداء وظيفتها، أي أنها في حالة إضراب عن التفكير في قضايا الأمة وهمومها، كما أنها تخلت تمامًا عن التأثير والتأثر بمحيطها الشعبي وبيئتها الاجتماعية، الأمر الذي جعل المفكر يعيش في برج عاجي منقطع تمامًا عن القواعد الشعبية للأمة، وبمعنى أدق بأن المفكر العربي يعيش على مستوى مفاهيمه وقراءته بعيدًا عن الواقع الذي يتشكل هو الآخر بعيدًا جدًا عن تلك المفاهيم والقراءات التي لا تعد كونها أمشاجا من الأفكار ذات الاتجاهات المتعددة شرقًا وغربًا في صالونات الترف الفكري، وهي أيضًا –النسبة للقواعد الشعبية– لا تعدو كونها طلاسم وألغازا وتمائم لا يمكن التعرف عليها أصلاً إلا في عالم سحري بعيدًا عن مدارك الواقع وآليات تشكله الثقافية.

إذن هناك مشكلة ألا وهي انعزال المفكر العربي عن الواقع، وانقطاع الصلة بينه وبين واقعه الذي تعيشه أمته، فجميع محاولاته أطرت في نهجين: إما باستحضار الماضي ومحاولة تشكيل الواقع وفقًا لقواعد الزمن الماضي وإمكانياته، متجاهلاً حركة التاريخ، وإما بالقفز على التاريخ أو إلغائه، في حركة يائسة للحاق بالغرب، وذلك باعتماد نظرياته وتعميماته وحتى قوانينه، ظنًا منه بأنه بمجرد تبني المفاهيم الغربية في قضايا الأمة سيعبُر إلى الحضارة الغربية بأمان، وهنا أيضًا يتجاهل حركة التاريخ. وكلا النهجين إضراب عن التفكير، وركون إلى المتاح والسهل، وذلك إما بالهروب إلى الماضي، ليس بقصد إعادة بنائه، وإنما للعيش فيه، وإما بالهروب إلى ما وراء البحر حيث الغرب وتبني مفاهيمه دون خوض تجربة تشكيل تلك المفاهيم وتموضعها في ثقافتهم المؤسسة على حركة تاريخهم. **والسؤال الإشكالي** الذي ستتمحور حوله هذه الدراسة هو: كيف يمكننا شق طريق ثالث بعيدًا عن (إما....وإما) في التفكير العربي المعاصر؟ ومحاولة رفع إضراب المفكرين العرب عن التفكير في قضايا الأمة بشكل أقرب إلى الواقع، وقابل للتطبيق. ويساهم في تكوين بيئة ثقافية جديدة قادرة على خلق نوع من الوعي التاريخي، وإدراك ما يجري حولنا.

المبحث الأول: المقاربات المنهجية(تعريف الإيديولوجيا والفكر العربي)

قبل الخوض في مفاهيم الدراسة علينا التنبيه إلى مفهومين لطالما امتلأت بهما أدبيات الفكر العربي المعاصر وهما (القومية، والإسلاموية) ومحاولة تحديدهما بما أننا بصدد الحديث عن الفكر العربي المعاصر. وعلينا أن نميز بدقة في استخدام المفاهيم والمصطلحات، لأن

الخلط في المفاهيم والمصطلحات مسألة تستخدمها عن قصد كل الأيدولوجيات السياسية، وذلك لغرض التمويه والخلط في معاني الكلمات، وهنا ينبغي أن نفرق بين العروبة كوجود لا يستطيع أي منا التخلص منه حتى ولو عاش لسنوات طويلة خارج محيطه الجغرافي والاجتماعي والثقافي، وبين العروبة كأيديولوجيا، أو كاتجاه سياسي أو فكري[1]، وهو ما نوجه إليه بحثنا، وهو بكل تأكيد غير ملزم للجميع حتى أولئك الذين يعيشون في إطاره الاجتماعي والثقافي، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام، فالحركات الإسلامية حين تطلق على نفسها هذا الاسم تحاول امتلاك شرعية الحديث باسم الإسلام ونفي أن يكون هناك متحدث آخر بهذا الاسم، فيشيع التداخل بين الإسلام العام ملك الجميع، والإسلام السياسي والحركي ملك المنتميين إليه، ولتجنب هذا الخلط ترى بعض الأدبيات السياسية واللغوية المعاصرة إطلاق لفظ الحركات الإسلاموية وليس الإسلامية، لأنه من المؤكد أن يكون هناك إسلام أول، ولكن من الممكن أن يكون هناك عدد كبير من الاتجاهات الفكرية ذات طابع إسلاموي، كل حسب رؤيته وظروفه وتاريخيته، تدعي جميعًا الانتماء إلى أصل وجوهر ثابت لا يتغير.

ما نود التأكيد عليه بأن الانتماء الحركي أو السياسي أو الفكري، يظل انتماء فكريا يعني المنتمين إليه، وليس انتماء وجوديا، وقد عبر الفكر العربي المعاصر بتجلياته المختلفة من (قومية، أو إسلاموية، أو ليبرالية، أو مركساوية، أو توفيقية أو غيرها) عن تداخل هذين المفهومين بالذات (القومية، والإسلاموية)، لأن طرح قضاياهما الفكرية عادة ما يكون طرحًا عاطفيًا تبجيليًا، أكثر منه طرحًا علميًا دقيقًا، وبهذا المعنى فقد تبنت الحركات الإسلاموية نفس آليات الخطاب القومي في التعامل مع الجماهير، هذه الآلية التي جعلت من التبعية غاية قصوى، ومن التكتيك بديلاً من الاستراتيجية، إنها آلية لا تتجه لدراسة الواقع بغية استخراج ممكنات تغييره، بل تتجه لصياغة أنساق وإشكاليات فارغة لا تقول شيئا وهي تعتقد بأنها تقول كل شيء. ولمعرفة مضمون هذين المفهومين (القومية – الإسلاموية) لابد لنا من تحديد تعريف لهما لنتعرف على حيثياتهما، ومعرفة الفرق بينهما؛ ومن ثم التطرق للمفاهيم الخاصة بدراستنا بشيء من التفصيل.

1- مفهوم القومية:

مما يستحق الذكر هنا أن مفهوم القومية ظهر كمفهوم أيديولوجي في نهاية القرن الثامن عشر للتعبير عن الحركات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ترتبط بحياة الناس المعيشية

(1) الحبيب الجنحاني، (2006)، دراسات في الفكر والسياسة، الشركة التونسية للنشر، تونس، ط:1، ص 275 .

وتتصل بالعالم المعاصر. ويرى البعض أن مفهوم القومية عبارة عن «مبدأ جوهري ناظم للنظام بين الدول، ومصدّر نهائي للشرعية السياسية، وإطار معرفي وخطابي متوافر وجاهز، وسياق مسلم به للحياة اليومية»[1] . وتعرّف أيضًا بأنها «اعتقاد يجمع بين أفراد شعب من الشعوب أنهم يؤلفون مجموعة سكانية متميزة، لهم لغتهم، وديانتهم، ومصالحهم المشتركة، وأمانيهم وآمالهم، وتاريخهم، وأنهم وحدة اجتماعية لها أعرافها وفلسفتها وثقافتها، فاليهود مثلاً تجمعهم قومية واحدة رغم شتاتهم، ولم يكن لهم أرض ولا دولة..،والإسلام أضاف بُعدًا جديدًا للقومية هو البعد الديني»[2] .

ويرى الفيلسوف ساطع الحصري أن «الأساس في القومية اللغة والتاريخ والدين، واللغة القومية عنده بمثابة الوعاء الذي تتشكل به الأمم، وتحفظ فيه تراثها وثروتها الثقافية، وتنقل بواسطته أفكار الشعب. وفي اللغة تكمن كل ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين» [3].

يتبين لنا مما سبق أن القومية اعتقاد يؤمن به أفراد مجتمعًا ما، أو أمة من الأمم يجمعهم دين وتاريخ ولغة واحدة؛ وتعد اللغة الرابط المتين الذي تحافظ به الأمم على تراثها وعاداتها وتقاليدها وثقافتها التي تنقلها من جيل لآخر.

2- مفهوم الإسلاموية:

أما فيما يتعلق بمفهوم الإسلاموية فإنه يشير إلى الأفراد أو الجماعات المسلمة التي ترى أن في الإسلام عقيدة سياسية موجّهة تبرّر وتحفّز العمل الجماعي بالنيابة عن تلك العقيدة... يعتقد الإسلاميون أن الإسلام نظام معتقدات كامل لا ينظم مسائل العبادة فحسب، بل العلاقات الاجتماعية أيضًا أو «المعاملات»[4]. إذا كانت الإسلاموية « تعرّف على أنها الاندماج ما بين الدولة والمسؤولية، تركز ما بعد الإسلاموية على التديّن والحقوق. ومع ذلك، وفي حين أنها تحبّذ دولة مدنية غير دينية، إلا أنها توكل دورًا ناشطًا للدين في المجال العام»[5] .

(1) محمد أركون،(1996)، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ت: هشام صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:2، ص114.

(2) أوموت أوزكيرمِلي،(2013)، نظريات القومية-مقدمة نقدية، ت: معين الإمام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط:1، ص134.

(3) عبد المنعم الحنفي،(2000)، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:3، ص660.

(4) المرجع نفسه، ص661.

(5) محمد أبو رمان،(2018)،ما بعد الإسلام السياسي مرحلة جديدة أم أوهام أيدولوجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الأردن، ط:1، ص160.

يتضح لنا مما سبق أن الإسلاموية تتمثل في جماعات إسلامية تتخذ من الإسلام عقيدة سياسية تقوم على نظام لا يعتمد على العبادات فحسب، وإنما بالمعاملات الاجتماعية أيضًا؛ بمعنى أكثر دقة الإسلاموية هي من يعطي دورًا كبير للدولة على الدين. وبعد هذا العرض يمكننا تحديد المفاهيم الخاصة بدراستنا على النحو التالي:

أولاً، مفهوم الإيديولوجيا:

إن تحديد المفاهيم وتعريفها من المسائل الشائكة في البحوث العلمية؛ بل هي من أهم الإشكاليات، وذلك لما يترتب على هذا التحديد من أمر توظيفها داخل الدراسة بشكل صحيح، وفي هذه الدراسة التي بين أيدينا سنتناول مفهومين غاية في الأهمية لابد لنا من تحديدهما لأنهما يعبران عن صميم هذه الدراسة وهما: مفهوم الأيديولوجيا وما يتعلق بهذا المفهوم ويرتبط به من مفاهيم أخرى كمفهوم التأويل[1] والقراءة، والموضوعية، والحقيقة، والواقع، واللاشعور، والخيال، والثاني هو: مفهوم الفكر العربي وما يرتبط به من مفاهيم كمفهوم الهوية، والتاريخانية، والقطيعة، والتراث، وغيرها من المفاهيم.

أشار الفيلسوف الفرنسي فولتير في القرن الثامن عشر إلى ضرورة «تحديد المفاهيم بين المتناقشين قبل الدخول في النقاش، ومشكلة تعريف الإيديولوجيا تكاد تكون طاغية على عصر بأكمله وأشمله بمفكريه وتياراته الفكرية، وذلك منذ أن برز هذا المفهوم بصراحة ووضوح على يد المفكر الفرنسي الكونت أنطوان ديستون دوتراسي (1754-1836) مرورًا بهيجل وماركس ومانهايم وانتهاء بعصرنا الحاضر مع دانيال الذي أعلن نهاية عصر الأيديولوجيا»[2].

يرى ديستون دوتراسي أن الإيديولوجيا هي «علم موضوعُه دراسة الأفكار ومزاياها وقوانينها وعلاقتها مع العلامات التي تمثّلها وبالأخص أصلها»[3]، أو هي «العلم الذي ينظر في طبيعة الأفكار ليبين خصائصها و قوانينها وعلاقتها بالعلامات المشيرة إليها ومحاولاً استكشاف أصلها»[4] .

---

(1) المرجع نفسه، ص153.

(2) يقصد بالتأويل« إعادة قراءة رموز كل من التراث والواقع بحثًا عن المعنى والحقيقة التي ليست بمعزل عن التجربة والنقد. فسيتم التأكيد على عدم مطلقيّة الحقيقة لأن حقائقنا من صنعنا» ينظر: محمد علي الكبسي،(2007)، قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفرقد، دمشق، ط:2، ص152.

(3) تركي الحمد،(1992)، دراسات إيديولوجية في الحالة العربية، دار الطليعة، بيروت، ط:1، ص84 .

(4) أندريه لالاند،(2001)، موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط:2، ج:2، ص611.

عاش دوتراسي في فترة تمخضت فيها الآراء وتضاربت حول مفهوم العقل والعقلانية[1]؛ فترة وصل فيها الأمر لدرجة تأليه العقل، فظهر العلم الجديد (الإيديولوجيا) لنفي أفكار اتسمت بصفة القداسة، بعد أن ظن البعض أنها باقية للأبد، إلا أنها في حقيقة الأمر لا تختلف عن غيرها من الأفكار تتغير وتتطور ابستمولوجيا؛ بمعنى آخر الأيديولوجيا –كعلم– تعد امتدادًا للفلسفة المادية العقلانية التي بسطت نفوذها على ذلك العصر. وبما أننا بصدد الحديث عن الإيديولوجيا العربية فيمكننا القول إن البحث في هذا الموضوع (الأيديولوجيا) قد نال نصيبًا من الدراسة والبحث عند الكثير من المفكرين العرب، منهم: نديم البيطار، ناصيف نصّار، وعبدالله العروي.

يعرّف البيطار الايديولوجيا بأنها «فلسفة حياة تفسر علاقة الإنسان بالمجتمع والتاريخ تفسيرًا عامًا شاملاً يكشف عن منطق التاريخ وحركته»[2]. أما ناصيف نصار فهو يُعرّف الأيديولوجيا بأنها «نظام من أفكار اجتماعية، يرتبط بمصلحة جماعة معينة، ويشكل أساسا لتحديد أو تسويغ فاعليّتها الاجتماعية، في مرحلة تاريخية معينة»[3].

يدور تعريف نصار الذي ساقه إلينا حول ثلاث نقاط رئيسية هي المجتمع، والجماعة، والعملية. فالأيديولوجيا في نظره عبارة عن أفكار اجتماعية وهذا يقودنا إلى الاعتراف أو التسليم بأن قضايا الفكر الأيديولوجي هي بالأساس قضايا اجتماعية، أي قضايا تتعلق بحياة الإنسان الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية ولا تتعلق بغيرها من المشكلات، أما النقطة الثانية في تعريفها وهي (الجماعة) فهي في نظره المعبرة عن نفسها في الأيديولوجيا التي تتخذها لنفسها وتعمل على تأكيد شخصيتها وكيانها من خلالها. وبخصوص المحور الثالث وهو (العملية) فيرى نصار أن ارتباط الفكر الإيديولوجي بمصلحة جماعة ما في وضع اجتماعي معين وفي مرحلة تاريخية معينة يدل على أن تحركه يهدف لتحقيق غاية ومنفعة تعود بالخير على الجماعة نفسها. وبالنتيجة فغائية الفكر الأيديولوجي غائية نفعية وهذا ما يشكل أزمة حقيقية تعود على الوطن العربي إذ ليس هناك أيديولوجيا معينة تطرح

---

(1) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار توبقال، تونس، ط:1، 2004، ص70.

(2) إن العقلانية هي عبارة عن« منهج علمي يُعلي مقام العقل، في سبيل بناء المشروع الحضاري وليس العقل إذن فكرة تماثلية وإنما هو تركيب اجتماعي يتضمّن توازنات بين مجالات الحقيقة ومستوياتها المختلفة ويجدد مراتبها ويسهر على قيامها بوظائفها المتباينة فكل مجتمع يحقق هذه التوازنات داخل بنيان العقل، أي يحدد عقلانية، انطلاقًا من المعارف العلمية التي اكتسبها وحسب شروطه الثقافية الخاصة» لمعرفة المزيد ينظر: برهان غليون،(2004)، اغتيال العقل-محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، ط:3، ص199.

(3) نديم البيطار،(1964)، الايديولوجيا الانقلابية، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، ص54.

نفسها بشكل صحيح على أنها التعبير النظري والواعي لمصلحة ومستقبل الأمة العربية (الجماعة) في هذه اللحظة التاريخية المعيشة، بل ليس هنالك ايديولوجيا جزئية (تلك التي تعبر عن جماعة أقل من الأمة كالطبقة أو الشريحة أو الفئة) استطاعت أن تعبر تعبيرًا نظريًا سليمًا عن جماعتها، بحيث إنها اكتسبت مواقع اجتماعية وسياسية معينة استطاعت من خلالها الوصول إلى مرحلة التعبير الكلي عن الجماعة الأكبر ألا وهي الأمة [1].

أما عبدالله العروي فيستخدم الأيديولوجيا بثلاثة معان «الأول: ما ينعكس في الذهن من أحوال الواقع انعكاسًا محرفًا بتأثير لا واع من المفاهيم المستعملة. الثاني: نسق فكري يستهدف حجب واقع يصعب، وأحيانًا يمتنع تحليله. الثالث: نظرية مستعارة لم تتجسد بعد كليًا في المجتمع الذي استعارها لكنها تتغلغل فيه كل يوم أكثر فأكثر. بعبارة أدق أنها تلعب دور الأنموذج الذهني الذي يسهل عملية التجسيد هذه»[2].

يرى العروي أن للأيديولوجيا ثلاثة معان، فهي إما أنها تشكل انفصالاً عن الحقيقية الخارجية وذلك لاعتمادها على العقل ومقوماته، أو هي عبارة عن منظومة فكرية تُغيب الواقع لاستحالة تحليله، وإما أن تكون الأيديولوجيا عبارة عن بناء نظري يتعلق بمجتمع آخر لا يمكننا تطبيقه داخل مجتمعاتنا، وبالمجمل فالمعاني الثلاثة تشترك في عدم إمكانية تطبيق هذا البناء أو النظام الفكري واقعيًا.

ثانيًا، مفهوم الفكر العربي المعاصر[3]:

مثّل الفكر العربي حلقة من حلقات الفكر الإنساني أخذت وأعطت، تأثرت وأثرت، وقد امتد تاريخه عبر حقب تاريخية عديدة، وما نحن بصدد الحديث عنه يتمثل في الفترة الممتدة من أواخر القرن الثامن عشر؛ أي بدءًا من إرهاصات الفكر العربي الحديث أو بتعبير أكثر دقة إنه الفكر الممتد «بدءاً من فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تنتهي مرحلته الحديثة، ليدخل في مرحلته المعاصرة»[4]. وفي هذه الفترة مثّل الفكر العربي المعاصر بكل أجهزته وتياراته وتصوراته الأدبية والفنية والاقتصادية والاجتماعية والفلسفية والعلمية الفكر

(1) ناصف نصار،(2014)، من الاستقلال الفلسفي إلى فلسفة الحضور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط:1 ، 53.

(2) تركي الحمد، مرجع سبق ذكره، ص89 .

(3) عبد الله العروي،(2017)، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، ط:1، ص31.

(4) -« تاريخ «الحقبة القديمة الأولى والحقبة القديمة الثانية» . أما الأولى منهما فتمتد من الألف الثالث قبل الميلاد حتى المائتي سنة السابقة على نشأة الإسلام، في حين تمتد الثانية من هذه الفترة حتى النشأة المذكورة. أما من جهة تاريخه الوسيط فإنه يبدأ بنشأة الإسلام، ويمتد إلى أواخر القرن الثامن عشر، حيث تعلن إرهاصات النهوض العربي الحديث عن نفسها.» ينظر: طيب تيزيني،(2005)، من اللاهوت إلى الفلسفة العربية الوسيطة، ج: الثاني، وزارة الثقافة، دمشق، ط:1، ص44، 45.

المنخرط بأنماط متعددة في التفكير بالمستقبل بالدراسة والبحث وفحص الماضي بالنقد؛ وهذه الشمولية لهذا الفكر تمثل سمة من سمات صحته وحركيته ومدى ارتباطه بأسباب الأزمة، إلا أن «تعريف الفكر والمجتمع في الفضاء العربي لم يقع الفصل فيها بين ما هو علمي وتقني ونهضوي وسياسي»[1]. ويستمر المفكر العربي المعاصر في دراسته للماضي والمستقبل وعلاقته بالتحديث والحداثة، وما ينتج عن ذلك من تبعية أو أزمة أو تنمية أو استقلال.

إذن الفكر العربي الذي نحن بصدد الحديث عنه هو الفكر الذي يسعى جاهدًا لدراسة المستقبل من خلال نقد الحاضر ودراسته بكل جوانبه الفنية والفلسفية والسياسية والاجتماعية والعلمية، ساعياً من وراء دراسته الوصول لأيديولوجيا عربية خاصة ومستقلة لها كيانها وما يترتب على ذلك من تنمية وتطور واستقلال للعقل العربي المعاصر.

المبحث الثاني: واقع الفكر العربي المعاصر

الأمم والجماعات البشرية مثل الأفراد، عندما تصل إلى مرحلة الفشل أو الإحباط فإنه من الطبيعي أن نتساءل عن المقدمات التي أدت إلى هذه النتائج، ونضع كل ما كان يبدو لها بديهيًا بين قوسين، أي تعليق الحكم عليه، وإعادة فحصه، ومحاولة إعادة بنائه. ولكن في واقع الفكر العربي يصطدم بصعوبة التساؤل والشك حول ما كان يبدو بديهيًا في تكوينه وبنيته، أي غير قابل للشك بالنسبة للمفكر العربي المعاصر، وذلك لأن علاقته بأفكاره في كثير من الأحيان هي علاقة وجدانية وعاطفية، فهو ينحاز إليهما إلى درجة التعصب، خاصة حين يتعلق الأمر بالأفكار التي تمس اعتقاداته، أو إيمانه، ومن ضمن ذلك تأتي الأيدولوجيات باعتبارها أنساق إيمان، ومن هنا تتبدى صعوبة وضع هذه الأفكار موضع تفحص ونقد. وعلى الرغم من تلك الصعوبات إلا أننا سنحاول تفحص المقدمات التي أفضت إلى نتائج الإضراب عن التفكير، وإنتاج ممكنات تسعى للحد الأدنى في التطور الفكري والحضاري، وهنا علينا بتفحص اللحظات التاريخية التي تموضع فيها الفكر العربي وحاول الحركة من خلالها، وبوحيها وتوجيهها.

1- اللحظة التأريخية الأولى «صدمة الحداثة»:

ما إن بدأ الاحتكاك بين العرب والغرب، وذلك إثر الحملة الفرنسية على مصر، حتى اكتشف الفكر العربي الهوة الواسعة بينه وبين العلم والفكر الغربيين[2]، لذلك طرح السؤال

(1) المرجع نفسه، ص44، 45.

(2) جورج قرم،(1977)،الاقتصاد العربي أمام التحديات(النفط والمال والتكنولوجيا)، دار الطليعة، بيروت، ط:1، ص45.

الإشكالي: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ ولماذا تخلف العرب وتقدم الغرب؟[1]. أي بداية مرحلة الوعي بالتأخر، وهنا توالت الإجابات التي سنعرض جزءا منها في صفحات هذا البحث، ولكن ما يهمنا هنا، هو تأسيس الفكر العربي في هذه المرحلة بما طرحه عبدالرحمن الكواكبي من إجابة لتلك الأسئلة، فقد كان تصوره يدعو إلى ضرورة أن يكون للعرب دور رئيسي في أي عملية نهضوية وإحياء التراث العربي لمواجهة الآخرين (الاستعمار)[2]. ولذلك اتجه الفكر العربي إلى إحياء التراث في عملية بناء الشرعية ومحاولة التأصيل التاريخي الذي لجأت إليه كل الأفكار (الايديولوجيات) العربية، بدون استثناء، كالعودة إلى الدولة الأموية لإثبات عروبيتها، أو العباسية لإثبات تجاوزها للعروبة، إلى إطار أممي أكبر تحت لافتة إسلامية، أو نمذجة حقبة تاريخية معينة وتحويلها إلى نموذج مقدس تستنفره الذات العربية، وتفكر من داخله كلما أحست بخطى يتهدد كيانها، وهي ما تجعل المفكر العربي يشعر بحالة من الرضى على كل حال[3].

ومن هنا برزت سلفية الإيديولوجيات العربية المعاصرة، وماضويتها الفجة ولا تأريخيتها، وهو ما ليس غريبًا على أي قراءة أيديولوجية للماضي، تنتقل إلى الماضي لا لتقرأه في زمانيته وظروفه وبيئته، وإنما لتقرأ فيه ما تريد قراءته برؤية أيديولوجية، أي: كأن الفكر العربي يعتمد على الإجابات الجاهزة لوضع الأسئلة وليس العكس.

2- اللحظة التاريخية الثانية، تأسيس الفكر العربي المعاصر وقوليته:

وهي المرحلة التاريخية التي بدأت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتميزت باختفاء تركيا لظروف بناء دولتها القومية متأثرة بالتجربة الأوروبية على يد كمال أتاتورك[4]، وكذلك حلول الدول المنتصرة بديلاً لها في الوطن العربي، وهنا كان الاحتكاك مباشرًا ولصيقًا بالتيارات والنظم السياسية الغربية التي يرد إليها بناء التقدم والقوة في أوروبا، مما أدى إلى بناء الأحزاب التي تنادي بالوحدة والاستقلال ووجهة الفكر العربي إلى هذا الهدف، وبدأ ذلك الفكر إلى التنظير لقضية الأمة العربية وتكونها تحت تأثير الفكر الأوروبي المبني على أساس اللغة والتاريخ وهو ما عبر عنه بوضوح ابن خلدون و ساطع الحصري»[5].

(1) محمد عابد الجابري،(1994)، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة:5، ص23.

(2) المرجع نفسه، ص23.

(3) أحمد أمين،(1964)، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، دار القلم، القاهرة، ط:1، ص53.

(4) الحبيب الجنحاني، مرجع سبق ذكره، ص92

(5) انطوان سيف،(2001)، وعي الذات وصدمته الآخر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، ص20.

ولعل طرح قضية الاستقلال من الهيمنة الجديدة قد تم في إطار قطري مستندة إلى التضامنات – والتنسيقات الضعيفة، التي لم تصل إلى النضج الفكري الذي يؤهلها إلى بناء حركة تحرر عربية واحدة، بل لم تتجاوز في بعض الأقطار حد جمع التبرعات والمساعدات بخطاب عاطفي بعيدًا عن الفكر[1]. أي: إن الفكر العربي في هذه المرحلة التاريخية تم تأطيره في دائرة القطرية الضيقة، وصار فكر المفكرين العرب مسجونين داخل المحميات والمستعمرات كل على حدة وكل فكر يفكر برؤية مستعمرة (فرنسي، بريطاني، أسباني، إيطالي....إلخ).

3- اللحظة التاريخية الثالثة، ما بعد الحرب العالمية الثانية:

تميزت هذه اللحظة بظهور الجامعة العربية، التي نشأت برعاية بريطانيا لخلق نظام إقليمي متماسك تحت سيطرتها بعد الحرب، وقد انتدبت لذلك القوى الإقليمية، ووجهت الفكر العربي لتقديس الإقليمية. وتميزت أيضًا بمرحلة الانقلابات العسكرية، التي جاءت كرد فعل على فساد التجربة البرلمانية والحزبية، وانتصار الدولة القطرية، فقد أدى حصول أكثر الأقطار العربية على استقلالها إلى تحول النضال القومي إلى الإطار القطري، أي أن الشعارات والأهداف القومية قد حكمتها الممارسة القطرية المصلحية والانتهازية الحزبية في كثير من الأحيان.

وتمكنت مصر الناصرية من السيطرة على مفاهيم المرحلة وصياغتها على شكل شعارات ومن ثم تعميمها، ولكنها اصطدمت بالأصوات المنادية بالفرعونية التي صارت جزء من التركيبة النفسية والثقافية للمصريين، وجميع المحاولات التي هدفت للقصاء على هذه الثقافة من قبل التيار الناصري باءت بالفشل، لأن ضرب هذه الثقافة هو في الحقيقة ضرب للبنية العقلية المصرية في أساسها الفرعوني الذي نظر له وكرسه بعض علمائها في تأسيس الفكر العربي المعاصر من بينهم رفاعة الطهطاوي[2] وغيره، ولذلك أخفقت الناصرية في تحدي المشروع الصهيوني، وتبين أن الدولة القطرية الناصرية لم تعد قادرة على إنجاز النصر الفكري والاستراتيجي داخليًا وخارجيًا، وأن النصر كان على الأبواب فعلا كما كان يقول عبد الناصر ولكنها ليست الأبواب العربية على كل حال.

4- اللحظة التاريخية الرابعة، الفكر العربي المعاصر بعد النكسة:

تميزت هذه اللحظة بانحسار الفكر القومي، واتجاه ما بقي منه إلى محاولة لإعادة بنائه

(1) ساطع الحصري،(1985)،آراء وأحاديث في الوطنية و القومية، مركز الوحدة العربية، بيروت،ط:2، ص 94.

(2) محمد عابد الجابري، مرجع سبق ذكره، ص115

علميًا، بعيدًا عن القاعدة الشعبية ومفاهيمها مثل محاولة عصمت سيف الدولة، ونديم البيطار [1] وأدي ذلك لبروز تيارات ما بعد القومية، أي الأممية، التي طرحت نفسها بديلاً عن الفكر القومي العربي لإنجاز الأهداف المرجوة كالماركسيين الذين يحاولون اجترار تراث أوروبا القرن التاسع عشر، وما صاحبه من سيطرة للطبقة البرجوازية وصعود للبروليتاريا، أو كالإسلامويين الذين يجترون تراث عصر الانحطاط والتمزق والفتن و التشرذم والبدع، وكل من التيارين الفكريين قد مارس لعبة قلب الواقع، والهروب منه، أحدهما باللجوء إلى تراث الآخرين، والآخر باللجوء إلى انتقاء فترة معينة من تراثه دون مراعاة الظروف التاريخية، أو ما يسمى بالمعاصرة، وعليه فقد اشترك التياران في نسيان أليم للواقع وللحاضر ومن ثم نسيان المستقبل[2].

5- اللحظة التاريخية الخامسة، الربيع العربي:

كان فشل تجربة الدولة القطرية، وعجزها التام عن صياغة هوية وانتماء لمواطنيها كان وراء نجاح الفوضى الخلاقة في الأقاليم العربية وتوجت بثورات الربيع العربي، ونتج عن ذلك بروز التيارات الفكرية ما قبل القومية، أي الإقليمية من جهة، والجهوية والطائفية، والطبقية، والقبلية، والعشائرية، من جهة أخرى مدعومة برؤى قطرية رغم فشلها.

المبحث الثالث، نتائج اللحظات التاريخية في الفكر العربي المعاصر:

إن واقع الفكر العربي المعاصر يدور في ثلاثة تيارات عدت في نظر المثقفين والمفكرين العرب المنافذ للخروج من الأزمة والحلول لكل المسائل و القضايا التي يعاني منها الفكر العربي، يمكن عرضها على النحو التالي:

التيار الأول، قبول التراث أو رفضه:

إن مسألة قبول التراث أو رفضه من المسائل المهمة في تحديد ماهية الفكر العربي، وقد اختلف المفكرون في هذه المسألة؛ فيرى البعض أن الوسيلة الوحيدة للقضاء على المشاكل التي تعيق التقدم الفكري تكمن في «إحياء التراث، ولكن فقط بمقدار ما يمكن اتخاذه سلاحًا في معركة تقدمنا وانعتاقنا من قيود التخلف والاستبداد»[3]. وفي اعتقادي أن النهضة الفكرية لابد أن تنطلق من التراث، ومن الخطأ الاعتقاد بأن الفكر العربي يمكن أن يتقدم ويتطور

(1) ينظر: الطهطاوي،(2014)،مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، دار النهضة المصرية، القاهرة.

(2) نديم البيطار،(1973)، الطريق إلى طريق الوحدة العربية، مجلة دراسات عربية، السنة:9، العدد:9، ص47، وكذلك ينظر: عصمت سيف الدولة، (1979)، نظرية الثورة العربية، دار المسيرة، بيروت، ص7.

(3) الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص100

بدون إحياء هذا التراث؛ فالماضي جزء أساسي من الحاضر، ومرتبط أيضًا بالمستقبل، يقول الجابري في هذا الخصوص: «إن النهضة، أية نهضة، لابدّ أن تنطلق من تراث تعيد بناءه قصد تجاوزه، ومن الخطأ الجسيم الاعتقاد في أن الذات العربية يمكن أن تنهض بالرجوع إلى الماضي واختيار ما يصلح منه»[1]. إذن يؤكد الجابري على ضرورة محاكاة التراث والاستفادة منه وجعله معاصرًا لنا؛ بمعنى النظر إلى التراث نظرة تاريخية تعتمد على إضفاء طابع العقلانية للشيء المقروء والبحث داخله على كل ما يمكن أن يعطي للفكر العربي قيمته، التي هو في أمس الحاجة إليه اليوم؛ فالنهضة العربية في نظر الجابري وبناء المستقبل لا تتحقق إلا بالاستفادة من أخطاء الماضي، والشعوب لا يمكنها استعادة وعيها إلا من خلال الاتصال بالتراث «أما الجانب الإنساني العام في التراث البشري كله فهي تعيشه داخل تراثها لا خارجه»[2].

من الضرورة الالتزام بقاعدة المعاصرة في دراسة وشرح التراث؛ فالمنهج التأريخي والمنهج الفيولوجي وحده غير كاف في دراسة التراث العربي بل لابد من إعادة قراءة التاريخ قراءة واعية لإبراز الجوانب الحية في هذا التراث، وأن نرفض منه ما لا يؤدي إلى تقدمنا الفكري والاجتماعي. أي ينبغي ألا ننظر إلى التراث نظرة قداسة، وإنما يجب تجاوز الجوانب التي لا تعود علينا وعلى الإنسانية بفائدة. ويؤكد الجابري أيضًا أنه لكي يتصور العقل العربي فإنه يحتاج إلى منهج عقلاني نقدي «لفهم حاضرنا وبناء مستقبلنا هذا صحيح؛ ولكن لفهم ماضينا أيضًا، فالتراث العربي ما زال لم يدرس بعد بشكل عقلاني؛ أي أنه ما زال إما عبارة عن نصوص أو عروض تعيد إنتاج هذه النصوص بشكل رديء في الغالب؛ وعملية النقد المنهجية لهذا التراث، عملية الدخول معه في حوار نقدي، حوار عقلاني ما زالت لم تتم بعد»[3].

يشير الجابري في هذا النص إلى ضرورة تبني المنهج العقلي النقدي الذي يعتمد على دراسة التراث دراسة عقلية، لكي نتمكن من دراسة مستقبلنا، بمعنى دراسة الماضي جزء أساسي لفهم المستقبل، دراسة تعتمد على النقد والتحليل القائم على نفي صفة القداسة على هذا التراث، فالنهضة الأوروبية التي نتخذ منها مثلاً تعتمد هي الأخرى على الماضي استنادًا إلى النقد. ومحاولة المزاوجة بين الفصل والوصل، أي وصل ما قبله العقل وفصل ما رفضه. إلا أن الفكر العربي يختلف عن الفكر الغربي؛ فمنهجية الفكر الغربي قامت

(1) جورج طرابيشي،(2012)، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقي، بيروت، ط:3، ص28 .

(2) محمد عابد الجابري،(1990)، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط:2، ص62.

(3) محمد عابد الجابري،(1980)، نحن والتراث، دار الطليعة: بيروت؛ المركز الثقافي: الدار البيضاء، ط: بدون، ص66.

على الشك في كل النظم والأفكار السابقة رغبة منها في تحرير الإنسان والتأكيد على حريته الفردية، أما منهجية الفكر العربي فعلى العكس تمامًا احتفظت بالنظم والأفكار السابقة وأضافت عليها صفة القداسة فأصبح العقل العربي يتسم بالتبعية للعقلانية الغربية تحت اسم التقدم والتطور وهو لم يتقدم قيد أنملة.

خلاصة القول أننا لكي نتقدم لابد من قراءة التاريخ قراءة موضوعية نقدية تحترم عالمية التاريخ وخصوصية في آن واحد، فقراءة التاريخ قراءة واعية يجعلنا نستوعب ذواتنا ونتعرف عليها، فالتاريخ ما هو إلا حركة كونية تقودنا لمعرفة ذواتنا، إن الشعور بهذا التوتر إزاء قراءتنا للزمان والتشوق لمخاطبة المستقبل هو ما يجب أن نعيشه ونعيه لكي يتسنى لنا فهم التاريخ واستيعابه. أعتقد أنه حان الوقت للفكر العربي أن يقول بصوت عال: هيا نُعمل عقلنا ونجتهد في قراءة تراثنا، ونزيل عنه صفة القداسة.

التيار الثاني، الاستفادة التامة من الحضارة الغربية:

أما التيار الثاني فهو على النقيض التام من التيار الأول؛ إذ يؤكد على «الاستفادة التامة من الحضارة الغربية الأوروبي، ويدعو إلى أن يكون عالمنا العربي في حضارته وثقافته معبرًا أو مستفيدًا إلى أكبر درجة من الحضارة الأوروبية»[1]. ويعد هذا التيار على العكس تمامًا من التيار الأول، فهو يبين لنا أوجه القصور والعجز التي يعاني منها أصحاب التيار الأول وينتقد العديد من المجالات في التراث، ويصل الأمر لحد بيان الخطر الذي يهددنا عندما نعتقد أن التراث هو الحل الأمثل لكل الصعوبات والمشاكل والقضايا التي نتعرض لها في حياتنا المعاصرة. ولعل الانفتاح على الحضارة الغربية بكل مقوماتها قد ميز الفكر العربي في عدّة مناحي، فحين اكتشف الفكر العربي التقدم الغربي ودوره في نقل العالم العربي إلى منحى ثقافي جديد، وهذا ما دفع بالفكر العربي لمنحه «مشروعية داخلية من خلال إعادة قراءة الموروث الحضاري على ضوء معطيات العصر ومهامه التاريخية والحضارية»[2]. لقد حدد هذا الحضور للآخر في ثقافتنا «الملامح الأولى لعمليات توطين مجموعة من المفاهيم والتصورات الجديدة الوافدة التي لا علاقة لها بمنظور الفكر الإسلامي كما تشكل في عصور الازدهار وهذه المفاهيم الجديدة شكلت مرجعية فكرية لرواد عصر النهضة من الإصلاح الديني إلى التيار العلماني»[3].

(1) محمد عابد الجابري،(1985)، تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، ط:2، ص256.

(2) عاطف العراقي،(1999)، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل، دار الرشاد، القاهرة، ط:2، ص19 .

(3) كرطالي نور الدين،(2012)، أزمة التنمية وإيديولوجيا الخطاب الفلسفي العربي المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة وهران السانية، الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، ص102، 103.

التيار الثالث، الجمع بين التراث والحضارة الغربية

أوقع الخطاب العربي نفسه في مأزق كبير لرفضه الخطاب الغربي في التيار السابق ذكره، ففي الخطاب العربي العديد من المضامين الأيديولوجية التي تهاجم الثقافة الغربية وتسعى جاهدة لإنكار دورها في العالم المعاصر، بالرغم من أن الفكر الغربي يمثل جزءا رئيسيًا في الخطاب العربي، إن التشبث بالفكر الأحادي ومحاولة إلغاء الآخر يعبر عن الدغمائية التي أصبحت السمة المميزة لبنية العقل العربي. إن تحقيق التطور والرقي – بالقياس إلى ما حققته أوروبا – يتطلب تجاوز الفكر الأحادي، وتكسير النظام الشمولي منطلق من أن التفتح وفهم المشكلات يقتضي الحوار وعدم إقصاء الآخر، الذي نقصد به في هذا الموضع من يختلف معنا فكريًا ويشترك معنا ثقافيًا»[1]. لهذا سعى التيار الثالث من تيارات الفكر العربي المعاصر إلى «المزج بين التيار الأول «التراث» والتيار الثاني «الحضارة الغربية أساسا» فإننا نجد عند أصحابه أيضًا اتجاهًا نقديًا واضحًا غاية الوضوح» [2]. فنجد الفكر العربي المعاصر يستند إلى مفاهيم عادة ما تكون شمولية وشكلية في آن واحد. فالتركيز على الملامح الشكلية أو السطحية للمفهوم دون البحث في جذوره الفكرية والفلسفية يجعل منه مثقلا، وتمثل هذه العملية نوعا من الدغمائية، وخاصة في المفاهيم الغربية التي يتم فصلها عن جذورها ليتم زراعتها في المجتمع العربي دون تبيئتها باعتبار أن «تعدد المصطلحات يرتبط مع تعدد القضايا والإشكالات، وتتقاطع المفاهيم مع تقاطع المرجعيات الفكرية، حيث يتحول الجهد من معالجة القضايا الحقيقية إلى ميادين الصراعات السجالية والبلاغية مختلفة في كثير من الأحيان، إشكالات وهمية لا تعبر عن واقع المجتمع» [3].

المبحث الرابع، تكوين رؤية أيدولوجية خاصة بالفكر العربي:

يجدر بي في بداية حديثي حول مسألة البحث عن أيديولوجيا عربية خاصة التطرق لسؤال جوهري نود الإجابة عنه، وهو: لماذا تتقدم الكثير المجتمعات بينما العرب لا يحرزون تقدمًا على غرارهم؟ أو بتعبير آخر لماذا ظل المفكر العربي رهين فكره ولم ينتج فكرًا قياسًا على ما ينجزه الآخرون؟ أمام هذه الإشكالية المطروحة نجد أنفسنا نتأرجح بين خيارين إما قبول الآخر أو الثورة عليه؟

(1) المرجع نفسه، ص103.

(2) كرطالي نور الدين، مرجع سبق ذكره، ص113 .

(3) عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص19.

يمكننا القول إن المشكلة الرئيسية التي يعاني منها الفكر العربي هي بالدرجة الأولى مشكلة إيديولوجية وعدا هذه المشاكل إنما تتفرع من هذه المشكلة. فإشكالية «الأصالة، المعاصرة، العروبة، الإسلام، التراث، الثورة، الاستقلال، التبعية، الدين، والدنيا إلى غير ذلك من الإشكالات ما هي إلا انعكاس وتجسد للفراغ أو الضياع الأيديولوجي أو الثقافي الذي نجد أنفسنا فيه كأمة يفترض فيها وحدة الوعي كتعبير عن وحدتها ذاتها»[1]. إذن كل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية إنما تتعلق بالدرجة الأولى بعمل هذا الوسيط، فالفجوة أو الهوة العميقة بين الأيدولوجيا والواقع الذي يسعى لنقله، بمعنى يتحول الواقع المنقول إلى لا واقع وتكون النتيجة بالتالي وعيًا زائفًا؛ وبالنتيجة تصل الصورة مشوشة وزائفة، وهذا ما يفقدنا المعرفة إزاء الموضوعات، ويؤدي بالتالي إلى نوع من فقدان الذات من أبرز مؤشراته غربة المثقف واستلابه وتعطيل الصيرورة التاريخية الاجتماعية، وهذه مؤشرات يزخر بها الفكر العربي المعاصر.

ومن الجدير ذكره أن وعي المجتمعات وتقدمها الفكري نابع من البنى الاجتماعية إلا إن الوعي والأيديولوجيا لا يعبران عن حركة المجتمعات الفعلية؛ لقد أصبح لدينا نمطان من الأيديولوجيا، الأول «منقول، ولذلك فهو يعزز وعيًا زائفًا والآخر موروث ومفروض- نتيجة كون البنى التي تشكل بنيته الأساسية موروثة مفروضة - يعزز وعيًا فجًا، مشوهًا هو أساس ومعيار السلوك لدى الوحدات الدنيا في المجتمع العربي»[2]. ومن هذه الثنائية والخطاب الناتج عنها تبرز مشكلة الفكر العربي المعاصر التي هي أساس التخبط الذي يعاني منه وما زال يعاني الوطن العربي، والذي يعرقل تقدم النهضة العربية. إذن هناك «فجوة بين الأيديولوجيا السائدة نخبويًا، والوعي السائد قاعديًا والقائم على بنى وعلاقات اجتماعية فعلية لا تجد تعبيرًا فعليًا عنها في الأيديولوجيا السائدة»[3]. ويرى العروي أن الحل الأمثل لحل مثل هذه المشكلة والخروج من هذه الأزمة والسبيل الأوحد لتكوين صورة حقيقية للفكر العربي يتحتم مراعاة الآتي:

أولاً: لا بد من دراسة التجربة الإسلامية دراسة واعية معمقة لمعرفة منهاجها وطرقها والتعرف على أهدافها للوصول لإجابات مقنعة بصددها وهذا في نظره يمثل المفتاح الأساسي لفهم أزمة الفكر العربي، والتي تلخصها مقولة ورقة بن نوفل وأصحابه قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا حين قالوا «تعلموا والله ما قومكم على شيء». إذن المطلوب في نظر

(1) كرطالي نور الدين، مرجع سبق ذكره، ص103.

(2) تركي الحمد، مرجع سبق ذكره، ص81

(3) المرجع نفسه، ص83.

المفكرين العرب« دراسة الإسلام كحركة استطاعت خلق انقلاب حضاري، بكل معنى الكلمة، في التاريخ العربي. حركة استطاعت منح القوم «كل شيء» بعدما كانوا على «لا شيء» وقبلها القوم على أساس ذلك رغم وجود البدائل الأخرى التي ما استطاعت فعل شيء»[1].

ثانيًا: إن التجربة الإسلامية الأولى لم تعرف مثل هذا النمط من التفكير (إما...أو) بل كان منهجها ونمط تفكيرها جدليًا أو دفعيًا وفق مبدأ الوسطية، وهو على اتفاق مع مقولات المنطق الجدلي المعاصر بكل أبعاده وبخاصة رفض هذا المنطق لمقولات الثنائية الانفصالية فكل شيء مهمًا كان متباينًا إلا أنه يسير وفق أطر شاملة معينة في ظل كلية معنية تدمج المتباينات وفي الوقت ذاته تكفل لها استقلالية معينة وعلى ذلك فإن أحد المفاتيح لفهم واقعنا العربي هو في تغيير الكيفية التي ينظر بها العقل العربي إلى واقعه ونقطة البدء في ذلك هي إلغاء نمط (إما...أو) من أرشيف العقل العربي المعاصر[2].

ثالثًا: إن جلّ الكتابات العربية التي سعت لحل الأزمة الحضارية إنما «تدور في حلقة الاغتراب والاستلاب الثقافي والأيديولوجي يستوي في ذلك السلفي في طرف، والمعاصر الرافض لكل ما في التراث في طرف آخر، وبينهما تتوزع الاتجاهات والايديولوجيات»[3]. وكما سبق، وأشرنا في المبحث الثاني تتوزع الاتجاهات الإيديولوجية بين من يقبل التراث ويرفض الثقافة الغربية وبالتالي يبقى رهين الماضي (الزمان)، وبين من يسعى لرفض التراث والتمسك بالمعاصرة ويصبح كذلك رهين (المكان) وفي حقيقة الأمر إننا نحتاج إلى وحدة تاريخية بينهما تشمل الماضي وتستوعب الحاضر تضم الأنا والآخر، بمعنى آخر نحتاج إلى وحدة تاريخية «تشملنا وتستوعبنا وتدركنا كما نحن هنا والآن ففينا يلتقي الزمان والمكان في تلك الوحدة التاريخية الحية، فما أنا كفرد إلا وحدة في جماعة وبصفتي تلك، فأنا تجسيد حي لتاريخ تلك الجماعة ووضعها الراهن في علاقاتها ووجودها مع بقية الجماعات. فالحقيقة تاريخية وليس لها إلا أن تكون كذلك والبحث عنها خارج إطار التاريخ وصيرورته المستمرة ما هو إلا عبث في عبث»[4].

رابعًا: إن المفتاح الأول لفهم أزمتنا ومن ثم القدرة على الخروج منها يتطلب تكاثف جهود المثقفين والمفكرين العرب المهتمين بمسائل وقضايا الفكر العربي المعاصر. إذن تغيير

(1) المرجع نفسه، ص83.

(2) المرجع نفسه، ص103.

(3) المرجع نفسه، ص105

(4) المرجع نفسه، ص104.

الواقع العربي يتطلب تكاثف الجهود «ليس فقط من طرف السلطة الحاكمة، بل كل الفئات الاجتماعية وكل حسب تخصصه من خلال استثمار كل ما هو قابل للتغيير وبناء على حاجات المجتمع في الحاضر والمستقبل»[1].

خامسًا: إن السبيل الأمثل للخروج من هذه الأزمة يتمثل في إنشاء جهاز مفهومي عقلي عربي جديد يشتمل على تلك المفاهيم المعبرة عن الواقع العربي بصورته الشاملة أي يشمل الماضي والحاضر، ويكون قادرًا على فهم هذا الواقع وتحليله وذلك في سبيل تغييره بنمط لا يختلف عن النمط الذي انتهجته التجربة الإسلامية الأولى، هذا الجهاز المفهومي لا بد وبالضرورة من أن يكون ملتصقًا بالواقع من جهتين أو طريقتين: الأولى أن يكون نابعًا منه، والثانية أن تكون المفاهيم التي يحتوي عليها هذا الجهاز مفهومة ومدركة من قبل جمهرة الناس[2]. فمفاهيم مثل الليبرالية والسلف الصالح والبرجوازية والأصولية والبروليتاريا تعبر عن اتجاهات إيديولوجية مختلفة فهي لا تعني شيئًا لعامة الناس لأنها تتحدث عن زمان ومكان غير زمانهم ومكانهم وهذا ما يترتب عليه ضياع وتشوه الواقع التاريخي والوقوع في التخبط الحضاري ومن هنا جاءت ضرورة إنشاء مثل ذلك الجهاز المفهومي.

صفوة القول: إننا لا يمكننا الخروج من عنق الزجاجة إلا بالانغماس الكامل في تاريخنا انغماسا لا نكون فيه منفعلين بل فاعلين وفق صيرورة تشمل الحاضر والماضي والمستقبل نعرف من خلاله كيف كنّا؟ ومن نحن؟ وكيف نسير؟ وإلى أين نتجه؟ باختصار شديد، إننا بحاجة إلى مفاتيح للتعرّف على أزمتنا الحضارية الراهنة، والتي هي بالضرورة ايديولوجية، ومثل هذه المفاتيح لا يمكن التعرّف على شكلها إلا من خلال الدراسة الواعية للتجربة الحضارية، الايديولوجية الوحيدة الناجحة في تاريخنا إلا وهي الإسلام. دراسة لا تتوخى البحث عن السلف أو المرجع الفقهي أو القياس، بل دراسة تتوخى معرفة ديناميات الحركة الإسلامية الأولى، وكيف تفاعلت وانفعلت مع ظروفها المحيطة سواء الداخلي منها أم الخارجي، وخلقت ذلك الانقلاب التاريخي الذي ما زلنا نعيشه حتى هذه اللحظة[3] .

(1) المرجع نفسه، ص.104.

(2) كرطالي نور الدين، مرجع سبق ذكره، ص121 .

(3) تركي الحمد، مرجع سبق ذكره، ص106.

الخاتمة

توصلت من خلال هذا البحث إلى النتيجة المهمة التالية:

إن الفكر العربي المعاصر يسعى جاهدًا لدراسة المستقبل من خلال نقد الحاضر والماضي بكل جوانبه الفنية والفلسفية والسياسية والاجتماعية والعلمية، ساعياً من وراء ذلك إلى الوصول لأيديولوجيا عربية مستقلة لها كيانها الخاص، وما يترتب على ذلك من تنمية وتطوير واستقلال للعقل العربي المعاصر. ولكي تتحقق النهضة الفكرية لابد أن تنطلق من التراث، ومن الخطأ الاعتقاد بأن الفكر العربي يمكن أن يتقدم ويتطور بدون إحياء هذا التراث؛ فالماضي جزء أساسي من الحاضر، ومرتبط أيضًا بالمستقبل. ولابدّ من الالتزام بقاعدة المعاصرة في دراسة وشرح التراث؛ فالمنهج التاريخي والمنهج الفيولولوجي وحدهما غير كافيين في دراسة التراث العربي، بل نرى ضرورة إعادة قراءة التاريخ قراءة واعية موضوعية نقدية تحترم عالمية التاريخ وخصوصية في آن واحد، وتجعلنا نستوعب ذواتنا ونتعرف عليها، فالتاريخ ما هو إلا حركة كونية تقودنا لمعرفة ذواتنا. أي ينبغي ألا ننظر إلى التراث نظرة قداسة، وإنما يجب تجاوز الجوانب التي لا تؤدى إلى تقدمنا الفكري ولا تعود علينا وعلى الإنسانية بفائدة. إن كل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية إنما تتعلق بالدرجة الأولى بتلك الفجوة أو الهوة العميقة بين الإيديولوجيا والواقع الذي تسعى لنقله، بمعنى يتحول الواقع المنقول إلى لا واقع، وتكون النتيجة بالتالي وعيًا زائفًا، وتصل الصورة مشوشة وزائفة، وهذا ما يفقدنا المعرفة إزاء الموضوعات، ويؤدي بالتالي إلى نوع من فقدان الذات من أبرز مؤشراته غربة المثقف واستلابه وتعطيل الصيرورة التاريخية الاجتماعية، وهذه مؤشرات يزخر بها الفكر العربي المعاصر.

التوصيات:

1- لا بد من دراسة التجربة الإسلامية دراسة واعية معمقة لمعرفة منهاجها وطرقها والتعرف على أهدافها للوصول لإجابات مقنعة بصددها، وهذا يمثل المفتاح الأساسي لفهم أزمة الفكر العربي.

2- إن تغيير الواقع العربي يتطلب تكاثف الجهود ليس فقط من طرف السلطة الحاكمة، بل كل الفئات الاجتماعية وكل حسب تخصصه من خلال استثمار كل ما هو قابل للتغيير، وبناءً على حاجات المجتمع في الحاضر والمستقبل.

3- إن السبيل الأمثل للخروج من هذه الأزمة هو إنشاء جهاز مفهومي عقلي عربي جديد يشتمل كل المفاهيم المعبرة عن الواقع العربي بصورته الشاملة، أي شاملاً الماضي والحاضر، ويكون قادرًا على فهم هذا الواقع وتحليله، وذلك في سبيل تغييره بنمط لا يختلف عن النمط الذي انتهجته التجربة الإسلامية الأولى.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد أمين،(1964)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار القلم، القاهرة، الطبعة: الأولى.

2- أندريه لالاند،(2001) موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، الجزء، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة: الثانية.

3- انطوان سيف،(2001)، وعي الذات وصدمة الآخر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى .

4- أوموت أوزكيريملي، (2013)، نظريات القومية- مقدمة نقدية، ترجمة: معين الإمام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة: الأولى.

5 - برهان غليون، (2004)، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، الطبعة: الثالثة.

6- تركي الحمد،(1992)، دراسات إيديولوجية في الحالة العربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى.

7- جلال الدين سعيد،(2004)، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار توبقال، تونس، الطبعة: الأولى.

8- جورج طرابيشي،(2012)، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقي، بيروت، الطبعة: الثالثة.

9- جورج قرم،(1977)، الاقتصاد العربي أمام التحديات (النفط والمال والتكنولوجيا) ، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى.

10- الحبيب الجنحاني،(2006)، دراسات في الفكر والسياسة، الشركة التونسية للنشر، تونس، الطبعة: الأولى.

11- رفاعة رافع الطهطاوي،(2014)، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، دار النهضة المصرية، القاهرة.

12- ساطع الحصري،(1985)، آراء وأحاديث في الوطنية و القومية، مركز الوحدة العربية، بيروت، الطبعة: الثانية.

13- طيب تيزيني،(2005)، من اللاهوت إلى الفلسفة العربية الوسيطة، وزارة الثقافة، دمشق، الطبعة: الأولى.

14- عاطف العراقي،(1999)، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل، دار الرشاد، القاهرة،

الطبعة: الثانية.

15- عبد الله العروي،(2017)، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، الطبعة: الأولى.

16- عبد المنعم الحفني،(2000)، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الثالثة.

17- عصمت سيف الدولة،(1979)، نظرية الثورة العربية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة: الأولى.

18- كرطالي نور الدين،(2012)، أزمة التنمية وإيديولوجيا الخطاب الفلسفي العربي المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة وهران الثانية، الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة.

19- محمد أبو رمان،(2018)، ما بعد الإسلام السياسي مرحلة جديدة أم أوهام أيدولوجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الأردن، الطبعة: الأولى.

20- محمد أركون،(1996)، الفكر الإسلامي قراءة علمية، تحقيق: هشام صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة: الثانية.

21- محمد عابد الجابري،(1990)، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة: الثانية.

22- محمد عابد الجابري،(1994)، الخطاب العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة: الخامسة.

23-محمد عابد الجابري،(1985)، تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الثانية.

24- محمد عابد الجابري،(1980)، نحن والتراث، دار الطليعة: بيروت؛ المركز الثقافي: الدار البيضاء، الطبعة: بدون.

25- محمد علي الكبسي،(2007)، قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفرقد، دمشق، الطبعة: الثانية.

26- ناصف نصار،(2014)، من الاستقلال الفلسفي إلى فلسفة الحضور، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى.

27- نديم البيطار،(1964)، الايديولوجيا الانقلابية، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى.

28- نديم البيطار (1973)، الطريق إلى طريق الوحدة العربية، مجلة دراسات عربية، السنة:9، العدد:9.

2- نموذج دولة الإمارات العربية المتحدة الناجح في احتواء جائحة كورونا

The UAE Successful Model in Containing the Corona Pan demic

بقلم الدكتور: حبيب حسن البدوي
الجامعة اللبنانية – كلية التربية
habib.badawi@ul.edu.lb

تاريخ الاستلام: 2021/11/28 **تاريخ القبول: 2021/12/13**

مستخلص البحث:

في منعطف مصيري في مواجهة الإنسانية جمعاء لجائحة مرض فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة أنها نجحت في محاصرة الخطر الفيروسي بموجته الشرسة الأولى، حيث شهدت الفترة الأخيرة في مختلف إمارات الدولة ارتفاعاً في عدد الفحوص اليومية مقابل انخفاض في عدد الإصابات الجديدة، مع زيادة يومية في حالات الشفاء. ولذلك، وبعد نهاية المرحلة الأولى من مواجهة الجيش الأبيض العالمي لهذه الغزوة الجرثومية (والتي يُختلف في تحديد مصدرها، فهل هي غضب من الطبيعة الأُمّ؟ أم نتيجة تجارب خبيثة بأيدي المارقين من البشر؟)، لا بد من دراسة شافية لهذا النجاح العربي المتميز في حفظ الحياة الإنسانية.

ومن هنا سنستعرض سلسلة الخطوات الإماراتية التي أثمرت نجاح النموذج الإماراتي عربياً في احتواء خطر الجائحة، وكذلك التحسب للموجات السلبية الارتدادية صحياً واجتماعيا وعلمياً واقتصادياً.

كلمات مفتاحية: وباء كورونا – الذكاء الاصطناعي – التخطيط الاستراتيجي – الأداء الحكومي.

Abstract

Humanity faced a fateful dangerous global pandemic by the emerging coronavirus disease (Covid-19). While most of the nations failed in containing the disease, especially in the MENA region, the United Arab Emirates announced that it had succeeded in controlling the viral threat in its first fierce wave.

Today, the UAE exhibits an increase in the number of daily examinations against a decrease in the number of infections, with a daily increase in recoveries. Therefore, after the end of the first phase of the global white army's confrontation with this microbial invasion (which is different in determining its source; is it wrath from mother nature or because of malicious experiments at the hands of human beings?), It is necessary to study this distinguished Arab success in preserving human life.

In this study, we will review the series of Emirati steps that have resulted in the success of the UAE model in the Arab world in containing the threat of the pandemic, as well as anticipating negative health, social, scientific, and economic waves.

Keywords: Corona Epidemic, Artificial Intelligence, Strategic Planning, Governmental Performance

1. مقدمة

مع مطلع كانون الأول 2019 صُدم العالم الذي يعيش تحدي البركست لعصر العولمة[1]، وسط حرب تجارية طاحنة اقتصاديا بين التنين الصيني والنسر الأميركي[2]،

(1) « هو مغادرة بريطانيا للاتحاد الأوروبي الذي يضم 28 دولة تسمح بحرية الحركة والحياة والعمل لمواطنيها داخل الاتحاد فضلا عن تجارة هذه الدول مع بعضها.

Brexit shows up the failures of globalization and humanity in retreat. (2016, June 26). IMD business school.

https://www.imd.org/research-knowledge/articles/brexit-shows-up-the-failures-of-globalisation/

(2) Eagle versus dragon: No end to the U.S.-China trade conflict in sight even during the pandemic.

بظهور ساحق لوباء خطير من أسواق مدينة ووهان الصينية، ما لبث أن تخلى عن تفشيه المحلي ليتحول إلى جائحة مرعبة على مستوى العالم[1].

وسط التحدي الوبائي الخطير، ردت الدول الغربية المتقدمة باستراتيجيات متعددة، لتبرز نجاحات ملموسة لكل من اليابان وألمانيا واستراليا ونيوزلندا وتايوان في تحييد خطورته، بينما فشلت دول كبرى في الاحتواء، أبرزها الخمس صاحبة حق النقد «الفيتو» في مجلس الأمن الدولي (الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا العظمى وروسيا الاتحادية والصين الشعبية وفرنسا الفرنكوفونية).

2. الإمارات العربية المتحدة نموذجاً

الدولة العربية النموذج في إدارة مخاطر هذا التهديد المرضي الخطير كانت دولة الإمارات العربية المتحدة التي اختطت نموذجاً فريداً يستند إلى خصائصها المتميزة باتباعها مسارَها الخاص في التحكم بالأزمة الجرثومية المستجدة، إدراكاً من قيادتها لاختلاف نظامها القيمي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي عن غيرها من الأمم الآسيوية والأوروبية والأميركية. لقد جاءت التدابير الاحترازية والوقائية التي اتخذتها دولة الإمارات العربية المتحدة في شتى المجالات لحماية المجتمع من انتشار فيروس كورونا المستجد مواكبة للتوصيات والمبادئ التوجيهية الفنية الصادرة عن مختلف المنظمات والوكالات الدولية المتخصصة وأجهزة وآليات ولجان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الموجهة لكافة دول العالم أثناء مكافحة الجائحة. ولقد سارعت الإمارات وبشفافية عالية إلى تعزيز مستوى إجراءاتها الصارمة في جميع المنافذ الحدودية وتفعيل أنظمة الكشف الحراري في تلك المنافذ كافة، كما عملت على تفعيل أنظمة الإنذار المبكر للحالات الصحية، وتجهيز فرق طبية مؤهلة تعمل على مدار الساعة، وتعزيز مخزون المستلزمات الطبية.

المُبشر حالياً هو أن العدد الإجمالي لحالات الإصابة بالفيروس يشكل أقل من 0.38 % من سكان الإمارات من مواطنين ووافدين، 56.2 % منهم تعافوا تماماً من أعراض المرض

(n.d.). BDI The Voice of German Industry. https://english.bdi.eu/article/news/eagle-versus-dragon-no-end-to-the-us-china-trade-conflict-in-sight-even-during-the-pandemic/

(1) COVID-19: An insight into SARS-Cov-2 pandemic originated at Wuhan city in Hubei province of China. (n.d.). ClinMed International Library | Clinmed Journals. https://clinmedjournals.org/articles/jide/journal-of-infectious-diseases-and-epidemiology-jide-6-146.php?jid=jide

COVID-19: An insight into SARS-Cov-2 pandemic originated at Wuhan city in Hubei province of China. (n.d.). ClinMed International Library | Clinmed Journals. https://clinmedjournals.org/articles/jide/journal-of-infectious-diseases-and-epidemiology-jide-6-146.php?jid=jide

بعد تلقيهم الرعاية الصحية اللازمة لإشراف الجهاز الطبي المتطور والمتكامل الذي أمنته وزارة الصحة ووقاية المجتمع[1]. كما ارتفع متوسط الفحص اليومي الذي تقوم به الطواقم الطبية الإماراتية من 25 ألف فحص إلى أكثر من 40 ألف كشف، فيما انخفض معدل الإصابة من متوسط 800 إصابة يومياً إلى أقل من 600 إصابة، مقابل ارتفاع كبير في نسب الشفاء وتناقص في أعداد المرضى الذين لايزالون يتلقون العلاج.

لقد أطلقت وزارة الصحة ووقاية المجتمع تطبيق «الحصن» المخصص للأجهزة والهواتف الذكية، وذلك من أجل احتواء ومنع انتشار الفيروس، كونه يمثل منصة رقمية رسمية خاصة باختبارات فيروس كورونا المستجد بالإمارات. ويجمع التطبيق مزايا وخصائص تطبيقي:

أ – TRACE COVID [2]

ب – STAY HOME [3]

يضمن هذا الدمج الحماية الفائقة لخصوصية المستخدم من خلال أفضل معايير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي والتكنولوجي. ويسمح التطبيق الذي يحمل اسم قلعة أبو ظبي التاريخية بتوفير خدمات تم تطويرها على المستوى الوطني للأفراد الذين يخضعون لاختبارات الكشف عن الفيروس الجديد، ليتلقوا نتائج اختباراتهم مباشرة على هواتفهم. ويكون لدى كل مستخدم أيضًا رمز استجابة سريعة خاص به، والذي يعد بمثابة دليل على حالته الصحية. وعززت الإمارات قدرات القطاع الصحي من خلال تطبيق نظام التقصي الوبائي بكفاءة عالية، وتوفير مخزون استراتيجي من المستلزمات الطبية الأساسية اللازمة للفحص المتقدم لاكتشاف الفيروس، وتطبيق الحجر والعزل الطبي، وتوفير غرف العزل المجهزة بطريقة تضمن عدم انتقال الفيروسات إلى المناطق المجاورة، وإعداد طواقم طبية متخصصة تعمل على مدار اليوم، والالتزام بالإجراءات الصحية المتبعة في المطار، فيما تم تخصيص مراكز اتصال في الجهات الصحية

---

(1) مركز معلومات فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) - وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربية المتحدة. (n.d.). وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربية المتحدة.

https://www.mohap.gov.ae/ar/ AwarenessCenter/Pages/COVID19-Information-Center.aspx

(2)United States | Global law firm. https://www.nortonrosefulbright.com/-/media/files/nrf/nrfweb/contact-tracing/uae-contact-tracing.pdf?revision=15694ff9-c6c0-4419-81e0-b89600c54356&la=en-za

(3) Government. https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/smart-solutions-to-fight-covid-19/the-stayhome-app

تعمل على مدار الساعة للتقصي والمتابعة[1].

لقد سارعت السلطات الإماراتية إلى استخدام التكنولوجيا المتطورة الحديثة، مثل الاستفادة من الذكاء الاصطناعي، والتعلم الآلي، والبيانات الضخمة والأدوات الرقمية، لتحقيق نتائج أفضل في الصحة العامة وضمان تكافؤ الوصول إلى التكنولوجيا، حيث كانت مجالات ذات أولوية بالنسبة للدولة لقيادة التعاون متعدد القطاعات بين مختلف الأنواع من المنظمات والقطاعات للوصول إلى مختلف شرائح المجتمع، من مواطنين ومقيمين وسياح.

أقامت الدولة أكبر مختبر على مستوى العالم –بعد الصين– لفحص وتشخيص الإصابة بفيروس كورونا المستجد بقدرات معالجة فائقة لإجراء عشرات الآلاف من الاختبارات بتقنية يوميًّا لتلبية احتياجات فحص متقدمة[2] وتشخيص الإصابة بفيروس كورونا المستجد[3].

وترصد وكالة أنباء الإمارات «وام»[4] أبرز خمسة إنجازات حققت فيها الإمارات «الرقم واحد» عالميا وعلى مستوى الشرق الأوسط في مجال التعاطي مع جائحة كورونا منذ بداية ظهورها وحتى اليوم، وهي[5]:

---

(1) دولة الإمارات.. كفاءة في إجراءات مواجهة «كورونا» .. والرهان على الالتزام بالتعليمات. (n.d.). الموقع الرسمي لوزارة الخارجية والتعاون الدولي لدولة الإمارات العربية المتحدة.

https://www.mofaic.gov.ae/ar-ae/mediahub/news/2020/3/20/20-03-2020-regulations

(2) تقنية تفاعل البوليمرز المتسلسل اللحظي تقنية RT-PCR في الوقت الحقيقي هي عبارة عن أسلوب مستمد من المجال النووي يُستخدم للكشف عن تواجد مواد وراثية متأتية من أي نوع من المُمْرِضَات، بما في ذلك الفيروسات. وفي الأصل، كان هذا الأسلوب قائماً على استخدام النظائر المشعّة بمثابة واسمات للكشف عن المواد الوراثية المُستهدفة، بيد أنّ التحسين الذي أدخل لاحقاً على هذه التقنية أدى إلى الاستعاضة عن الوسم النظيري بواسمات خاصة تكون في المعظم الأحيان أصباغاً فلوريةً. وبفضل هذه التقنية، يمكن للعلماء الاطلاع على النتائج بشكل شبه فوري بينما لا تزال عملية الكشف جارية. ولا تتيح تقنية RT-PCR التقليدية إمكانية الاطلاع على النتائج إلَّا بعد انتهاء عملية الكشف.

وفي حين تُعدُّ تقنية RT-PCR في الوقت الحقيقي الأسلوب الأكثر استخداماً للكشف عن فيروسات كورونا, لا تزال العديد من البلدان في حاجة إلى الدعم لإعداد هذه التقنية واستخدامها.

How is the COVID-19 virus detected using real time RT-PCR? (n.d.). https://www.iaea.org/newscenter/news/how-is-the-covid-19-virus-detected-using-real-time-rt-pcr

(3) د., ح. (n.d.). ملامح النموذج الإماراتي في مواجهة أزمة «كورونا». مركز المستقبل - الرئيسية

https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item

(4) Emirate's news agency. (2021, October 1). Emirates News Agency. https://www.wam.ae/en

(5) الإمارات تتصدر دول العالم في مؤشرات التعامل مع جائحة «كورونا». (January 26 ,2021). صحيفة الخليج .https://www.alkhaleej.ae/2021-01-26

1- معدل توزيع الجرعات، لقد احتلت الإمارات المرتبة الأولى عالمياً في توزيع الجرعات اليومية خلال أسبوع واحد، وذلك بمعدل 1.16 جرعة لكل 100 شخص كما جاءت الإمارات في المرتبة الخامسة على مستوى العالم في توفر جرعات لقاح كوفيد – 19.

2- ارتفاع عدد الفحوصات، فقد نجحت دولة الإمارات في أن تكون أول دولة على مستوى العالم يتخطى فيها عدد الفحوصات الخاصة بفيروس كورونا المستجد عدد السكان الفعليين حيث تخطت الإمارات حاجز 10 ملايين فحص منذ بدء الجائحة، لتصبح أول دولة في العالم يتخطى فيها عدد الفحوصات عدد السكان وذلك بالنسبة للدول التي يتجاوز عدد سكانها مليون نسمة.

3- سرعة كشف الإصابة، لقد حققت دولة الإمارات إنجازا بارزا ضمن جهودها المتواصلة للحد من انتشار الفيروس وذلك بعد التطبيق العملي الناجح لاستخدام الكلاب البوليسية في مطارات الدولة للكشف عن مصابين محتملين بفيروس كورونا المستجد، لتكون بذلك الدولة الأولى عالميا التي تنجح في التطبيق الفعلي لهذه التجربة العلمية.

4- تجاوب المجتمع مع الإجراءات الحكومية، لقد جاءت الإمارات في المركز الأول شرق أوسطيا والثالث عالميا من حيث الوعي الاجتماعي ورضى المواطنين والمقيمين عن الإجراءات والتدابير التي اتخذتها الحكومة فيما يتعلق بمكافحة الوباء، وذلك وفقا لتقرير أصدرته «مؤسسة تولونا الدولية» لمسح المستهلكين[1].

5- تطبيق إجراء فحص المركبة، وتعد الإمارات الدولة الأولى في منطقة الشرق الأوسط والخامسة عالميا التي طبقت اختبار فيروس كورونا من داخل المركبة والذي يتم إجراؤه عبر مراكز موزعة في جميع إمارات الدولة وبزمن قياسي لا يتجاوز الخمس دقائق.

ولقد تميزت الإمارات منذ بداية جائحة كورونا بتبني إجراءات استثنائية سخرت فيها كافة الموارد والأدوات اللازمة لتخطي المرحلة الأصعب، حيث سارعت إلى إطلاق برنامج التعقيم الوطني وتطبيق نظامي التعليم عن بعد والعمل عن بعد، كما كانت من أوائل الدول التي استخدمت العلاجات المبتكرة للمصابين بالفيروس مثل علاج الخلايا الجذعية، فضلا عن بناء أكبر مختبر بالعالم لفحوصات كورونا المستجد خارج الصين، وغيرها الكثير من الإجراءات الاحترازية في كافة المجالات والتي أسهمت بشكل كبير في الحد من انتشار الفيروس[2].

(1) خلال الإحاطة الإعلامية.. الإمارات تتصدر العديد من المؤشرات العالمية الخاصة بالتعامل مع الجائحة. (2021, January 26). wam. https://www.wam.ae/ar/details/1395302904651

(2) بـ 6 إنجازات.. الإمارات الأولى عالميا في مكافحة كورونا. (2021, January 20). سكاي نيوز عربية.

3. سلسلة الخطوات الإماراتية

1 – النفير العام لهيئات الطوارئ الصحية

إن إدارة نظام الاستجابة للمخاطر المفاجئة في دولة الإمارات العربية المتحدة يخضع للهيئة الوطنية لإدارة الأزمات والطوارئ[1]، والتي كانت يقظة في إصدار الإنذار الأول لتفشي فيروس كورونا الجديد، حتى قبل إعلان منظمة الصحة العالمية أنه حالة طوارئ صحية عامة تثير قلقًا دَوْلِيًّا[2].

تتمتع دولة الإمارات العربية المتحدة بخدمة صحية شاملة تمولها الحكومة بالإضافة إلى مرافق صحية خاصة تقدم مستوى عاليا من الرعاية الصحية للسكان[3]. وخلال مواجهة الوباء، تم إعداد نظام الرعاية الصحية بِرُمَّته وتزويده بالبروتوكولات المعمول عالمياً بها للتعامل الفعال مع الأزمة.

لقد وفرت الإمارات الخدمات العلاجية والوقائية وفقا لأفضل المواصفات العالمية، لكافة من يعيش على أرضها دون أي تمييز بين مواطن أو مقيم، كما أطلقت العديد من المبادرات والبرامج الحمائية، بما يشمل الحقوق الصحية والتعليمية وحماية حقوق الطفل والمرأة وكبار المواطنين وأصحاب الهمم وحماية حقوق العمال.

2– شبكات التواصل الاجتماعي منابر للتوعية بخطورة الوباء يعد التواصل بشأن المخاطر عاملاً رئيسياً في أثناء تفشي الوباء، وقد نفذت حكومة الإمارات العربية المتحدة حملة توعية مفصلة استهدفت جميع شرائح المجتمع، من مواطنين ومقيمين وسائحين، وقدمت تحديثًا يَوْمِيًّا حول تطورات انتشار الفيروس محليًا وَدَوْلِيًّا. اعتمدت دولة الإمارات العربية المتحدة الاستخدام الإلزامي لأقنعة الوجه في آذار 2020 [4].

ولقد تم استخدام منصات التكنولوجيا الذكية بشكل فعال لمكافحة COVID–19، أهمها:

---

https://www.skynewsarabia.com/technology/

(1) The Supreme Council for National Security | National Emergency Crisis and Disasters Management Authority. https://www.ncema.gov.ae/

(2) Response to COVID-19 pandemic in the UAE: A public health perspective. (n.d.). PubMed Central (PMC). https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC8005306/#R2

(3) Health care. (n.d.). Welcome | UAE Embassy in Washington, DC. https://www.uae-embassy.org/about-uae/health-care

(4) COVID-19 crisis response in MENA countries. (n.d.). OECD. https://www.oecd.org/coronavirus/policy-responses/covid-19-crisis-response-in-mena-countries-4b366396/

أ- خدمة chatbot بواسطة وزارة الصحة ووقاية المجتمع[1]، والتي أطلقت «الطبيب الافتراضي» عبر تطبيق «دكتور لكل مواطن»[2] وهدفه تقديم المعلومات الدقيقة والخدمات المتعلقة عبر منصة «وقاية»[3] لتعزيز الوعي بين المواطنين والمقيمين بشأن أزمة الأخطار الكارثية لانتشار الوباء.

ب- تطبيق «الحصن»[4]، وهو المنصة الرقمية الرسمية المتكاملة لاختبارات COVID-19 في كامل الدولة، والتي يمكن عبره للأفراد تلقي نتائج اختبار COVID-19 على هواتفهم الذكية.

ج- تطبيق StayHome [5]، لدعم حالات الحجر الصحي وعزل المرضى المصابين.

د- إنشاء خط المساعدة الخاص بفيروس كورونا من قبل وزارة الصحة والوقاية، بالإضافة إلى خط ساخن لاستشارات الصحة العقلية للاستجابة للمخاوف النفسية وقلق الأشخاص أثناء الوباء[6].

3- توعية المجتمع على نطاق واسع، عبر التالي:

أ- إصدار خوارزميات الفصل والعزل والعلاج لتوجيه المتخصصين في الرعاية الصحية في التعامل مع حالات كل الحالات المصابة، وكذلك المحتملة[7]. كما تم تقديم خدمات الاختبار والكشف الفوري في مرافق الرعاية الصحية في جميع أنحاء الدولة.

ب- إنشاء مراكز الاختبار من قبل وزارة الصحة - أبو ظبي وتطبيق «صحة»[8]،

(1) MOHAP strategy - Ministry of health and prevention - UAE. (n.d.). وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربية المتحدة. https://www.mohap.gov.ae/en/Aboutus/Pages/Strategy.aspx

(2) DOCTOR FOR EVERY CITIZEN. (n.d.). https://www.dha.gov.ae/en/PrimaryHealthCareCentres/HealthCenters/Documents/Doctor%20for%20Every%20citizen_EN_12-7-20.pdf

(3) The supreme council for national security | National emergency crisis and disasters management authority. (n.d.). https://www.ncema.gov.ae/en/media-center/news/1/4/2020/ncema-launches-weqaya-to-raise-public-health-awareness-in-uae-on-covid-19.aspx#page=1

(4) Alhosn. (n.d.). https://www.ncema.gov.ae/alhosn/index.html

(5) Smart solutions to fight COVID-19 - The official Portal of the UAE government. (n.d.). https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/smart-solutions-to-fight-covid-19

(6) Maintaining mental health in times of COVID-19. (n.d.). The Official Portal of the UAE Government. https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/maintaining-mental-health-in-times-of-covid19

(7) Prediction of COVID-19 severity using laboratory findings on admission: Informative values, thresholds, ML model performance. (n.d.). PubMed. https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/33637550/

(8) SEHA | Abu Dhabi Health Services Co. https://www.seha.ae/

لتجهيز المراكز المستحدثة بأحدث أنظمة وتقنيات الاختبار وفرق رعاية صحية وفقاً للإجراءات المعتمدة عَالَمِيًّا.

ج- تقديم فحوصات مجانية لكافة شرائح المجتمع التي في دائرة الخطر، بما فيهم عاملات المنازل، وأصحاب الهمم، والنساء الحوامل، والمقيمين الذين تزيد أعمارهم عن 50 عامًا، والأشخاص المصابين بأمراض مزمنة، والذين يعانون من أعراض فيروس كورونا، وجميع المخالطين لمرضى فيروس كورونا[1].

د- إجراء حملات اختبار جماعي في الأماكن المزدحمة، حيث الخطر الكبير لانتقال العدوى.

هـ- إنشاء مستشفيات ميدانية لتخفيف الضغط على المستشفيات الموجودة في المدينة وللمساعدة في الاستجابة بشكل أسرع لـ COVID-19. وتم افتتاح أول مستشفى ميداني في مركز دبي التجاري العالمي بسعة 300 سرير يمكن توسعته حتى 3000 سرير[2].

و- أفردت شركة أبو ظبي للخدمات الصحية (صحة) منشأة للحجر الصحي تسمى «المجمع 3»، مع قدرة على عزل 10000 مريض، وتم إعداده في فترة قياسية لم تتعد التسعة أيام.

ولقد اتبعت جميع هذه المرافق جميعها بروتوكولات صارمة لـ COVID -19 في التعامل مع الحالات وإدارتها[3].

4- التعريف بمخاطر الوباء

تم إصدار المنشورات الدورية لتوضيح أهمية الرعاية الصحية والنظافة، كما تم إجراء سلسلة من ورش العمل التدريبية لتثقيف المتخصصين حول تشخيص المرض والإبلاغ عنه لتعزيز المراقبة الوبائية وتعزيز الإبلاغ الفوري عن جميع حالات COVID-19 المشتبه بها إلى مركز أبو ظبي للصحة العامة[4]. ووفرت الإمارات الفحص الطبي

(1) Protecting yourself | Abu Dhabi government media office. (n.d.). https://www.mediaoffice.abudhabi/en/abu-dhabi-emergency-crisis-and-disasters-committee/protecting-yourself/

(2) Dubai world trade centre turned into 3,000-bed field hospital. (2020, April 15). The National. https://www.thenationalnews.com/uae/health/dubai-world-trade-centre-turned-into-3-000-bed-field-hospital-1.1006282

(3) Quarantining to fight COVID-19. (n.d.). The Official Portal of the UAE Government. https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/quarantining-to-fight-covid-19

(4) Abu Dhabi Public Health Center. https://www.adphc.gov.ae/

المجاني لجميع سكان المدن الصناعية والعمالية والعلاج المجاني لمن ثبتت إصابته، وحرصت على توفير مواد تثقيفية بعدة لغات وعن طريق عدة وسائل لتوعية العمال بمخاطر الفيروس وسبل الوقاية منه.

5- تطبيق إجراءات صحية عامة صارمة لعدم انتشار الوباء

أ- تبنت السلطات الإماراتية المعيار الأكثر تطلبًا لتطبيق «مبدأ التباعد الاجتماعي»، وهو مسافة مترين، أي ضعف المسافة التي أوصت بها منظمة الصحة العالمية، وقد لعب هذا دورًا مُهِمًّا في الحد من انتشار العدوى[1].

ب- كانت الإمارات العربية المتحدة من أوائل الدول التي اعتمدت التعلم عن بعد بكفاءة في جميع المدارس الخاصة والحكومية[2].

ج- اعتمدت الحكومات الاتحادية والمحلية في دولة الإمارات العربية المتحدة نظام العمل عن بعد لضمان صحة وسلامة موظفيها وعملائها[3].

د- أصدرت الحكومة أوامر بوقف توزيع جميع الصحف والمجلات والمواد التسويقية بشكل مؤقت لتجنب انتقال الفيروس عن طريق الاتصال[4].

هـ- علقت حكومة الإمارات جميع التجمعات القريبة والأنشطة الرياضية، وأغلقت المراكز التجارية ومراكز التسوق وأسواق الأسماك واللحوم والخضروات باستثناء السلع الأساسية[5].

و- تقييد دخول إلى الإمارات، وهو إجراء احترازي أساسي للحد من انتشار الوباء من الخارج، حيث تم توقيف منح التأشيرات لجميع الأجانب، وألغيت جميع رحلات الركاب القادمة والمغادرة[6].

(1) WHO | World Health Organization. (n.d.). https://www.who.int/docs/default-source/coronaviruse/situation-reports/20200309-sitrep-49-covid-19.pdf?sfvrsn=70dabe61_4

(2) Houalla, M. (2021, May 25). How the coronavirus lockdown is likely to transform education. KPMG. https://home.kpmg/ae/en/home/insights/2020/05/how-the-coronavirus-lockdown-is-likely-to-transform-education.html

(3) Abu Dhabi›s Department of Health adopts remote working system. (2020, March 15). wam. https://wam.ae/en/details/1395302830900

(4) Index on Censorship. (2020, July 6). Governments using virus as cover to restrict newspapers. https://www.indexoncensorship.org/2020/06/virus-kills-off-print-newspapers-but-will-it-be-temporary/

(5) COVID-19 in the Middle East: UAE closes all fresh food markets, supermarkets allowed to open 24 hours. foodnavigator-asia.com. https://www.foodnavigator-asia.com/Article/2020/03/27/COVID-19-in-the-Middle-East-UAE-closes-all-fresh-food-markets-supermarkets-allowed-to-open-24-hours

(6) United Arab Emirates travel regulations, coronavirus regulations, travel bans. (2021, September 28). Travelbans. https://travelbans.org/asia/united-arab-emirates/

ز- أعلنت السلطات الرسمية عن تطبيق العقوبات الرادعة على المخالفين الذين يهددون الصحة العامة[1].

6- تشجيع الأبحاث الطبية الوطنية

أطلقت الإمارات أولى التجارب السريرية في العالم في للمرحلة الثالثة[2]، أو ما يصطلح عليه عِلْمِيًّا بالتجارب الإكلينيكية[3] Phase III Clinical Trials للقاح COVID-19 في تموز 2020 [4] بواسطة G42 Healthcare [5] بالتعاون مع Sinopharm CNBG [6].

نفذت G42 Healthcare دراسة التسلسل الجيني لفيروس COVID-19 بهدف مراقبة نمط انتشار وتطور الفيروس منذ بداية الوباء. سيحدد هذا التسلسل أيضًا ظهور سلالات جديدة. تم بالفعل نشر دراسات من دولة الإمارات العربية المتحدة حول التسلسل الجيني لفيروس COVID-19 الذي ساهم في فهم شبكة النقل العالمية[7] لـ SARSCoV-2.

تمول حكومة الإمارات العربية المتحدة وتدعم البحث والتطوير لتقنيات جديدة فيما يتعلق

(1) UAE attorney-general issues updated resolution on enforcement of list of fines, penalties ranging AED1000-AED50000 to contain coronavirus - Ministry of health and prevention - UAE. (n.d.). وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربيه المتحدة. https://www.mohap.gov.ae/en/MediaCenter/News/Pages/2329.aspx

(2) Scientific research on prevention and treatment of COVID-19 - The official Portal of the UAE government. (n.d.). https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/scientific-research-on-prevention-and-treatment-of-covid-19

(3) 4 Humanity. https://4humanity.ae/

(4) Staff, R. (2020, September 14). UAE announces emergency approval for use of COVID-19 vaccine. U.S. https://www.reuters.com/article/us-health-coronavirus-emirates-vaccine-idUSKBN2652OM

(5) Group 42. (2019, June 25). Group 42. https://g42.ai/#Vision

(6) مجموعة الصين الوطنية للصناعات الدوائية (CNPGC) المعروفة باسم سينو فارم هي مؤسسة صينية مملوكة للدولة. كانت الشركة المساهم الرئيسي غير المباشر لشركات التداول العامة سينو فارم عبر 49-51 مشروعا مشتركا، سينو فارم للاستثمارات الصناعية، مع فوسن الدوائية، الصين التقليدية للطب الصيني، معظمها عبر صينو فارم القابضة بهونج كونج المحدودة. شنغهاي شينديك الدوائية عبر معهد بحوث مملوك بالكامل ومقره في شنغهاي وبكين تيانتان المنتجات البيولوجية عبر مجموعة الصين الوطنية للمضادات.

Barrington, L. (2021, March 29). Abu Dhabi launches new COVID-19 vaccine plant with China›s Sinopharm.U.S. https://www.reuters.com/article/us-health-coronavirus-emirates-china-idUSKBN2BL0DS

(7) Genomic epidemiology of SARS-Cov-2 in the UAE reveals novel virus mutation, patterns of co-infection and tissue specific host immune response. (2021, July 7). Scientific Reports. https://www.nature.com/articles/s41598-021-92851-3

بوباء COVID-19 وبما يتطابق مع أهداف الدولة، قدمت G42 Healthcare تقنية[1] LamPORE مع شراكات عالمية استراتيجية أصبحت الآن جزءًا لا يتجزأ من برنامج الاختبارات الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة.

بالإضافة إلى ذلك، تم إنشاء مراقبة نشطة لتحديد التهابات الجهاز التنفسي الحادة الوخيمة[2] (Severe Acute Respiratory Infections (SARI ليتم إدخالهم إلى مستشفيات مختلفة هناك لإجراء الفحوصات خوفاً من تفاقم إصابة الروايا والشعب الهوائية بأعراض فيروس كورونا.

وتم تشجيع المبادرات الوطنية لتعزيز صحة السكان وتعزيز قدرات البحث والتطوير الطبي في دولة الإمارات العربية المتحدة. اللقاح مصرح باستخدامه وهو مجاني لجميع المقيمين في دولة الإمارات العربية المتحدة، لتتصدر الإمارات أعلى مراتب التلقيح عالمياً. ولعبت مجموعة «صحة» دورًا حَيَوِيًّا في تلقيح السكان ولديها مراكز تطعيم تم إنشاؤها في مختلف الإمارات الأخرى من أجل الأداء الفعال والوصول[3].

7- **دعم القطاع الخاص اقتصادياً** أصدرت حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة المركزية، إلى جانب المجلس الأعلى للأمن الوطني، إرشادات لاستمرارية القطاع الخاص التجاري والصناعي على أرض الدولة وعدم اضمحلاله وإفلاسه. فأعلنت السلطات المختصة عن خطة إنعاش من مرحلتين لإعادة بناء الاقتصاد[4]، ومن ثم استئناف الأعمال التجارية. لقد قررت الدولة دعم الأعمال المتعثرة التي تواجه عقوبات إدارية إلى جانب منح حزمة التحفيز بالدولار الأمريكي بقيمة ستة مليارات للقطاع الخاص في المرحلة الأولى[5]، ثم في المرحلة التالية، فأعدت خطة تحفيز طويلة الأجل

(1) G42 and ONT Co-develop ultra-scalable solution for COVID-19 detection (UAE). (2021, June 2). Oxford Nanopore Technologies. https://nanoporetech.com/about-us/news/g42-and-ont-co-develop-ultra-scalable-solution-covid-19-detection-uae

(2) Middle East respiratory syndrome coronavirus (MERS-Cov) – United Arab Emirates. (n.d.). WHO | World Health Organization. https://www.who.int/emergencies/disease-outbreak-news/item/2021-DON314

(3) COVID-19 landing - SEHA | Abu Dhabi health service... (2021, January 13). SEHA | Abu Dhabi Health Services Co. https://www.seha.ae/covid-19-landing/

(4) UAE to build post COVID-19 economy on digital, announces two-phase recovery plan. (n.d.). Gulf News: Latest UAE news, Dubai news, Business, travel news, Dubai Gold rate, prayer time, cinema. https://gulfnews.com/business/uae-to-build-post-covid-19-economy-on-digital-announces-two-phase-recovery-plan-1.1589306921373

(5) الإمارات تخصص 6.5 مليار دولار لدعم القطاع الخاص وتمنح حوافز لمواطنيها. (2021, September 12). CNN

لتسريع التعافي وتشجيع الاستثمار في الاقتصاد الرقمي مثل شبكات 5G والذكاء الاصطناعي[1].

8- إطلاق المبادرات الاجتماعية بدعم الدولة

أطلقت دائرة تنمية المجتمع مع شركائها في القطاع الاجتماعي حزمة من المبادرات التي تتماشى مع الجهود حكومة أبو ظبي للحد من انتشار فيروس كورونا المستجد. وبلغ إجمالي المبادرات التي تم إطلاقها منذ بداية الأزمة 60 مبادرة تناولت الجوانب التوعوية والتفاعلية مع المجتمع ومبادرات الدعم والمساهمات إلى جانب مبادرات استهدفت الأسر المستفيدة والمستحقة للدعم الاجتماعي، مع باقة متنوعة من الخدمات لضمان استمرارية الأعمال[2].

4. مقومات النجاح الإماراتي

للوصول إلى تحليل هذا النجاح العربي، لا بد من دراسة بداية مؤشرات الاستراتيجية الإماراتية لصون مجتمعها، والتي استندت على الخطوات التالية:

1- اتخاذ التدابير الصارمة والإجراءات الوقائية لاحتواء الفيروس لعدم تفشيه، وذلك من خلال تطوير إجراءات رصد الحالات عند نقاط الدخول في المطارات والموانئ والمعابر البرية، مع تعزيز اكتشاف الحالات اِسْتِبَاقِيًّا من خلال توسيع الفحوص المخبرية، وتوفير أماكن الحجر الصحي المتخصصة والملأئمة وبروتوكولات العلاج المناسب للحالات المستعصية.

2- اتخاذ الإجراءات المعيارية للحد من انتقال المرض كتعطيل المؤسسات التعليمية، وتعليق حركة الطيران ووقف كل الفعاليات العامة، ومنع التجمعات، وإغلاق الأماكن العامة.

3- محاولة عدم تعطيل حياة الناس الطبيعية. فبالرغم من تطبيق إجراءات «التباعد الاجتماعي»، إلا أن السلطات الإماراتية أخذت في الحسبان الأوضاع الاقتصادية والصحة النفسية للأفراد، لذا اتبعت الأسلوب التدريجي في إجراءات الحد من حركة المواطنين والوافدين. كما أنها لم تطبق إجراءات الحظر الكامل والشامل؛ حيث فرضت الحظر الجزئي من الساعة الثامنة مساء إلى الساعة السادسة صباحاً، ولمدة أسبوعين

Arabic. https://arabic.cnn.com/business/article/2021/09/12/uae-projects-private-sector

(1) The fifth generation- 5G - The official Portal of the UAE government. (n.d.). https://u.ae/en/about-the-uae/science-and-technology/the-fifth-generation-5g

(2) 60 مبادرة مجتمعية في إمارة أبوظبي لمواجهة جائحة «كورونا». (2020, May 29). wam. https://wam.ae/ar/details/1395302845199

فقط (وليس كلبنان، حيث تستمر التعبئة العامة منذ شهر آذار الماضي، لتُقطع الأرزاق، وبالتالي تنحني الأعناق الشامخة أمام هول الضائقة المالية).

4- المحفزات الاقتصادية التي أعلنها مصرف الإمارات المركزي بقيمة إجمالية تبلغ 100 مليار درهم لمساعدة البنوك العاملة في الدولة على التعامل مع التأثيرات الاقتصادية السلبية الناجمة عن أزمة كورونا. فقد اتخذت الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية إجراءات عدة لتعزيز الاستقرار الاقتصادي.

على سبيل المثال لا الحصر، أطلقت حكومة أبو ظبي 16 مبادرة لتخفيف الأعباء على الشركات وتحفيز قدرتها على مواجهة ظروف السوق الصعبة، وأعلنت كذلك عن تشكيل لجنة لمراجعة وضع القروض للشركات. كما أطلقت حكومة دبي حزمة حوافز اقتصادية بقيمة 1.5 مليار درهم بهدف دعم الشركات وقطاع الأعمال، فضلاً عن إطلاق مبادرات عدة لتخفيف العبء المالي المتعسرين وأصحاب القروض.

5- تطوير قدرات الصحية للطواقم الطبية الإماراتية؛ وعلى سبيل الإشادة، تم إنشاء «مراكز إجراء الفحص من المركبة» للكشف عن فيروس كورونا خلا ل خمس عشرة دقيقة فقط.

وفي إطار التنويه، تم بناء أكبر مختبر حديث خارج الصين واليابان ضم قدرات معالجة فائقة لإجراء عشرات آلاف الاختبارات بتقنية تفاعل البوليمرز المتسلسل اللحظي[1].

وهنا لا بد من الإشادة بدور وزارة الداخلية الإماراتية التي أمدت قوات الشرطة بخوذات ذكية تمكّنها من قياس درجة حرارة آلاف المتواجدين في الحيز الجغرافي المفتوح[2]. ويمكن لهذه الخوذات (التي تحتاج لوقت أقل ومسافة أقصر من أجهزة قياس الحرارة التقليدية) قياس درجة الحرارة من على بعد خمسة أمتار، وتستطيع فحص ما يصل إلى 200 شخص في الدقيقة، فتصدر الخوذة إنذاراً في حالة رصد شخص مصاب بالحمى. وتكون هذه الخوذات فعّالة لفحص الناس في المناطق ذات الكثافة السكنية المرتفعة.

وكانت استجابة مصرف الإمارات المركزي السريعة والكبيرة على مستوى السياسات واستراتيجيته الواضحة والاستباقية للتواصل لهما أهمية بالغة طوال فترة الأزمة. وبينما لا يزال النظام المصرفي متمتعا بمستويات قوية من السيولة ورأس المال، فإن نمو الائتمان

(1) How is the COVID-19 virus detected using real time RT-PCR? (n.d.). https://www.iaea.org/newscenter/news/how-is-the-covid-19-virus-detected-using-real-time-rt-pcr

(2) Staff, R. (2020, April 24). Emirati police deploy smart tech in coronavirus fight. U.S. https://www.reuters.com/article/health-coronavirus-emirates-smart-helmet-idINKCN2260ZH

للشركات لا يزال محدودا، وإن كان إقراض التجزئة قد تحسن، كما تراجعت جودة أصول البنوك إلى حد ما. ومن المحتمل ظهور آثار أخرى على الميزانيات العمومية للبنوك في الفترة القادمة من جراء أزمة كوفيد–19 من بين جملة أمور. ومن شأن ضمان الاستقرار المالي من خلال المراقبة المستمرة للمخاطر أن يعزز صلابة النظام المالي، كما أن الجهود الجارية لتعزيز الأطر الاحترازية الكلية والتنظيمية سوف تدعم هذه الجهود بدرجة أكبر [1].

وبالنتيجة، لقد أسهمت الاستراتيجية الناجحة التي اتّبعتها القيادة الإماراتية في حصر الخطر الوبائي، فبالرغم من أن تعداد السكان الإجمالي يصل إلى نحو 10 ملايين نسمة، فيما المجتمع يتسم بتنوع هائل، والدولة منفتحة ومعولمة، إلا أن عدد الإصابات لا يتجاوز 39,904 فرداً، والوفيات 283 فقط[2]، وهذا يعني أن معدل الوفيات أقل من 1 بالمئة، وهو يَقل كثيراً عن المعدل العالمي الذي يصل إلى 3.4 بالمئة للأسف.

5. الخاتمة

إن دولة الإمارات العربية المتحدة أثبتت من خلال إدارتها لأزمة وباء كوفيد 19 أنها نموذج يُحتذى به في التعامل الفاعل في احتواء التداعيات التي قد تترتب على الأزمات والكوارث الطارئة، فعلى الصعيد الداخلي سارعت إلى اتخاذ مجموعة من الخطوات الوقائية والتدابير الاحترازية المهمة التي عززت من الأمنين الصحي والغذائي لأفراد المجتمع كافة. كما سبق الإشارة، وجعلت الجميع، مؤسسات وأفرادا، شركاء في تحمّل مسؤولية مواجهة هذا الوباء. أما على الصعيد الخارجي فقد أكدت الإمارات أنها طرف فاعل في تعزيز الجهود الدولية الرامية إلى مواجهة هذا الوباء، سواء من خلال المساعدات التي قدمتها للدول التي تأثرت بشكل سلبي جراء انتشار الفيروس فيها أو من خلال تقديم المساعدات لمنظمة الصحة العالمية للقيام بدورها على الوجه الأمثل، أو من خلال تنسيقها المستمر والمتواصل مع العديد من القوى الكبرى من أجل تفعيل الجهود الدولية في هذا الشأن، وذلك ترجمة لمسؤوليتها الأخلاقية التي تنطلق من

(1) خبراء الصندوق يختتمون بعثة مشاورات المادة الرابعة لعام 2021 مع الإمارات العربية المتحدة.

(n.d.). imf.org. https://www.imf.org/ar/News/Articles/2021/09/29/pr21279-uae-imf-staff-completes-2021-article-iv-mission

(2) United Arab Emirates coronavirus: 465,939 cases and 1,502 deaths. (1344, February). Worldometer - real time world statistics. https://www.worldometers.info/coronavirus/country/united-arab-emirates/

الإيمان بضرورة التعاون والتضامن الدولي في مواجهة هذه النوعية من الأزمات التي تمثل تهديداً للإنسانية جمعاء[1].

هذا النجاح المحلي للإمارات ما لبث أن تحول طبقاً للشهامة العربية إلى مد العون للدول الصديقة والشقيقة. فشملت مبادرات الحكومة الاتحادية تقديم الدعم الكامل لمنظمة الصحة العالمية، وتزويد عدد من الدول، من بينها الصين وإيران وأفغانستان وباكستان والصومال وكولومبيا وسيشل وإيطاليا وكازاخستان، بالمواد الطبية اللازمة والإغاثية والضروريات لتجاوز هجمة الوباء الشرسة[2]. ولا ننسى على صعيدنا المحلي اللبناني، مع بداية تأكد خطر الوباء مطلع شهر آذار، أطلق سعادة السفير الدكتور حمد بن سعيد الشامسي[3] حملة «المبادرة الإماراتية الإنسانية» للبدء بتعقيم دور العبادة والأماكن العامة وأماكن التجمع والشوارع في مدينة بيروت بالتعاون والتنسيق مع المحافظ[4].

إن التجربة الإماراتية داخلياً وخارجياً من حيث التكامل والتنسيق بين القيادة والحكومة الاتحادية والحكومات المحلية، وما رافقه من تكاتف وتعاون مختلف الوزارات وأجهزة الدولة، هو الذي أرسى الأسس القوية لنجاح النموذج الإماراتي تخفيف حدة الموجة الأولى للجائحة الكورونية. وهو نموذج يُحتذى به عربياً، حيث إن الإعداد المسبق والتخطيط السلمي وسرعة الاستجابة ومتابعة المستجدات يحفظ البلاد ويحمي العباد.

(1) Ali, D. M. (2021). The UAE and the COVID-19 pandemic: An example of crisis management and achieving sustainable recovery. Trends Research & advisory.

(2) لإنسانية» تمنح جائزتها الأسمى لـ»محمد بن زايد». (April 16 ,2020). العين الإخبارية. https://al-ain.com/article/humanity-awards-prize-mohammed-bin-zayed

(3) Manhom. (n.d.). من هو حمد سعيد سلطان الشامسي؟ | ملف الشخصية | من هم؟ https://manhom.com/

(4) حملة "المبادرة الإماراتية الإنسانية". (n.d.). الوكالة الوطنية للاعلام - وزارة الاعلام الجمهورية اللبنانية. https://nna-leb.gov.lb/ar/show-news/465649/nna-leb.gov.lb/ar

المراجع:

60 مبادرة مجتمعية في إمارة أبو ظبي لمواجهة جائحة «كورونا".
(2020, May 29). wam. https://wam.ae/ar/details/1395302845199

- Abu Dhabi's Department of Health adopts remote working system. (2020, March 15). wam. https://wam.ae/en/details/1395302830900
- Alhosn. (n.d.). https://www.ncema.gov.ae/alhosn/index.html
- Ali, D. M. (2021). The UAE and the COVID-19 pandemic: An example of crisis management and achieving sustainable recovery. Trends Research & advisory.
- Barrington, L. (2021, March 29). Abu Dhabi launches new COVID-19 vaccine plant with China's Sinopharm. U.S. https://www.reuters.com/article/us-health-coronavirus-emirates-china-idUSKBN2BL0DS
- Brexit shows up the failures of globalization and humanity in retreat. (2016 ،June 26). IMD business school. https://www.imd.org/research-knowledge/articles/brexit-shows-up-the-failures-of-globalisation/
- Contact tracing apps in United Arab Emirates. (n.d.). Norton Rose Fulbright | United States | Global law firm. https://www.nortonrosefulbright.com/-/media/files/nrf/nrfweb/contact-tracing/uae-contact-tracing.pdf?revision=15694ff9-c6c0-4419-81e0-b89600c54356&la=en-za
- COVID-19 crisis response in MENA countries. (n.d.). OECD. https://www.oecd.org/coronavirus/policy-responses/covid-19-crisis-response-in-mena-countries-4b366396/
- COVID-19 landing - SEHA | Abu Dhabi health service... (2021, January 13). SEHA | Abu Dhabi Health Services Co. https://www.seha.ae/covid-19-landing/
- COVID-19: An insight into SARS-Cov-2 pandemic originated at Wuhan city in Hubei province of China. (n.d.). ClinMed International Library | Clinmed Journals. https://clinmedjournals.org/articles/jide/journal-of-infectious-diseases-and-epidemiology-jide-6-146.php?jid=jide
- DOCTOR FOR EVERY CITIZEN. (n.d.). https://www.dha.gov.ae/en/PrimaryHealthCareCentres/HealthCenters/Documents/Doctor%20for%20Every%20citizen_EN_12-7-20.pdf
- Dubai world trade centre turned into 3,000-bed field hospital. (2020, April 15). The National. https://www.thenationalnews.com/uae/health/dubai-world-trade-centre-turned-into-3-000-bed-field-hospital-1.1006282

- Eagle versus dragon: No end to the U.S.-China trade conflict in sight even during the pandemic. (n.d.). BDI The Voice of German Industry. https://english.bdi.eu/article/news/eagle-versus-dragon-no-end-to-the-us-china-trade-conflict-in-sight-even-during-the-pandemic/
- Emirate's news agency. (2021 ،October 1). Emirates News Agency. https://www.wam.ae/en
- Foodnavigator-asia.com. (2020, March 27). COVID-19 in the Middle East: UAE closes all fresh food markets, supermarkets allowed to open 24 hours. foodnavigator-asia.com. https://www.foodnavigator-asia.com/Article/2020/03/27/COVID-19-in-the-Middle-East-UAE-closes-all-fresh-food-markets-supermarkets-allowed-to-open-24-hours
- G42 and ONT Co-develop ultra-scalable solution for COVID-19 detection (UAE). (2021, June 2). Oxford Nanopore Technologies. https://nanoporetech.com/about-us/news/g42-and-ont-co-develop-ultra-scalable-solution-covid-19-detection-uae
- Genomic epidemiology of SARS-Cov-2 in the UAE reveals novel virus mutation, patterns of co-infection and tissue specific host immune response. (2021, July 7). Scientific Reports. https://www.nature.com/articles/s41598-021-92851-3
- Group 42. (2019, June 25). Group 42. https://g42.ai/#Vision
- Health care. (n.d.). Welcome | UAE Embassy in Washington, DC. https://www.uae-embassy.org/about-uae/health-care
- Houalla, M. (2021, May 25). How the coronavirus lockdown is likely to transform education. KPMG. https://home.kpmg/ae/en/home/insights/2020/05/how-the-coronavirus-lockdown-is-likely-to-transform-education.html
- How is the COVID-19 virus detected using real time RT-PCR? (n.d.). https://www.iaea.org/newscenter/news/how-is-the-covid-19-virus-detected-using-real-time-rt-pcr
- How is the COVID-19 virus detected using real time RT-PCR? (n.d.). https://www.iaea.org/newscenter/news/how-is-the-covid-19-virus-detected-using-real-time-rt-pcr
- Index on Censorship. (2020, July 6). Governments using virus as cover to restrict newspapers. https://www.indexoncensorship.org/2020/06/virus-kills-off-print-newspapers-but-will-it-be-temporary/
- Maintaining mental health in times of COVID-19. (n.d.). The Official Portal of the UAE Government. https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/

maintaining-mental-health-in-times-of-covid19
- Manhom. (n.d.). من هو حمد سعيد سلطان الشامسي؟ | ملف الشخصية | من هم؟. https://manhom.com
- Middle East respiratory syndrome coronavirus (MERS-Cov) - United Arab Emirates. (n.d.). WHO | World Health Organization. https://www.who.int/emergencies/disease-outbreak-news/item/2021-DON314
- MOHAP strategy - Ministry of health and prevention - UAE. (n.d.). وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربية المتحدة. https://www.mohap.gov.ae/en/Aboutus/Pages/Strategy.aspx
- News | Media center | The supreme council for national security | National emergency crisis and disasters management authority. (n.d.). https://www.ncema.gov.ae/en/media-center/news/1/4/2020/ncema-launches-weqaya-to-raise-public-health-awareness-in-uae-on-covid-19.aspx#page=1
- Prediction of COVID-19 severity using laboratory findings on admission: Informative values, thresholds, ML model performance. (n.d.). PubMed.
- Protecting yourself | Abu Dhabi government media office. (n.d.). Request Rejected. https://www.mediaoffice.abudhabi/en/abu-dhabi-emergency-crisis-and-disasters-committee/protecting-yourself/
- Quarantining to fight COVID-19. (n.d.). The Official Portal of the UAE Government. https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/quarantining-to-fight-covid-19
- Response to COVID-19 pandemic in the UAE: A public health perspective. (n.d.). PubMed Central (PMC). https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC8005306/#R2
- Scientific research on prevention and treatment of COVID-19 - The official Portal of the UAE government. (n.d.). https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/scientific-research-on-prevention-and-treatment-of-covid-19
- Smart solutions to fight COVID-19 - The official Portal of the UAE government. (n.d.). https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/smart-solutions-to-fight-covid-19
- Staff, R. (2020, September 14). UAE announces emergency approval for use of COVID-19 vaccine. U.S. https://www.reuters.com/article/us-health-coronavirus-emirates-vaccine-idUSKBN2652OM

- Staff ،R. (2020 ،April 24). Emirati police deploy smart tech in coronavirus fight. U.S. https://www.reuters.com/article/health-coronavirus-emirates-smart-helmet-idINKCN2260ZH
- The fifth generation- 5G - The official Portal of the UAE government. (n.d.). https://u.ae/en/about-the-uae/science-and-technology/the-fifth-generation-5g
- The StayHome app. (n.d.). The Official Portal of the UAE Government. https://u.ae/en/information-and-services/justice-safety-and-the-law/handling-the-covid-19-outbreak/smart-solutions-to-fight-covid-19/the-stayhome-app
- UAE attorney-general issues updated resolution on enforcement of list of fines, penalties ranging AED1000-AED50000 to contain coronavirus - Ministry of health and prevention - UAE. (n.d.). وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربية المتحدة. https://www.mohap.gov.ae/en/MediaCenter/News/Pages/2329.aspx
- UAE to build post COVID-19 economy on digital, announces two-phase recovery plan. (n.d.). Gulf News: Latest UAE news, Dubai news, Business, travel news, Dubai Gold rate, prayer time, cinema. https://gulfnews.com/business/uae-to-build-post-covid-19-economy-on-digital-announces-two-phase-recovery-plan-1.1589306921373
- United Arab Emirates coronavirus: 465،939 cases and 1،502 deaths. (1344 ،February). Worldometer - real time world statistics. https://www.worldometers.info/coronavirus/country/united-arab-emirates/
- United Arab Emirates travel regulations, coronavirus regulations, travel bans. (2021, September 28). Travelbans. https://travelbans.org/asia/united-arab-emirates/
- الإمارات تتصدر دول العالم في مؤشرات التعامل مع جائحة «كورونا». (2021، January 26). صحيفة الخليج. https://www.alkhaleej.ae/2021-01-
- الإمارات تخصص 6.5 مليار دولار لدعم القطاع الخاص وتمنح حوافز لمواطنيها. (2021, September 12). الإمارات تخصص 6.5 مليار دولار لدعم القطاع الخاص وتمنح حوافز لمواطنيها. (2021, September 12). CNN Arabic. https://arabic.cnn.com/business/article/2021/09/12/uae-projects-private-sector
- بـ 6 إنجازات.. الإمارات الأولى عالميا في مكافحة كورونا. (2021، January 20). سكاي نيوز عربية. https://www.skynewsarabia.com/technology/
- حملة «المبادرة الإماراتية الإنسانية". (n.d.). الوكالة الوطنية للاعلام - وزارة الاعلام الجمهورية اللبنانية. https://nna-leb.gov.lb/ar/show-news/465649/nna-leb.gov.lb/ar
- خبراء الصندوق يختتمون بعثة مشاورات المادة الرابعة لعام 2021 مع الإمارات العربية المتحدة. (n.d.). imf.org. https://www.imf.org/ar/News/Articles/2021/09/29/

pr21279-uae-imf-staff-completes-2021-article-iv-mission

- خلال الإحاطة الإعلامية.. الإمارات تتصدر العديد من المؤشرات العالمية الخاصة بالتعامل مع الجائحة. (2021، January 26). wam. https://www.wam.ae/ar/details/1395302904651
- د.، ح. (n.d.). ملامح النموذج الإماراتي في مواجهة أزمة «كورونا". مركز المستقبل - الرئيسية. https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/
- دولة الإمارات.. كفاءة في إجراءات مواجهة «كورونا» .. والرهان على الالتزام بالتعليمات. (n.d.). الموقع الرسمي لوزارة الخارجية والتعاون الدولي لدولة الإمارات العربية المتحدة. https://www.mofaic.gov.ae/ar-ae/mediahub/news/2020/3/20/20-03-2020-regulations
- لإنسانية» تمنح جائزتها الأسمى لـ»محمد بن زايد". (2020، April 16). العين الإخبارية. https://al-ain.com/article/humanity-awards-prize-mohammed-bin-zayed
- مركز معلومات فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) - وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربيه المتحدة. (n.d.). وزارة الصحة ووقاية المجتمع - الإمارات العربيه المتحدة. https://www.mohap.gov.ae/ar/AwarenessCenter/Pages/COVID19-Information-Center.aspx

باب الإعلام:

1- أزمة الإعلام الساخر في الوطن العربي

(صحافة الكاريكاتير- قراءة في البدايات والواقع والمستقبل)

بقلم الدكتور: علي عبد الرحمن عواض

أستاذ مشارك - الإعلام والاتصال الدولي - الجامعة اللبنانية الدولية.

ali.awad@liu.edu.lb

تاريخ الاستلام: 2021/11/16 **تاريخ القبول:2021/11/25**

الملخص:

الراصد للواقع الإعلامي العربي، الصحافي تحديداً، يلحظ بشكل لا يقبل الجدل، هذا التراجع البيّن للصحافة العربية الساخرة والكتابة النقدية في الوطن العربي، وتحديداً غياب الكاريكاتير السياسي، في زمن يوصف بزمن الحريات الإعلامية والانفتاح على الآخر وصحافة المواطن. حيث تعتبر الدراسة الحالية استكمالاً لدراسة بحثية سابقة منشورة في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية المحكمة، تناولت فيها موضوع الصحافة الساخرة في الوطن العربي (مقاربة تاريخية للصحافة الساخرة في الوطن العربي)، حاولت أن أرصد فيها مسيرة الصحافة الساخرة بشكل عام، ثم جاءت هذه الورقة استكمالاً ورصداً للتغيير الذي تعيشه الصحافة العربية عموماً، والساخرة تحديداً، في ظل التراجع الواضح لمستوى الحريات المتاحة، وآليات التعامل مع النقد والمعارضة في الدول العربية، التي أصبحت أكثر تصلباً في مواجهة الرأي الآخر والكتابة الناقدة والموقف المعارض، فالحرية في إبداء الرأي والموقف، كانت وستبقى الرافعة الأهم في مسيرة الصحافة الساخرة.

هذه الظاهرة الإعلامية تراجعت في الواقع العربي إلى درجة توقف معظم الصحف الساخرة عن الصدور (ورقياً أو إلكترونياً)، وصولاً إلى حد الجفاف في المطبوعات الساخرة، وغياب العديد منها. يقول الدكتور إبراهيم غرايبة إن «السوداوية والتشاؤم يسودان المشهد الإعلامي العام، عند الحديث عن مستقبل الكاريكاتير»، مع الإشارة إلى أن الفضاء الافتراضي أنتج كماً يمكن أن يعوض، إلى حدٍ ما، النقص أو التراجع، في ميدان المطبوعات المتخصصة في هذا المجال. البعض وصف الكاريكاتير بالفن

«الذي فقد توهجه“، كونه مثّل رأس حربة في المعارك الإعلامية التي خاضها الشارع الإعلامي العربي. فالدراسة إذن، تقلب صفحات تاريخ الكاريكاتير العربي وترصد وتنقب في واقع الصحافة الساخرة بشكل عام، والكاريكاتير السياسي تحديداً، كونه من أقدم الفنون الاتصالية التي مارستها الشعوب والحضارات.

الكلمات المفتاحية:

الكاريكاتير، الإعلام الساخر، الكارتون، السخرية السياسية، النقد الفني، الصحافة العربية، الصحافة الساخرة

Abstract:

People commonly perceive political cartoons with a smile; thus, they might classify it as comics or humorous messages. It is much more serious. Political cartoons or editorial cartoonists typically combine artistic skills, exaggeration and satire in order to question authority and draw attention to corruption, dishonesty, political violence and other social “ills” by creating a humorous mood; they construct it through analogies, exaggerations, and symbolism. Scientific research has shown that political cartoons have proved to be extremely powerful media for mocking, satirizing and criticizing the odds in the society. Historically, cartoonists have played an active part in documenting and voicing different views through using these persuasive techniques: Symbolism, Exaggeration, Labeling, Analogy, and irony.

Although the paper aims at tracing back the history and development of political cartooning process in the Arab world, it will provide a socio-political framework in order to obtain an insight into the cultural values, beliefs, and attitudes of the societies that had produced them, in other words, pointing out the political and social environment. Cartooning has long been a pillar of the public

discourse in the Arab world, especially during authoritarian times. The purpose of this study is producing a historical approach of the circumstances, challenges and obstacles that have controlled the .art of political cartooning in the Arab world

تمهيد:

غالباً ما تترافق الرسوم الكاريكاتيرية بابتسامة من القراء، تصل أحياناً إلى حد القهقهة، الأمر الذي قد يفهم لدى البعض أن هذا النوع من الإنتاج الإعلامي، لا يعتبر جاداً بالقدر الذي تحصده الأخبار والفنون الكتابية الأخرى، كالمقالات أو التحقيقات أو التقارير الصحافية. ولكن الحقيقة، وبشهادة الدراسات والمتابعات العلمية، فإن الكاريكاتير يعبر بكلماته القليلة، أو تلميحاته السريعة، عن محتوى بحث كامل أو تقرير مطول، أو ربما تحقيق صحافي موثق، وبشكل سريع ومباشر دون الدخول في التفاصيل. من هنا عرفه البعض بأنه «مقالة مرسومة». كما أنه فن ضارب في التاريخ، وعريق كالكلمة، إن لم نقل إنه كان أسبق من الكلمات في التعبير عن المواقف أو الأوضاع في المجتمعات.

يرى الباحث الأردني الدكتور محمد جرادات، في دراسته المنشورة بعنوان «الكتابة الساخرة في الصحافة– محاولة للقراءة» أن «الكتابة الساخرة بوصفها فعلاً وموقفاً ليست ابنة الأمس، إنما هي ابنة التاريخ منذ القدم، هي حالة ثورية وتغييرية، نقدية وهجومية، ولا تقبل المديح، وسياسية بامتياز حتى لو ظهرت بألوان أخرى، وفي منتهى الجدية، ولو أضحكتنا أو أبكتنا، وهي ليست حالة طارئة عبر التاريخ، إنها موقف شامل وجذري، ذو طابع ثوري، جوهره التغيير»[1]. وتتساءل داليا عاصم، في دراستها حول مصير (الصحف العربية التي أضحكت العالم حتى اختفت)، لماذا يزدهر لون صحافي معين؟ ولماذا يختفي؟ ما الذي أدى لظهور الصحافة الفكاهية وصدور عدد من المطبوعات المخصصة لها؟ تساؤلات كثيرة تُطرح عند الحديث عن الصحافة الفكاهية، التي كانت من أبرز فنون الكتابة الصحافية في نهايات القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن الحادي والعشرين[2]. أما عن حرية التعبير التي يحتاجها هذا الفن

(1) جرادات، د. محمد، الكتابة الساخرة في الصحافة- محاولة للقراءة، دار الان ناشرون وموزعون في عمان، 2018م.

(2) داليا عاصم، «أبو نظارة» و«الدبور» و«النديم»... جرائد أضحكت العرب حتى اختفت، صحيفة الشرق الأوسط - الاثنين - 8 شعبان 1439 هـ - 23 أبريل 2018 مـ رقم العدد 14391

فيرى الناقد سعد القاسم أن: «..حرية العمل هنا تكون في فن التحايل على الممنوع»[1]. لقد ارتبط الكاريكاتير بالصحافة منذ بداياتها منذ اختراع المطبعة، مشتركاً معها في الانطلاقة، منذ إرهاصاتها الأولى، حيث كانت الرسوم تحل محل الصور. ولذا فإن الكاريكاتير لصيق بالصحافة وفنون الاتصال الجماهيري والإنساني الأخرى، إلى الحد الذي يمكّننا من القول إن الكاريكاتير والصحافة توأمان، لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، حيث يقوم الكاريكاتير بالوظيفة الخبرية، كالمادة الصحافية، وأيضاً بالوظيفة الجمالية والاستهلاكية والتربوية التي تعالج ظاهرة سلبية ذات طبيعة انتقاديه مثل الفساد، أو الرشوة، أو معالجة قضية اجتماعية بأسلوب ساخر، ثم يقوم بالوظيفة المعلوماتية والتحريضية والنضالية والسياسية.. وهي وظائف الصحافة[2]. حيث يؤكد الباحثون في تاريخ فن الكاريكاتير أن أسباب ارتباط الكاريكاتير بالصحافة هو التشابه في الوظائف بينهما، الأمر الذي يجعل الصحافة بحاجة إلى الكاريكاتير، كما أن الكاريكاتير بحاجة إلى الصحافة[3].

الحقيقة أنه لم تخل الساحة الفكرية والبحثية العلمية العربية من الدراسات التي سبرت أغوار هذا الفن الصحافي، كتلك التي تناولت منطقة جغرافية معينة أو شخصية محددة، ولكن الراصد والمتابع يجد أنه لا زلنا بحاجة إلى الكثير من الدراسات الكشفية والتحليلية، للتعرف على الدور الذي لعبه فن الكاريكاتير في مسيرة وتطور الصحافة العربية. ومع الوجود المقنن لبعض الدراسات السابقة التي حاولت رصد وتأصيل الفهم وتدوين وتأريخ الصحافة الساخرة في الوطن العربي، ولكنها لم ترق إلى ما يسمى بالظاهرة البحثية التي تغطي وتوثق الجوانب المتعددة للظاهرة. آملاً أن تضيف هذه الدراسة إلى الرصيد العلمي لتغطية وفهم وتحليل ظاهرة الصحافة الساخرة والكاريكاتير المرسوم والمنشور في الصحافة العربية، ورصد لمسيرة فنانيه، وتأريخ وتوثيق لبعض إنتاجهم، خاصة أن البعض منهم نال شهرة عالمية وحصد جوائز مهمة تؤكد إبداعهم وتشير إلى أهمية وتميز إنتاجهم.

---

(1) من تقرير في موقع شام تايمز الإخباري بعنوان: ما قبل تأبين فن الكاريكاتير وواقعه بين اليوم والغد ... الشماع لـ«الوطن»: التأثير ما زال موجوداً إلا أن هناك الكثير من المتغيرات أثرت في هذا الفن. 05-02-2020 https://n.cham-times.com/archives/269343

(2) عبدالناصر حسو، الكاريكاتور: الضحك المرّ، صحيفة الثورة السورية، ملحق ثقافي، 2/10/2007م.

(3) حمادة، د. ممدوح، فن الكاريكاتير من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة، دار عشتروت للنشر، دمشق، 1999 (ص:197)

فالإشكالية التي تعمل الورقة البحثية على معالجتها هي مقاربة تاريخية لدراسة المتغيرات والظروف التي أدت الى انحسار الصحافة الساخرة في الوطن العربي، أو مسيرة صحافة الكاريكاتير السياسي في الوطن العربي. من خلال رصد الأدبيات والمنشور في الميدان، انطلاقا من التساؤلات التالية:

- ملامح تراجع وضمور الكاريكاتير في الصحافة الناقدة في العالم العربي (الوظيفة النقدية للصحافة)؟
- ما هي أبرز التحديات التي تواجه الصحافة الساخرة في الوطن العربي؟
- ما هي أسباب التراجع الذي أصابت هذا الفن الصحافي العريق.
- كيف تفاعلت الصحافة الساخرة مع التغييرات التقنية في ميدان النشر والذي يواجه تغييرات كثيرة عالميا.. ومحلياً.
- مدى «الجدية» التي تمثلها الصحافة الساخرة في الشارع العربي.
- السياق والإطار السياسي والإعلامي الذي تعمل فيه الصحافة الساخرة في الوطن العربي.

موقع الصحافة من الفن الساخر بشكل عام.

كما نشير هنا إلى أن الدراسة التي بين أيدينا هي من البحوث الوصفية، التي تركز على طبيعة وسمات وخصائص ومسيرة وواقع الصحافة الساخرة في الوطن العربي، وذلك من خلال إخضاع الظاهرة للتحليل لاستخلاص النتائج التي يمكن اعتمادها وتقنين نتائجها من خلال استقراء المراجع والبيانات والأدبيات التي وثقت للظاهرة (الصحافة الساخرة في الوطن العربي). وقد اعتمدت الدراسة المنهج المسحي، للخروج منها بدلالات واستنتاجات بحثية، من خلال عرض المواد التي كُتبت في ميدان الصحافة بشكل عام، وصحافة الكاريكاتير أو الصحافة الساخرة في الوطن العربي تحديداً.

وقد استعان الباحث بعدد كبير من المواد الصحافية والرسوم والمراجع المتوفرة في المصادر المطبوعة أو على شبكة الإنترنت، حيث إنه من الملاحظ أن غياب الصحف الكاريكاتيرية الورقية المطبوعة في العالم العربي، يتم عملياً تعويضه بالنشر الإلكتروني من خلال مواقع الصحافة الإلكترونية، كما برزت العديد من المواقع الالكترونية التي تعرف نفسها على أنها صحافة ساخرة، أو مواقع كاريكاتورية ساخرة. ويبقى أن أؤكد أن الدراسة لا تهدف إلى تحليل مضمون الصحافة الساخرة في الوطن العربي، وإن كنت أرى أن دراسات تحليل المضمون للكاريكاتير ستؤمن العديد من الإجابات لكثير

من الأسئلة البحثية، التي ما زالت بحاجة لإجابات عملية مقننة. كما تهدف الدراسة إلى توصيف الواقع المعيش للكاريكاتير، حيث ترصد التطور التاريخي والتحولات التي طرأت على هذا الفن الصحافي العريق، من خلال تأثيرات الأحداث والتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية والتغيرات الاقتصادية والتقنية على مسيرتها مهنياً، وصولاً إلى المرحلة الحالية والتي يمكن أن تعتبر، بشكل واضح و«بشهادة» العديد من القرائن والأدلة، مرحلة تراجع لهذا الفن، والذي كان له وجود وحضور أكبر وأوضح، ودور أهم في الفترات الزمنية الماضية، عندما كانت البلاد العربية (والتي كان يرزح معظمها تحت نير الاستعمار الخارجي) تزخر بعدد كبير (بالفعل عدد مميز) من المطبوعات الساخرة والمجلات والصحف الكاريكاتيرية الناقدة التي ساهمت في رفع الصوت وتوجيه الجماهير، وعملت على تأكيد دورها الريادي في الميدان الإعلامي. الأمر الذي أودى بالعديد من هذه الصحف إلى التوقف لفترات محددة أو بشكل نهائي. كما تسبب في مطاردة «صحافييها» وسجنهم أو نفيهم، وأحياناً، كانت حياة بعضهم ثمناً لعملهم الصحافي الجاد هذا، والمقولب بابتسامة، تخفي وراءها جرأة وحزماً ومواقف حازمة.

الكاريكاتير.. صورة مرسومة بريشة النقد والسخرية:

لا بد من تأكيد المؤكد بأن الرسم «الكاريكاتيري» من أقدم الفنون الاتصالية، إذا لم نقل أقدمها، من خلال القراءة التحليلية الإعلامية للآثار والموروث الفني والرسوم والرموز التي خلفتها الحضارة الفرعونية القديمة (تحديداً أو الحضارات الأخرى التي تركت رسوماً ورموزاً مشابهة). فقراءة نقدية للحضارة الفرعونية تؤكد أن الفراعنة كان لهم بالفعل نشاط «كاريكاتيري» واضح ومميز. حيث اعتبر الكاتب المصري عادل عبد الوهاب بأن «البرديات الفرعونية شهدت الميلاد الأول لفن رسم الكاريكاتير، قبل نحو أربعة آلاف عام. وإذا كان إنسان العصر الحجري قد رسم على جدران كهوفه صوراً مبالغا في ملامحها للحيوانات التي خاف من خطرها، فسخر منها في رسومه، فإن الأمر يختلف كثيراً عن تثمين الرسوم الفرعونية الهزلية التي نقشت على جدران المقابر إلى جانب البرديات، فقد مثلت – بحق – الإرهاصات الأولى لفن الكاريكاتير بدرجة قريبة إلى حد كبير من تعريفاته الحديثة، فضلاً عن أن تلك الإرهاصات نضجت وتواصلت فاستمرت رحلة هذا الفن.. إلى اليوم»[1]. رسام الكاريكاتير لا يقول أو يحكي بل يرسم، ولذلك عليه أن يمتلك عقلية الجزار ومبضع الجراح، بمعنى أن يكون جريئاً في طرحه وغير مباشر،

(1) عبد الوهاب، عادل، البرديات الفرعونية شهدت الميلاد الأول للكاريكاتير، ملف البيان السياسي، العدد 462، الخاص بالكاريكاتير، 24/3/2000 (ص: 10)

وماهراً في معالجة بذكاء وبراعة.

طبعاً لا بد في هذا السياق من تسجيل آراء بعض الباحثين الذين يعترضون على اعتبار هذا النوع من الرسومات كاريكاتيراً بالمعنى الحرفي والمعاصر للكلمة. فالباحث عبده الأسدي مثلاً لا يوافق على هذه القراءة للرسوم الفرعونية، حيث يرى: «أن البعض يعتقد أن الرسوم المدرجة على جدران الكهوف والمعابد تعتبر نوعاً من الكاريكاتير أو الكاريكاتير بعينه، وهذا التقسيم ينتزع الرسوم تلك من سياقها التاريخي، بمعنى أن تلك الرسوم جاءت في مرحلة تاريخية معينة، وعبرت عن ثقافة تلك المرحلة، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه الأسطورة أو الميثولوجيا الدينيـة، فتلك الرسوم هي إلى هذا الحد أو ذاك لا تخرج بتاتاً عن الإطار الثقافي لواقعها التاريخي. فمثلاً عندما رسمت عشتار بشكل ظهرت فيه ملامحها الأنثوية مبالغاً فيها بشكل ملحوظ، لم يكن هذا الرسم يهدف إلى المبالغة من أجل الإضحاك، أو السخرية من عشتار، أو الأنثى على وجه العموم، بل كان رمزاً دينياً راسخاً ومتأصلاً في بنية الوعي الميثولوجي[1]».

وعن الظرافة والنكتة والابتسامة التي يتضمنها الكاريكاتير، يؤكد الباحث الدكتور أسامة كبارة بأن «الذات العربية ليست تراثاً متجهماً أو عبوساً، ولكنه تراث ضاحك لم يلق معظمه حظاً من الشهرة والدرس»،[2] وأن الدراسات التي تناولت الأدب الساخر في الثقافة العربية لا تعطي الموضوع حقه، إذ إن التراث العربي يحوي كماً هائلاً من الأدبيات التي يمكن تصنيفها ضمن الأدب الساخر أو الفن الساخر. يقول البشري « ترد النكتة إلى خلل في القياس المنطقي بإهدار إحدى مقدماته أو تزييفها، أو بتوصيلها بحكم التورية ونحوها بما لا تصل به في حكم المنطق المستقيم، فتخرج النتيجة على غير ما يؤدي إليه العقل لو استقامت مقدمات القياس.. وهذا الذي يبعث على العجب ويثير الضحك. كما يرى البشري أن الإضحاك يعود إلى التناقض بين المقدمات والنتائج، فسرعان ما يغمرنا الضحك»[3].

الكاتب محمود منير يرى في مقالته: مفسدات الكتابة الساخرة، إلى أن هذه الكتابة غالباً ما تكون متنفساً للسلطة من خلال تقديمه بقالب النقد، حيث «يتواطأ الإعلام العربي على الترويج لـ «النكتة» وتسميتها بالكتابة الساخرة؛ مقالات تتناثر في صحف عدة وظيفتها

(1) عبده الأسدي وخلود تدمري، دراسة في إبداع ناجي العلي. (15)

(2) كبارة، د. أسامة محمد ظافر، لكل مقام مقال، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004م. (ص 15)

(3) هل نحن أمة ضاحكة ؟... بقلم : البراغماتي، نشر بتاريخ: 2008-1-19 على الموقع:

http://www.syria-news.com/home.php

الأساسية تحويل هموم القارئ إلى مادة للضحك العابر والمؤقت والخاطف، من خلال تثبيت السائد الاجتماعي بكل أركانه. السلطة التي أحيت السخرية تستطيع أن تميتها»[1].

وعن اللغة المكتوبة المرافقة للرسوم الكاريكاتيرية في الصحافة العربية، فقد يكون استخدام العامية في التعبيرات التي ترافق الرسم الكاريكاتيري، انعكاسا لرسالة الكاريكاتير الأصلية والتي هي صدى للصرخة التلقائية التي تعكس الواقع، في الحياة اليومية بلا محسنات لفظية، أو دقة صياغة، أو نحو وإعراب. فهو في كل قطر عربي يتحدث بلسان الشارع بتلقائية معتمداً على الرصيد الثقافي والشعبوي والرمزي لهذا المجتمع أو ذاك، وتعبيراته المحلية ورموزه التي قد تشترك مع غيرها في القطر الآخر، مع الإبقاء على بعض الخصوصيات في حال معالجة الكاريكاتير للقضايا المحلية البحتة..

وحول أهمية وجدية الرسوم الساخرة (الكاريكاتير تحديداً)، وهل يمكن قراءة التاريخ السياسي الاجتماعي من خلال الرسوم الكاريكاتورية؟ أي هل يمكن اعتماد الرسوم الكاريكاتورية كمراجع أو وثائق ترقى لمستوى اعتمادها في توثيق المرحلة. إن أي قراءة تحليلية للأحداث في فترة زمنية ما، لا بد أن تصاحبها قراءة معمقة لأدبيات وفنون وأشكال التعبير التي ظهرت في تلك الفترة المحددة. والكاريكاتير السياسي، وإن لم يشكل تدويناً تفصيلياً للأحداث، لكنه يقدم بطريقته الخاصة أنماط السلوك الاجتماعي والسياسي، ويدون أنماط الحراك والفكر السائد في مجتمع ما. حيث يرى الباحث علاء عبد الوهاب أن «الكاريكاتير الفرعوني، فضلاً عن تأكيد ريادته، فإنه يمكن تثمينه كوسيلة لقراءة الفن المصري القديم، ثم اتخاذه قارباً للإبحار في حضارة عريقة لم يكتشف العالم بعد كل أسرارها»[2]. ويرى آخرون أن الكاريكاتير السياسي يقوم بالتأريخ لمرحلة معينة على اعتبار أنه مواكب للحدث. وليس هذا فحسب، بل يقدم التاريخ «بتحزب واضح جلي، فهو يعلن ضمن ممارسته لعملية الرسم الكاريكاتيري انتماءه الصريح لهذا الفكر السياسي أو ذاك، لهذا البنيان السياسي الثقافي الاجتماعي أو ذاك»[3]. ما يؤكد على أهمية الدراسات التحليلية والتوثيقية للرسوم الكاريكاتيرية، في رصد المتغيرات السياسية والاجتماعية في مرحلة محددة، في مجتمع بعينه.

(1) منير محمود، مفسدات الكتابة الساخرة،آداب وفنون – العربي الجديد، 24 يونيو 2015 /https://www.alaraby.co.uk

(2) عبد الوهاب، علاء، البرديات الفرعونية شهدت الميلاد الأول للكاريكاتير، ملف البيان السياسي، العدد 462، بعنوان الكاريكاتير ومبدعوه، 24÷3/2000 (ص: 10).

(3) الأسدي (ص: 24)

هل فقدت الصحافة الساخرة بريقها؟

الراصد لتاريخ ومسيرة وتطور الصحافة الساخرة يلحظ ظاهرة تراجع واضحة في العمل الإعلامي الساخر، أو صحافة الكاريكاتير... لا بل في الواقع الإعلامي العام، حيث إن المؤشرات تؤكد تراجعاً ملحوظاً في الحريات والممارسة الإعلامية. ولا بد من الاعتراف بأنه، وعلى امتداد الوطن العربي، فإن الكثير من المكاسب التي نالها الإعلام بالجهد والنضال المستمر قد أذابتها الممارسات المتسلطة للأنظمة السياسية وأسقطتها في مستنقع الجمود، تحت شعار المحافظة على الأمن والاستقرار. والمشهد الأكثر سخرية في الأمر، بأن مسألة الأمن والاستقرار الذي تتكئ إليها السلطات، في تقليص الحريات والنقد هي أبرز أولويات فن الكاريكاتير، وأهم طموحاته. والمتابع لتاريخ الصحافة العربية، مع ما تحويه من المجلات الساخرة، التي كان لها رواج وتأثير كبير أوائل القرن الماضي، يصدم بواقع الصحافة الساخرة في السنوات الأخيرة، فهل السبب يعود لتضييق الرقابة على الصحافة الساخرة، وهل لثقل قبضة الرقيب في العديد من الدول العربية على الإعلام بشكل عام هذا التأثير الخطير، أم أن جميع هذه العوامل تكاتفت لتقيد مسيرة الصحافة الساخرة بعد انطلاقتها الواعدة، وجميعها أسئلة مشروعة تطرحها الوقائع والمقالات والتعليقات العلمية.

يرى الدكتور صفوت العالم الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة: «أن الصحافة الساخرة لم تعد ذات تأثير مثلما كانت من قبل، وهي صحافة قلة؛ لأنها مرتبطة بالوعي المستنير لدى القارئ. مؤكداً أن أي صحيفة ساخرة عندما تصدر ستواجه قيودا رقابية وستواجه حرباً في التوزيع». وبشكل عام، فإن المتابع لمسيرة الصحافة الساخرة في الوطن العربي، يجد أن المنطقة كانت تعج بالصحف الساخرة والرسوم الكاريكاتيرية بالمقارنة مع الجفاف الذي يسم الواقع الحالي في العالم العربي اليوم. يقول انطونيوني فاسكوني رسام الكاريكاتير الإيطالي الشهير، أن الشرق هو الجذر الحقيقي للكاريكاتير وكان وسيلة الفنان لنقد العادات والتقاليد الاجتماعية بالسخرية منها، لكنه لم يرتفع إلى مستوى نقد السلطة فالسلطة في الشرق دائماً مقدسة وكذلك كانت في أوروبا. كما يؤكد الفنان بيرتو بيرتوليتي أنه: «حين يقمع الكاريكاتير، تقمع الحرية، وبمدى حرية فنان الكاريكاتير، أقيس حرية الشعوب وأعرف طبيعة الأنظمة التي تحكمها، وهو ليس متنفساً للغيظ فحسب، كما يريد أن يصوره البعض، بل هو المرآة الحقيقية لما يجري أمام وخلف الكواليس[1].

ومن المسلم به أن الشروط الواجب توافرها في فن الكاريكاتير لتحقيق فاعليته في

(1) عبدا لناصر حسو، الضحك المرّ، صحيفة الثورة السورية، ملحق ثقافي، 2/10/2007م.

الصحافة وتأثيره في المشاهد، هي توافر عنصر الكوميديا الساخرة والتي تنقسم إلى الفكاهة، والضحك البسيط (الابتسامة) الضحك المركب (القهقهة)، وكذلك توافر عنصر الموضوعية الذي يكون أكثر حيوية ومصداقية كي يحظى باهتمام المشاهد والقارئ بمتابعة الموضوعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية اليومية الساخنة، وأيضاً يتوافر فيها عنصر الوضوح كي لا يثير التساؤلات والشكوك والتأويل والتفاسير. وهنا يؤكد الفنان عبد الرحيم ياسر، الذي يرى في الحياة العادية مادة للعمل الفني الساخر، أن «الحياة العادية تجري بشكل رتيب، وفجأة تظهر مفارقة، قد لا ينتبه لها الكثير، ولكن رسام الكاريكاتير يصطادها ويطورها لتصبح بين يديه، عملاً فنياً ذا شأن عام»[1].

الكتابة الساخرة... ليست فقط نكتة وابتسامة:

يقول الكاتب الإنكليزي الساخر جوزين أديسون حول الفكاهة: «الضحك الراقي إنسان جده الأعلى الحقيقة، وقد أنجبت الحقيقة أبا أسمته حسن الرأي، وهذا بدوره أنجب الذكاء، الذي تزوج امرأة من قريباته اسمها الفرحة، فأولدها مولودا اسمه الفكاهة»[2]. وحيث لا يزال مفهوم «الكتابة الساخرة» مرتبكًا، وغير واضح المعالم عند الكثيرين، لا بد من الاشارة الى أن بين الهزل والسخرية مسافة قصيرة، قد تُشكِّل خلطًا عند البعض، فإذا كان الهزل مرادفًا للتفكّه، فإن السخرية قد تكون بمنتهى الجدية، فهي إذن «حالة ثورية وتغييرية، نقدية وهجومية، تسعى نحو التغيير، ونقد كل ما هو قائم، وليست دعوة إلى الضحك والترويح والترفيه»[3]. وتعرفها دراسة بعنوان: «الكتابة الساخرة فن أدبي يتراجع في العالم العربي»، بأنها «مثل حامض الكلور لينة غير مباشرة ولكنها فعّالة»[4]. كما أن الكتابة الساخرة ضاربة في الماضي البعيد للأدب العربي الذي حفَل بمؤلَّفات تصطبغ بالنكهة الكوميدية، مثل كتاب (البخلاء) للجاحظ و(نوادر جحا) و(أشعب ملك الطفيليين) ... وغير ذلك كثير. فالكتابة الساخرة ليست نكتة ساذجة، ولا تهريجاً أبله، ولا تصنع الكلمة للضحك، بل تأخذ فكرة جادة يقولبها إبداع الكاتب الساخر، لتصل إلى ما عجزت عن الوصول إليه الكتب النخبوية، والأبحاث المملة، والمقالات المطولة[5]. وبتوسع أكثر مع المصطلح

(1) جريدة الصباح - العراق , 19 تشرين الثاني (11) 2006

(2) مرجع سابق

(3) جـرادات، د. محمـد، الكتابـة السـاخرة في الصحافـة- محاولـة للقـراءة، دار الان نـاشرون وموزعـون في عـمان، 2018م.

(4) تقرير لصحيفة العرب بعنوان: الكتابة الساخرة فن أدبي يتراجع في العالم العربي العدد: 12108 السنة 43 السبت 2021/07/03 https://alarab.co.uk/

(5) حمد الماجد، الكتابة الساخرة المهددة بالانقراض، صحيفة الشرق الأوسط، الثلاثاء - 28 شوال 1442 هـ - 08 يونيو 2021

يقول الكاتب الجزائري الساخر عمار يزلي بأن الكتابة الساخرة «مثل حامض الكلور. لينة مسالمة، غير مباشرة ولكنها فعالة، تقول شيئا وهي تريد أن تقول شيئا آخر»[1].

وهذا النوع من الكتابة هو فن أدبي صحافي يحتاج إلى مهارة عالية ودراية واسعة باللغة ومداخلها، كما يصفها الأديب الساخر أحمد رجب: إن هذا النوع من الكتابة سلاح الفقير على الغني، وسلاح الضعيف على القوي، وسلاح المظلوم على الظالم.. والكتابة الساخرة في عصرنا تعد ثورة على كل شيء، حتى على اللغة، هنا يؤكد الكاتب الصحافي جلال عامر... أن كل من أمسك بقلم اعتبر نفسه كاتبًا ساخرًا لمجرد أن أصدقاءه أخبروه بأنه خفيف الدم، وهذا غير منطقي، فإذا لم يمسك الكاتب بمفاتيح الكتابة الساخرة تفقد جاذبيتها، وتصبح أشبه بالنكات التافهة، خاصة أن هذا النوع من الكتابة يحتاج إلى موهبة خاصة وحس رفيع المستوى، وعين ناقدة، وثقافة عالية وشجاعة تفتح أمامه الأبواب المغلقة..[2] ولهذه أصبحت بعض «الأفيشات» الساخرة أو الدبابيس كما يسميها البعض من السمات التي تميز بعض الكتاب والنقاد، ومقولاتهم الأكثر تداولاً ورواجاً؛ خذ مثلاً بعض مقولات الكاتب جلال عامر رحمه الله: «الأمة التي تفضل التغيير وهي على السرير، لن يغيروا لها إلا (البامبرز)»، «نشكو من التدخل الأجنبي بعد أن نرسل لهم بطاقة الدعوة»، «في العالم الثالث يمتلك الحاكم حكمة لقمان، ورجال الأعمال مال قارون، والشعب صبر أيوب»، «بعد أن حصل على (الليسانس) بدأ في (تحضير) الماجستير، وبعد أن حصل على (الماجستير) بدأ في (تحضير) الشاي للزبائن»، «إننا شعب مغلوب على أرضه وبين جماهيره»[3].

الكاتب اللبناني سمير عطا الله يؤكد أن... الدليل على أن الكتابة الساخرة هي أصعب أنواع الكتابة، ندرة كتّابها. مقابل عشرات الأدباء والشعراء والمفكرين في مختلف المراحل، تجد عدداً قليلاً جداً من كتّاب السخرية المعتبرين. ففي مصر، ظهرت أسراب من الكتّاب «العامّين»، وظهر إلى جانبهم بضعة أعلام ضاحكين مثل إبراهيم المازني،

مـ رقم العدد [15533] https://aawsat.com/home/article/3014866/

(1) عمار يزلي، الكتابة الساخرة تشبه الزئبق والكاتب الساخر أذكى من الرقيب، ليس جميع المتظاهرين الجزائريين معارضين.. بعضهم يخرج ليتفرج.. وغيرهم ليتزوج! العدد: 11606 السنة 42 التاريخ 3/2/2020م.

https://alarab.co.uk/ %D

(2) البيان الإماراتية، «الكتابة الساخرة» ابتسامة باكية في زمن «النكتاجية»، 2010-5-12م. https://www.albayan.ae/five-senses/2010-05-12-1.243906

(3) حمد الماجد، الكتابة الساخرة المهددة بالانقراض، صحيفة الشرق الأوسط، الثلاثاء - 28 شوال 1442 هـ - 08 يونيو 2021 مـ رقم العدد [15533] https://aawsat.com/home/article/3014866/

ومحمد عفيفي، ومأمون الشناوي. وكان آخر الكبار وأكثرهم سحراً وأغزرهم عطاء «الولد الشقي» محمود السعدني، الذي غاب قبل عشر سنين من دون خلف معروف. واحتفلت السينما ببلوغ عادل إمام الثمانين من دون ظهور مثيل له، لأن الكوميديا في الفن صعبة مثل الفكاهة في الأدب[1]. وشأنها شأن النكتة السياسية، فإن الكتابة الساخرة، والشعارات الساخرة، والأفيشات الساخرة (بالمصطلح المصري)، غالباً ما تنتشر بشكل كبير في زمن الأزمات والحراك الجماهيري، حيث تكون «النفوس مفتوحة» لقبول السخرية والنكتة والنقد من الزعيم أو القائد موضوع القضية. وقد أنتج الحراك الشعبي في الدول العربية كماً مذهلاً من الإنتاج الجماهيري» الذي يستحق بالفعل التحليل والدراسة واستخراج نتائج حقيقية حول التفكير والواقع والمتغير في الشارع والفكر الشعبي للمواطن العربي.

فمع تفجر ثورة الشارع المصري بعد الخامس والعشرين من يناير، تفجرت ثورة النكات السياسية، التي أصبحت بفضل وسائل التواصل الاجتماعي إحدى أهم سمات الشارع الغاضب. بعضها اعتمد الرسم (الكاريكاتيري تحديداً) وبعضها الآخر ظهر بقالب النكتة والطرفة المنطوقة أو المصورة (وكثيرة هي المشاهد واللقطات التي رصدت ووثقت الآلاف منها) وبعضها الآخر التزم الكلمة والتعليق والنكتة السريعة... كما أن تونس والعراق وسوريا واليمن... وبقية الدول العربية لم تكن بعيدة عن هذه الأجواء، والنماذج كثيرة.

التجارب العربية مع الصحافة الساخرة:

وبعيداً من الخوض في البدايات التاريخية للكاريكاتير كفن اتصالي، فإن المراجع تؤكد أن عصر النهضة في أوروبا حمل معه الإرهاصات الحقيقية لفن الكاريكاتير بمفهومه المعاصر. والعديد من المراجع تنحو إلى إرجاع البدايات الأولى للكاريكاتير إلى الفنان العالمي الشهير دافنتشي. وحتى في بداية عصر النهضة» لم يكن هناك فن كاريكاتير بالمعنى الحرفي للكلمة رغم أن هذه المرحلة تعتبر بحق مرحلة ظهور اللبنات الأولى لفن الكاريكاتير الحديث، إلا أنه، وإن لم يكن هناك فن كاريكاتيري، فإن عناصر المبالغة الساخرة أخذت تظهر في أعمال فنانين كبار يتربعون على عرش الساحة الفنية كدافنتشي، الذي يمارس بدوره نوعاً من رسم يمكن مقاربته بالكاريكاتير نراه في دراساته التخطيطية، يبالغ

(1) سمير عطا الله، أين اختفى الساخرون؟ الشرق الأوسط، السبت - 25 شوال 1442 هـ - 05 يونيو 2021 مـ رقم العدد [15530] https://aawsat.com/home/article/3010031/

ويغالي في تحديد ملامح وتعابير الوجه وعضلاته.[1]، وغيره من الفنانين الذين كانوا يسعون إلى الخروج عن المقاييس التشريحية الأكاديمية في تصوير ملامح الجسم البشري»[2].

ولعل شارل فيليبون بإصداره مجلة أطلق عليها اسم «الكاريكاتير» يكون قد سجل سبقاً في هذا النوع من الصحافة المطبوعـة منذ العام 1830م. وثمة فنانون يمكن الاستشهاد بهم بوصفهم فناني كاريكاتير مثل توماس ناست، جورج بيلوز، جون سلوان، فورين، غاران داش، بييربوم، أس. دي. غيبسون.. وغيرهم كثير[3].

والسخرية، كما تجمع المصادر، تعود جذورها إلى الآداب اليونانية القديمة منذ مرحلة سخرية سقراط في محاورات أفلاطون والتي «تتميز بالتظاهر بالجهل وإخفاء الذكاء وباستعداده للتسليم بآراء مختلفة عن رأيه بغية الوصول على البرهنة على بطلانها». وهي «منهج جدلي يعتمد على الاستفهام مع التظاهر بالجهل بقصد جعل الطرف الآخر يدلي برأي خاطئ، يضطر إلى تصحيحه بنفسه»[4]، وهي بهذا لا تهدف على ربح المعركة فقط، بل نزع الثقة من الخصم وتنقيصه أمام الأشهاد، وفي هذا يكمن بعدها البلاغي»[5].

وعلى المستوى العربي، فقد ولدت الصحافة الساخرة في (أم الدنيا) مصر أولاً، ثم انتشرت في الأقطار العربية الأخرى، خاصة في بلاد الشام، وتحديداً لبنان. وتميزت بالنقد اللاذع الذي أبدعه يعقوب صنّوع في مجلته (أبو نظارة) كلاماً ورسماً. وبدأت الصحافة العربية في تونس تتأثر بالصحافة المصرية، ودخلت ميدان الفكاهة مستعينة باللغة الدارجة. وفي سورية ولدت الصحافة الساخرة بعد الانقلاب الدستوري العثماني عام 1908 تلتها صحف ساخرة في المملكة المغربية والجزائر وفلسطين. والراصد للأدب العربي في عصوره المختلفة، سيجد أن الكاريكاتير بكل ما فيه من تضخيم

(1) عبده الأسدي 16 و 17).

(2) ممدوح حمادة حيث يؤكد ممدوح حمادة بأن الدراسات التشريحية التي قام بها الفنان ليونارد دافنتشي (1452 – 1519) والتي سعى فيها إلى استخدام المبالغة والتضخيم في استخدام الوجوه البشرية، تعتبر أولى هذه اللبنات. حيث قام دافنتشي بتنفيذ عدد لا بأس به من الرسوم التي خرق فيها المعايير التشريحية كدراسات تشكيلية بل إن بعضها كان تخطيطاً لوجوه، كان يزمع إدخالها في لوحات شهيرة له. مثل التخطيط الذي يصور فيه رأس يهوذا والذي يؤكد بعض الباحثين أن دافنتشي رسمه كأحد الاحتمالات لرأس يهوذا في لوحته الشهيرة (العشاء السري) - مرجع سابق (ص: 57).

(3) شاكر لعيبي، لمحة في تاريخ فن الكاريكاتور الأوربي،مرجع سابق.

(4) وهبة، مجدي و المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان 1979، ص111.

(5) العمري، محمد، بلاغة السخرية الأدبية، علامات (إصدار نقدي دوري)، جدة، النادي الأدبي الثقافي، الجزء العشرون، المجلد الخامس، صفر 1417هـ، ص28.

للصور، ومبالغة في رسم المشهد المطلوب إبرازه، قد رسم حقاً بالكلمات التي أدت الوظيفة نفسها في حينه، فكتاب كليلة ودمنة، الذي ترجم إلى العربية في فترة مبكرة جداً، لم تخرج رسالته عن رسالة فن الترميز الكاريكاتيري الإعلامي. وقد يكون لقلم الجاحظ السيَّال في رسم الخلل والشواذ في المجتمعات العربية في زمانه، والإشارة إلى التصرفات والممارسات المرذولة أكبر دليل على تقديم المجتمع بقالب كاريكاتيري حاد، جعلت من كتاب البخلاء سلسلة من اللوحات التي يمكن للمرء أن «يشاهدها» بوضوح شديد وبدقة متناهية. كما جسّد العربي «الرسم الكاريكاتوري» بالصور الشعرية (الهجاء) ورسم بالكلمات صوراً شاذة وناقدة للمجتمع، لو أتيح لأحدهم أن يصورها بريشته لأعطت صورا كاريكاتورية مثيرة للضحك.

لا بد من الإشارة هنا إلى أن ما سيرد في هذا الجزء من الدراسة ليست رصداً تفصيلياً أو عرضاً حرفياً لتاريخ الكاريكاتير في العالم العربي، فقد سبقني إلى ذلك باحثون ودارسون كثر، صنفوا واستفاضوا في هذا الأمر، ولكني أعرض لبعض الملامح والجوانب الأبرز في هذه المسيرة، مع علمي بأن في الاختصار هذا إخلالا وظلما للكثير ممن يستحقون أن تذكر أسماؤهم وتسجل بقوة في هذا الإطار. فهذا الجزء من الدراسة سيكون عرضاً غير مفصل لنشوء وتطور الصحافة الساخرة في الوطن العربي، مصنف بحسب الدول التي يتناولها العرض.

مصر:

على المستوى العربي فإن القرن العشرين، ومنذ بدايته، يمكن أن نعتبره بكل ثقة عصر الكاريكاتير المصري، حيث ظهرت في الألفية الماضية العديد من الصحف الساخرة التي رصدت الخلل وفضحت المستور وواجهت السلطة، ورسمت الضحكة على شفاه المصريين، منتقدة سلبيات المجتمع بأسلوب فكاهي من قبيل مجلة «حمارة منيتي» لمحمد أفندي توفيق، وكانت ذات طابع هزلي ونقدي لاذع ساخر، وأيضا مجلة « السيف والمسامير» ومجلة «خيال الظل»، و«ألف صنف» لبديع خيري، ومجلة « الكشكول» والبعكوكة» و«أبونضارة»[1]، و«كلمة ونص» و«الاثنين والدنيا» و«ألف نكتة ونكتة» والتي اختفت تماما في الفترة الأخيرة، مع أن أم الدنيا أنتجت العدد الكبير من الكتاب الساخرين، منهم، محمود السعدني، أحمد رجب، يوسف عوف، حسام حازم، عبد الله أحمد عبد الله، بيرم التونسي، بديع خيري، إبراهيم عبد القادر المازني وعبد العزيز البشري

(1) عنتر عبد اللطيف، راحت فين النكتة الحلوة.. قصة البعكوكة وأبو نضارة وحمارة منيتى، صوت الأمة، الخميس، 16 نوفمبر 2017 08:00 م.http://www.soutalomma.com/Article/709719/

وغيرهم. ورغم بعض المحاولات البسيطة التي كانت تحاول أن تصدر في الفترة الأخيرة إلا أن معظمها باء بالفشل مثل «أيامنا الحلوة»، «مجلة كاريكاتير»، أو بالإغلاق مثل ملحق «أيامنا الحلوة» الذي كانت تصدره الأهرام، أو ملحق «المضحك» الذي كانت تصدره مجلة الإذاعة والتلفزيون أو جريدة «اضحك للدنيا» التي أغلقت أيضا[1].

فالصحافة الساخرة في مصر بدأت بالفعل في مرحلة مبكرة، حيث استقطبت القاهرة الكثير رواد هذا الفن في العالم، ومن بينهم كان الفنان الأرميني صاروخان، في مقدمة الفنانين الذين أسسوا طريقة وأسلوباً خاصاً به، وترك بصمة لا تنسى على الفن الكاريكاتوري، وكذلك الفنان التركي مع هامش واسع من الحرية. ثم ظهر صلاح جاهين وجورج البهجوري وغيرهم في الخمسينيات من القرن الماضي.

ونستعرض في السطور التالية ببعض التفصيل لبعض من أبرز مجلات وصحف الكاريكاتير والفكاهة التي ميزت المجتمع المصري[2]، وبالتالي الصحافة المصرية، حيث تحل «أبونضارة» في رأس القائمة، إذ كان كلما أغلقت السلطات المجلة، يعيد إصدارها بأسماء أخرى منها «أبو نظارة زرقاء» و«أبو صفارة» و«الوطن المصري» و«الثرثارة المصرية». عندما نفت السلطات صنوع إلى فرنسا[3]، قام بإعادة إصدار مجلته تحت اسم «رحلات أبو نظارة زرقاء». بل وكان يصدر ما يسميه إبراهيم عبده «مجلات الضرورة» (الضرورة التي فرضتها عليه القوانين المتعسفة) فكان يصدر المجلة تلو الأخرى فلا يُغيِّر سوى اسمها، فهي «أبو صفارة» وحينما أغلقت ظهرت «أبو زمارة». «التنكيت والتبكيت»، والتي صدر عددها الأول في 6 يونيو سنة 1891م. حيث أصدر عبد الله النديم صحيفته «التنكيت والتبكيت» وهي صحيفة أدبية تهذيبية تناولت النقد بطريقة ساخرة وتضمنت مقالاته بها الدفاع عن الفصحى وبيان أهميتها والدعوة الى المحافظة عليها. صدر من النديم 19 عدداً، وعندما اندلعت الثورة العرابية كان النديم من كبار خطبائها فصدرت الأوامر بملاحقته والقبض عليه، فظل مختفيا لمدة

(1) الشرق الأوسط اللندنية تتساءل : هل فقدت الصحافة المصرية قدرتها علي الهزار ؟ الجمعة 4 يوليو 2008 نقلاً عن موقع صحيفة البشائر الإلكترونية. عنوان الرابط:.http://www.elbashayer.com/index php?page=viewn&nid=7275

(2) عنتر عبد اللطيف، راحت فين النكتة الحلوة.. قصة البعكوكة وأبو نضارة وحمارة منيتى، صوت الأمة، الخميس، 16 نوفمبر 2017 08:00 مhttp://www.soutalomma.com/Article/709719/%

(3) يعقوب صنوّع، رائد المسرح العربي، وأول من رسم تعليقاته الكاريكاتورية في مجلته، التي كان يصدرها في أواخر القرن التاسع عشر، بعنوان «أبو نضارة»، حيث كان يهاجم الملك وحاشيته، ومماألته للأجانب، ويتناول فيها مواضيع سياسية واجتماعية ساخنة مما أغضب حاشية الملك والخديوي توفيق، وطبقة النبلاء، إلى أن نفي إلى فرنسا،

عشر سنوات، وعقب القبض عليه جرى نفيه إلى فلسطين. «البعكوكة «، والتي تميزت بقالب الإضحاك بشكل عام، فكان من أبوابها: «آخر نكتة»، «نكتة ميني»، «أضحك بأه»، «ابتسم»، «فكاهات القراء ونوادرهم»، «مسابقة النكت»، و«مغامرات هواش بكاش»، «شاعر البعكوكة»، و«الهجاص». تميزت البعكوكة بشخصيات شهيرة من قبيل أم سحلول والشيخ بعجر وجعران بيه... وقي مراحل متأخرة صدرت مجلة «صباح الخير» (1956) بعنوانها المثير «للقلوب الشابة والعقول المتحررة»، لتنضم إلى شقيقتها الكبرى، «روز اليوسف»[1].

فلسطين:

حتى وإن لم يكن الفنانون دائماً من فلسطين، ولكن فلسطين، كانت دائماً هي الموضوع الرئيسي للكاريكاتير العربي ومادته الدائمة بموضوعاتها «الدسمة». ففلسطين، كانت وما زالت بوصلة العمل الإعلامي في الوطن العربي، بالرغم من تكاثر الأزمات، وتزايد الهموم، وتباعد المواقف والرؤى والتوجهات. ومن أبرز فناني الرسم الكاريكاتيري العرب الفنان الفلسطيني الراحل ناجي العلي الذي كان له بصمته الخاصة في هذا الفن، وقد اغتيل بسبب رسوماته التي كانت المؤشر الحقيقي لنبض الشارع الفلسطيني والعربي. اختار ناجي لرسوماته شخصية «حنظلة»[2]، وهو رسم لطفل يعقد يديه خلف ظهره، ليصبح هذا الرسم توقيعا يمهر به العلي رسومه، كما كانت لديه شخصيات أخرى تتكرر في الرسوم، بينها الشخصية الصريحة الواضحة للمرأة الفلسطينية الحازمة فاطمة، وزوجها الذي ينكسر أحيانا. رسم ناجي العلي قرابة أربعين ألف كاريكاتير خلال مسيرته الفنية (بين لبنان والكويت وبريطانيا)، وكانت ريشته مشرطا يحاول استئصال كل الأورام الخبيثة في الجسم العربي، وغلب على رسوماته الجرأة والصراحة، وملامسة هموم الناس وتوجهات الشارع العربي. اغتيل في لندن يوم 29 أغسطس/آب 1987م.

وتعتبر الفنانة أمية حجا، والتي فازت بجائزة الصحافة العربية عن فئة الكاريكاتير، من أبرز رسامي الكاريكاتير المعاصرين، غزيرة الإنتاج ثابتة الخطى تنتمي إلى جيل الرفض لكل تقارب مع العدو المحتل.. وغيرهم العديد من الفنانين الذي حملوا القضية وعبروا عنها سواء في الداخل الفلسطيني أو في الشتات، إلى جانب أن العديد من

(1) مروة الأمين، الكاريكاتير.. فن الخطاب الجدّي في قالب المبالغة الساخرة، مجلة القافلة، ثقافية منوعة تصدر كل شهرين، يناير – فبراير | 2019 https://qafilah.com

(2) وصفه محمود درويش بأنه «مخيف ورائع هذا الصعلوك.. إنه الحدس العظيم والتجربة المأساوية.. سريع الصراخ طافح بالطعنات ترك خلفه 40 ألف كاريكاتير ترصد أوجاع الأمة.. وفوقهم طفله الصغير... حنظلة»

رسامي الكاريكاتير الفلسطينيين يعملون في الصحافة العربية الخليجية، أو أوروبا والأمريكيتين، وقد برز في الفترة الأخيرة اسم الفنان البرازيلي الفلسطيني الأصل كارلوس لطوف، الذي وصفته الصحافة الإسرائيلية بأنه من أخطر أدوات الفلسطينيين في تبسيط وفهم القضية. كما برز اسم الفنان الفلسطيني المقيم في الدانمارك سليم عاصي الذي يؤكد أهمية رسومات الكاريكاتور في المساهمة بتعريف المجتمع الغربي على القضية الفلسطينية بالرواية الحقيقية وليس المزورة. ومن مخيمات اللجوء الفلسطيني في مخيمات لبنان برز اسم الفنان الساخر الفلسطيني ماهر الحاج[1].

وعلى عجالة ألفت هنا إلى جانب من جوانب خطورة تأثير الكاريكاتير السياسي، كإحدى أدوات الصراع مع العدو الإسرائيلي، مستشهداً بدراسة عبد القادر ياسين المعنونة: «تساؤلات حول دور الكاريكاتير في المعركة – معركة الصراع العربي الإسرائيلي، يشير فيها إلى أن الكاريكاتير العربي «استمرأ تصوير الإسرائيلي بأنفٍ معقوف، وظهر محدودب وثياب بالية، في تناغم مستهجن. ولم يكن هذا صحيحاً، بل العكس هو الصحيح. ومع ذلك فإن الكاريكاتير وقع أسيراً لهذه الخزعبلات فأخطأ وعجز عن تحقيق الأهداف المناط به تحقيقها، والأنكى أن العدو الصهيوني استخدم مثل هذه الرسومات الكاريكاتيرية العربية التي أظهرت العربي في صورة مارد في مواجهة القزم الإسرائيلي في تأكيد للصورة التي بذلت الصهيونية قصارى جهدها لتثبتها في أذهان الرأي العام الغربي، ومؤداها أن إسرائيل مجرد حمل تحدق به الذئاب العربية من كل اتجاه[2]. كذلك فإن الباحث زهدي العدوي، أحد مؤرخي فن الكاريكاتير السياسي العربي، يدين بعض رسامي الكاريكاتير العرب وإسهامهم في صياغة الهزيمة العربية المدوية. حيث يؤكد خطورة الدور السلبي، غير المقصود، للكاريكاتير المصري في صياغة الهزيمة العربية المدوية في حرب يونيو 1967 م. مؤكداً أن الكاريكاتير العربي تحول إلى سلاح في يد الإعلام الصهيوني.

كثيرة هي أسماء الفنانين من فلسطين الذي يمكن أن نذكرهم في هذه السياق، من أمثال محمد سباعنة، محمود عباس، بهاء ياسين، ماجد شاهين، اياد أبو راس، بهاء بخاري.. وغيرهم.

---

(1) رافت فلاح، فن الكاريكاتير.. انعكاس لصورة الواقع في فلسطين، موقع بوابة اللاجئين، الإثنين 28 يونيو 2021
https://refugeesps.net/post/18058/

(2) ياسين، عبد القادر، تساؤلات حول دوره في المعركة، الكاريكاتير في الصراع العربي الأسرائيلي، ملف البيان السياسي، العدد 462، الخاص بالكاريكاتير، 24/3/2000 (ص: 15).

لبنان:

كما كان للبنان دور ريادي في تأسيس وإطلاق الصحافة العربية، فقد كانت بصماته واضحة في ميدان الصحافة الكاريكاتيرية التي أنجبت بعضا من أبرز رسامي الكاريكاتير العرب. وقد ظهرت إنتاجاتهم المميزة في العديد من المجلات والصحف الساخرة في لبنان في مرحلة مبكرة، وإن كانت الهجرة هي السمة التي وسمت الكثير من الصحافيين اللبنانيين بشكل عام ورسامي الكاريكاتير بشكل خاص، سواء تلك التي توجهت إلى أقطار أخرى في الوطن العربي كمصر ودول الخليج أو إلى أوروبا والأمريكيتين، وقد برز العديد من رسامي الكاريكاتير اللبنانيين من أمثال محمود كحيل الذي كانت تظهر رسوماته في أكثر من خمس عشرة مطبوعة عربية وأجنبية، وما يميزه عن غيره هو اعتماده نمطاً وأسلوباً خاصاً قائماً على عدم تضمين الرسم أية كلمات... فهو بالنسبة إليه كان يجسد مقولة «الصورة بألف كلمة» بأفضل طريقة ممكنة. رسوماته الخالية من الكلمات كانت تعبر عن أفكاره، وعن القضايا التي يريد إبرازها وإثارة الجدل حولها، وقد أعاد نشر بعضاً من رسوماته الساخرة في كتاب بعنوان: «بدون تعليق»... إلى جانب العديد من الأسماء المعروفة عربياً وعالمياً في هذا الميدان من أمثال بيار صادق وستافرو ومشعلاني وغيرهم... كما عرف لبنان مجلة « الدبور» التي تعتبر من أقدم المطبوعات العربية الكاريكاتيرية، ومن أطول المجلات الكاريكاتيرية العربية عمراً. يذكر أن أول صحيفة هزلية في لبنان أصدرها نجيب جانا في1910م. ثم تلتها مجموعة من الصحف المماثلة ومنها: «البغلة» و«حمارة الجبل» و«جراب الكردي» وغيرها.

سوريا:

عديدة هي الصحف الهزلية التي عرفتها بلاد الشام، دمشق تحديداً، منها على سبيل المثال لا الحصر: صحيفة (الحمارة) في دمشق والتي كانت تعتبر من أهم الصحف الساخرة التي صدرت في زمن السلطنة العثمانية. وهي صحيفة هزلية أدبية فكاهية انتقادية مصورة لصاحبها، محمد نجيب جانا. وتعرضت هذه الصحف للمصادرة والإغلاق عدة مرات، كما تعرض نجيب جانا للنفي والاعتقال والسجن. وأدى صدور مجلة ساخرة باسم (الفوضى) عام 1899 إلى صدور فرمان من السلطات العثمانية، بنفي (جانا) إلى الهند لمدة مئة سنة وسنة، لكنه وبعد ثماني سنوات صدر العفو، وكان اسم صحيفة الحمارة يتغير حسب الوضع السياسي من (الحمارة) إلى (حمارة بلدنا) في 4 تشرين الثاني عام 1910. وصحيفة (البغلة) 1913. و(حمارة الجبل) حيث إنتقلت

هذه الصحيفة إلى دمشق عام 1919. وكانت تصدر مرتين في الأسبوع بصورة مؤقتة في أربع صفحات.

جريدة (الراوي) صدرت بدمشق في العام 1909م، صاحبها ورئيس تحريرها توفيق الحلبي، كانت لهجتها شديدة. كما صدر في العام 1922 صحيفة (أبو النواس العصري) وبعد إغلاقها أصدر صاحبها صحيفة (أبو فراس) في اللاذقية، ثم كانت (حط بالخرج) صحيفة سياسية فكاهية مصورة أسبوعية، أنشأها هاشم خانكان بدمشق، صدر عددها الأول في العام 1924م. ومن الإصدارت التي عمرت طويلاً كانت (الخازوق) التي أصدرها في دمشق محمد بسيم مراد في 2/8/1928، وفي بعض المصادر 1926، وكانت هزلية انتقادية أدبية مصورة، وقد عمرت طويلاً حيث استمرت في الصدور حتى عام 1941م.

(المضحك المبكي) من المجلات التي عمرت طويلاً، أسسها حبيب كحالة بدمشق سنة 1929، واستمرت إلى سنة 1966م، كانت لهجتها عامية في تعليقاتها السياسية الحادة، و(الحوت) وهي مجلة هزلية انتقادية أخلاقية مصورة، أصدرها فريد سلام على شكل مجلة صغيرة في 16 صفحة عام 1926، وكتب فوق عنوانها (الوطن فوق كل شيء) واستمر في صدورها عشر سنوات لغاية 1936. وصحيفة (السهام) كجريدة أسبوعية أدبية ساخرة ناقدة، أصدرها في دمشق محيي الدين البديوي في ست صفحات، صدر العدد الأول منها في العام 1927م أما جريدة (عصا الجنة) فقد أصدرها نشأة التغلبي عام 1947، «ليروض بها الحكومات ويجعلها مستقيمة» ولهذا السبب بالذات اخترنا اسم عصا الجنة.. وأردناها ساخرة، لا للترفيه والتسلية، وإنما لأن الإصلاح الساخر خير من الإصلاح المتجهم»[1].

الأردن:

أما في المملكة الأردنية، فقد بدأ فنّ الكاريكاتير مع عدد من الفنانين منهم رباح الصغير وجلال الرفاعي وسميح حسني، وشكّل هذا الثلاثي ملامح هذا الفن في الأردن لعقد كامل تقريباً. كما تؤكد دراسة منشورة بعنوان: قصّة الكاريكاتير الأردني والمراحل التي مر فيها، بأن هذا الفنّ بداية مرّ بمرحلة النقل عن الصحف العربية في الستينيات، في ظل عدم وجود رسامين محليين. وقد توسّع فنّ الكاريكاتير في الصحف الأردنية في

(1) محمد عيد الخربوطلي، الصحافة الهزلية الساخرة في دمشق، مجلة الكلمة العدد 102 أكتوبر 2015.
http://www.alkalimah.net/Articles/Read/7709

فترة حساسة واكبت «فك الارتباط» القانوني والإداري والمالي بالضفة الغربية والقدس الشرقية، عام 1988. فحينذاك، رُفعت الأحكام العرفية وانطلقت مسيرة الديمقراطية والانتخابات وظهرت الصحف الحزبية الجديدة والأسبوعيات المنوّعة، ومعها ظهر الرسامون الشباب الجدد[1]. ومنذ فترة التسعينيات حتى اليوم برز العديد من الرسامين في الأردن الذين وصل البعض منهم إلى العالمية، من أمثال الفنان عماد حجاج، مبتكر شخصية أبو محجوب صاحبة الشهرة الواسعة في الوطن العربي، الفنان عمر العبداللات، والفنان محمود الرفاعي، والفنان أسامة حجاج، والفنان محمد الشاعر، الفنان أمجد رسمي، الفنان حمد القحطاني، الفنان أحمد هيشان والفنانة آمنة الحمادي، والفنان فوزي مرسي... ولكن اسم الفنان جلال الرفاعي يبقى إحدى أبرز محطات الكاريكاتير الأردني.

العراق:

تقول الباحثة العراقية رجاء حميد، في دراسة بعنوان: غياب الصحافة الساخرة،[2] بأن العراق تميز بامتلاكه تراثا ضخما من الصحافة الساخرة، فأول ما يتبادر إلى أذهاننا عند قراءة كلمة صحافة الكاريكاتير جريدة «حبز بوز» التي أصدرها الصحافي نوري ثابت، وهو من الأوائل في تاريخ الصحافة العراقية خاصة الهزلية، وقد عرف العراق صحيفة «مرقعة الهندي» الصادرة في البصرة 1909م. وتعد أول جريدة ساخرة. وفي الموصل صدرت صحيفة «جكة باز» الهزلية ومعناها باللغة التركية "الثرثار" في عام 1911م، وبإدارة عبد المجيد خيالي. إضافة لجريدة الكرخ لملا عبود الكرخي، وكناس الشوارع لميخائيل تيسي وقرندل 1954 للسيد صادق الأزدي، وقد شكلت كانت علامة مميزة في تاريخ الصحافة العراقية الساخرة، من خلال رسوم جذابة، لديها القدرة على لفت أنظار المثقفين والقراء، ورفع المستوى الشعبي لتوحيد الصفوف والكلمة والتحريض على انتقاد الواقع السياسي ومحاربة كل أنواع الفساد والتردي في الخدمات، وكثيرا ما تعرضت للتوقف والتعطيل. الحقيقة أن العراق تميز بإصدار عدد هائل من الصحف والمجلات الساخرة التي لا يتسع المجال لعرضها ولكن يمكن العودة لبعض الدراسات

(1) فراس حمية، قصّة الكاريكاتير الأردني والمراحل التي مر فيها، موقع أخبارك، الخميس 24 مارس 2016.
https://akhbarak.net/articles/21380419-

(2) رجاء حميد، غياب صحافة الكاريكاتير – الصحافة الساخرة بعد 2003، الصدى نت، 6 يوليو-حزيران 2017.
http://elsada.net/50348/

التفصيلية تناولتها بالمتابعة والتوثيق[1].

ومن أشهر رسامي الكاريكاتير في العراق (الراحل) مؤيد نعمة، عبد الرحيم ياسر، خضير الحميري، عدنان عباس، أحمد الربيعي، علي المندلاوي، رضا حسن رضا، شيرين الراوي وهي أول رسامة كاريكاتير في العراق..[2].

في المغرب العربي

يرى حسان زهار، في دراسته المعنونة: «الكاريكاتير الجزائري.. حرب الأفكار الساخرة بلغتين»، أن أبرز ما يميز الكاريكاتير الجزائري هو ذلك الصراع الفكري الواضح بين الفنانين المعربين الذين يرسمون ويكتبون بالعربية، والفنانين الفرنكفونيين الذين يحملون، علاوة على اللغة الفرنسية طريقة التفكير الأوروبية، وتأثير المدارس الغربية، الأمر الذي أوجد حالة من الاستقطاب الفني في المجالات الصحافية المتنوعة، كان بينها فن الكاريكاتير الذي كان بمثابة حلبة حقيقية لـ«حرب الأفكار» المتصارعة، احتلت خلالها الجزائر صدارة الدول العربية في هذا النوع من التعبير الساخر. وفي فترة التحول الديمقراطي شهدت الجزائر مجلات كاريكاتيرية مثل «بوزنزل»، «المنشار»، «الوجه الآخر»، «الساخر» و«الصح آفة»[3]. ومن الأسماء التي برزت أسبوعية «الوجه الآخر» التي أسسها وأدارها فنان الكاريكاتور عبد القادر عبدو الذي عرف بعد ذلك باسم أيوب، وكان عنوان الصحيفة في البداية «بوزنزل» (الدبّور) قبل أن يغيّره ويغيّر

(1) وبحسب رجاء حميد فإنه وخلال السنوات الأولى من الحكم الوطني في العراق أي سنوات العشرين وحتى اندلاع ثورة 14 تموز 1958 وتأسيس جمهورية العراق وسقوط النظام الملكي (1921- 1958)، صدرت في العراق جرائد ومجلات هزلية عديدة منها على سبيل المثال: (بابل 15 تموز 1923 للسيد حسين ال كتاب) و(البدائع 30 ايلول 1923 للسيد داؤود العجيل) و(المراقب16 تشرين الاول 1923 للسيد عثمان زهير) و (النديم) و(ابو الشمقمق) و(جحا الرومي19 تشرين الاول 1923 للسيد رشيد الصوفي) و(الحقائق 23 شباط 1924 للسيد عباس حسين الجلبي) و(الأدب) و(الهزل 24 تشرين الاول 1924 للسيد علاء الدين عوني) و(بالك 28 آب 1925 للسيد عبد الحميد فخري) و(المداعب3 كانون الثاني 1926 للسيد حسين يحيى) و(الكرخ 10 كانون الثاني 1927 للشاعر ملا عبود الكرخي) و(التهذيب) و(كناس الشوارع 1 نيسان 1925 للسيد ميخائيل تيسي) و (صدى الحقائق) و(الناظرة) و(الشباب) و(حبزبوز) و (البهلول 27 شباط 1932 للسيد محمد حسن القطيفي) و (المثل 8مايس 1932للسيد محمد حسن صبري) و (أبو حمد 19 تشرين الاول 1933 للسيد عبد القادر المميز) و(القسطاس) و(العندليب) و(قرندل 1954 للسيد صادق الازدي) و(الرياحين) و(الرصافة 2 حزيران 1930 للسيد كمال نصرت) و(الناقد 13 حزيران 1929 للسيد سليمان الشيخ داؤود) و(الفكاهة) و (الكشكول)... كما ورد في دراسة رجاء حميد حول الصحافة الساخرة العراقية. (رجاء حميد، غياب صحافة الكاريكاتير – الصحافة الساخرة بعد 2003م، الصدى نت، 6 يوليو-حزيران 2017م.)

(2) مهدي سلمان الرسام، الكاريكاتيرعالم الرسوم الساخرة، 24 أكتوبر,2018م https://tasrebat.news/archives/109752

(3) حسان زهار، الكاريكاتير الجزائري.. حرب الأفكار الساخرة بلغتين، الجزائر ـ عربي21 ، الخميس، 30 يوليو 2020 https://arabi21.com/story/1289539/

محتواه من الاجتماعي إلى النقد السياسي، وحقق نجاحًا كبيرًا ليكون مصير الصحيفة المصادرة. وسبق للكاتبين الصحافيين محمد زتيلي وصديقه الراحل مصطفى نطوّر، أن أسّسا صحيفة ساخرة عنوانها «مسمار»، إلا أن «مسمار» توقفت عند العدد الثالث، وأودع مؤسّساها السجن لأنّهما تجاوزا بالنقد الساخر «الخطوط الحمراء»[1]. في تونس الخضراء، منطلق الربيع العربي، عرف تاريخ الصحافة العديد من الإصدارات الساخرة والكثير، من الصحف والمجلات الكاريكاتيرية المميزة، والتي رصد الباحث حمادي الساحلي في دراسته المعنونة الصحافة الهزلية في تونس، بعضاً منها، حيث أشار إلى أن «الصحافة التونسية الهزلية تحتل مكانة مرموقة في تاريخ الأدب التونسي نظراً من جهة إلى كثرة العناوين الصحافية الناطقة بالعربية في مطلع القرن العشرين، ونظراً لدورها السياسي والاجتماعي والثقافي الذي شهدته البلاد التونسية خلال تلك الفترة الحاسمة من تاريخها المعاصر»[2] .. وقد ظهر بعضها مبكراً حيث شهدت ولادة أول دورية تونسية هزلية في العام 1884 باسم «كراكوز»، تلتها «الغوغاء» في العام 1887 لتكر السبحة حيث ظهرت «المهرج» (1890) و«المهراس» (1892) ثم «المتشردون» (1900) و«نواقيس تونس» في العام 1905م. وفي العام 1906 ظهرت «العقرب» والتي استمرت في الصدور حتى العام 1914م[3]. وفي مراحل لاحقة برزت العديد من الصحف الساخرة لتصل إلى مرحلة الجفاف شبه التام في العقدين الأخيرين.

وقد عرفت المغرب اسم العربي الصبان كرائد لفن الكاريكاتير المغربي والعربي، وتعتبر صحيفة «لو كانار ليبيري» (البطة المحررة) المغربية الساخرة الناطقة باللغة الفرنسية أحدث إصدارات المغرب العربي الكاريكاتيرية والتي ظهرت مستوحية اسمها من الصحيفة الفرنسية الساخرة «لو كانار انشينيه» (البطة المقيدة) في مطلع العام 2007م[4].

كما أنتجت ليبيا أحد أهم رسامي الكاريكاتير في المغرب العربي وعلى المستوى العربي وهو الفنان المبدع محمد الزواوي الذي نشرت رسوماته في العديد من المطبوعات

(1) الخير شوار، الصحافة الساخرة في الجزائر.. «تجارب بيضاء» و«مصائر سوداء»، 19 نوفمبر 2019م... كلي على المبيعات التي تجاوزت أحيانًا مائة ألف نسخة، وكانت في تطوّر مستمرّ لكنها أُجبرت على التوقّف بشكل قسري عندما منعتها السلطات من الصدور في صيف 1992م،

(2) حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية في تونس، نشأتها وتطورها 1906 – 1956، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

(3) محمد حمدان، دليل الدوريات الصادرة بالبلاد التونسية من العام 1838 إلى 1956ن القسم الثاني، تونس.

(4) صدور صحيفة «لو كانار ليبيري» الساخرة الناطقة بالفرنسية في المغرب في مطلع العام 2007 (الخبر منشور على الرابط التالي: http://www.weyak.ae/channels/news/article/view/lang/ar/type/culture/id/404279

المحلية وفي أماكن متعددة في الوطن العربي، والذي كالعديد من الفنانين العرب تحتاج الإحاطة بإنتاجهم إلى دراسات مستفيضة.

كما تحظى الصحف الساخرة بشعبية كبيرة في موريتانيا بفضل أسلوبها الساخر والمنتقد للقضايا الاجتماعية والسياسية، ورغم حداثة عهدها، وتتفوق الصحف الساخرة على التقليدية بفضل أسلوبها الساخر والظريف ولهجتها الشعبية وألغازها وقصصها، حيث استطاعت مغافلة الرقيب وتحقيق مبيعات أعلى من الصحف الأخرى. وتعد صحيفة «أشطاري» وتعني بالعربية «ماذا طرأ» أشهر صحيفة ساخرة في موريتانيا وتستخدم اللهجة الحسانية، مما جعلها تكتسب شعبية واسعة بين الموريتانيين، واستطاعت صحيفة «شي إلوح أف ش» بفضل أخبارها وحكاياتها السياسية الساخرة أن تسرق الأضواء في ظرف وجيز [1].

ومن خلال دراسة مسيرة العديد من الإنتاج المغاربي للصحافة الساخرة يمكن التعميم بأن هذا النوع من الصحافة في المغرب العربي بشكل عام لم تكن لتعمر طويلاً، حيث إن العديد من الصحف المغربية المتخصصة في فن الكاريكاتير كانت ما إن تظهر حتى تختفي. إلى جانب أنه يمكن النظر إليها، كغيرها من العديد من الصحف الساخرة في أنحاء أخرى من الوطن العربي، بأنها لعبت دورا هاماً في مقارعة المحتل ورصد الخلل.

الخليج العربي:

وفي منطقة الخليج العربي، ظهرت الصحافة بشكل عام في فترة متأخرة عن تلك التي ظهرت فيها في الأقطار العربية الأخرى، الأمر ذاته يمكن أن نجده عندما نرصد بدايات ظهور الكاريكاتير في الصحف الخليجية، حيث كانت البداية في الصحافة الخليجية لفنانين عرب يعملون في الصحافة الخليجية واللائحة تطول لذكر الأسماء، ولكن هذا لم يلغ ظهور العديد من المبدعين الخليجيين في هذه الفن. فقد برزت أسماء مثل الفنان محمد الخنيفر وهناء حجار وبدر الفليح وسعد الهويدي ورشيد السليم من المملكة العربية السعودية وحيدر محمد من الإمارات العربية المتحدة وعبد العزيز صادق من قطر وعلي البزاز من البحرين وأيمن سالم من عمان ومحمد ثلاب وعبد الوهاب العوضي من الكويت ومحمد مسعود ومازن من اليمن. وهذا على سبيل المثال لا الحصر. والحقيقة أن الصحافة الخليجية عامرة بالإنتاج الكاريكاتيري، (حيث كانت تصدر بعض الصحف

(1) سكينة اصنيب، صحف موريتانيا الساخرة تحظى بشعبية رغم حداثة التجربة، موقع العربية نت، 29-12-2012م.ttps://www.alarabiya.net/last-page/2012/12/29

كالوطن السعودية أكثر من خمسة رسوم كاريكاتيرية في نفس العدد اليومي مع تنوع موضوعاته كأن يكون كاريكاتير سياسيا وآخر اجتماعيا وآخر فنيا..) ولكن ما يميز الصحافة الخليجية في هذا الجانب عن صحافة بقية الصحافة في الوطن العربي أن جزءًا غير يسير من هذه الرسومات هي لفنانين عرب يعملون في الصحافة الخليجية، إلى جانب الفنانين من أبناء الخليج. وقد ظهرت محاولات لإصدار مجلات متخصصة في الكاريكاتير ولم يكتب لها الاستمرار ولعل أبرز هذه المحاولات تلك التي قدمها الفنان السعودي المبدع محمد الخنيفر. إلى جانب أن العديد من رسامي الكاريكاتير في الخليج العربي، كغيرهم من رسامي الكاريكاتير العرب، جمعوا الكثير من رسوماتهم الكاريكاتيرية المنشورة في الصحف ليعيدوا إنتاجها على هيئة كتب مستقلة.

وقد برز العديد من الفنانات الخليجيات في ميدان الرسم الكاريكاتيري، نذكر منهن: سارة عبدالعزيز محمد قائد من البحرين، سارة النومس كأول فنانة كاريكاتير كويتية، ومن السعودية رسامة الكاريكاتير جاز إسلام... وبالتأكيد، فإن عدد الفنانات الخليجيات عدد لا بأس به، يمكن أن تتناوله دراسة تفصيلية تبرز الإنتاج الفني والمسيرة التفصيلية لفنانات الكاريكاتير في العالم العربي بشكل عام.

حدود الحريـة والإبداع والنقد في التعبير الكاريكاتيري:

يقول أحد مؤرخي فن الكاريكاتير: لو تسنى للبشر الاطلاع على أرشيفات الرقابة في مختلف دول العالم لعثروا على رسوم كاريكاتيرية لعظماء السياسة في العالم بأشكال ما كانت تخطر لهم على بال[1]. ومع هذا فإن الكاريكاتير لم يكن دائماً مصدر إزعاج بالنسبة للسياسيين، ففي الوقت الذي كان فيه بعض السياسيين يعتبرون رسامي الكاريكاتير مشاركين ضدهم كالألماني«هلموت سميث»، فإن البعض الآخر كان يعتبر الكاريكاتير معياراً لهبوط أو ارتفاع شعبيته، من أمثال الزعيم الفرنسي شارل ديغول الذي كان يزعجه أن رسامي الكاريكاتير لم يعيروا الاهتمام إلا لأنفه»[2]. فإذا كان العمل الإعلامي بشكل عام، والفنون الصحافية بشكل خاص، يتأثر بشكل أو بآخر بالمناخ الديمقراطي فإنه من الواضح، وكما تؤكد الدراسات، أن الكاريكاتير يُعَد أكثر الفنون الصحافية تأثراً وانعكاساً لذلك، ولعل هذا ما يفسر هذا «الجفاف» في المجلات الكاريكاتيرية المتخصصة في العالم العربي، حيث إنه إذا ما نظرنا إلى مسيرة الكاريكاتير من هذه الزاوية، فيمكننا أن

(1) حمـادة، د. مـمدوح، فـن الكاريكاتـير مـن جـدران الكهـوف إلى أعمـدة الصحـافة، دار عشـروت للنـشر، دمشـق، 1999 (ص:198)

(2) حمـادة،، .. مرجع سابق (ص:199)

نجد أن فن الكاريكاتير في العالم العربي كان بحالٍ أفضل في فترات سابقة (النصف الأول من القرن العشرين)، كما أكدنا في الجزء السابق من الدراسة.

ولعلنا في عرضنا لعدد من الحالات التي اشتهرت في مراحل سابقة، نؤكد على أن الرسوم الكاريكاتيرية غالباً ما ينظر إليها بكثير من الحذر من قبل المسؤولين وأجهزة الرقابة. وقد أوردت الكتابات التي أرخت للفن الساخر في العالم عن مدى الكراهية الشديدة التي كان يكنها الزعيم الألماني الفاشي أدولف هتلر لرسامي الكاريكاتير، حيث إنه كان يعتبر من أكثر الشخصيات العالمية التي تناولها فن الكاريكاتير، وأنه قُدم من خلال الرسم الكاريكاتير. وقد حظي رسامو الكاريكاتير بكراهية خاصة لديه وقال فيهم عبارته المشهورة بأنه سوف يقوم بعد احتلال موسكو بشنق ستالين أولاً، وليفيتان ثانياً والكوكرينسكي (وهم مجموعة من رسامي الكاريكاتير) ثالثاً[1].

وليس بعيداً عنا الضجة التي أثارها المسلمون في مطلع العام الميلادي 2003م عندما تجرأ أحد رسامي الكاريكاتير الأمريكيين على نشر كاريكاتير يرمز به للرسول صلى الله عليه وسلم، ملمحاً إلى دور تعاليم الرسول في صناعة الإرهاب والإرهابيين. حيث دعا مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير) المعني بالدفاع عن حقوق المسلمين، وصورة الإسلام في الولايات المتحدة، جريدة تلاهاسي ديمقراط الصادرة في ولاية فلوريدا الأميركية، ورسام الكاريكاتير الأميركي المعروف دوج مارلت بالاعتذار عن نشر كاريكاتير يسيء لمشاعر المسلمين في أميركا وخارجها لتطاوله على الرسول صلى الله عليه وسلم بتصويره يقود شاحنة محملة بالمتفجرات[2].

وبالتأكيد فإن من أبرز القضايا التي كان بطلها» الكاريكاتير» هي قضية نشر صحيفة «يلاندس بوستن» الدنماركية لرسوم كاريكاتورية أثارت موجة استنكار وغضب عارمة في العالم الإسلامي احتجاجا على تصويرها المسيء لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، حيث تظهر الرسوم فيها النبي معتمرا عمامة على شكل قنبلة أشعل فتيلها. الرسوم التي تحولت إلى أزمة حقيقية مع العالم الإسلامي، والتي وسمت نهاية العام 2005 والفترة التي تلتها من العام 2006م، بالكثير من المواقف الحادة والنفور على المستويين الشعبي والرسمي. خصوصاً بعد تعنت الحكومة الدنماركية واستمرار تبريرها لإعادة نشر الرسوم، وادعائها بأن نشر 17 صحيفة لتلك الرسوم المهينة ليس سوى رد فعل لما تردد عن وجود مخطط أعلن عنه عدد من المسلمين لقتل أحد الرسامين. لم يتوقف الأمر عند

(١) حمادة،.. مرجع سابق (١٥٠).

(2) دوج مارلت هو رسام كاريكاتير أمريكي معروف توزع رسوماته على مئات الجرائد في أميركا والعالم.

المجلات والصحف الأوروبية والأمريكية بل إن عدداً من الصحف العربية أعادت نشر الرسوم كما حصل في الأردن والسعودية واليمن ومصر.. غير أن السلطات في البلاد العربية اتخذت إجراءات عقابية بشأن هذه الصحف[1].

وليس بعيداً ما تناولته الأخبار من اعتقال أو توقيف أو طرد لصحافيين بسبب الرسوم الكاريكاتورية. والأمثلة كثيرة من خارج العالم العربي. ففي كندا، بحسب لوموند الفرنسية (الأربعاء 3 يوليو، 2019) فقد رسام الكاريكاتير مايكل دي أدر وظيفته بعد 10 سنوات قضاها مع شركة «برونزويك نيوز، بعد رواج رسم له عن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بشكل اتهامي، ويظهر ترامب في الكاريكاتير، الذي نشره دي أدر على حسابه بموقع "تويتر"، وهو يمارس هوايته المفضلة (لعبة الغولف) على جثث مهاجرين ماتوا غرقا، ويسألهم «هل تمانعون في أن ألعب». ويشير رسم الكاريكاتير إلى أوسكار ألبرتو مارتينيز وابنته البالغة من العمر 23 شهرا، أنجي فاليريا، اللذين ماتا غرقا أثناء محاولتهما عبور نهر ريو غراندي للوصول إلى الولايات المتحدة. ونشرت شركة "برونزويك نيوز" بيانا أكدت فيه أن مايكل دي أدر لم يعرض عليها أبدا الرسوم الكاريكاتورية عن ترامب قبل نشرها.

يقول توفيق الوطني في مقالة بعنوان: رسّام الكاريكاتير بعد «شارلي ايبدو"، قد لا يختلف اثنان حول كون فن الكاريكاتير هو الترمومتر الحقيقي لقياس درجة حرية التعبير في مجتمع ما، لكنّ هذين الاثنين سيختلفان حتماً حول حدود هذه الحرية، ومدى اتساع هامشها، والخطوط الحمر التي يجب أن تؤطرها، وهذا الاختلاف أو الخلاف يطفو على السطح كلّما نُشرت رسوم كاريكاتيرية تعتبرها جهة ما مسيئة لدينها أو عرقها أو ثقافتها[2].

مؤشرات المستقبل والتحديات المقبلة:

نعم لا بد من قرع طبول الإنذار، فالتراجع الذي تعيشه الصحافة المتخصصة في نشر الكاريكاتير واضح، وإن كانت المواقع الإلكترونية عوضت هذا التراجع والغياب بتوفير مساحات لإيصال الكاريكاتير ورسالته على الرغم من الرغم من أنف الرقيب. تؤكد دراسة مارك صايغ، المنشورة في صحيفة الحياة اللندنية، إلى أن هناك تراجعاً ملحوظاً في المكانة التي كان يحتلها رسم الكاريكاتير في وسائل الإعلام، فعدد من الصحف أغلق زاوية الكاريكاتير في صفحاته، وصحف أخرى لم

(1) في رد على إطلاق إيران مسابقة كاريكاتير حول الهولوكوست.

(2) توفيق الوطني، رسّام الكاريكاتير بعد «شارلي ايبدو»، منبر هسبريس، الاثنين 19 يناير 2015م.
https://www.hespress.com

توظف رساماً جديداً بعد ذهاب رسامها أو وفاته، حتى أن إحدى المجلات الأميركية المتخصصة بهذا النوع من الفن السياسي عنونت غلافها: «رسامو الكاريكاتير: جنس على وشك الانقراض»[1]. ويؤكد صايغ أن سبب هذا التراجع ليس اقتصاديا بحتاً[2] . كما يمكننا، في هذا السياق، أن نشير إلى أن السوداوية والتشاؤم يسودان المشهد الإعلامي العام، عند الحديث عن مستقبل الكاريكاتير، في ظل التغيرات التي تدهم الصحافة العربية عموماً، وبعض قوالبها الصحافية تحديداً. فلم يعد الكاريكاتير يحوز مع الحريات الواسعة والتوسع في وسائل الإعلام، وبخاصة مع الإنترنت، الأهمية السابقة، التي كان عليها للسخرية والتحايل على الرقابة وتعويض شح وسائل الإعلام، كما أن الكاريكاتير في الإنترنت أصبح يتيح رسوماً كاريكاتيرية متحركة ومتعددة، تجعله في الصحافة فقيراً ومحدودا. وقد اجتذب النمو الكبير للسوق الإعلانية الرسامين أكثر من الصحافة، ويبدو أن الكاريكاتير كما في الاتجاه العام والعالمي في الصحافة والإعلام يتجه إلى التلفزيون أكثر من الصحافة[3]. يؤكد فنان الكاريكاتير، عمرو سليم، أن قيود السلطة على فن الكاريكاتير، هي الخطر الأول، وأن مستقبل الكاريكاتير متوقف على رسام الكاريكاتير في حد ذاته.

ملاحظات ختامية وتوصيات:

في ختام هذا العرض نتوقف عند بعض التوصيات التي نجد ضرورة التأكيد عليها:

- نؤكد على العبارة التي مرت في سياق الدراسة بأن «الكاريكاتير ترمومتر الحرية»، فهو من أدق الأدوات لقياس ورصد مدى الحرية المتاحة للنقد والإصلاح في المجتمعات.
- ضرورة القيام بالمزيد من الدراسات الاستطلاعية التأصيلية والبحوث الميدانية للتعرف بشكل علمي وموثق على واقع الكاريكاتير العربي، ورصد أهم التحديات والمعوقات التي تواجه مسيرة (الكاريكاتير) الصحافة الساخرة في الوطن العربي.
- التغيير الحاصل في واقع الصحافة المطبوعة وتحولها إلى الإلكترونية (أو صحافة الإنترنت) يجب أن لا يكون عامل يبرر التراجع بل يجب أن يكون عامل تشجيع ودعم لفن الكاريكاتير. والتأكيد على أن فن الكاريكاتير هو من أكثر المواد الصحافية

---

(1) مارك صايغ، الكاريكاتير يتراجع ويتراجع وفي العالم العربي يتماهى، صحيفة الحياة، العدد 14479، الأحد -10 تشرين الثاني 2002 (ص: 18).

(2) مارك صايغن مرجع سابق، ص 18.

(3) إبراهيم غرايبة، مرجع سابق.

مقروئية ومتابعة. والدراسات تدعم هذا الرأي، لذا يجب أن يتم النظر إلى الكاريكاتير من هذه المنطلقات.

- العمل على توثيق الإنتاجات الكاريكاتورية العربية في هذا الميدان، من خلال التبويب والتصنيف والأرشفة والدراسات والمحفوظات، حيث تعتبر المواد الكاريكاتيرية تراثاً وجزءًا أساسياً من الرصيد الإعلامي العام (هذا الأمر موجود بكثرة في المجتمعات الغربية حيث إن هناك مراكز ومؤسسات تعمل على حفظ ورصد وتوثيق الكاريكاتير).
- نعلم جيداً واقع الحريات الصحافية في العالم العربي، ولكن هذا لا يبرر الدفع باتجاه المزيد من العمل بكل الوسائل لتوسيع حيز الحرية التي يجب أن تتوفر لفنان الكاريكاتير، إذ إن الواقع يؤكد أن فقدان أو تضييق الحرية المطلوبة تخنق وتحاصر الإبداع، خاصة في هذا الميدان، فالعلاقة بين الإبداع والحرية علاقة مصيرية.
- ضرورة دعم فناني الكاريكاتير، للإبقاء على تفرغهم في العمل الصحافي، لأن المؤشرات دلت على أن ميادين أخرى، كميادين التصميم والإعلان، اجتذبت العديد منهم للعمل في إطارها، وضرورة تطوير رسامي الكاريكاتير لأدواتهم المستخدمة في إنتاج الرسوم، من خلال العديد من البرامج والأجهزة، التي أصبحت من متطلبات الصحافي المعاصر ومن ضرورات العمل الصحافي بشكل عام. والتأكيد على إدخال مواد تدريس حول الصحافة الساخرة والصحافة الشعبية والكاريكاتير في مناهج الإعداد في المعاهد الفنية والكليات وأقسام الصحافة والإعلام في الوطن العربي.
- العمل على إيجاد روابط مهنية ونقابات للعاملين في ميدان الرسم الكاريكاتيرين مع ضرورة تأكيد إيجاد مواثيق شرف تحكم المهنة وتوجه مسيرة هذا الفن الصحافي العريق، إذ إن طبيعة العمل في ميدان الرسم الكاريكاتيري تتطلب دعماً للصحافي ليتمكن من المواجهة والاستمرار، ومواجهة تجاوزات السلطة بالكلمة والقلم أمر غاية في الالتزام والتحدي. طبعاً بعض المحاولات لمثل هذه الجمعيات موجودة حالياً على نطاق ضيق في بعض المناطق في الوطن العربي، ولكن يجب التأكيد على أهمية إنشاء ودعم مثل هذه الروابط من أجل تقوية العمل الجمعي، وإعطائها دافعية أكبر للعمل والتواصل.

- **مراجع البحث:**

1. البراغماتي، هل نحن أمة ضاحكة؟ 2008-1-19 - الموقع: http://www.syria-news.com/home.php
2. البيان الإماراتية، «الكتابة الساخرة» ابتسامة باكية في زمن «النكتاجية»، 2010-5-12م. https://www.albayan.ae/five-senses/243906
3. تقرير لصحيفة العرب بعنوان: الكتابة الساخرة فن أدبي يتراجع في العالم العربي العدد: 12108 السنة 43 السبت 2021/07/03 https://alarab.co.uk/
4. توفيق الوطني، رسّام الكاريكاتير بعد «شارلي ايبدو»، منبر هسبريس، الاثنين 19 يناير 2015م. com.hespress.www//:https
5. جرادات، د. محمد، الكتابة الساخرة في الصحافة- محاولة للقراءة، دار الان ناشرون وموزعون في عمان، 2018م.
6. جريدة الصباح - العراق، 19 تشرين الثاني (11) 2006.
7. حسان زهار، الكاريكاتير الجزائري.. حرب الأفكار الساخرة بلغتين، الجزائر . عربي21 ، الخميس، 30 يوليو 2020 https://arabi21.com/story/1289539
8. حمادة، د. ممدوح، فن الكاريكاتير من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة، دار عشتروت للنشر، دمشق، 1999.
9. حمادي الساحلي، الصحافة الهزلية في تونس، نشأتها وتطورها 1906 - 1956، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.
10. حمد الماجد، الكتابة الساخرة المهددة بالانقراض، صحيفة الشرق الأوسط، الثلاثاء - 28 شوال 1442 هـ - 08 يونيو 2021 مـ رقم العدد [15533] https://aawsat.com/home/article/3014866/%
11. داليا عاصم، «أبو نظارة» و«الدبور» و«النديم»... جرائد أضحكت العرب حتى اختفت، صحيفة الشرق الأوسط - الاثنين - 8 شعبان 1439 هـ - 23 أبريل 2018 مـ رقم العدد 14391.
12. رأفت فلاح، فن الكاريكاتير.. انعكاس لصورة الواقع في فلسطين، موقع بوابة اللاجئين، الإثنين 28 يونيو 2021م. https://refugeesps.net/post/18058/
13. رجاء حميد، غياب صحافة الكاريكاتير - الصحافة الساخرة بعد 2003م، الصدى نت، 6 يوليو-حزيران 2017م http://elsada.net/50348
14. سكينة اصنيب، صحف موريتانيا الساخرة تحظى بشعبية رغم حداثة التجربة، موقع العربية نت،

29-12-2012م.

15. سمير عطا الله، أين اختفى الساخرون؟ الشرق الأوسط، السبت - 25 شوال 1442 هـ - 05 يونيو 2021 مـ رقم العدد [15530] https://aawsat.com/home/article/3010031/

16. شاكر لعيبي، لمحة في تاريخ فن الكاريكاتور الأوربي مرجع سابق.

17. الشرق الأوسط اللندنية تتساءل: هل فقدت الصحافة المصرية قدرتها على الهزار؟ الجمعة 4 يوليو 2008 نقلاً عن موقع صحيفة البشائر الإلكترونية. عنوان الرابط:

18. صدور صحيفة «لو كانار ليبيري» الساخرة الناطقة بالفرنسية في المغرب في مطلع العام 2007 (الخبر منشور على الرابط التالي: http://www.weyak.ae/channels/news/article/

19. عبد الناصر حسو، الكاريكاتور: الضحك المرّ، صحيفة الثورة السورية، ملحق ثقافي، 2/10/2007م.

20. عبد الوهاب، علاء، البرديات الفرعونية شهدت الميلاد الأول للكاريكاتير، ملف البيان السياسي، العدد 462، بعنوان الكاريكاتير ومبدعوه، 24/3/2000م.

21. عبد الناصر حسو، الضحك المرّ، صحيفة الثورة السورية، ملحق ثقافي، 2/10/2007م.

22. عبده الأسدي وخلود تدمري، دراسة في إبداع ناجي العلي.

23. عمار يزلي، الكتابة الساخرة تشبه الزئبق والكاتب الساخر أذكى من الرقيب، ليس جميع المتظاهرين الجزائريين معارضين.. بعضهم يخرج ليتفرج.. وغيرهم ليتزوج! العدد: 11606 السنة 42 التاريخ 3/2/2020م. https://alarab.co.uk/

24. العمري، محمد، بلاغة السخرية الأدبية، علامات (إصدار نقدي دوري)، جدة، النادي الأدبي الثقافي، الجزء العشرون، المجلد الخامس، صفر 1417هـ، ص28

25. عنتر عبد اللطيف، راحت فين النكتة الحلوة.. قصة البعكوكة وأبو نضارة وحمارة منيتى، صوت الأمة، الخميس، 16 نوفمبر 2017م -http://www.soutalomma.com/Article/709719/

26. فراس حمية، قصّة الكاريكاتير الأردني والمراحل التي مر فيها، موقع أخبارك، الخميس 24 مارس 2016م. https://akhbarak.net/articles/21380419

27. كبارة، د. أسامة محمد ظافر، لكل مقام مقال، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004م. (ص 15).

28. مارك صايغ، الكاريكاتير يتراجع ويتراجع وفي العالم العربي يتماهى، صحيفة الحياة، العدد

14479، الأحد 10- تشرين الثاني 2002 (ص: 18).

29.محمد حمدان، دليل الدوريات الصادرة بالبلاد التونسية من العام 1838 إلى 1956 القسم الثاني، تونس.

30.محمد عيد الخربوطلي، الصحافة الهزلية الساخرة في دمشق، مجلة الكلمة العدد 102 أكتوبر 2015م. http://www.alkalimah.net/Articles/Read/7709

31.مروة الأمين، الكاريكاتير.. فن الخطاب الجدّي في قالب المبالغة الساخرة، مجلة القافلة، ثقافية منوعة تصدر كل شهرين، يناير - فبراير /2019م. com.qafilah//:https

32.الشماع لـ«الوطن»: التأثير ما زال موجوداً إلا أن هناك الكثير من المتغيرات أثرت في هذا الفن. من تقرير في موقع شام تايمز الإخباري بعنوان: ما قبل تأبين فن الكاريكاتير وواقعه بين اليوم والغد ... 05-02-2020م. 269343/archives/com.chamtimes.n//:https

33.منير محمود، مفسدات الكتابة الساخرة آداب وفنون - العربي الجديد، 24 يونيو 2015م uk.co.alaraby.www//:https

34.مهدي سلمان الرسام، الكاريكاتير عالم الرسوم الساخرة، 24 أكتوبر،2018م https://-tasre 109752/archives/news.bat

35.وهبة، مجدي والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان 1979م.

36.ياسين، عبد القادر، تساؤلات حول دوره في المعركة، الكاريكاتير في الصراع العربي الإسرائيلي، ملف البيان السياسي، العدد 462، الخاص بالكاريكاتير، 24/3/2000م.

2- اتجاهات القائمين بالاتصال في الصحافة الليبية نحو تجديد مفاهيم الثقافة السياسية

Attitudes of communicators in the Libyan press towards renewing the concepts of political culture

بقلم الدكتور: ميلود فرحات علي فرحات

قسم الإعلام ـ كلية الآداب / جامعة سبها – ليبيا

Dr. Miloud farahat Ali

Department of information – Faculty of Arts / Sebha University

walid73us@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/9/25 **تاريخ القبول: 2021/10/13**

الملخص :

هدفت الدراسة الى التعرف على الدور الذى يلعبه القائمون بالاتصال في الصحافة الليبية في تجديد مفاهيم الثقافة السياسية وذلك من خلال مواد الرأي والخبر للمؤشرات المعرفية والاتجاهية والسلوكية لمفاهيم الثقافة السياسية ورصد أهم الافكار التي تناولتها الصحف الليبية ضمن نطاق تلك المؤشرات، في ضوء نظرية حراسة البوابة، وتنتمي هذه الدراسة الى الدراسات المسحية التي تستخدم المنهج الوصفي،ولتحقيق أهداف الدراسة تم جمع البيانات عن طريق صحيفة استبيان طبقت على عينة قوامها (24) مفردة من القائمين بالاتصال، في كل من (صحيفة برنيق الصادرة في بنغازي، وصحيفة فسانيا في سبها، وصحيفة فبراير في طرابلس) وذلك خلال الفترة الزمنية من (3 أبريل حتى 30 أبريل2021)، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: أن القائمين بالاتصال في صحف الدراسة مجتمعة قد اتفقوا في أحيان كثيرة في معالجاتها حول بعض المفاهيم السياسية، كما أجمعت القيادات التحريرية في صحيفة فسانيا على أن صحيفتهم في أوقات الأزمات السياسية تتحول إلى صحيفة مستقلة خالصة تدافع عن الحقوق والواجبات، بينما أجمع القائمون بالاتصال من الكتاب من خارج الصحيفة على أن السياسة التحريرية للصحيفة تلعب دورا رئيسيا في تقييد معالجات الكتاب لمفاهيم الثقافة السياسية. لذا يضع الكاتب في اعتباره عند كتابة مقاله نوع الصحيفة التي سيطرح

فيها مقاله إذا ما كانت رسمية أم أهلية أم مستقلة، وفئة الجمهور الذي سيتوجه إليه بالخطاب السياسي.

الكلمات المفتاحية : الثقافة السياسية ـ القائمون بالاتصال ـ الصحافة الليبية.

Abstract:

The study aimed to identify the role played by the communicators in the Libyan press in renewing the concepts of political culture, through opinion and news materials for the cognitive, directional and behavioral indicators of the concepts of political culture, and monitoring the most important ideas that the Libyan newspapers dealt with within the scope of those indicators. This study is based on survey studies that use the descriptive approach, and to achieve the objectives of the study, the data were collected by means of a questionnaire that was applied to a sample of (24) single persons in charge of communicators, in (Barneq newspaper issued in Benghazi, Fasania newspaper in Sabha, and February newspaper in Tripoli, during the time period from (April 3 to April 30, 2021) The study reached a number of results, the most important of which is: the communicators in the study newspapers as a whole have often agreed in their treatment of some political concepts, and the editorial leaders of Fasania newspaper unanimously agreed that their newspaper, in times of political crises, turns into a purely independent newspaper that defends rights and duties. While those in charge of communicating with writers from outside the newspaper unanimously agreed that the newspaper's editorial policy plays a major role in restricting the book's treatment of the concepts of political culture, so the writer takes into account when writing his article the type of newspaper

in which his article will be presented, whether it is official, parti-
san or independent, and the category of audience that he will be presenting in. He will address him with political discourse.

Keywords : Political culture – communicators – Libyan press

المقدمة

يعد تناول الصحافة لموضوعات مفاهيم الثقافة السياسية من الامور البالغة الاهمية، لما يترتب عليها من إيجاد أنشطة تفاعلية بين عناصر العملية التنموية السياسية، فالصحافة الحرة النزيهة هي ضمير الشعب وصوته الجهور وقلبه النابض، وبالتالي فالصحافة الصادقة الموضوعية هي القادرة على اكتساب ثقة الشعب، فتسطيع بما تعرضه من أحداث وأخبار بشكل موضوعي دون محاباة أو مبالغة أو تقصير تجديد وتشكيل الوعي السياسي لدى المواطن البسيط الذي تُعد الجريدة أحد مصادره الأساسية للثقافة السياسية[1]. لذا فالصحافة تعرض للمواطن الرأي والرأي الاخر وتقدم له القضايا السياسية بتحليلاتها الموضوعية العلمية الصحيحة لكي يستطيع أن يكوّن وعيا وثقافة سياسية تمكنانه من لعب دور في الحياة السياسية من خلال فهمه للقضايا التي تدور من حوله، وبذلك تكون الصحافة بمؤسساتها المختلفة قادرة على خلق جيل جديد من المواطنين ذوي الوعي السياسي القادرين على المساهمة الفعالة في الحياة السياسية في المجتمع.

وتحليلنا لدور الصحافة الليبية المتمثل في القائم بالاتصال في عملية التنمية السياسية يدفعنا الى تبني اقتراح الثقافة السياسية وهو يعد من أهم وأحدث المداخل السياسية الذي نظمه منهجيا ألموند، فيربان، وباي في محاولاتهم المكثفة لكشف الدور الذي تلعبه الثقافة السياسية للمواطن في تغذية معارفه السياسية لأجل دفعه نحو الممارسة السياسية الصحيحة في المجتمع . فهو المدخل المناسب الذي يمكننا من خلاله أن نفهم تطبيقات موضوعات التنمية السياسية التي تمارسها الصحافة الليبية في تعريف المواطن الليبي بالمعارف السياسية اللازمة حتى يتسنى له ممارسة نشاطه السياسي.

أولاً: مشكلة الدراسة

يعد تشكيل الوعي السياسي المرحلة الأولى من مراحل الثقافة السياسية التي يمكن تحديدها من خلال وعي الفرد بمتطلبات المشاركة السياسية في المجال السياسي، وهنا

يبرز الدور الذى يلعبه القائم بالاتصال في الصحافة الليبية في عملية التنمية السياسية وذلك من خلال تحليل مفاهيم الثقافة السياسية الداعمة لهذه العملية في الصحافة الليبية، وفي هذا الاطار يؤدي الاعلام دوراً في تشكيل الوعي الثقافي السياسي للأفراد عن طريق تزويدهم بالمعارف السياسية كما يسهم القائم بالاتصال في هذه الصحف في تدعيم أو تغيير أو تجديد ثقافتهم السياسية من وقت لآخر، وذلك حسب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعشيها المجتمع . وتأسيساً على ما سبق فإن مشكلة البحث تتحدد في **اتجاهات القائمين بالاتصال في الصحافة الليبية نحو تجديد مفاهيم الثقافة السياسية.**

ثانيا: أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال مجموعة من العوامل والاعتبارات التالية :

1- تعد هذه الدراسة الوصفية من ضمن الدراسات التي تقدم تشخيصاً دقيقا للاتجاهات الاعلامية المختلفة نحو موضوعات الثقافة السياسية من ناحية الشكل والمضمون.

2- تكمن أهميتها أيضا في محاولة الربط ما بين الجانب الاعلامي والجانب السياسي في ليبيا لمعرفة تأثيرات الاعلام، ممثلاً في القائمين بالاتصال على إدارة وتوجيه عملية الثقافة السياسية مما يمكنها من توفير قاعدة أساسية وعريضة من البيانات التي تساعد الباحثين في المجال العلمي والاكاديمي في تكوين رؤية واضحة حول هذه الموضوعات.

3- تكتسب هذه الدراسة أهمية لأنها من أوائل الدراسات التي تتناول الثقافة السياسية من خلال فحص أوضاعها ومفاهيمها وأبعادها في ليبيا من خلال تحليل الخطاب الصحافي السياسي، الذى يرتكز على دراسة عنصر أساسي ومهم في العملية الاتصالية (القائم بالاتصال) صانع للرسالة الاعلامية (المتمثلة في مواد الخبر والرأي المعالجة لمفاهيم الثقافة السياسية في الصحف الليبية).

ثالثاً: أهداف الدراسة :

1- تهدف هذه الدراسة في اطارها العام الى التعرف على الدور الذى يلعبه القائمون بالاتصال في الصحافة الليبية في تجديد مفاهيم الثقافة السياسية وذلك من خلال تحليل المفاهيم الداعمة والمعوقة للتنمية السياسية.

2- الكشف عن مدى معالجة القائمين بالاتصال في الصحافة الليبية من خلال مواد الرأي والخبر للمؤشرات المعرفية والاتجاهية والسلوكية لمفاهيم الثقافة السياسية ورصد

أهم الافكار التي تناولتها الصحف الليبية ضمن نطاق تلك المؤشرات.

3- كشف مواقف القائمين بالاتصال إزاء مفاهيم الثقافة السياسية وذلك من خلال عرض رؤية الصحيفة في المادة الخبرية والافتتاحيات وعرض الرأي الاخر للكتاب في صحف الدراسة ومعرفة مدى توافق تلك الرؤى في تحديد الموقف العام للصحيفة في تناول مفاهيم الثقافة السياسية.

4- التعرف على الدور الذي يلعبه القائمون بالاتصال داخل الصحف الليبية في اختيار ومعالجة مفاهيم الثقافة السياسية ومؤشراتها واستكشاف حدود هذا الدور وانعكاساته على توجيه الصحافة الليبية في مجال الثقافة السياسية.

رابعاً : تساؤلات الدراسة:

1- ما هو دور القائم بالاتصال كحارس بوابة في الصحف الليبية في معالجة وتجديد مفاهيم الثقافة السياسية؟

2- ما مدى تأثير رئاسة تحرير الصحيفة على القائم بالاتصال في اختياره ومعالجته لمفاهيم الثقافة السياسية؟

3- هل التوجه السياسي للصحيفة يحكم معالجة القائم بالاتصال لمفاهيم الثقافة السياسية؟

4- ما العلاقة التي تربط المصدر بالقائم بالاتصال وانعكاساتها على معالجته لمفاهيم الثقافة السياسية؟

5- كيف تؤثر العلاقة القائمة بين القائم بالاتصال والجمهور الليبي في كيفية اختياره ومعالجته لمفاهيم الثقافة السياسية؟

خامساً : الدراسات السابقة :

قام الباحث بالاطلاع على بعض الدراسات في مجال الإعلام التنموي بصفة عامة والصحافة التنموية على وجه الخصوص والتي تمكن للباحث الاسترشاد بها في دراسته، غير أن البحوث التي تناولت قضايا الثقافة السياسية بالصحافة الليبية كبحث ضمن بحوث تحليل المحتوى في حد ذاته مع اختيار قضايا سياسية هامة فتكاد تكون قليلة جداً، وفي اطار تحليلنا لدور القائمين بالاتصال في الصحافة الليبية في عملية التنمية السياسية سوف نتناول بعد الثقافة السياسية حيث إن بعد الثقافة السياسية يعد من أهم الابعاد التي يمكن أن تلعب الصحافة دورا مهما فيه. وفيما يلي نستعرض تلك الدراسات بشيء من التفصيل.

أولاً: الدراسات العربية في مجال الثقافة السياسية

دراسة يحيى ابراهيم المدهون 2019 [2] دور الصحافة الاردنية في التنمية السياسية حيث ربطت الباحث بين الثقافة السياسية والتنمية السياسية، واعتمدت الدراسة على منهجين هما منهج المسح وأدواته من تحليل المضمون والاستبيان والمنهج المقارن في إطار دراسة تحليله وميدانية،وشملت معالجتها دراسة القائم بالاتصال والوسيلة الاتصالية،وأهم النقاط التي توصل إليها الباحث بالنسبة للقائم بالاتصال لصحف الدراسة : أن التغطية الدولية وبالأخص السياسية كانت أكثر من التغطية للأمور السياسية المحلية، وهذا بالطبع يؤثر على مضامين الثقافة السياسية للأفراد داخل الدولة بشكل عام.

دراسة وليد عبد الفتاح النجار (2017) [3]عن الثقافة السياسية الثابت والمتغير، وهي من نوعية الدراسات الاستطلاعية حيث حاولت الدراسة الربط ما بين الثقافة السياسية والتنمية السياسية في الواقع العربي حيث تساءل الباحث عن الثقافة المصرية تحديدا والثقافة العربية بشكل عام وعن مدى الديمقراطية التي تحكمها وكيفية جعلها اكثر ديمقراطية، وكان هدف الدراسة التأصيل لمفهوم الثقافة السياسية وعلاقتها بقضايا الديمقراطية والمشاركة السياسية والهوية والانتماء الوطني والقومية الشرعية. وتوصلت الدراسة إلى : احتلال التقرير الصحافي الترتيب الاول، يليه التقرير الإخباري ثم الخبر المركب في المرتبة الثالثة في تقديم موضوعات حول الثقافة السياسية.

دراسة محمد النعيمات (2010)[4] والتي تناولت دور الصحافة الاردنية في الثقافة السياسية وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام أداة تحليل المضمون بواقع 10 فئات ضمت خلاله (42) وحدة تحليل، وقد تم أيضا التحقق من ثبات أداة الدراسة بإجراء اختبار بعدي للثبات باستخدام معادلة التحقق (8) أعداد من الصحف الأردنية هما الرأي والعرب اليوم الواقعة بين تاريخ أيار 2008 وبين نيسان 2009 ،وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمه أن اهتمام الصحافة الأردنية في التنمية السياسية من خلال المقالات الصحافية قليل مقارنة بحجم المقالات المنشورة. ودل ذلك على أن الصحافة الأردنية لا تقوم بنشر المقالات الصحافية عن موضوعات الثقافة السياسية إلا في حال وجود أحداث لها صلة بالتنمية السياسية كالانتخابات النيابية وصدور تقارير الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان في الأردن وما شابه ذلك.

دراسة مفتاح محمد اجعية (2009)[5] التي تناولت دور الصحافة الليبية في إمداد

الشباب الجامعي في ليبيا بالمعلومات حول القضايا السياسية، والى اي مستوى معرفي استطاعت هذه الصحف ان تدعم الوعي السياسي لدى الشباب الجامعي، واستخدم الباحث منهج المسح والمنهج المقارن في هذه الدراسة، وهدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين معدل تعرض الشباب لوسائل الاعلام المختلفة والمتمثلة في الصحافة الليبية ومستوى معرفتهم السياسية كمرحلة أولى في تشكيل وتنمية الوعي السياسي لديهم. وتوصلت هذه الدراسة إلى ان التلفزيون جاء اعلى وسائل الاعلام اهمية،يليه الصحف ثم الانترنت والاذاعة بالمرتبة الاخيرة من حيث الاهمية،أما في ما يخص النتائج المتعلقة بالمشاركة السياسية، فقد توصلت الدراسة الى أن متابعة الشباب الجامعي للمواد الاخبارية والسياسية خاصة كان ضعيفا , وتوصلت إلى أن دور الصحافة في تشكيل الوعي السياسي لدي الشباب قد يكون محدودا نوعا ما.

دراسة القاضى ونجادات(2016)[6] والتي تناولت موضوعات الثقافة السياسية في الصحف الاردنية اليومية، واستهدفت الدراسة الوقوف على دور الصحف اليومية في عملية التنمية السياسية والتعرف على كيفية المعالجة والتغطية الصحافية لموضوعات الثقافة السياسية، واستخدم الباحث منهجين، منهج المسح والمنهج المقارن، حيث هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية تغطية الصحف الأردنية لموضوعات الثقافة السياسية، والتعرف على هذه الموضوعات التي تثيرها الصحف الأردنية وكيفية إبرازها وعلى القيم والاتجاهات والمساحة المخصصة لمواضيع التنمية السياسية. وتوصلت إلى وجود اهتمام جيد بموضوعات التنمية السياسية من الصحف الأردنية وخاصة في مجال الخبر والتقرير والمقال الصحافي مع وجود اهتمام واضح من جهات مختلفة بالتنمية السياسية في الأردن، إضافة إلى تغطية قوية من مندوبي الصحف اليومية لموضوعات الثقافة السياسية.

دراسة هيفاء أحمد ربيع(2014)[7]وموضوعها دور الصحافة اليمنية في التنمية السياسية حيث ربطت الباحثة بين الثقافة السياسية والتنمية السياسية من ناحية مفاهيم الثقافة السياسية حيث أجرت دراسة ميدانية على عينة غير احتمالية (عمدية) ممثلة للقيادات التحريرية (رئيس التحرير ونوابه) قوامها 18 مبحوثا من القيادات العاملة بصحف الدراسة. توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج من أهمها: حاز مفهوم التعددية السياسية على اهتمام واسع من قبل الصحف الأهلية. كما اهتمت صحف الدراسة بتعريف القارئ بالتحول الجديد في النظام السياسي. أيضا اهتمت صحف الدراسة ببحث

القوة الوطنية للعمل المشترك خلال فترة الدراسة ودور الصحافة اليمنية في معالجة أوضاع التنمية السياسية والمرتبط غالبا بالأزمات السياسية في البلاد. وترتبط أهمية الدراسة هنا بموضوع دراستنا من حيث تشابه البيئة الاجتماعية لدولة اليمن الى حد كبير جدا مع البيئة الاجتماعية والسياسية الليبية في نطاق البنية القبلية وتأثيراتها على أدوار القائمين بالاتصال في الصحف في موضوعات الثقافة السياسية من خلال كل المحاور المطروحة في هذه الدراسة.

ثانياً: الدراسات التي تناولت مفاهيم الثقافة السياسية في الصحافة

دراسة يودل ([8] Yu Dal2013) وقد حاولت هذه الدراسة إلقاء الضوء حول دور الصحافة الإيرانية في عملية الثقافة السياسة في إيران خلال القرن الماضي، وتبين من خلال هذه الدراسة أن البيئة الديمقراطية لا يمكن أن تؤدي إلى التنمية السياسة إلا بتوفر العزم على احداث هذه التنمية وطرق تنفيذها وذلك من خلال الحرص علي الوحدة الوطنية والمشاركة الجماعية، كما بينت هذه الدراسة ان الحركة الاصلاحية التي قادها نواب إصلاحيون بعد تولي خاتمي للسلطة، استطاعت ان تقنع شرائح عديدة من الشعب الإيراني ببعض القيم الديمقراطية التي تدعو الي الاعتدال والتسامح.

دراسة جوتا 2012 (Jutta)[9] التي ربط فيها الباحث بين الصحافة والثقافة السياسية وواقع التنمية السياسية في المانيا من 2005 الى 1980 . وقد ناقشت هذه الرسالة البحثية الصحافة الالمانية في تلك الفترة الزمنية وحللت مدى فاعليتها في الحياة السياسية للمواطن الألماني، وقد توصلت الدراسة إلى نتيجة مفاداها أن الصحافة الالمانية في تلك الفترة كانت مشاركة بشكل حقيقي في المساهمة في عناصر الثقافة السياسية للمجتمع، وليست مجرد أداة للسلطة مما يؤكد أهمية دور الصحافة حتى في ظل الأنظمة الشمولية في احداث التغير والاصلاح في اطار الثقافة السياسية والندوات السياسية وعضوية الأحزاب، والمشاركة بشكل فعال في العمل السياسي.

دراسة هيزي Heisy(2018) [10] تناولت أدبيات الاتصال الامريكي والاوربي في التأثير الثقافي على السياسة. وقد لاحظ الباحث أن الثقافة السياسية تعد قوة انتقالية في بناء الاتصال السياسي وأكد على أهمية المدخل الثقافي في دراسة أي عملية اتصالية في الدراسات الاعلامية الحديثة.

سادساً : التعليق على الدراسات السابقة

1-أوضحت الدراسات السابقة أثر التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في إحداث تغيير في معايير الثقافة السياسية خصوصا في المجتمعات المنغلقة كالمجتمعات الريفية.

2- تعتبر الدراسات العربية مرآة عاكسة لواقع العالم الثالث مما قد يساعدنا في دراسة الواقع الليبي وإن اختلفت طرق الدراسة والنتائج.

3- تعتبر المشاركة السياسية والتكامل السياسي من اهم المفاهيم التي تناولتها الدراسات السابقة عند دراستها لموضوعات الثقافة السياسية.

4- تولد الثقافة السياسية من الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لكل دولة، وبالتالي فإن مفاهيمها ومعاييرها تختلف من دولة لأخرى تبعا لاختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

5- بعض ابعاد الثقافة السياسية المتبعة في الواقع الغربي لا تصلح في عملية التنمية السياسية في واقع العالم الثالث . وقد تساهم في توجيه الثقافة السياسة للجماهير في اتجاه سلبي لا يخدم قضايا التنمية السياسية.

النظرية المستخدمة بالدراسة :

نظرية حراسة البوابة

تعريف حراسة البوابة : حراسة البوابة هي العملية التي يتم فيها تعرض عدد هائل من الرسائل الاخبارية للغربلة أو الفلترة والتشكيل حتى تصل في النهاية الى عدد محدود من الرسائل التي يتم توصليها عبر وسائل الاعلام[11]، ويرجع الفضل الى عالم النفس النمساوي الاصل والأمريكي الجنسية كيرت لوين kurt. Lewin في تطوير ما أصبح يعرف بنظرية «حارس البوابة الاعلامية»Gate Keeper . وتعتبر دراسات ليوين من افضل الدراسات المنهجية في مجال القائم بالاتصال، حيث يرى أنه على طول الرحلة التي تقطعها المادة الاعلامية حتى تصل الى الجمهور المستهدف توجد نقاط (بوابات) يتم فيها اتخاد قرارات بما يدخل وما يخرج. وكلما طالت المراحل التي تقطعها الاخبار حتى تظهر في الوسيلة الاعلامية [12]تزداد المواقع التي يصبح فيها من سلطة الفرد أو عدة أفراد تقرير ما اذا كانت الرسالة ستنتقل بنفس الشكل أم بعد إدخال تعديلات عليها، ويصبح نفود من يدرون هذه البوابات له أهمية كبيرة في التحكم في انتقال المعلومات. وقد تمت صياغته بالاستناد إلى النماذج السابقة التي وضعت في إطار حراسة البوابة

من قبل White 1950 ، ويستلى وماكلين 1957Westly & Maclean ، جالتوى Galtwa 1965، روز رجيرت Rosergren 1974 ، شوميكر 1991 Shoemak- er[13] ، والنموذج المقترح سيعمل على تحليل دور القائم بالاتصال في وضع وتحديد وتحليل المادة الصحافية (خبر أو رأي) في الصحف الليبية، والذي يقوم بدوره برصد مجموعة من العوامل والمتغيرات التي تعود إلى تحكم أداء القائمين بالاتصال في تقديم مخرجات « المعالجة الصحافية « في إطار معالجة مفاهيم الثقافة السياسية سواء اكانت مخرجات ايجابية أم سلبية.

وقد ركزنا في طرحنا على التطوير الذى أحدثه ويستلى وماكلين-Westly & Ma clean بالتركيز على شخص القائم بالاتصال المتمثل في حارس البوابة في المؤسسة الاعلامية باعتباره ليس مجرد شخص يعمل فقط على نقل الاخبار للجمهور، وانما يلعب دوراً في اختيار تلك الاخبار من خلال معايير معينة. ولكن يعيب هذا النموذج كما يرى دي فلور Defleur [14] مبالغته في استقلالية القائم بالاتصال في مواقع حراسة البوابة عن المجتمع خاصة في الجوانب السياسية منها.

نموذج وسيتلى وماكلين

نموذج رقم 1

N1

N2 FBA

N3

A C B

الجمهور ← القائم بالاتصال ← المصدر ←

FBC

حيث يلاحظ أن N تمثل الاحداث التي يتم اختيارها من جانب A المصدر الاخباري الذى يمثل أحد عناصر النخبة السياسية أو غيرها، ويعمل على توصيل المعلومات التي يريد القائم بالاتصال C توصليها الى B وهو الجمهور، وهنا يمكننا أن نرى ان موقع حراسة البوابة يمكن أن يتأرجح ما بين A المصدر الإخباري و Cالقائم بالاتصال في المؤسسة الاعلامية. و FBA feed back الرسالة التي يتم استرجاعها (رد فعل) وهي عادة معلومات يتم نقلها من الجمهور الى المصدر. و FBC العملية الراجعة من الجمهور الى المصدر.

توظيف نظرية حراسة البوابة في موضوع الدراسة:

من خلال استعراضنا لمدخل حراسة البوابة تم الجمع بين نموذج ويستلى ومكلين 1957 ونموذج شوميكر 1991 والتصور المعدل لروزرجرن 1974.

وذلك للاسباب التالية :

إن نموذج ويستلى وملكين قدم الارضية السليمة لفهم الدور المناط بالقائم بالاتصال في إطار علاقته بالمصدر الذي يزوده بالأخبار وعلاقته بالجمهور الذى يحدد احتياجاته لهذه الاخبار، فشبكة العلاقات تلك هي مفتاح فهم دور القائم بالاتصال في الصحافة. ومن خلال تصور روزرجرن سنأخذ في عين الاعتبار أهمية العوامل السياسية والاقتصادية التي تحكم عملية نقل الاخبار سواء أكانت بالنسبة للمصادر ونقلها للأخبار للقائم بالاتصال أم بالنسبة للقائم في نقل الاخبار للجمهور، ونموذج شوميكر Shoemaker الذى يعتبر النموذج الرئيسي في تحليلنا لدور القائم بالاتصال (حيث تم التركيز على العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على العمل الصحافي) وذلك من حيث :

- النظام السياسي والاجتماعي والثقافي والايدلوجي.
- أهمية العناصر الاجتماعية والمؤسسية في العمل الصحافي.

إضافة الى ذلك يجب أن نضع في الاعتبار أننا نتناول بالبحث البيئة الليبية والخصوصية التي تميزها عن باقي المجتمعات الغربية الاخرى في الشكل والمضمون وكذلك من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن هنا توجب علينا التركيز على عنصرين أساسين هما :

1- الصراعات السياسية المستمرة.

2- العلاقات المضطربة بين المشاركين في العملية الاتصالية (المصادر – القائم بالاتصال – الجمهور) نتيجة الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة في ليبيا.

ومن هنا فموقع القائم بالاتصال في الصحف الليبية يتحدد من خلال :

1- تأثير الاوضاع السياسية والاقتصادية وكذلك الظروف الاجتماعية والنسق الثقافي على القائمين بالاتصال وتأثير ظروف المؤسسة الصحافية الداخلية منها على عمل المؤسسة [15].

2- تباين دور القائم بالاتصال في الصحف الليبية وذلك حسب اختلاف الاهداف التي تسعى الصحيفة الى تحقيقها والاهداف الشخصية الخاصة بالقائم بالاتصال التي

يسعى إلى تحقيقها من خلال الصحيفة التي يعمل بها.

3- تتحدد المادة الاخبارية حتى تصل الى يد القائم بالاتصال على أساس [16]:

أ- أهداف المصادر.

ب- احتياجات الجمهور.

ج- رغبات وسياسات الجريدة.

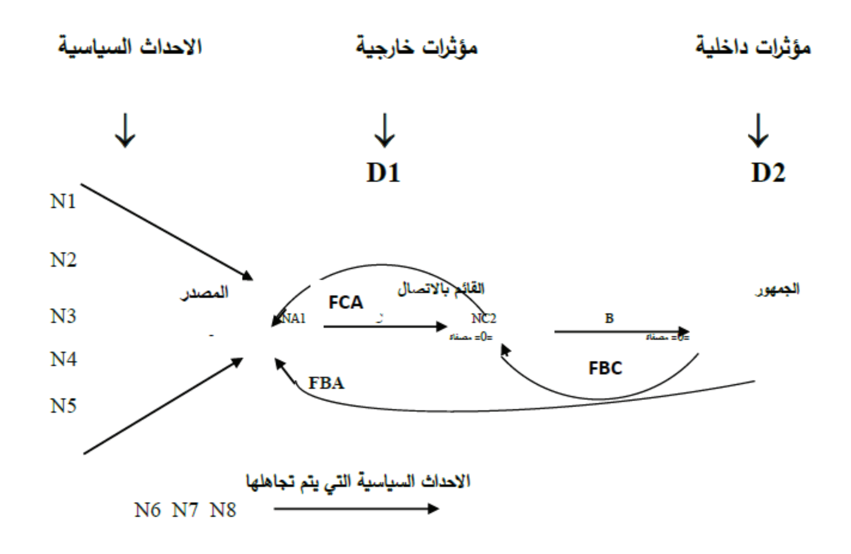
4- تتحدد المادة الاخبارية التي يوصلها القائم بالاتصال الى الجمهور حسب :

أ- الاهداف الخاصة للمصادر الاخبارية.

ب- الاهداف المتعلقة بالقائم بالاتصال.

ج- أهداف تتحدد في إطار علاقته بالجمهور.

النموذج المقترح رقم (2)



حسب النموذج المقترح :

N1–N5 تمثل الاحداث السياسية التي يتم تغطيتها من قبل المصادر (وكالات أنباء – نخبة سياسية ليبية – قيادات أحزاب – سلطة – قيادات دينية – قيادات قبلية).

N6– N7 وتمثل الاحداث السياسية التي يتم تجاهلها عن عمد من قبل المصادر السابقة.

A المصادر التي تنقل الاحداث السياسية للجمهور مباشرة أو عبر القائم بالاتصال في الصحف الليبية المختارة حسب مصالح واحتياجات وأهداف المصدر.

والمصادر تنقسم بدورها الى :

1- مصادر داخل الصحيفة : تتمثل في : المحررين – المندوبين – المراسلين – كتاب الصحيفة.

2 – **مصادر خارج الصحيفة** : وتتمثل في : وكالات الانباء – كتاب من خارج الصحيفة – مسؤولين – مؤتمرات – ندوات.

C – القائم بالاتصال في الصحف الليبية (رسمية – مستقلة) وهو هنا له دور هادف يتحدد من خلال :

- أهداف شخصية : خاصة بمعتقدات القائم بالاتصال ومبادئه التي قد تتعارض مع أهداف الصحيفة.
- أهداف المؤسسة الصحافية : خاصة بسياسة الصحيفة وروتين العمل.

NA1 – اختيار المصادر للأحداث السياسية في الساحة.

NC2 – الرسالة التي يتم تحريرها من القائم بالاتصال لنقلها للجمهور.

FBC – feed back الرسالة التي يتم استرجاعها (رد فعل) معلومات يتم نقلها من الجمهور الى المصادر.

FCA – الاسترجاع من القائم بالاتصال الى المصدر كتشيع أو توضيح أو رفض محاولات نقل معلومات أو (الاتصال الهادف) لأغراض معينة تهم المصدر صاحب المصلحة.

=0 = فلتر يوضح أن عملية نقل المادة الاخبارية : بين N و Aبين Aو Cو B يمر من خلال مصفاة (فلتر) تحدد هذه الاختيارات حسب (الاهداف) التي تحكم B,C,A .

D1 وهى مؤثرات خارجية (في البيئة الليبية خارج إطار المؤسسة الصحافية) وهى سياسية – اقتصادية – اجتماعية – ثقافية) .

D2 مؤثرات داخلية (في البيئة الصحافية للمؤسسة الصحافية) (السياسية التحريرية – نمط الملكية – الانتماء السياسي) .

من خلال النموذج المطروح نرى أن N1- N7 تمثل الاحداث السياسية الجارية في ليبيا والتي تتنوع ما بين أحداث سياسية مستقرة منتظمة والمتمثلة في (انتخابات حكومية- انتخابات نيابية) واحداث سياسة فجائية مثل (اغتيالات – مظاهرات – حروب- أعمال عنف) .

ويعتمد النموذج على ثلاث خطوات رئيسية :

الخطوة الرئيسية الأولى: ما بين A والمصدر و C القائم بالاتصال، حيث يقوم المصدر الإخباري بنقل بعض هذه الاحداث السياسية C القائم بالاتصال في الصحف الليبية (الرسمية – الأهلية) وهناك = 0= المقصود (المصفي) يحكم عملية نقل الاخبار من A الى C وفق أهداف خاصة بالمصدر A .

2–الخطوة الرئيسية الثانية : تربط ما بينC القائم بالاتصال وB الجمهور. حيث يعمل القائم بالاتصال على اختيار المعلومات التي يريدها وفق (مصفي) = 0 = تحكمه معايير تضعها الصحيفة ويضعها القائم بالاتصال.

3– الخطوة الرئيسية الثالثة : هي عملية FBC وFBA وهي المعلومات التي يتم استرجاعها من الجمهور الى الصحيفة أو المصدر مباشرة كرد فعل لتلقى هذه المعلومات وعملية FCA وهى استرجاع من قبل القائم بالاتصال للمصدر لأهداف متعلقة بالقائم بالاتصال أو أهداف خاصة بالمصدر.

الإجراءات المنهجية للدراسة

أولاً : نوع الدراسة

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التي تسعى إلى فحص الخطاب السياسي في الصحافة الليبية من خلال رصد دور القائمين بالاتصال في الصحافة الليبية في تجديد مفاهيم الثقافة السياسية. لذا تعد هذه الدراسة من الدراسات التي تحتوي على بعدين : استطلاعي وتفسيري في كشف تحليلات الصحف الليبية في تناول ومعالجة مفاهيم الثقافة السياسية في فترة الدراسة.

ثانياً : منهج المسح :

استخدمت في الدراسة منهج المسح الاعلامي الذى يعد من أنسب المناهج العلمية المستخدمة لهذه الدراسة باعتباره جهداً علمياً منظماً يهدف للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف، ويلجأ أيضا إلى استخدام مختلف الأساليب كالاستقصائيات والملاحظة والاستبانات وغيرها من طرق جمع المعلومات [17] حول تجديد مفاهيم الثقافة السياسية في الصحف الليبية خلال فترة الدراسة.

ثالثاً: مجتمع الدراسة والعينة

اعتمد الباحث في اسلوب بناء العينة على (العينة العمدية)، والتي تندرج تحت العينات غير الاحتمالية والمتمثلة في عينة من القيادات التحريرية (رؤساء التحرير و نوابهم

ومديرى التحرير، ومساعدي رئيس التحرير) وكتاب الرأي السياسي المتخصصين في تغطية موضوعات الثقافة السياسية في الصحافة الليبية، وتم استخدام المقابلة الغير مقننة مع أفراد العينة بهدف جمع معلومات عن الدراسة ثم تحليلها لاستخلاص النتائج التي تجيب عن تساؤلات الدراسة ، حيث تم تطبيقها على (8) كتاب من صحيفة فبراير و(8) من صحيفة فسانيا و (8) من صحيفة برنيق ليصل العدد الكلى للعينة إلى (24) كاتباً. واختيرت العينة بناء على المؤشرات التي حصل عليها الباحث من خلال الدراسة الاستطلاعية حول أهم الكتاب الذين تناولوا مفاهيم الثقافة السياسية خلال فترة الدراسة. وذلك خلال الفترة الزمنية (3 أبريل حتى 30 أبريل2021)

رابعاً :أدوات جمع البيانات :

اعتمدت الدراسة في جمع المعلومات على أسلوبين هما :

1- **أداة الاستقصاء**[18]باستخدام الاسئلة المفتوحة حيث تم استخدام هذه الاداة للقائمين بالاتصال في العينة المختارة حول معالجتهم لمفاهيم الثقافة السياسية.

2- **المقابلة** (غير المقننة) : وهي أداة متعمقة من أدوات جمع البيانات وذات قيمة عالية في البحوث ذات الطابع الميداني لما تتيحه من احتكاك مباشر بالمبحوث،وتفسير جوانب الغموض في نتائج الدراسة الميدانية.

تحديد تعريفات الدراسة (تحديد المحددات الإجرائية لمفاهيم الثقافة السياسية) [19]

أولاً : مفهوم الوحدة الوطنية: تعني العملية الوحدوية التي انطلق على أساسها توحيد الأقاليم الثلاثة برقة وطرابلس وفزان 1963بعد استقلال ليبيا1951 م. في عملية البناء بعد الثورة الليبية عام 2011م.

ثانيا :مفهوم المشاركة السياسية: يقصد بالمشاركة السياسية مشاركة الفرد أو الجماعة ممثلة في حزب سياسي أو تنظيم سياسي في العملية السياسية مثل:(انتخابات – استفتاء – مظاهرات سلمية – مؤتمرات جماهيرية أو – اعتصامات).

ثالثاً :مفهوم التعددية السياسية: وتتمحور التعددية بشكل رئيسي في التعددية الاهلية في نطاق العمل السياسي الحزبي الذي انطلق مع بعد قيام الثورة الليبية في 2011 وانعكاسات هذه التعددية على العملية السياسية داخل السلطة وخارجها إضافة إلى التعددية في العمل السياسي غير الحزبي في نطاق العمل السياسي المتمثل في المجتمع المدني.

رابعا ً: مفهوم الثقة المتبادلة: العلاقات السياسية القائمة بين عناصر النظام السياسي في إطار مؤسساته المختلفة القائمة على الثقة المتبادلة بين أطرافه والتي تنعكس في إدارة العملية السياسية ما بين المؤسسات السياسية والمواطنين. وتتضح هذه الثقة في احترام الأطراف بعضها لبعض في الحقوق والواجبات التي يقرها الدستور والتشريعات القانونية وخلو العلاقات من آثار النزاع أو الصراع أو الشك المتبادل.

خامسا : مفهوم المؤسساتية: التأكيد على دور المؤسسات السياسية في إدارة العمل السياسي بعيداً عن السلطة الفردية للقيادات السياسية والعمل وفق القوانين الدستورية التي أقرها الاعلان الدستوري لتلك المؤسسات.

سادسا: مفهوم الاستقرار السياسي: يعني هنا قدرة النظام السياسي القائم ممثلاً في المؤسسات السياسية المختلفة على إشاعة جو من الأمن والاستقرار وتأمين أوضاع سياسية أمنة للعمل السياسي والابتعاد عن ممارسة العنف السياسي في كافة أشكاله وصوريه.

خامساً: الصدق والثبات :

من أجل التحقق من صدق إجابات المبحوثين قام الباحث بإجراءات تضمن صدق الاستمارة، وكذلك صدق المبحوثين، وذلك للوصول إلى أعلى درجة من الصدق من خلال التأكد من موضوعية ومنطقية الاستمارة،ومدى صحتها وملاءمتها من ناحية الاعداد والصياغة، حيث قام الباحث بعرض الاستمارة على عدد من المحكمين[*] في المجال الإعلامي وفي المجال السياسي الذين قاموا بدراسة الاسئلة المنجزة باستفاضة معمقة، حيث أبدوا بعض الملاحظات اللازمة من إضافات بعض الاسئلة تارة وحذف بعض الاسئلة المتكررة والتي تثير الغموض والربكة وتعديل ما يلزم من صيغ علمية تارة أخرى وبناء على أراء المحكمين في الاستمارة تم العمل بهذه الآراء وتعديل بعض بنود الاستمارة حسب آرائهم واتفاقهم وإعادة ترتيب بعض الاسئلة وحذف بعضها للتناسب مع المبحوثين حتى وصلت إلى الشكل النهائي. أما فيما يخص الثبات فقد قام الباحث بالتأكيد من ثبات الاداة من خلال معامل (ثبات الاعادة) حيث تم تطبيق الاداة على عينة استطلاعية من أفراد مجتمع الدراسة وبعد أسبوعين تم إعادة التطبيق وتم حساب معامل (ارتباط بيرسون) بعد التطبيق وقد بلغت قيمته (80 %) وهي نسبة ثبات جيدة ومؤشر على صلاحية الاداة.

سادساً : المعالجة الاحصائية للبيانات :

تم استخدام الاساليب الاحصائية التي تتناسب مع بيانات الدراسة وتساعد على تحقيق أهدافها، من خلال استخدام الرزمة الاحصائية المعرفة باسم (**spss**) وبعد ذلك تم حساب المقاييس الاحصائية التالية.التكرارات والنسب المئوية للتعرف على الخصائص الشخصية والوظيفية للأفراد عينة الدراسة، وتحديد اجابات أفرادها تجاه عبارات المحاور الرئيسية التي تضمنتها أداة الدراسة.

مصطلحات الدراسة :

القائمين بالاتصال :هو أي فرد داحل فريق عمل ينتمي إلى إحدى المؤسسات، ويضطلع بمسؤوليات ما في صنع وإنتاج الرسالة الاتصالية، بدءاً من وضع الفكرة أو السياسية العامة المختلفة، وانتهاء بإخراجها وتقديمها للمتلقي بقصد التأثير عليه.[20]

الثقافة السياسية : هي الشق السياسي من الثقافة العامة السائدة في المجتمع وتتضمن مجموعة من القيم والمعايير والمعتقدات والتوجهات والرموز التي تحكم السلوك السياسي[21]

نتائج الدراسة:

جدول رقم (1) يوضح المتغيرات الديموغرافية للقائمين بالاتصال في صحف الدراسة

الصحف المتغيرات الديموغرافية ك		صحيفة فبراير		صحيفة فسانيا		صحيفة برنيق	
		%	ك	%	ك	%	
النوع	ذكر	8	% 100	8	% 100	8	100%
	أنثى	–	صفر %	–	صفر%	–	صفر%
	المجموع	8	% 100	8	% 100	8	100%
المستوى التعليمي	ثانوية عامة	–	صفر %	–	صفر %	–	صفر%
	دبلوم متوسط	–	صفر %	–	صفر %	–	صفر%
	مؤهل جامعي	6	% 75	4	% 50	7	% 87.5
	دارسات عليا	2	% 25	4	% 50	1	% 12.5
	المجموع	8	% 100	8	% 100	8	% 100

فئة المرحلة العمرية	من20 – أقل 30 عاماً	1	12.5 %	–	صفر %	–	صفر %
	من 30– اقل 40 عاماً	4	50 %	6	75 %	5	62.5 %
	من40 فأكثر	3	37.5 %	2	25 %	3	37.5 %
	المجموع	8	100 %	8	100 %	8	100 %
الانتماء السياسي	تحالف القوى الوطنية	–	صفر %	8	100 %	2	25 %
	العدالة والبناء	3	37.5 %	–	صفر %	–	صفر %
	الوطن	2	25 %	–	صفر %	–	صفر %
	الجبهة الوطنية	–	صفر %	–	صفر %	–	صفر %
	مستقل	3	37.5 %	–	صفر %	6	75 %
	المجموع	8	100 %	8	100 %	8	100 %
الوظيفة التي يشغلها في الصحيفة	كاتب صحافي	3	37.5 %	3	37.5 %	2	25 %
	مراسل	–	صفر %	2	25 %	3	37.5 %
	محرر	3	37.5 %	2	25 %	2	25 %
	مدير التحرير	1	12.5 %	–	صفر %	–	صفر %
	رئيس التحرير	1	12.5 %	1	12.5 %	1	12.5 %
	المجموع	8	100 %	8	100 %	8	100 %

يتناول هذا المحور المتغيرات الديمغرافية لأفراد الكتاب عبر عينة الدراسة والمتمثلة في النوع الاجتماعي، العمر، المؤهل الدراسي، الانتماء السياسي، والوظيفة التي يشغلها في الصحيفة.

أولاً : متغير النوع :

أشارت بيانات الجدول السابق حول نوع المبحوثين الذين تم تطبيق الدراسة الميدانية عليهم إلى أن القائمين بالاتصال في صحف الدراسة اقتصروا على الذكور فقط بنسبة 100 %مع غياب الاناث.

ثانياً: متغير المستوى التعليمي :

أشارت بيانات الجدول السابق إلى أن ما نسبته 87.5 % حاصلون على مؤهل جامعي من إجمالي عينة المبحوثين في صحيفة برنيق المستقلة، يليها في الترتيب الثاني صحيفة فبراير بنسبة 75 % ،بينما جاءت صحيفة فسانيا في المرتبة الاخيرة بنسبة 50 %. أما في ما خص الحاصلين على مؤهل دراسي عال فجاءت صحيفة فسانيا في الترتيب الاول بنسبة 50 % ، تلتها صحيفة فبراير بنسبة 25%، بينما حلت صحيفة برنيق في المرتبة الاخيرة بنسبة 12.5 %

ثالثاً : فئة المرحلة العمرية:

أشارت بيانات الجدول السابق حول الفئة العمرية لأفراد عينة الدراسة الميدانية إلى أن فئة المبحوثين أقل من (40-30عاماً) جاءت في المرتبة الأولى في صحيفة فسانيا، تلتها وبنسبة 62.5 % في صحيفة برنيق، بينما حلت صحيفة فبرير في المركز الاخير بنسبة 50 %، أما الفئة العمرية من40 فأكثر فجاءت و بنسبة متساوية بلغت 37.5 % في كل من صحيفتي فبراير وبرنيق ، وبنسبة 25 % في صحيفة فسانيا.

رابعاً : الانتماء السياسي :

أشارت بيانات الجدول السابق إلى أن المبحوثين المنتمين لحزب تحالف القوى الوطنية جاءت بنسبة عالية حيث جاءت صحيفة فسانيا الاهلية في المرتبة الأولى والتي بلغت 100 % ، مع انعدام لأى تواجد لمبحوثين ينتمون لأحزاب أخرى ، وهو ما ظهر أيضا في صحيفتي فبراير وبرنيق التي جاءت نسبة المستقلين في الترتيب الاول بنسبة 75.5 %، وفي الترتيب الثالث والمنتمين لحزب العدالة والبناء بنسبة 37.5 % في صحيفة فبراير.

خامساً : الوظيفة التي يشغلها في الصحيفة :

أشارت بيانات الجدول السابق إلى أن وظيفة الكاتب الصحافي ووظيفة المحرر جاءتا وبنسبة متساوية في الترتيب الاول بنسبة 37.5 % في صحيفة فبراير، تلتها أيضا وبنسبة متساوية وظيفة رئيس التحرير ومدير التحرير بنسبة بلغت 12.5 %. أما صحيفة فسانيا فاحتلت وظيفة كاتب صحافي فيها الترتيب الاول وبنسبة بلغت 37.5 % ، تلتها وبنسبة متساوية في الترتيب الثاني وظيفة محرر ومراسل صحف بنسبة 25 % ،أما صحيفة برنيق فجاءت وظيفة مراسل في الترتيب الأول فيها بنسبة 37.5 % ، تلتها وبنسب متساوية وظيفتا كاتب صحافي ومحرر صحافي بنسبة 25 % في الترتيب الثاني.

المحور الاول :أهم المفاهيم السياسية التي تناولها القائم بالاتصال في الصحف الليبية

جدول رقم (2) يوضح مفهوم الوحدة الوطنية

العينة المفهوم	القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم تم تناوله في صحفهم		القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم لم يتم تناوله في صحفهم		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
الوحدة الوطنية	22	91.67	2	8.33	24	100

من خلال الجدول السابق يتضح إجماع 91.67 % من القائمين بالاتصال على اهتمام صحفهم بتناول ومعالجة مفهوم الوحدة الوطنية الذي يعتبر من أبرز مفاهيم الثقافة السياسية التي عالجتها صحف الدراسة، بينما أوضح 8.33 % من القائمين بالاتصال أنهم لم يتناولوا هذا المفهوم بشكل أساسي في صحفهم ، ويرجع اهتمام القائمين بالاتصال بمعالجة مفهوم الوحدة الوطنية إلى عدد من الأسباب :

1- اهتمام الصحف الليبية وتحديدًا الصحافة الرسمية فبراير بمفهوم الوحدة الوطنية كونه السبيل الوحيد لإنهاء الخلافات ما بين سلطة المجلس الأعلى للدولة في الغرب والبرلمان والقوى السياسية المختلفة في الشرق الليبي.

2- أوضح القائمون بالاتصال في فبراير أن المؤشرات المعرفية التي اهتمت برصدها الصحف الرسمية هما مؤشرا: بناء المصالحة الوطنية الشاملة، ومقاومة الانفصال، حيث اهتمت تلك الصحف بعرض رؤية السلطة حول تدعيم ركائز النظام السياسي الجديد وإعطائه الشرعية اللازمة لضمان استمراره وعدم تعرضه لأي تهديد داخلي أو خارجي. ومن ثم فقد اهتمت صحيفة فبراير بعرض رؤى القيادات السياسية الممثلة لها. أما القائمون بالاتصال في صحافية فسانيا وبرنيق فقد أشاروا إلى أن اهتمام صحفهم كان مركزا في نطاق المؤشرات المعرفية على مؤشري المصالحة الوطنية الشاملة وبناء الدولة الحديثة. ويعود ذلك إلى اهتمام النخب السياسية بالبنية التحتية في توحيد المؤسسات المختلفة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ورفض دعوات الانفصال.

جدول رقم (3) يوضح مفهوم المشاركة السياسية :

العينة المفهوم	القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم تم تناوله في صحفهم		القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم لم يتم تناوله في صحفهم		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
المشاركة السياسية	20	83.34	4	16.66	24	100

من خلال الجدول السابق يتضح تأكيد القائمين بالاتصال وإن كانت نسبة الاهتمام مختلفة من صحيفة إلى أخرى في صحف الدراسة الثلاث إلا أن مفهوم المشاركة السياسية لاقى اهتماما واسعاً من قبل صحفهم وتحديدًا في فترة الانتخابات البرلمانية 2014 ونزاهتها وسلامة اجراءتها بنسبة 83.34% ، بينما أوضح 16.66% من القائمين بالاتصال أن صحفهم لم تتناول المفهوم فتم تناوله في مادتي الخبر والرأي وتركز الاهتمام به فقط كالتالي:

1- استغلال الصحف الرسمية والمستقلة صفحاتها في نطاق الخبر والرأي لممارسة الدعاية السياسية لصالح ممثليها في الانتخابات البرلمانية الأولى فكان الاهتمام بمفهوم المشاركة السياسية هو جزء من سياسة الصحيفة الرسمية كون قضية المشاركة مطلوبة وضرورية.

2- أوضح القائمون بالاتصال في صحيفة فبراير أن معالجة صحفهم لمفهوم المشاركة السياسية لا تنطلق من منطلقًا حزبيًا فلا تتدخل لصالح أي حزب أو مرشح وإنما تركز على جانب الوعي الانتخابي وحقوق الممارسة وتؤكد على المشاركة السياسية العامة.

جدول رقم (4) يوضح مفهوم الثقة المتبادلة:

العينة المفهوم	القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم تم تناوله في صحفهم		القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم لم يتم تناوله في صحفهم		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
الثقة المتبادلة	18	75	6	25	24	100

توضح بيانات الجدول السابق مدى اختلاف رؤى القائمين بالاتصال في صحف الدراسة حول معالجة مفهوم الثقة المتبادلة والذى جاء بنسبة 75 %. بينما أوضح 25 % من القائمين بالاتصال أنهم لم يناولوا هذا المفهوم، حيث أوضح القائمون بالاتصال في صحيفة فبراير أن اهتمامهم بالمفهوم انحصر فقط في نطاق المجلس الرئاسي بينما أوضح القائمون بالاتصال في صحف المعارضة أن اهتمامهم بالمفهوم انحصر في المعارضة، وعزوا ذلك إلى حالة التدهور الشديد التي أصابت العلاقات السياسية ما بين السلطة والمعارضة، فلم تبال الصحف بتناول المفهوم على مستوى السلطة والمعارضة معًا. فصحف السلطة استهدفت تعزيز الثقة في قيادتها بينما استهدفت صحيفتا فسانيا وبرنيق تعزيز ودعم أواصر الثقة المتبادلة بين البرلمان والمستقلين.

جدول رقم (5) يوضح مفهوم التعددية السياسية :

العينة المفهوم	القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم تم تناوله في صحفهم		القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم لم يتم تناوله في صحفهم		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
التعددية السياسية	20	83.34	4	16.66	24	100

يتضح من الجدول السابق اتفاق القائمين بالاتصال في صحف الدراسة على أنهم أولوا عناية خاصة بمفهوم التعددية السياسية بنسبة 83.34 % ، بينما أوضح 16.66 % من القائمين بالاتصال أن صحفهم لم تتناول المفهوم بشكل كامل، وأما عن أهم المؤشرات

التي اهتمت بمعالجتها صحف الدراسة في نطاق التعددية السياسية، فقد أوضح القائمون بالاتصال في صحيفة فبراير أن المؤشرات المعرفية التي اهتمت برصدها الصحيفة هما مؤشرا: التداول السلمى للسلطة، وبناء مؤسسات المجتمع المدني، حيث اهتمت تلك الصحف به كون المفهوم يعبر على المجتمع الليبي وواقعه السياسي من وجهة نظر أفراد العينة أما القائمون بالاتصال في صحيفتي فسانيا وبرنيق فقد أشاروا إلى أن اهتمام صحفهم كان مركزا في نطاق المؤشرات المعرفية على مؤشري التداول السلمى للسلطة فقط.

جدول رقم (6) يوضح مفهوم المؤسساتية :

العينة المفهوم	القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم تم تناوله في صحفهم		القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم لم يتم تناوله في صحفهم		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
المؤسساتية	19	79.16	5	20.84	24	100

يتضح من الجدول السابق تأكيد القائمين بالاتصال في صحف الدراسة على تناول صحفهم لمفهوم المؤسساتية بنسبة 79.16 % . بينما جاء وبنسبة 20.84 % عدم تناوله من قبل القائم بالاتصال، وقد أشاروا إلى أن اهتمام صحفهم كان مركزاً في نطاق المؤشرات المعرفية للحيلولة دون استئثار الفرد بالقيادة ومؤكدة في نفس الوقت على التداول السلمي للسلطة، واستحداث دولة المؤسسات والتركيز على المؤشرات الاتجاهية في مؤشر تأييد دور دولة المؤسسات في القيام بإدارة الشؤون السياسية في البلاد وبرز هذا الاهتمام خصوصاً حسب رؤية نظر القائمين بالاتصال في صحف الدراسة عقب الأزمة السياسية وانقسام مؤسسات الدولة إلى قسمين قسم في الشرق الليبي وقسم في الغرب الليبي مما نتج عنه أزمة سياسية واقتصادية كبيرة في البلاد.

جدول رقم (7) يوضح مفهوم الاستقرار السياسي:

العينة المفهوم	القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم تم تناوله في صحفهم		القائمون بالاتصال الذين رأوا أن المفهوم لم يتم تناوله في صحفهم		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
الاستقرار السياسي	20	83.34	4	16.66	24	100

يتضح من الجدول السابق تأكيد القائمين بالاتصال في أن صحفهم أبدت اهتماما خاصاً بمفهوم الاستقرار السياسي خلال فترة الدراسة وتحديداً، خلال الأزمة السياسية 2014. وبنسبة 83.34 %، وبنسبة 16.66 % في عدم الاهتمام بهذا المفهوم، حيث أكدوا أن معالجتهم لمفهوم الاستقرار السياسي ركزت على تغليب لغة الحوار السياسي واستبعاد الصدام العسكري في المؤشر المعرفي، وتحميل الدولة وكل القوى السياسية الوطنية مسؤولية وضع حد للعنف السياسي المنتشر في البلاد وتحقيق الأمن والاستقرار في المؤشر الاتجاهي.

بعد انتخابات 2014 في الكشف للقراء عن تجاوزات السلطة في عدم اعترافها بنتيجة الانتخابات البرلمانية واستخدامها للقوة والتلويح به سواء في فترتي الانتخابات البرلمانية أو الرئاسية، والتحذير من أن حوادث العنف السياسي سيكون لها انعكاسات خطيرة على الاستقرار السياسي في البلاد مما عرضها لمصادمات سياسية حادة وصلت إلى مواجهات عسكرية في أكثر من مرة، حيث علل القائمون بالاتصال في صحيفة فبراير عدم تناولهم لمفهوم العنف السياسي بسبب سعي السلطة لحفظ الاستقرار في داخل البلاد، ونشر الصحف لأخبار العنف السياسي سواء على مستوى الأحزاب أو على مستوى الأفراد سيزيد من إشعال الاضطرابات خصوصًا لو طرحت السلطة اتهامات لأحزاب سياسية أو شخصيات تعتقد أنها السبب في إثارة حوادث العنف السياسي في البلاد. انقسم القائمون بالاتصال في تحديد مصدر العنف السياسي في معالجتهم فبينما أوضح 80 % من العينة في صحيفتي فسانيا وبرنيق أن المجلس الرئاسي وبعض الاحزاب السياسية هما المسؤولان عن أحداث العنف السياسي في البلاد، رأى 20 %

من القائمين بالاتصال في صحيفة فبراير أن قيادة البرلمان والمؤسسة العسكرية التابعة له هما من خطط لمثل تلك الاحداث بهدف زعزعة الاستقرار والسيطرة على مؤسسات الدولة.

المحور الثاني: رؤية القائم بالاتصال حول أهم المصادر التي اعتمدت عليها الصحف الليبية في مادتي الخبر والرأي في معالجات مفاهيم الثقافة السياسية:

جدول رقم (8) يوضح اعتماد القائمين بالاتصال على المصادر :

رؤية القائم بالاتصال المصادر	اعتماد القائمين بالاتصال على المصادر	
	ك	%
الاعتماد على المصادر الرسمية	3	12.50
الاعتماد على المصادر غير الرسمية	7	29.17
الجمع بين المصادر الرسمية وغير الرسمية	14	58.33
الإجمالي	24	100

يتضح من الجدول السابق أن 58.33 % فقط من أفراد العينة يعتمدون على الجمع بين المصادر الرسمية وغير الرسمية اعتمادًا كاملاً في طرح وصياغة الخبر السياسي كما في صحيفة فبراير، وأوضح 29.17 % أنهم لا يعتمدون على المصادر الرسمية في رصدهم ومعالجتهم للخبر السياسي كونها تنقل رؤية من جانب واحد تمثل رؤية المجلس الرئاسي وقيادته السياسية، بينما أوضح 12.50 % أنهم يفضلون الاعتماد على المصدر الرسمي في رصد الخبر السياسي المحلي بحيث يكون هدفهم الأول هو طرح الحقائق بعيدًا عن الانحياز السياسي لطرف دون طرف آخر.

جدول رقم (9) يوضح مدى تقيد القائمين بالاتصال الضغوط المفروضة عليهم من المصادر

رؤية القائم بالاتصال	تقيد القائمين بالاتصال بالضغوط المفروضة من المصادر					
الضغوط	يتقيد		لا يتقيد		الإجمالي	
	ك	%	ك	%	ك	%
ضغوط مفروضة من المصادر الرسمية	19	79.16	5	20.84	24	100
ضغوط مفروضة من المصادر غير الرسمية	9	37.50	15	62.50	24	100

يتضح من الجدول السابق أن أغلب أفراد العينة يواجهون ضغوطا من المصادر الرسمية ذات التأثير المباشر في الأحداث السياسية المحلية، وتتدرج هذه الضغوط بدءًا من قيادة المجلس الأعلى للدولة وأعضائه إلى رؤساء الوزارات ً، فقد أوضح 79.16 % من القائمين بالاتصال في صحيفتي فسانيا وبرنيق أنهم ينصاعون أحيانًا لبعض هذه الضغوط الرسمية من أجل الحفاظ على استمرارية صدور الصحيفة وعدم تعرضها للإيقاف من قبل السلطة خصوصًا أنه في حالات مماثلة تم بالفعل إيقاف بعض الصحف بدون حق قانوني أو أمر قضائي، وأيضًا الحاجة إلى الحفاظ على علاقات ودية مع السلطة لتحقيق مكاسب أو مصالح سياسية.

أما 20.84 % من القائمين بالاتصال الممثلين معظمهم لأحزاب سياسية صرحوا أنهم لا يتقيدون بتلك الضغوط في معالجتهم الخبرية أو في اختيارهم لمقالات الرأي التي يتم طرحها في الصحيفة،

المحور الثالث: تقييم القائم بالاتصال لدور السياسة التحريرية في الصحيفة في معالج مفاهيم الثقافة السياسية.

جدول رقم (10) يوضح مدى تأثير السياسة التحريرية في الصحيفة على القائم بالاتصال في معالجته لمفاهيم الثقافة السياسية :

رؤية القائم بالاتصال السياسة التحريرية	تقييم القائمين بالاتصال لدور السياسة التحريرية	
	ك	%
السياسة التحريرية لعبت دوراً أساسيا في تناول القائم بالاتصال لمفاهيم الثقافة السياسية	21	87.50
السياسة التحريرية لم تلعب دور أساسيا في تناول القائم بالاتصال لمفاهيم الثقافة السياسية	3	12.50
الإجمالي	**24**	**100**

يتضح من الجدول السابق أن 87.50 % من القائمين بالاتصال رأوا أن السياسة التحريرية للصحيفة لعبت دورًا رئيسًا في وضع العديد من القيود على الكتاب في إطار معالجتهم لمفاهيم السياسية المطروحة ، بينما رأى 12.50 % من القائمين بالاتصال أن السياسية التحريرية لم تلعب دورا في معالجتهم الصحافية، حيث أجمعت القيادات التحريرية بأنها مسؤولية مباشرة أمام صانع القرار السياسي الذى يمثل السلطة في صحيفة فبراير، وفي إطار صحيفة فسانيا، والتي يمثل صاحب الصحيفة في إطار صحيفة برنيق المستقلة فأكدت أن سياسة الصحيفة تتأثر بشكل مباشر بالأحداث السياسية الجارية في البلاد والتي يتم التغيير في سياستها وفقا لنوع الحدث السياسي ونتائجه فقد أوضحت القيادات التحريرية في صحيفة فبراير أن معالجتهم الخبرية لمفاهيم الثقافة السياسية اختلفت من حالة إلى حالة أخرى تبعا لاختلاف الوضع السياسي في البلاد.

المحور الرابع: تصور القائم بالاتصال للجمهور الذي يخاطبه في إطار معالجته لمفاهيم الثقافة السياسية:

جدول رقم (11) يوضح الجمهور الذى يتوجه إليه القائم بالاتصال

رؤية القائم بالاتصال الجمهور	الجمهور الذى يتوجه إليه القائم بالاتصال	
	ك	%
الجمهور العام	16	66.66
جمهور النخبة	8	33.34
الإجمالي	24	100

يتضح من الجدول السابق أن 66.66 % من القائمين بالاتصال في صحف الدراسة غالبًا ما يستهدفون في معالجتهم لمفاهيم الثقافة السياسية الجمهور العام بجميع قطاعاته، لذا توجه صحفهم خطابها السياسي للقارئ العادي، بينما أوضح 33.345% من القائمين بالاتصال أنهم يتوجهون بأغلب معالجتهم إلى جمهور النخبة، ويتضح ذلك كما يلى:

1- في نطاق صحيفة فبراير فقد أوضح القائم بالاتصال أن خطابه كان موجها إلى الجمهور العام بينما أوضح القائمون بالاتصال في صحيفة فسانيا لناحية علاقتهم بالجمهور القارئ أن الخطاب السياسي موجه للقارئ العادي والعام على حد سواء .

2- أوضح القائم بالاتصال في صحيفة برنيق أنه يسعى لمخاطبة القارئ العادي حتى يحقق هدف الصحيفة الأساسي في تحقيق أكبر توزيع للصحيفة في سعيها لتكون صحيفة متميزة وبالتالي تحقيق الربح الذي يضمن استمراريتها، وإن كان تركيز برنيق هو على القارئ العادي في المحافظات الشرقية كون اهتمامها الأول هو قضايا الشرق الليبي بالاتصال في صحف الدراسة.

المحور الخامس :الدور الذى تلعبه المتغيرات الخارجية في التأثير على معالجات القائم بالاتصال لمفاهيم الثقافة السياسية في صحف الدراسة.

جدول رقم (12) يوضح رؤية القائم بالاتصال حول المتغيرات السياسية التي لعبت دور رئيسي في معالجاته لمفاهيم الثقافة السياسية

رؤية القائم بالاتصال / المتغيرات السياسية	رؤية القائم بالاتصال حول المتغيرات السياسية التي لعبت دورا رئيسيا في معالجاته لمفاهيم الثقافة السياسية				
	لعبت دورا		لم تلعب دورا		النسبة الإجمالية
	ك	%	ك	%	
قيام الثورة الليبية 2011	18	75	6	25	100
انتخاب البرلمان الليبي عام 2014	20	83.34	4	16.66	100
الاغتيالات السياسية	22	91.67	2	8.33	100
الصراعات الأهلية السياسية التي شهدتها البلاد	13	54.16	11	45.84	100

أجمع القائمون بالاتصال في صحف الدراسة على تقسيم المتغيرات الخارجية التي لعبت دوراً في التأثير بشكل مباشر وغير مباشر على معالجاتهم لمفاهيم الثقافة السياسية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: (المتغيرات السياسية- المتغيرات الاجتماعية- المتغيرات القانونية). وقد قسمها القائم بالاتصال في صحف الدراسة إلى عدد من الأحداث السياسية التي رأى أنها لعبت دوراً في التأثير على معالجات مفاهيم الثقافة السياسية، ومن أهم القضايا السياسية التي رأى القائم بالاتصال أنها أثرت بشكل مباشر و غير مباشر على معالجاته لمفاهيم الثقافة السياسية:

أ- أوضح القائمون بالاتصال أن **قيام الثورة الليبية** وعواقبها كشفت المواقف السياسية الحقيقية للعديد من القائمين بالاتصال، حيث بدأت معالجتهم تنطلق من انتمائهم السياسي وأحيانًا من انتمائهم الجهوي (للمنطقة الشرقية أو للمنطقة الغربية) مما أدى إلى التحول في معالجتهم للعديد من المفاهيم السياسية.

ب- انتخاب البرلمان الليبي: أجمع 83.34 % من القائمون بالاتصال في صحف الدراسة على أن انتهاء عمر ولاية المؤتمر الوطني العام السياسي بعد انتخاب البرلمان الليبي ورفضه تسليم السلطة للبرلمان 2014 أثر تأثيرًا مباشرًا على معالجات

مفاهيم الثقافة السياسية، بينما أوضح 16.66 % من القائمين بالاتصال أن هذا الحدث لم يكن مؤثراً على معالجاتهم الصحافية.

ج- حوادث الاغتيالات السياسية: أوضح 91.67 % من القائمين بالاتصال في صحف الدراسة أن الاغتيالات السياسية وما تبعها من أعمال العنف كان لها تأثير واضح على معالجات القائم بالاتصال في صحف الدراسة خاصة بعد الثورة الليبية، وأوضح 8.33 % من القائمين بالاتصال أن هذه الحوادث لم تكن مؤثرة على معالجاتهم الصحافية

د- الصراعات الاهلية السياسية : أكد 54.16 % من القائمين بالاتصال في صحف الدراسة أن الصراعات السياسية ما بين السلطة والمعارضة قد لعبت دوراً مهماً في التأثير على معالجاتهم لمفاهيم الثقافة السياسية خلال فترة الصراع .

النتائج العامة

1- أوضح القائمون بالاتصال في صحف الدراسة أن الاختلاف في معالجة القضايا الوطنية بين القائمين بالاتصال في الصحف الرسمية والاهلية والمستقلة ليس كبيرا، حيث إن الأفكار مشتركة وإنما الاختلاف كان في أسلوب المعالجة. مثال على تلك القضايا: قضية الوحدة الوطنية- حدث الحوار الوطني الليبي الذي مثل الحل الرئيسي للأزمة السياسية- لجنة الحوار الوطني 75، حيث اجتمعت حول تلك القضايا أفكار مشتركة أهمها الحرص على المصلحة العامة- حماية البلاد من الانقسام والتفكك- تثبيت دعائم النظام السياسي الجديد... إلخ، ولكن أسلوب المعالجة اختلف، حيث ركزت بعض الصحف على عرض جانب واحد يمثل «الرؤية السلطوية أو الرؤية المعارضة» والبعض الآخر اهتم بطرح الحقائق للقارئ وترك له حرية الحكم عليها بالاستناد إلى أساليب عقلانية كما هو الحال في صحيفة برنيق المستقلة.

2- أكد القائمون بالاتصال أن صحف الدراسة مجتمعة قد اتفقت في أحيان كثيرة في معالجاتها حول بعض المفاهيم السياسية.

3- أجمعت القيادات التحريرية لصحيفتي برنيق و فسانيا أنهما تهدف على المدى الطويل إلى كسر الطابع الشبه رسمي لصحيفتها وتحويلها إلى صحيفة ذات طابع مهني حتى تحظى بانتشار أكبر بين الجمهور وتتخطى دائرة السلطة إلى دائرة الجمهور العريض.

4- أجمعت القيادات التحريرية في صحيفة فبراير على أن صحيفتهم في أوقات

الأزمات السياسية تتحول إلى صحيفة مستقلة خالصة تدافع عن الحقوق والواجبات، وتلتزم بقرارات القيادة التحريرية في تحرير الصحيفة وإخراجها وتمثل القيادات التحريرية في حراسة البوابة ويتحمل رئيس التحرير المسؤولية كاملة عن الصحيفة حتى تنتهى الأزمة السياسية.

5- أجمع القائمون بالاتصال من الكتاب من خارج الصحيفة على أن السياسة التحريرية للصحيفة تلعب دورا رئيسيا في تقييد معالجات الكتاب لمفاهيم الثقافة السياسية، لذا يضع الكاتب في اعتباره عند كتابة مقاله نوع الصحيفة التي سيطرح فيها مقاله إذا ما كانت رسمية أم أهلية أم مستقلة، وفئة الجمهور الذى سيتوجه إليه بالخطاب السياسي.

التوصيات

1 – يجب على الصحافة الليبية أن تعمل على تنويع مصادرها الخبرية فلا تعتمد فقط على المصادر الرسمية التي تمدها بها السلطة حول الأوضاع السياسية داخل البلاد وذلك حتى تستطيع نقل رؤية شاملة للقارئ للظروف السياسية التي تمر بها البلاد.

2 – يجب على الصحافة الليبية أن تسعى إلى التأثير في الثقافة السياسية لدى الجمهور، فلا تكتفي فقط بتعزيز القيم السياسية التقليدية التي تتبناها السلطة وإنما يجب أن تعمل على التأثير على معارف الجمهور واتجاهاته السياسية وسلوكه السياسي من خلال طرح قيم سياسية جديدة تدعم العمل السياسي الديمقراطي الجديد في ليبيا وتهدف إلى التغيير السياسي السلمى لممارسة سياسية.

3 – يجب على الصحف الرسمية أن تفتح المجال لكتاب الرأي من كل الانتماءات السياسية المختلفة لأن ذلك من شأنه أن يوسع قاعدتها الجماهيرية ويثري تحليلاتها السياسية برؤى سياسية مختلفة ومتنوعة تخاطب الجمهور العادي وبشكل يومي.

4 – يجب على الصحف المستقلة أن تولى أهمية كبيرة بتنمية الجوانب السلوكية لدى القارئ من خلال دفعه إلى اتخاذ موقف سياسي أو تبني سلوك سياسي تجاه الأحداث السياسية المختلفة بهدف خلق مواطن إيجابي لا مواطن سلبي يتبع خط السلطة دون أن تتوفر لديه رؤية سياسية خاصة به.

5 – يجب على معالجات الرأي في الصحف الأهلية أن توجه اهتماما أكبر بتقديم الحلول أو وضع خطط عملية مستقبلية في نطاق معالجتها لمفاهيم الثقافة السياسية

في إطار الأحداث والازمات السياسية المختلفة التي تواجه البلاد.

المراجع

1- حنان يوسف، الإعلام والسياسة: مقاربة ارتباطية، دار أطلس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019، ص 31.

2-يحي ابراهيم المدهون، دور الصحافة الأردنية في التنمية السياسية، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، 2019.

3- وليد عبد الفتاح النجار، دور الثقافة السياسية للنخبة المصرية في العلاقات المصرية السودانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة،معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2018 .

4- محمد النعيمات:« دور الصحافة الأردنية في التنمية السياسية»، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب،قسم الاعلام جامعة الشرق الاوسط، عمان،2010 .

5- مفتاح محمد أجعية: «دور الصحافة الليبية في إمداد الشباب الجامعي بالمعلومات حول القضايا السياسية»، رسالة دكتوره غير منشوره،كلية الاعلام، جامعة القاهرة، 2009.

6-القاضى أمجد، نجادات علي : «موضوعات التنمية السياسية في الصحافة الاردنية اليومية : دراسة تحليلية «مجلة أبحاث اليرموك،المجلد 22، العدد الثاني،2016، الاردن.

7- هيفاء أحمد ربيع، دور الصحافة اليمنية في التنمية السياسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام،2014.

8- Yu .Dal Seun: ''The Roleof Political Culture in Iranian'',un-published PHD , Tehran university , 2013.

9-Birmele.Jutta, ''The masscirculation press and the crisis of legitimation in Wilhelmine Germany1980-2005'',unpublished PHD,Claremont Graduate School,2012.

10- Heisy.D.R .Cultural in fluenes in political communication ,Gonzalez, A.and Tanno D.v eds.politics communication and cultuer.CA,Sage publications, 2018.

11- أسماء حسين حافظ ،«القائم بالاتصال في الصحافة الاقليمية» ،المجلة المصرية للبحوث والاعلام، العدد العشر يناير /مارس 2020، ص191.

12- المرجع نفسه، ص201 .

13- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، المكتب الجامعي الحديث،القاهرة، 2018، ص73

14- علي حسن جمعة، القائم بالاتصال في البرامج الحوارية أثناء الأزمات، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام، 2018، ص83.

15- بسيوني ابراهيم حمادة، دراسات في الاعلام وتكنولوجيا الاتصال، عالم الكتب من القاهرة،2018، ص117.

16- المرجع نفسه، ص126.

17- محمد علي العقاري، نظريات الاتصال، دار الارقم للنشر والتوزيع، الرياض، 2018،ص149.

18-عبد العزيز بركات، مناهج البحث الاعلامي، دار الكتاب الحديث القاهرة، 2012، ص 89.

19-عبد الهادى الجوهري، علم الاجتماع السياسي: مفاهيم وقضايا، المكتبة الجامعية، الاسكندرية،2012، ص154،153،152.

20- عوض ابراهيم عوض، مدخل إلى الاعلام، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018، ص108.

21- علي أمين محمد، دراسات في التنمية السياسية، دار رابح للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص23.

(*) أسماء الاساتذة المحكمين الذين عرضت عليهم الاستمارة مرتبة وفقا للترتيب الدرجة العلمية.

أ- د/ النور دفع الله، أستاذ الصحافة والاعلام، بكلية الاعلام جامعة الخرطوم.

أ- د/ سامي النجار، أستاذ الصحافة والاعلام ورئيس قسم الاعلام، كلية الآداب جامعة المنصورة.

أ- د/ خميس اطبيقة، أستاذ العلوم ا السياسية، كلية الآداب، جامعة سبها.

د/ أحمد عمر جبريل، أستاذ الاعلام والاذاعة بقسم الاعلام كلية الآداب جامعة سبها.

د/ مسعود ميجنة امحمد، أستاذ الاعلام والاذاعة بقسم الاعلام كلية الآداب جامعة سبها.

أبحاث باللغات الأجنبية

أبحاث باللغة الفرنسية:

1- Evaluation authentique et apprentissage numérique: Quels enjeux ? Quels défis ?

Préparé par:

1 - Rana Bakhit
Doyenne et maître de conf.- Faculté de pédagogie, Université Al Jinan.
Maître de conf. à la fac. de pédagogie, Université Libanaise.
Rana.bakhit@jinan.edu.lb

2 -Tarek Salim Al-Majanini
Etudiant à l'université Al Jinan, enseignant de langue française, formateur et examinateur DELF à l'institut français.
Tarek.almajanini92@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/8 **تاريخ القبول: 2022/1/5**

خلاصة البحث:

مع اعتماد التعليم والتقييم عن بعد في لبنان في ظلِّ جائحة كورونا، اتضح أنَّ أدوات التقييم التقليدية (امتحان، تسميع خطي أو شفهي...) غير كافية لقياس مدى اكتساب المتعلم للأهداف والكفايات في مادة اللغة الفرنسية. من هذا المنطلق كان من الضروري اعتماد التقويم الرقمي الأصيل الذي يقوم على حل وضعية-مشكلة تتطلب من المتعلم توظيف مهارات حياتية ومعرفية وحركية. وفي إطار بحثنا سنقوم بوضع هذا النوع الجديد من التقويم حيِّز التنفيذ من خلال دمج تقنية السيناريو البيداغوجي مع أدوات الويب 2.0. يتطلب هذا الأخير من المتعلم كتابة أو تحقيق مهمة. بمعنى آخر، وضعية معقدة تمكن المتعلم من توظيف المعارف، المهارات و السلوكيات لحل مشكلة مرتبطة بالحياة اليومية.

Résumé:

L'adoption de l'enseignement en ligne, suite à l'avènement du Covid-19, a soumis le processus d'évaluation dans les écoles libanaises à de nombreux obstacles : problèmes de connexion, d'électricité…ect. Ainsi, les techniques d'évaluation classique (tests, examens…) se sont révélées insuffisantes pour évaluer

d'une manière fiable les acquis des apprenants. C'est pour cette raison que nous trouvons nécessaire d'opter pour un modèle d'évaluation en ligne plus élaboré et authentique en adéquation avec la nouvelle distanciation enseignant/apprenant. En effet, le scénario pédagogique, intégrant les technologies du web 2.0, permet de mettre en œuvre un dispositif d'évaluation authentique numérique. Ce dernier exige de la part de l'apprenant une production ou la réalisation d'une tâche. Autrement dit, une situation complexe où l'apprenant mobilise des savoirs, savoir-faire et savoir-être pour résoudre un problème en étroit lien avec la vie quotidienne.

Mots-clés : enseignement-apprentissage en ligne, évaluation authentique numérique (EAN), tâche, scénario pédagogique (SP), technologies du web 2.0.

Introduction

Les crises sanitaire et économique, depuis 2019, ont engagé les écoles libanaises dans un processus de réflexion et d'exploration de nouveaux modèles d'évaluation. En effet, la politique du confinement adoptée par l'Etat et la mise en place de l'enseignement en ligne ont soumis le processus d'évaluation à de nombreux obstacles : la mauvaise qualité de la connexion internet, la coupure du courant électrique…etc. Ainsi, avec cette nouvelle distanciation physique enseignant/apprenant, les techniques d'évaluation classiques (tests, examens), en fonction d'un échantillon de contenus et d'objectifs opérationnels, se sont montrées inefficaces pour évaluer les acquis des apprenants. Par suite, nous trouvons indispensable le recours à un modèle d'évaluation plus élaboré, en classe de FLE, ayant pour but le

développement de l'autonomie et de la créativité de l'apprenant. Quel type d'évaluation numérique permet-il d'atteindre cet objectif ?

Comme le « e-learning » abandonne les technologies du web 1.0 en faveur de celles du web 2.0, l'évaluation évolue d'une simple validation des acquis à un processus positif et authentique en relation avec le vécu de l'apprenant. Un parallèle s'établit alors entre le développement du web 2.0 - aussi nommé web participatif - qui permet de collaborer, de co-construire des sites et d'interagir et l'émergence d'une évaluation numérique authentique mettant en avant le co-agir et concevant l'apprenant comme un **acteur** social.

La problématique :

Le fait d'intégrer les technologies du web 2.0 dans le processus de l'évaluation authentique numérique déploie devant nous les questions suivantes : Comment les technologies du web 2.0 permettent-elles de transformer le processus d'évaluation numérique d'une simple mesure ou notation en un vrai agir social/communicatif ? Quel est l'apport positif de l'adoption de l'évaluation authentique numérique en classe de FLE? Quelles difficultés peuvent entraver la réalisation d'un dispositif d'EAN ? Comment y remédier ?

Les objectifs et hypothèses de la recherche :

Pour trouver certains éléments de réponses à ces questions, nous avons essayé de concevoir un parcours d'EAN, intégrant les technologies du web 2.0, destiné aux apprenants de la 1ère année secondaire. La réalisation de ce dispositif, par l'intermédiaire

d’un scénario pédagogique, nous permettra d’une part de vérifier si le recours à ce nouveau type d’évaluation numérique aura des répercussions positives sur les résultats des apprenants ; et d’autre part de découvrir les obstacles qui pourraient entraver son exécution en classe de FLE.

Suite à l’étude des deux thèmes ‘’Femme et Médias’’, les apprenants sont censés exécuter un SP en ligne intitulé ‘’Interviewer une célébrité du cinéma libanais’’ en utilisant les outils du web 2.0 : wiki, blog, forum de discussion, courriels…ect. Dans notre présent article, nous examinerons si le fait d’utiliser ces supports variés, simultanément dans un même dispositif, permettra à l’enseignant d’adapter l’évaluation aux besoins des apprenants.

Ajoutons le fait que notre travail remédie à certaines lacunes et défaillances dans le manuel de la 1ère année secondaire. Lors de ce scénario, la compétence interculturelle sera traitée quand les apprenants feront la connaissance du Festival de Cannes et de la célébrité ‘’Nadine Labaki’’, une réalisatrice libanaise engagée. Ce type d’activités est bien négligé dans les manuels de langue française au Liban. Ils seront initiés également à la technique de préparation d’une interview comme compétence transversale.

La méthode de la recherche :

Pour pouvoir vérifier les hypothèses de notre recherche, nous avons utilisé la méthode de « l’expérimentation » qui nous donne la possibilité de comparer les résultats des apprenants de la classe de seconde avant d’appliquer de dispositif d’EAN à ceux obtenus après sa mise en place. L’expérimentation de ce dispositif a eu

lieu au lycée officiel de Bakhoun dans trois sections de la première année secondaire en collaboration avec trois enseignantes de langue française. La section « A » a été considérée « classe-témoin » (l'enseignante a continué à évaluer les acquis des apprenants par le biais des tests de CE et de PE traditionnels). Pour les deux sections « B et C », nous avons demandé aux enseignantes d'adopter notre dispositif pour évaluer les acquis des apprenants suite à l'étude des deux thèmes « Femme et Médias ».

Les étapes de travail :

Nous définissons dans une première partie (théorique) les concepts clés de notre recherche : l'évaluation authentique numérique, la notion de la tâche, le scénario pédagogique en ligne, et les technologies du web 2.0. Dans une deuxième partie pratique, nous étudierons les principales étapes de la mise en œuvre du scénario pédagogique en ligne. Enfin, nous nous attarderons sur les apports positifs des technologies du web 2.0 et les difficultés résultant de leur adoption dans le processus de l'évaluation authentique ; sans oublier de proposer quelques recommandations visant une meilleure intégration de ce nouveau type d'évaluation dans l'enseignement en ligne.

1. Définition des concepts-clés

1.1. Evaluation classique vs Evaluation authentique : opposition ou complémentarité ?

L'évaluation classique mesure, d'une manière le plus souvent décontextualisée, l'acquisition d'un savoir par la restitution ou la reproduction de celui-ci.

Bien au contraire, « l'évaluation authentique sert plutôt à

vérifier la capacité de résoudre des situations complexes en réinvestissant des connaissances ultérieures » (Gulikers et al., 2004). Gulikers insiste dans cette citation sur la nécessité d'évaluer les acquis des apprenants à travers des situations-problèmes contextualisées « en leur proposant des tâches liées à la réalité quotidienne ou professionnelle » (Frey et al., 2012). La résolution de ces situations se fait grâce au réinvestissement des connaissances acquises dans une nouvelle situation dans le but d'éviter tant que possible l'évaluation du « par cœur » comme le voit Murphy : « l'apprenant est invité à réaliser une performance qui montre sa capacité à appliquer ses connaissances et ses habiletés à de nouvelles situations d'apprentissage » (Murphy et al., 2017). Pour réussir la réalisation d'une performance ou la résolution d'un problème, l'apprenant a besoin d'un feed-back qui lui montre ses points positifs et ses points faibles ; et le guide vers la construction de nouveaux apprentissages. Huba et Freed soulignent clairement l'importance de la rétroaction dans l'EA : « l'évaluation authentique est un processus basé sur un ensemble de normes de performances et de critères spécifiques ayant pour but de fournir un feed-back aux apprenants. Cette rétroaction les aide à développer des compétences et à atteindre les objectifs d'apprentissage » (Huba et Freed, 2000).

Pour arriver à concevoir ''une évaluation authentique numérique'' (EAN), nous proposons de considérer les deux catégories d'évaluation déjà évoquées comme complémentaires au lieu de les opposer de façon absolue. En effet l'évaluation authentique pourrait avoir recours à certains outils de l'évaluation classique : sélection d'une réponse, rappel d'informations…ect. Ainsi, l'EAN

peut être définie comme un parcours en ligne intégrant les TICE et qui exige de la part de l'apprenant une production ou la réalisation d'une tâche (situation complexe) en termes de résolution de problème. C'est à l'apprenant de mobiliser et d'articuler l'ensemble des trois dimensions de connaissances, soit des connaissances déclaratives, procédurales ou conditionnelles, en vue de réaliser une tâche finale. Précisons que les connaissances déclaratives renvoient aux faits, aux concepts, aux idées, aux théories, aux théorèmes, etc. Les connaissances procédurales indiquent comment faire une tâche ou une praxis, il s'agit du savoir-agir. Les connaissances conditionnelles consistent à savoir quand utiliser les deux premières dimensions de connaissances.

1.2. Authenticité de l'évaluation et enseignement/ apprentissage des langues étrangères.

L'apport essentiel des nouvelles approches d'enseignement des langues étrangères est la naissance de ce que nous appelons l'évaluation par les processus (process-oriented) en opposition avec les résultats (product-oriented). Un des apports les plus significatifs de cette process approach est l'enseignement des langues piloté par les tâches (Task-Based Language Learning and Teaching). Dans cette approche, l'évaluation correspond le plus souvent à la réalisation d'une tâche qui doit aboutir à un résultat comme dans la vie réelle.

Animé par le virage actionnel pris par la linguistique, Filliettaz, (2002) met l'aspect praxéologique du langage au centre de l'apprentissage du Français Langue Etrangère (FLE). Ainsi, « chaque tâche réalisée n'est plus seulement au service de la langue mais doit permettre aux apprenants d'agir comme un acteur

social » (Puren, 2014) et ce, de manière adaptée à la situation. Dans le cadre de l'EAN, l'apprenant est invité à achever un parcours en ligne afin de réaliser une tâche (langagière ou non) en relation avec la vie privée, le monde du travail, les études… ect. Cette tâche doit être socio-authentique non seulement parce qu'elle relève du contexte social de l'apprenant, mais également parce qu'elle devrait être réalisée en société, c'est-à-dire avec d'autres. La didactique des langues étrangères accorde aujourd'hui une importance accrue aux objectifs sociaux où l'apprenant est incité à travailler ou étudier en langue étrangère avec d'autres. Il s'agit pour l'apprenant d'être préparé à cela, à travers la pratique de l'interaction sociale elle-même (Puren, 2002). Cette pensée de Puren, nous permettra de distinguer l'authenticité interactionnelle (interagir avec autrui, apprenant acteur social…) de l'authenticité situationnelle (activité ou situation de la vie quotidienne, du domaine professionnel…). Nous trouvons que ces deux types d'authenticité sont souhaitables dans une tâche pour que l'apprenant puisse adapter les actes de paroles et les éléments de la linguistique fonctionnelle à la situation de communication demandée. Par ailleurs, en vue d'initier les apprenants à l'utilisation des formes linguistiques en adéquation avec la nature de la micro/macro-tâche, l'enseignant ne doit pas se limiter à la simple simulation[1] d'une situation telle que la

(1) La simulation : « à la différence du jeu de rôle, plutôt destiné à un public de non-natifs et de non-experts, la simulation s'oriente vers la vie professionnelle. C'est un dispositif structuré simple ou complexe, construit par un formateur, dont la fonction est de reproduire, une situation ou un ensemble structuré de situations semblable à celle que devra affronter un apprenant après sa formation » (Proust & Posse, 1991).

La simulation globale : « une simulation globale est un protocole ou un scenario cadre qui permet à un groupe d'apprenants pouvant aller jusqu'à une classe entière d'une trentaine d'élèves, de créer un univers de référence, de l'animer de personnages en interaction et d'y simuler toutes les fonctions du langage que ce cadre, qui est à la fois un lieu-thème et

proposent la méthode SGAV et l'approche communicative.

1.3. Le scénario pédagogique : moyen pour mettre en œuvre l'EAN.

Pour pouvoir mettre en place un dispositif d'EAN en classe de seconde, nous avons opté pour la création d'un scénario pédagogique en ligne et qui permet aux apprenants de réaliser des tâches authentiques aux niveaux communicatif et social.

Issu du domaine du théâtre et de l'audio-visuel, le mot scénario représente le canevas d'une pièce de théâtre ou la représentation détaillée des différentes scènes d'un film. En didactique des langues étrangères, le terme de « scénario pédagogique » désigne la conception d'un cours, d'une séquence pédagogique ou d'une intervention didactique par le découpage des savoirs en unités, reliées ensuite pour pouvoir faire sens (Henri et al., 2007). Il s'agit du déroulement programmé d'un projet pédagogique tout en décrivant le thème, les objectifs visés, le public ciblé, les activités, les ressources, l'évaluation…ect.

Dans le cadre de notre article ayant pour thème « L'évaluation authentique numérique », nous nous intéresserons au scénario pédagogique en lien avec les Technologies de l'Information et de la Communication dans l'Enseignement (TICE), comme par exemple dans cette définition donnée par Bibeau (2000): «Un scénario pédagogique présente une démarche visant l'atteinte d'objectifs pédagogiques et l'acquisition de compétences générales ou spécifiques reliées à un ou plusieurs domaines de vie selon les modalités et les spécifications des nouveaux programmes d'études. Le scénario donne lieu à un projet, une

---

un univers du discours, est susceptible de requérir » (Debyser, 1996).

activité particulière d'apprentissage, dont la réalisation fait appel aux ressources de l'Internet et peut-être aussi de l'imprimé, de la radio sur le net, de la télévision en ligne ou du multimédia ».

L'intégration des TICE en préparant le scénario le transforme d'une démarche en un parcours d'autoformation où l'apprenant à partir de la fiche de description du scénario peut identifier les objectifs et les compétences visés, les activités, les ressources, la modalité de travail et d'évaluation…ect. Cette scénarisation se développe tout particulièrement avec l'apprentissage en ligne où l'apprenant est plus invité que jamais à construire son apprentissage, à s'autoévaluer et à s'autocorriger : «Il s'agit de préparer, concevoir et développer un produit d'apprentissage multimédia interactif en se préoccupant à la fois des contenus, des acteurs et du processus. L'idée est de rendre l'apprentissage à distance vivant » (Jaudeau, 2003).

2. La conception d'un dispositif d'EAN/SP.

La façon dont nous avons envisagé notre dispositif d'évaluation est liée à l'avancée des recherches en didactique des langues. Nous détaillerons dans la partie suivante, les principes essentiels que nous avons respectés lors de la conception.

2.1. Analyse des besoins des apprenants et création d'un référentiel de compétences

Avant d'identifier une situation-problème particulière, la première étape nécessaire à la création d'un SP consiste à analyser les besoins langagiers de l'apprenant (Gohard-Radenkovic, 2004). Chaque situation problème à l'origine d'un scénario pédagogique est nécessairement une situation susceptible d'être rencontrée par les apprenants. Par exemple, Il est inutile d'apprendre aux

apprenants de la classe de seconde, qui veulent interviewer une célébrité du cinéma libanais, les caractéristiques d'une description insérée dans une narration.

De ce fait, il faut premièrement identifier toutes les situations de communication auxquelles les apprenants seraient possiblement confrontés (Munby, 1978). Pour chaque situation, nous essayons dans la mesure du possible de travailler les quatre compétences langagières nécessaires pour y participer (André, 2009) : expression orale, expression écrite, compréhension orale, compréhension écrite. Autrement dit, pour que l'apprenant puisse participer à une situation ou à la résolution d'un problème, des compétences linguistiques, sociolinguistiques, pragmatiques et culturelles doivent être sollicitées. Voici cet exemple de situation illustrant cette démarche :

Pour « interviewer une célébrité du cinéma libanais » (tâche finale de notre SP), toutes les compétences langagières devraient être mobilisées :

CE : compréhension des biographies, articles de pages web et d'interviews.

CO : compréhension des documents audiovisuels (entretien avec Jacques Rivette).

PO : jeu de rôle (interview).

PE : rédaction des articles, compte-rendu de l'interview.

Dans notre SP, les quatre compétences de communication sont traitées séparément. Selon Carton (1995), cette séparation est fondamentale dans la démarche du SP parce que chaque compétence a ses spécificités et exige un travail particulier.

2.2. Le recours aux documents Authentiques et contextualisation des apprentissages :

Le principe de la démarche du scénario pédagogique réside dans l'analyse de situations de communication réelles. Afin de mettre en place le référentiel de compétences langagières du scénario, nous devons regrouper des documents permettant de travailler un point particulier de la langue. Ces documents peuvent être des courriels, des messages téléphoniques, des journaux télévisés, des photos, des émissions radiophoniques, des chats, des pages web…ect. C'est quoi un document Authentique? « Des documents bruts élaborés par des francophones pour des francophones à des fins de communication. Ce sont donc des énoncés produits dans des situations réelles de communication et non en vue de l'apprentissage d'une langue. Ils appartiennent ainsi à un ensemble très étendu de situations de communication et de messages écrits, oraux et visuels, d'une richesse et d'une variété inouïes» (Cuq et Gruca, 2002). A partir de cette définition, nous constatons que l'enseignant doit trouver dans ces documents les actes de paroles qui sont au service de la tâche finale du scénario et permettant aux apprenants de communiquer efficacement : demander une information, négocier, exprimer un point de vue, raconter…ect. Ces actes de parole ont pour but de rendre l'apprenant un vrai « usager » de la langue. Chaque compétence sociolangagière visée est donc située afin de ne pas être décrochée de son contexte social. Cette hyper-contextualisation des apprentissages est liée à un objectif sous-jacent d'intégration langagière des apprenants.

L'enseignant ne peut pas concevoir un scénario pédagogique

sans utiliser des documents Authentiques à partir desquels il peut travailler les objectifs de communication avec les apprenants. Dans le cadre de notre SP, nous avons eu recours à une multitude de documents Authentiques en ligne à partir desquels les apprenants ont exécuté des micro-tâches : biographies en lignes, interviews sur YouTube, articles numériques sur le Festival de Cannes…ect.

Notons qu'avec l'accès facile à internet, les apprenants eux-mêmes trouvent des documents Authentiques en langue vivante. Ils peuvent aller sur des sites web d'information, s'abonner à des listes de diffusion par courriel, regarder des films, des documentaires…ect.

2.3. L'intégration des outils du web 2.0 dans un scénario pédagogique :

Avec la généralisation d'internet, la structure des cours de langues étrangères a changé. L'enseignement à distance et par la suite l'évaluation se basent fréquemment sur internet. Dans ce contexte-là, l'enseignant est censé proposer aux apprenants des activités d'évaluation via internet de type communicatif. Il peut profiter en élaborant ces activités des outils du web participatif 2.0.

Blog, audioblog, wiki, réseaux sociaux, tag, forum… ce nouveau vocabulaire a envahi notre quotidien et sert à décrire le web 2.0 ; ce concept difficile à définir. Pour arriver à le faire, nous devons prendre en considération les deux facteurs qui ont favorisé sa naissance : le premier lié à l'évolution de la technologie et le deuxième c'est le besoin de l'homme de partager et communiquer. Du point de vue technique, le Web 2.0 est une évolution du web traditionnel grâce aux interfaces enrichies et aux outils techniques

dont le but est de faciliter la navigation et les conditions de travail (Ajax1, Flash 8, Ruby on Rails2…) ; mais du point de vue communication, il correspond aux nouvelles plateformes, nées grâce à ces outils, qui permettent le partage et la diffusion d'information.

En adoptant l'enseignement en ligne, les technologies du web 2.0 aident les enseignants à mieux concevoir des modèles d'évaluation authentique et plus particulièrement des SP. Grâce au Web 2.0, le professeur peut construire son site web en 2 minutes, sans avoir besoin de connaître le langage html (blogs), il peut publier des vidéos (vidéoblogs), des fichiers audio (audioblogs ou podcasts) ou n'importe quel autre type de fichier graphique ou audio-visuel (disques durs virtuels), pour les utiliser en classe. Le web 2.0 offre aux professeurs des plateformes gratuites qui permettent de faciliter l'auto-apprentissage aux apprenants (Moodle, Teams…). Ces derniers sont devenus des acteurs du web en participant à sa construction et à sa structuration : ils publient, commentent et évaluent les contenus en ligne ; ils aident les moteurs de recherches à calculer l'intérêt potentiel d'une page. Ainsi, le dispositif de l'évaluation authentique contenant les technologies de ce web ressemblera à un centre d'autoformation accompagnée en ligne, complété par des activités en petits groupes.

Quelques technologies du web 2.0 intégrées dans notre SP :

Notre SP prévoit des outils de communication tels qu'un chat, un forum et le courriel, une aide à chercher des documents sur internet ainsi qu'une banque de documents texte, audio et vidéo présélectionnés afin que les apprenants puissent utiliser les

ressources proposées. Des liens vers des dictionnaires en ligne leur sont indiqués sur la plate-forme, ainsi que des liens vers des grammaires et des entraînements grammaticaux, lexicaux ou phonétiques spécifiques (disponibles sur le web ou bien conçus pour le dispositif). Ils ont également à leur disposition des fiches méthodologiques pour les différentes tâches proposées, ainsi que pour l'entraînement des compétences d'expression et de compréhension, avec des exercices d'application autocorrectifs.

-Les élèves cherchent des informations sur des pages web sur un sujet donné : la ville de Cannes, une célébrité du cinéma libanais, une autre du cinéma français…ect. Ex : sur le site interactif ''http://www.staragora.com/star/nadine-labaki/question/1''.

A partir de ces recherches, ils réalisent une présentation de la ville, un exposé oral sur la vie de la célébrité, ou bien ils font une interview avec la personne célèbre. Ou alors, pendant des activités courtes, l'activité peut consister en la recherche commune d'informations avec un échange oral simultané pour planifier un voyage avec un budget limité.

-Des aides linguistiques et des exercices autocorrectifs qui développent le savoir-apprendre et l'autonomie des apprenants :

''http://www.lepointdufle.net/interrogation.htm''

''www.larousse.fr/dictionnaires/français''

-Une page de Blog pour poster des articles : la polyvalence chez les metteurs en scène libanais.

-Un wiki où les apprenants rédigent ensemble des interviews, des questions (l'enseignant peut intervenir pour guider les apprenants, corriger une erreur commune…).

-Des vidéos sur Youtube pour travailler les éléments non-

verbaux lors d'une interview : regard, expressions du visage, mouvements…

2.4. Granularisation du scénario pédagogique: des micro-tâches à la macro-tâche.

Après avoir choisi les documents Authentiques et les outils du web 2.0 qui seront adoptés dans le scénario, l'enseignant doit diviser la tâche finale du SP en micro-tâches. Autrement dit, l'apprenant réalisera plusieurs activités, qui agencées ensemble, lui servit de feuille de route pour atteindre la tâche finale.

Le concept de granularisation vient du mot « grain pédagogique qui constitue un contenu granularisé est structuré sous forme d'unités de connaissance ou de compétence à apprendre » (Salzmann et Miget 1999). Chaque unité constitue l'essentiel à connaître d'un concept ou d'un savoir-faire, et elle se suffit à elle-même : on dit qu'un grain est autonome, ce qui ne l'empêche pas d'être facilement relié à d'autres, et il n'est donc pas indépendant. Les grains sont clairement référencés, ce qui facilite leur recombinaison pour d'autres formations ou cours.

Alors, en e-learning, la granularisation du SP est une manière de scénariser la formation et de la découper en plusieurs séquences ou micro-tâches qui réunies aboutissent à la réalisation de la tâche finale. Au cours de la réalisation des micro-tâches, l'enseignant joue le rôle d'un tuteur qui accompagne chaque binôme ou petit groupe d'apprenants. Pour chaque groupe, un forum spécifique est créé. Le tuteur a pour rôle d'établir les groupes, d'expliquer le fonctionnement du dispositif aux apprenants. Il reste ensuite présent lors de la plupart des rencontres synchrones en ligne et suit également les discussions asynchrones, mais n'intervient

dans la mesure du possible pas avant que, pour chaque étape intermédiaire, le groupe ait discuté et se soit mis d'accord pour une proposition commune. Il corrige la réponse qu'a apportée le groupe à la tâche, en donnant un feed-back précis. Notons également que certains apprenants pourraient jouer le rôle du tuteur dans un travail de groupe et aider les membres rencontrant une difficulté.

Notre SP renferme huit micro-tâches qui se déroulent en trois grandes étapes afin d'aider l'apprenant à réaliser la tâche finale :

-1ère étape : en binôme devant l'ordinateur, en présence de l'enseignant ou non. Elaboration d'un budget prévisionnel pour un déplacement à Cannes. Envoi du budget par mail (l'enseignant peut refuser ce premier budget en demandant de faire des économies).

-2ème étape : en petits groupes, devant l'ordinateur, en présence de l'enseignant ou non. Recherche des informations sur le Festival de Cannes et les différents prix, sur le métier du metteur en scène ou réalisateur, sur la réalisatrice libanaise Nadine Labaki, visionnement du film « maintenant on va où ». Création d'une page de blog pour poster un article de plan comparatif traitant des différences entre les réalisateurs français et libanais.

-3ème étape : visionnement d'un entretien avec le réalisateur Jacques Rivette (modèle pour rédiger les questions de l'interview). En binôme, rédaction des interviews avec Nadine Labaki sur un wiki (Intervention de l'enseignant en tant que chef de rédaction pour guider les apprenants). Visionnement d'une interview avec le réalisateur français Claude Chabrol pour identifier les éléments de la communication non verbale. Simulation de l'interview en binôme.

Nous présenterons en annexes également une feuille de route qui aide l'apprenant à réaliser le scénario étape par étape. Elle renferme les consignes adressées aux apprenants. Elles sont formulées clairement et comportent tous les éléments nécessaires pour travailler en autonomie : la modalité de travail, les boîtes à outils, la production prévue…ect.

3. La mise en œuvre du dispositif d'EAN

Afin d'illustrer nos propos et notre démarche, nous allons présenter dans cette partie un exemple concret d'EAN. Celui-ci répond à la tâche suivante: « interviewer une célébrité du cinéma libanais ». Ainsi, la série de micro-tâches proposée amènera l'apprenant à interviewer cette célébrité. Cela signifie qu'il apprendra tout ce dont il a besoin, des points de vue linguistique, pragmatique, interactionnel et situationnel, pour atteindre cet objectif.

3.1. La présentation synthétique du scénario pédagogique :

Cette présentation a pour but de définir certaines notions clés liées à la conception du scénario et elle est destinée aux enseignants qui veulent utiliser ce scénario dans leur cours.

- ☐ Le domaine
- ☐ Le niveau selon le CECR
- ☐ Le public
- ☐ Les objectifs (pragmatiques, sociolinguistiques, linguistiques)
- ☐ Les activités langagières
- ☐ Les supports
- ☐ Aides en ligne
- ☐ La tâche finale
- ☐ Les micro-tâches

☐ Une description succincte
☐ Les productions prévues

Domaine : journalisme, cinéma.

Public : apprenants en classe de seconde/Lycée officiel de Bakhoun.

Niveau : B2

Objectifs :

–Linguistiques : le lexique du cinéma, l'interrogation, l'expression de la comparaison, les connecteurs logiques.

–Pragmatiques : rédiger une interview, simuler une interview.

–Socioculturels : découvrir le Festival de Cannes, Faire la connaissance du réalisateur français Jacques Rivette et de la réalisatrice libanaise Nadine Labaki.

–Interculturel : comparer les fonctions du réalisateur entre la France et le Liban.

–Sociolinguistique : les éléments de la communication non verbale.

Les activités langagières :

–Compréhension écrite des documents en ligne et d'interviews.

–Production écrite : rédiger l'interview et un petit article (plan comparatif).

–Compréhension orale : comprendre un document audiovisuel.

–Production orale : jeu de rôle (interview), exposé oral (présentation d'une recherche)…

Supports :

–Site de la ville de Cannes : http://www.cannes.fr pages « vie pratique », « transport », « plan de la ville »…

–Site officiel du Festival de Cannes : http : //www.festival-cannes.fr

–Sites cinématographiques : http://www.allocine.fr et http://www.cineclubdecaen.com

–Site métiers : http://www.l4m.fr

–Interview avec Jacques Rivette : //www.lesinrocks.com/

–https://www.youtube.com

Moyens de communication : mail, blog, wiki et site interactif (questions/réponses) ‘’http://www.staragora.com/star/nadine-labaki/question/1’’

Aides en ligne :

–www.larousse.fr/dictionnaires/français

–http://www.lepointdufle.net/interrogation.htm

Tâche finale : interviewer une célébrité du cinéma libanais.

Les micro-tâches :

a. Etablir le budget prévisionnel du voyage à Cannes.
b. Découvrir le Festival de Cannes.
c. Découvrir le métier de réalisateur.
d. Faire la connaissance de la réalisatrice ‘’Nadine Labaki’’.
e. Comparer les fonctions du réalisateur entre la France et le Liban.
f. Rédiger l’interview.
g. Simuler l’interview.

Description succincte du SP:

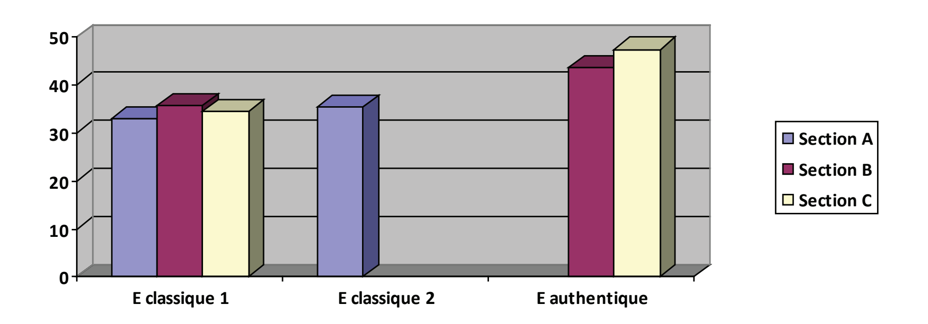
Simulation mettant en scène un journaliste (l’apprenant), un rédacteur en chef (le professeur), une célébrité du cinéma libanais. Les apprenants doivent chercher des informations sur cette personnalité et élaborer une interview.

Les productions prévues : Budget prévisionnel. Article de plan comparatif. Compte rendu de l’interview. Interview orale.

3.2. Les répercussions positives de l'EAN intégrant les outils du web 2.0

La mise en œuvre du SP, intégrant les outils du web 2.0, en classe de seconde dans le cadre des deux thèmes « Femme » et « Médias » pendant deux semaines (10 heures d'apprentissage) a eu certaines répercussions positives observables sur les apprenants :

-Au niveau des résultats (les notes), nous avons remarqué que certains apprenants ont réalisé un bon progrès comme le montre la comparaison de la moyenne générale de chaque section avant l'application du dispositif à celle obtenue après sa mise en œuvre.



Les apprenants de la section A (classe-témoin), où l'enseignante a adopté les techniques de l'évaluation classique au cours des deux semestres, n'ont pas progressé de manière significative : 32,8   35,2. En revanche, les apprenants des sections « B et C» ont réalisé un bon progrès lors de l'exécution du SP par rapport au premier semestre : B 35,7   43,5 / C 34,5   47,3.

L'analyse comparative entre les résultats de l'expérimentation dans les sections « B et C » et ceux de la classe-témoin (section A) permet de conclure sur la validité des hypothèses que nous

avons émises au début de la recherche.

-Le scénario pédagogique en ligne a permis aux enseignants et aux apprenants de surmonter certains problèmes liés à la crise économique du Liban : coupure du courant électrique, mauvaise qualité du réseau internet…ect. Ces problèmes rendent parfois impossible le recours à l'évaluation synchrone. De ce fait, l'évaluation par l'intermédiaire d'un parcours en ligne permet à l'apprenant de travailler en autonomie et au moment qui lui convient. Il effectue son travail quand toutes les conditions sont favorables pour sa réalisation et l'envoie à l'enseignant par mail ou autres technologies du web 2.0.

-Les apprenants ont à leur disposition des ressources humaines (tuteur, pairs), technologiques (web 2.0), et matérielles (documents Authentiques) qu'ils peuvent utiliser pour réaliser les micro-tâches. Ces ressources ont développé l'autonomie des apprenants et leur capacité de faire des choix et de les négocier (surtout la capacité de repérer les idées essentielles contenues dans les documents Authentiques).

-Le processus de guidance dû à la présence d'une personne experte comme le tuteur a favorisé l'interaction sociale pendant l'exécution du SP et a développé le sens de coopération chez certains apprenants.

-L'EAN par le biais du SP a donné un sens aux apprentissages. La résolution des situations-problèmes a permis aux apprenants de tisser des liens entre leurs savoirs et la vie quotidienne. Ils se sont montrés plus motivés et impliqués dans le travail surtout que ce type d'évaluation respecte les différents rythmes, et styles d'apprentissage des apprenants. La variété aux niveaux des

contenus, des supports, des modalités de travail nous a permis de respecter les principes de pédagogie différenciée en évaluant les apprenants.

-Le feedback donné aux apprenants après la réalisation de chaque activité a aidé les apprenants à identifier l'origine de leurs erreurs, à les analyser pour s'autocorriger. Cette façon de traiter l'erreur rend l'évaluation un processus positif considérant l'erreur comme un tremplin pour l'apprentissage et non pas comme preuve d'échec. Ainsi, certains apprenants ont pris confiance en soi, ils ont osé s'exprimer en français bien qu'ils aient commis des erreurs.

3.3. Problèmes associés à l'EAN et recommandations pour mieux l'intégrer en classe de FLE :

Au cours de l'exécution du SP en classe de seconde, nous avons rencontré certains problèmes auxquels nous allons proposer des solutions.

-Le conflit entre le temps nécessaire pour passer une évaluation authentique et la nécessité d'évaluer toute la matière apprise. Une épreuve authentique demande beaucoup de temps et évalue un nombre limité de compétences. Par exemple, si à la fin de chaque thème, l'enseignant réalise un SP, il n'arrivera jamais à achever le programme. Pour cette raison, nous avons décidé de préparer des SP englobant 2 ou 3 thèmes : nature et voyage, femme et médias, violence dans les médias…ect. De cette manière, nous établirons un point d'équilibre entre l'EAN qui nécessite beaucoup de temps et le programme surchargé de la 1ère année secondaire.

-Ce genre d'épreuve peut avoir des conséquences adverses

sur certains apprenants. Ceux-ci peuvent ne pas se sentir à l'aise avec la manipulation d'instruments tout en maîtrisant parfaitement les concepts qu'ils doivent utiliser. Pour cette raison, nous insistons sur l'importance du tuteur au cours d'une EAN dont le rôle est de guider l'apprenant pour dépasser une difficulté ou résoudre un problème sans faire la tâche à sa place.

-Suite à la mise en place du SP dans plusieurs sections de la classe de seconde, nous avons constaté un problème d'écart entre les différents évaluateurs. Donc, il est très important de former les évaluateurs afin que d'une façon générale leur évaluation soit standardisée. Cette évaluation doit se faire à travers l'analyse minutieuse des indicateurs et des critères de réussite dans les grilles d'évaluation des SP.

-L'élaboration de certains SP exige un matériel coûteux qui sera détruit au cours de l'évaluation. Alors, certains établissements scolaires utilisent du matériel moins cher mais de qualité inférieure. La mauvaise qualité des matériaux introduit alors des erreurs de mesure et fausse les résultats finals. Pour surmonter ce problème, nous avons opté pour la conception d'un SP intégrant les technologies du web 2.0. Celles-ci sont dans la plupart des cas gratuites : blog, programmes comme teams, wiki…ect. L'enseignant pourrait même demander à chaque apprenant ou groupe de créer son propre blog, ou sa propre page Facebook.

4. Conclusion :

Le scénario pédagogique tel que nous l'envisageons représente un dispositif d'évaluation authentique et une alternative aux techniques de l'évaluation classique. Cette démarche met l'apprenant au centre de l'enseignement par la prise en compte

directe de ses besoins sociolangagiers. La contextualisation maximale qui est au cœur de la démarche permet d'individualiser les apprentissages en créant des SP modulables jusqu'au choix des documents.

L'EAN par l'intermédiaire du SP a pour base la résolution d'une situation-problème que l'apprenant peut affronter dans sa vie quotidienne. Il est censé réaliser plusieurs micro-tâches pour arriver à résoudre le problème. En visant un objectif du domaine professionnel ou personnel, le SP permet de donner du sens à l'apprentissage qui n'est alors plus déconnecté de la réalité de l'apprenant.

La conception du SP est largement fondée sur l'intégration des technologies du web 2.0 et le recours aux documents Authentiques. L'utilisation de ces différents types de ressources permet la mise en place d'un référentiel de compétences sociolangagières à travailler à travers les différentes étapes du scénario. Les Forums, les chats, les blogs, les wikis transforment l'évaluation d'un simple outil de mesure en un vrai agir social. Autrement dit, l'EAN est perçue par l'apprenant comme étape pour construire de nouveaux apprentissages (langagiers, pragmatiques, sociaux…) et non pas comme un examen à passer.

La mise en œuvre de l'EAN nous a menés à constater que la création d'un scénario pédagogique est un processus qui demande du temps, des ressources et des enseignants/concepteurs bien formés. La difficulté de la conception du SP met en avant la nécessité de créer des espaces de mutualisation des ressources (banque de données) pour faciliter le travail des formateurs et enseignants de FLE.

Toutes les réflexions citées ci-dessus, nous amènent à conclure que le scénario pédagogique bouleverse l'attitude indifférente et quelquefois négative des apprenants du FLE. Par le présent article nous avons essayé de traduire pratiquement les propos de De Ketele (De Ketele et al., 2005) : « Le scénario pédagogique peut occuper le devant de la scène ! »

Finalement, une question importante se pose : l'EAN va-t-elle de pair avec l'approche par compétences récemment adoptée dans les programmes libanais ? Si oui, est-ce facile de convaincre un grand nombre d'enseignants et d'apprenants de passer de l'évaluation traditionnelle (culture du par cœur) à celle de résolution de problèmes ?

Bibliographie

-André, V. (2009). Les compétences langagières des métiers de la propreté: de l'analyse des situations de communication à la formation professionnelle. Bulletin VALS-ASLA, 90, p. 149-165.

-Bibeau, R. (2000). Guide de rédaction et de présentation d'un scénario pédagogique et d'une activité d'apprentissage. Le portail des TIC, http://ntic.org/guider/textes/div/bibscenario.html (consulté le 06/10/2021).

-Carton, F. (1995). L'apprentissage différencié des quatre aptitudes. Verbum, p.63-74.

-Cuq, J.-P., et Gruca, I. (2002). Cours de didactique du français langue étrangère et seconde. Grenoble: PUG.

-De Ketele, J.-M. et Gérard, F.-M. (2005). La validation des épreuves d'évaluation selon l'approche par les compétences. In Mesure et Évaluation en Éducation, vol.28, N°3, p. 1-26.

.Debyser, F. (1996). L'immeuble. Paris: Hachette FLE/CIEP-

-Ellis, R. (2003). Enseignement/apprentissage des langues piloté par la tâche. Oxford University Press.
-Filliettaz, L. (2002). La parole en action. Eléments de pragmatique psycho-sociale, Québec: Nota bene.
-Frey, B., Schmitt, V. et Allen, J. (2012). Defining authentic classroom assessment. Practical Assessment, Research and Evaluation, Vol 17, article 2. https://doi.org/10.7275/sxbs-0829
-Gulikers, J. T., Bastiaens, T. J. et Kirschner, P. A. (2004). A five-dimensional framework for authentic assessment. Educational Technology Research and Development, 52(3), article 67. https://doi.org/10.1007/BF02504676
-Henri, F., Compte, C., et Charlier, B. (2007). La scénarisation pédagogique dans tous ses débats. Revue internationale des technologies en pédagogie universitaire, 4(2), p. 14-24.
-Huba, M. et Freed, J. (2000). Learner-centered assessment on college campuses: Shifting the focus from teaching to learning. Allyn et Bacon.
-Hymes, D. (1972). Models of the interaction of language and social life, dans Gumperz, J., Hymes, D., Directions in sociolinguistics. The Ethnography of Communication, New-York: Holt, Rinehart and Winston, p. 35-71.
-Munby, J. (1978). Communicative syllabus design: A sociolinguistic model for designing the content of purpose-specific language programmes. Cambridge: CUP.
-Murphy, V., Fox, J., Freeman, S. et Hughes, N. (2017). “Keeping it real”: A review of the benefits, challenges, and steps towards implementing authentic assessment. All Ireland Journal of Teaching and Learning in Higher Education, 9(3), 3231-3243.

http://ojs.aishe.org/
Proust, F., & Posse, P. (1991). PRECIS DE JEUX DE ROLE.-.Paris: Editions d'Organisation

-Puren, C. (2014). Approche communicative et perspective actionnelle, deux organismes méthodologiques génétiquement opposés... et complémentaires. Adresse web: http://www.christianpuren.com/mes-travaux-liste-et-liens/2014a/ (consulté le 20.09.2021).

-Rispail, M., et Blanchet, P. (2011). Principes transversaux pour une sociodidactique dite “de terrain”, dans Blanchet, P. et Chardenet, P., Guide pour la recherche en didactique des langues et des cultures. Approches contextualisées, Paris: Archives contemporaines, p. 65-70.

-Salzmann, N. et S. Miget. (1999). PRAXIS – Nouveaux Processus Pédagogiques à l'UTC. CD-ROM produit par le projet Praxis, Université de Technologie de Compiègne.

-Wiggins, G. (2011). A true test: Toward more authentic and equitable assessment. Phi Delta Kappan, 92(7), 81-93. https://doi.org/10.1177/003172171109200721

5. Annexes :

Feuille de route : L'interview

- Vous êtes journaliste dans le quotidien '' L'Orient-le jour'' et vous devez interviewer une célébrité du cinéma libanais : ''Nadine Labaki''.
- L'occasion : son film ''Maintenant on va où'' a reçu le prix ''François-Chalais'' au ''Festival international de Cannes'' 2011.

1. Etablir un budget prévisionnel.

Pour établir un budget prévisionnel détaillé de vos dépenses, allez sur le site de la ville de Cannes : http://www.cannes.fr en particulier sur les pages vie pratique, transports, plan de ville, restaurants. Votre note de frais devra tenir compte des moyens d'acheminement, des transports sur place, de l'hébergement, la restauration, des frais divers.

Transports
Transport sur place
Hébergement
Restauration
Autres frais
Total

- Vous soumettez votre proposition de budget par mail à votre professeur qui joue le rôle de votre rédacteur en chef.

2. Découvrir le ''Festival de Cannes''.

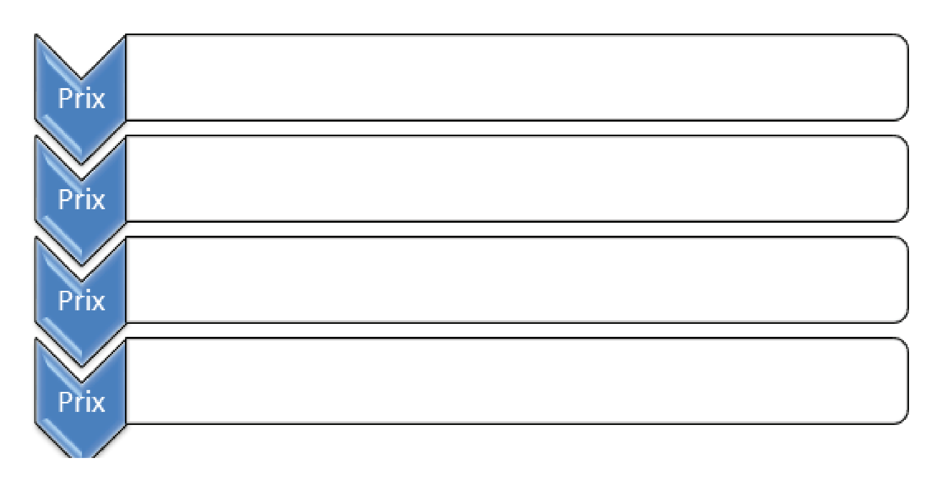
Vous visitez (individuellement) le site officiel du ''Festival de Cannes'' : http : //www.festival-cannes.fr pour répondre aux questions ci-dessous et découvrir tous les secrets de ce festival cinématographique international.

N.B : En cas de difficultés, le site contient un petit moteur de recherche qui facilite l'accès aux informations.

- Vous remplissez le tableau suivant concernant le ''Festival de Cannes''.

Créateur	
Le Président actuel	
Le Directeur général actuel	
Le Délégué artistique actuel	
La raison de creation	
La mission principale	

- Pourquoi le ‘’Festival de Cannes’’ a–t–il acquis une renommée internationale extrêmement rapide ?
- Comment s’effectue la sélection des films au ‘’Festival de Cannes’’ ?
- Que représentent aujourd’hui les ‘’Marches rouges’’ ?
- Comment le ‘’Festival de Cannes’’ favorise–t–il la création cinématographique ?
- Que fait le Festival pour attirer le grand public ?
- Vous classez les prix offerts aux films par le ‘’Festival de Cannes’’ selon leur degré d’importance. Vous n’oubliez pas d’insister sur le prix qu’a reçu ‘’Nadine Labaki’’.



3. Découvrir le métier de réalisateur.

- Vous voulez découvrir le métier du réalisateur ?

Sur les sites : ''http://www.allocine.fr/personne/fichepersonne_gen_cpersonne=2314.html'' et ''http://www.cineclubdecaen.com/realisat/rivette/rivette.htm'', Vous consultez (individuellement) les pages : biographie, filmographie, récompenses et vidéos propres au réalisateur français ''Jacques Rivettes'' pour remplir le tableau ci-dessous.

La fonction principale de Jacques Rivettes	
Ses compétences	
Ses activités	
Ses qualités en tant que réalisateur	
Formation	
Environnement	

- Après avoir rempli le tableau, vous visitez le site ''http://www.l4m.fr/emag/metier/musees-expositions-patrimoine-9/metteur-scene-4746'' pour expliquer si les conditions du métier du réalisateur évoquées dans cette fiche s'appliquent à ''Jacques Rivettes''.

4. Faire la connaissance de la réalisatrice ''Nadine Labaki''.

-Pour connaître ''Nadine Labaki'' en tant que réalisatrice, vous visitez les sites ''http://www.allocine.fr/personne/fichepersonne_gen_cpersonne=156597.html'' et ''http://fr.wikipedia.org/wiki/Nadine_Labaki''.

–Egalement, vous pouvez poser toutes vos questions concernant cette réalisatrice sur le site interactif ‘’http://www.staragora.com/star/nadine–labaki/question/1’’ (N.B : pour pouvoir poser une question et commenter les travaux de fans sur le second site, vous devez créer votre propre compte).

–Après avoir consulté le contenu de ces deux sites, vous vous divisez en groupes. Chaque groupe sera responsable d’exposer oralement une petite recherche concernant ‘’Nadine Labaki’’ : biographie, filmographie (vous insistez sur son film ‘’maintenant on va où’’), récompenses, centres d’intérêt, projets, ses travaux en musique…

5. **Comparer les fonctions du réalisateur entre la France et le Liban.**

- En se basant sur les sites des activités 2 et 3, vous rédigez en collaboration un petit article dans lequel vous expliquez quel réalisateur (Jacques Rivette ou Nadine Labaki) dépasse le domaine cinématographique (musique, critique audio–visuelle…) pour le poster sur le blog de la classe après.
- Serait–il possible de nommer un réalisateur qui dépasse le domaine cinématographique ‘’un réalisateur polyvalent’’ ? Vous répondez à cette question sur le blog également après avoir recherché le sens du mot ‘’polyvalence’’ dans le dictionnaire en ligne ‘’www.larousse.fr/dictionnaires/francais’’.

N.B : Veillez consulter les commentaires du professeur sur le blog pour améliorer votre travail au fur et à mesure.

6. **Rédiger l’interview.**

Sur le site ‘’http://www.lesinrocks.com/2007/03/19/cinema/actualite–cinema/entretien–jacques–rivette–lart–

secret-1165507/'', vous lisez l' ''**Entretien Jacques Rivette – L'art secret**'' puis vous répondez (individuellement) aux questions suivantes :

- Qui parle ? A qui ? Quelle est l'occasion de cette rencontre ?
- Déduisez le genre de ce document.
- En se référant à l'entretien, remplissez le tableau suivant :

Les questions posées par l'intervieweur pour obtenir un fait précis ou un évènement	Les questions posées par l'intervieweur pour demander des commentaires ou des explications.	Les questions posées par l'intervieweur pour demander une opinion.

- A partir des questions de l'interview, vous relevez les trois manières de construire une phrase interrogative. Vous donnez un exemple pour chacune d'elle.

N.B : si vous confrontez des difficultés liées à l'interrogation, vous visiterez le site ''http://www.lepointdufle.net/interrogation.htm''. Vous pouvez lire les règles et faire les exercices autocorrectifs afin de vous assurer de la compréhension de cette notion grammaticale.

- En se basant sur l'interview fait avec Jacques Rivette et les questions précédentes vous dégagez les caractéristiques d'une interview avec une célébrité.

A votre tour, vous commencez la rédaction en collaboration de votre interview avec ''Nadine Labaki'' sur Wiki. Rédigez une dizaines de questions en vous inspirant de l'entretien fait avec Jacques Rivette. Une fois l'interview finie (après la correction ou l'intervention du professeur qui est le chef de rédaction), vous publiez l'interview sous formes d'article sur le blog de la classe

en ajoutant des photos.

- **Simuler l'interview.**

Après avoir rédigé l'interview, vous allez sur ''You Tube'' pour visionner une interview faite avec le réalisateur français Claude Chabrol ''https://www.youtube.com/watch? v=0oYFk0LM2ig''.

- Vous faîtes attention durant le visionnement de cette vidéo aux éléments d'informations non transmis par la voix afin de les classer dans le tableau ci-dessous.

les mouvements du corps et gestuelle	les mimiques ou mouvement du visage	les mouvements du regard	les changements biométriques inconscients

- A partir de ce relevé, vous déduisez pourquoi ces éléments appartiennent à la communication non verbale.
- La classe se divise en groupes de deux : une fille (jouant le rôle de Nadine Labaki) et un garçon (l'intervieweur). Vous jouez l'interview devant la classe avec votre binôme.

2- « Le Génie du Lieu ou l'écriture Génie »
عبقرية المكان أو عبقرية الكتابة

Préparé par: Nisrine Danach
طالبة دكتوراه في المعهد العالي للدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية / الجامعة اللبنانية
danachnisrine@hotmail.com

Notice bibliographique :

DANACH Nisrine, doctorante en Lettres Françaises à l'Université Libanaise. La thèse, sous la direction de Madame Badia MAZ-BOUDI a comme titre de « La nouvelle perception de l'Orient (dans les romans français et francophones) : entre un passé glorieux et un présent détruit. Titulaire d'un master en Lettres Françaises de l'Université Saint Joseph. Le mémoire, sous la direction de Madame Nayla TAMRAZ s'intitule «La réécriture de l'Orient dans les « romans de Beyrouth» de Richard Millet». Professeur de FLE à l'Université Libanaise, Faculté des Sciences.

تاريخ الاستلام:2021/11/25 تاريخ القبول: 2021/12/10

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث إلى اكتشاف الأماكن المختلفة التي زارها «بوتور»، حيث تحدّث، في كتابه « Le Génie du lieu»، عن خصائصها وهو يبحث عن «عبقرية المكان» وأيضًا عن «عبقرية الكتابة». يتجسّد هذا البحث الفكري شيئًا فشيئًا من خلال تنقّله في المكان. من اللافت أن نتابع شخصية هذه القصة في مسيرتها الميدانية التي تعكس طبعها من جهة وشخصية الكاتب من جهة أخرى.

يهدف عملنا إلى أن نبرهن أن رحلة «بوتور» تتجسد في عدة جوانب. هي رحلة تسلط

الضوء على الحنين الذي عاشه في أماكن لم يتكيّف فيها وعكست تدهورًا في متاهات، ثمّ تحولت فيما بعد إلى رحلة علاجية ملأت النقص الذي كان لديه.

كلمات مفتاحية: عبقرية المكان و عبقرية الكتابة

Abstract:

Notre objectif est de décrypter les différents lieux visités par Michel Butor dans son ouvrage Le Génie du lieu, montrer leurs spécificités pour un écrivain en quête du génie du lieu mais aussi du génie de l'écriture. Une quête intellectuelle alors se définit ou plutôt prend forme au fur et à mesure que l'écrivain se déplace dans l'espace. Il serait intéressant alors de suivre le personnage dans son parcours géographique puisqu'il reflèterait en quelque sorte l'état d'âme du personnage lui-même et par conséquent celui de l'écrivain.

Notre travail vise alors montrer que le voyage de M. Butor prend plusieurs formes. Il s'agit tantôt d'un voyage nostalgique où le personnage semble vivre une régression dans un espace labyrinthique débouchant sur des non-lieux et tantôt d'un voyage thérapeutique où le personnage évolue et comble un certain manque.

Introduction

Qu'il soit géographique ou littéraire, l'espace se définit par le besoin du voyageur à expérimenter de nouveaux territoires, de franchir des frontières, de découvrir de nouveaux modes de vie. En un mot, c'est le besoin de voir pour écrire, c'est la nécessité de ressentir l'espace, d'appréhender une nouvelle vie, une nouvelle société.

Ecrire et voyager sont deux actes qui constituent deux chemins parallèles pour un territoire commun. D'un côté, écrire, c'est partager avec le lecteur des événements vécus pendant un déplace-

ment quelconque. D'un autre côté, voyager, c'est aller à la rencontre de l'autre. Cet autre, cet individu, cette altérité seront l'objet de notre étude anthropologique dans l'ouvrage de Michel Butor, Le Génie du lieu.

L'espace anthropologique se définit par la rencontre de l'autre. En effet, Marc Augé, définit la recherche anthropologique en disant qu'elle « traite au présent de la question de l'autre. La question de l'autre n'est pas un thème qu'elle rencontre à l'occasion ; il est son unique objet intellectuel, à partir duquel se laissent définir différents champs d'investigation. »[1]

Dans notre analyse, il est question de la diversité des lieux visités par M. Butor qui met en relief un espace-problématique. L'auteur définit son ouvrage en disant : « ce n'est pas un roman, cette fois, qui va paraître chez Grasset, mais un recueil de textes sur quatre villes et un pays : Cordoue, Istanbul, Salonique, Delphes, l'Égypte. »[2]

On se demande alors s'il s'agit d'un cheminement fructueux à tous les niveaux ou d'un voyage plutôt labyrinthique débouchant sur des non-lieux. S'agit-il d'un voyage nostalgique où le personnage semble vivre une régression ou d'un voyage thérapeutique où le personnage évolue et comble un certain manque ?

Tout d'abord, nous aborderons chez M. Butor le concept du non-lieu que Marc Augé définit par « un espace qui ne peut se définir ni comme identitaire, ni comme relationnel, ni comme historique »[3]. Nous essayerons de montrer alors que les lieux chez M. Butor et précisément les lieux transitoires sont probablement

(1) AUGE Marc, Non-lieux introduction à une anthropologie de la surmodernité, Seuil, Paris, 1992, p. 28

(2) Entretiens réunis, présentés et annotés par DESOUBEAUX Henri, Entretiens, Quarante ans de vie littéraire, volume 1 (1956-1968), Josepf K., Lonrai, 1999, p. 81

(3) Non-lieux introduction à une anthropologie de la surmodernité, op.cit., p. 100

des non-lieux qui ne mèneraient le personnage nulle part. Ensuite, nous montrerons que son voyage est plutôt un voyage de va-et-vient à la recherche d'un lieu nostalgique qui n'est plus accessible, celui des origines, le monde d'autrefois, le monde historique, mythique et mystique. Enfin, nous étudierons le lieu anthropologique, là où M. Butor a réussi à faire sa traversée culturelle, sa quête intérieure qui n'a été possible qu'en « apprivoisant » l'autre et qu'en « s'apprivoisant ».

1. Les non-lieux

a. Les lieux transitoires

M. Butor entreprend plusieurs voyages. Après Cordoue, il se trouve à Istanbul, là où il s'arrête dans la gare et sur le pont flottant de Galata. L'écrivain poursuit son chemin et arrive en Grèce, à Salonique (dans le quai) puis à Delphes. Il continue son trajet et traverse trois villages (Mallia, Mantoue et Ferrare) avant d'arriver à la gare du Caire, le lieu transitoire qui le mènera à Minieh. Le voyageur, dans son itinéraire, passe par plusieurs espaces et lieux qui devraient lui servir comme adjuvants tout au long de son voyage comme des lieux transitoires et des moyens de transport.

Les lieux transitoires comme la gare et le pont sont mentionnés à plusieurs reprises dans l'ouvrage. En effet, la gare est un lieu de commencement. Ce topos est significatif dans le sens d'être un lieu de croisement, d'issue, d'ouverture vers d'autres espaces. Cependant chez M. Butor, la gare d'Istanbul, par exemple, porte un symbolisme tout à fait contradictoire, car elle bloque le personnage au lieu de lui servir d'issue :

« Il fut difficile de sortir de la gare. Le quai était en réfection. » [1]

(1) BUTOR Michel, Le Génie du lieu, Grasset, Paris, 1994, p. 30

Dès son entrée en Egypte, M. Butor se trouve dans une deuxième gare, celle du Caire, une gare qui s'avère un carrefour des lieux mais aussi des langues. La gare acquiert alors une dimension linguistique où se manifestent des langues comme la langue arabe et les caractères européens :

« Maintenant représentez-vous le long quai de la gare, avec des pancartes où le nom de Minieh était inscrit en caractères européens et, avec une superbe barre épaisse et souple, en ces caractères arabes […] » [1]

Tout laisse à croire alors que la gare devient un lieu culturel. Outre la gare, le pont est souvent présent dans l'œuvre de M. Butor. En fait, il décrit minutieusement sa traversée sur le pont flottant de Galata en relevant les différentes images rencontrées dans la ville :

« Il est heureux pour moi que ç'ait été sous la pluie et la brume que j'ai traversé pour la première fois le pont flottant de Galata, qui respire doucement sous vos pieds à chaque passage d'un remorqueur, ce pont à deux étages, ce pont-gare aux multiples escaliers de fer, bordé de quais d'embarquement, d'échelles, pour le Bosphore, les îles des princes ou Eyup, avec ses guichets, ses salles d'attente, ses magasins et ses cafés, encombré d'une foule de pêcheurs […] »[2]

Pour aller plus loin dans notre analyse, il est essentiel de mettre en évidence la grande portée de ce pont -cité trois fois- en tant que lieu transitoire. Son aspect transitoire est renforcé par la présence d'autres lieux dans le même passage - ayant la même fonction que lui – comme « gare », « escaliers », « quais d'em-

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p.116-117
(2) Le Génie du lieu, op.cit., p.30

barquement » et « échelles ». M. Butor, à force de citer et reciter ces lieux de passage, veut à tout prix effectuer ce déplacement qui le rend heureux. L'adjectif affectif "heureux" annonce une positivité dont le lecteur est témoin. M. Butor implique ce lecteur pour l'accompagner dans sa traversée en utilisant la 2ème personne du pluriel "vos pieds". Il nous semble que c'est une traversée jusqu'à maintenant accomplie vu l'emploi du passé composé. Si c'est accompli comme il le disait, il importe de voir où ce pont va le mener en relevant le dernier passage dans le chapitre intitulé « Istanbul » :

« Le pont de Galata respire sous mes pieds ; je ne l'ai pas quitté, la nuit descend. Je regarde les grues et les trains, je regarde les brumes de l'Asie, je regarde les lumières flottantes sur ce détroit où passe toujours le navire Argo, ce détroit de multitude, de splendeur, de délices et d'appréhension. »[1]

En effet, la négation dans l'expression «je ne l'ai pas quitté» met en évidence l'immobilité du personnage dans l'espace et contredit tout ce qui a été déjà dit concernant le pont en tant que lieu de passage. Loin d'être réalisé, le passage se limite au niveau verbal. On remarque quand même une certaine tentative d'implication puisqu'on passe de la 2ème personne du pluriel "vos pieds" à la 1ère personne du singulier « mes pieds ». Mais c'est une tentative avortée puisque le pont n'est qu'un motif pour faire naître tout simplement des images. L'anaphore du verbe de perception « je regarde » répétée trois fois dans le passage ci-dessus en certifie l'idée. En effet, tout laisse à croire que le personnage n'est qu'un observateur d'un paysage qui, lui seul,

(1) Idem, p. 40

est en mouvement. La personnification “la nuit descend”, l’adjectif “flottantes” et le verbe “passe” montrent que tout bouge sauf lui. Cette immobilité ne serait autre qu’une impuissance physique. De plus, la personnification du pont qui «respire» répétée dans les deux passages met en évidence non pas un personnage en action mais plutôt un écrivain en action. Cette respiration est plutôt un souffle de l’inspiration de l’écrivain. Il est à relever, aussi, les éléments aquatiques comme « la pluie » et « la brume » conjointes au pont pour accentuer l’idée du souffle insinuée par cette rêverie aquatique et brumeuse. Ainsi, la tentative de traverser le pont est une traversée entre les mots. Et le fait de ne pas pouvoir passer sur le pont est substitué par un passage entre les pages.

b. Les moyens de transport symboliques

Outre les lieux de transition, M. Butor emprunte des moyens de transport dans son voyage. Il a évoqué tantôt des moyens modernes comme le tramway, le train, les bateaux, le car et la voiture et tantôt des moyens traditionnels comme l’âne. On en remarque bien la variété en vue de transporter le personnage d’un territoire à un autre.

Prenons, par exemple, le train qui emmène le personnage à Istanbul. Selon Le Dictionnaire des symboles, le train acquiert une dimension plus large: « Le train des rêves est l’image de la vie collective, de la vie sociale, du destin qui nous emportent. »[1] Cela s’explique clairement dans le passage suivant :

« Je me suis réveillé dans le train qui roulait toujours. J’ai soulevé le rideau pour regarder au-dehors. [...] J’ai refermé le

(1) CHEVALIER Jean GHEERBRANT Alain, Dictionnaire des symboles, Robert Laffont/Jupiter, Paris, 2004, p. 961

rideau pour me remettre à dormir.

Puis ce fut la longue banlieue sur la longue de la Marmara […] » [1]

Pour pousser plus loin l'analyse, nous remarquons que c'est l'image du personnage qui est toujours entre l'observation et la rêverie. Les verbes " réveiller et dormir" laissent voir une sorte de confusion entre le monde réel et la virtualité. Entre les deux mondes, défilent des images et des histoires difficiles à séparer du rêve. L'emploi du passé simple "ce fut" accentue cette apparition déclenchée par le mécanisme du soulèvement et du renfermement du rideau. Tout un rêve se dévoile sous ses yeux et le tableau commence à avoir une forme :

« Ils regardaient comme moi passer cette population […] devant les bateaux mouches qui accostaient surchargés, les petites barques […] les petites barques peintes et même sculptées parfois […] les grands caïques à voiles, les péniches noires en longs trains, à gauche les grands bateaux blancs qui font le service de Smyrne et d'Alexandrie, à droite les grues, les fumées des trains […] » [2]

Le train n'a, en quelque sorte, pas conduit forcément M. Butor à Istanbul mais il l'a aidé à animer tout un tableau pictural susceptible de compléter sa quête jusqu'à maintenant énigmatique. Tout le symbolisme du train réside ici : ce train est probablement la figure de sa propre vie dont il est toujours spectateur. Mais ce sujet observé s'avère un objet observé vu l'emploi du "comme moi" renforcé par le verbe "regardaient" au pluriel qui montre cette confusion oculaire entre la foule et le personnage lui-même.

Par ailleurs, ce qui est à remarquer, c'est le fait de mention-

(1) Le Génie du lieu, op.cit., P. 29
(2) Idem, p. 31-32

ner un nouveau type de déplacement quand il est en Egypte: « Alors nous sommes descendus de nos ânes »[1]. M. Butor passe du train à l'âne et ce changement au niveau des moyens de transport n'est pas forcément révélateur d'une dégradation, d'un recul, mais plutôt d'un retour aux origines. Ce passage de la rapidité à la lenteur, de la modernité à l'ère des ancêtres est symbolique. Une certaine évolution dans le voyage est à relever quand-même. Ce qui est certain, c'est que M. Butor, qu'il soit obligé ou non d'emprunter ce moyen de transport, en ressent une certaine satisfaction qui lui permet de rompre avec la modernité, avec la monotonie du quotidien.

Pour conclure, il est à noter que M. Butor cherche par tous les moyens possibles à bouger, à avancer et à franchir le seuil. Il se veut un homme d'action qui traverse le pont vers autrui ou vers soi. Des difficultés et des obstacles probablement psychiques l'empêchent de se déplacer et d'agir librement. Cette traversée semble être difficile bien qu'il soit accommodé par toute sorte de moyens de transport qui sont mis à son service. On se rend vite compte que ces difficultés sont les épreuves que tout homme affronte dans son parcours et rend l'initié encore plus fort. Loin de l'affaiblir, ces épreuves le fortifient. Une force d'ordre verbal aura lieu et lui permettra un dépaysement poétique et littéraire. L'écrivain choisit de faire un voyage entre les mots où les souvenirs surgissent pour régner.

2. Les lieux nostalgiques

a. Un récit nostalgique

L'espace chez M. Butor est porteur de sens. Les lieux ou les

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p. 207

non–lieux reflètent l'état d'âme du personnage, son état psy–chologique et mental. S'il semble être coincé dans l'espace et s'il n'arrive pas à s'en sortir, c'est parce qu'il vit une dialectique spatiale. Entre la France, l'Egypte et l'Angleterre, l'écrivain est probablement éparpillé dans l'espace. En effet, en 1950, il se trouve en Egypte pour accomplir sa mission de professeur. L'an–née suivante, il décide d'aller en Angleterre, là où la vocation de l'écrivain a vu le jour. Et entre ces deux pays, la nostalgie de la France l'accompagne et s'y joint une nostalgie plus forte encore :

« A la nostalgie de la France que j'avais en Egypte et que j'ai gardée en Angleterre, s'est superposée une nostalgie de l'Egypte presque aussi forte.»[1]

M. Butor garde alors des souvenirs très forts qui l'ont bien marqué. C'est une nostalgie double qui le poursuit d'un lieu à un autre. La répétition du terme affectif «nostalgie » le montre bien. Il est bien clair que cette nostalgie labyrinthique est à la fois occidentale mais aussi et surtout orientale, et M. Butor en est conscient. M. Butor avoue d'ailleurs dans son ouvrage Improvi–sations sur Michel Butor que « Le projet de roman avait germé en Egypte, mais c'est seulement après l'avoir quittée que ce texte a été réalisé.»[2]

Dans cette confession, l'écrivain semble comprendre son génie d'écrivain et comment son souffle poétique fonctionne. Cette au–toréflexion dévoile son complexe. C'est qu'après coup que tout aurait lieu. Une fois absente, l'Egypte acquiert une valeur qui n'existait pas avant, tout simplement parce qu'on n'apprécie les choses qu'après les avoir perdues. Ce concept nous rappelle la

(1) BUTOR Michel, Improvisations sur Michel Butor, La Différence, Paris, 1993, p. 67
(2) Ibidem

citation de Proust : “les vrais paradis sont ceux que l’on a perdus”[1] et cette Egypte est ce paradis perdu. La restriction “c’est seulement … que” et le participe passé “quittée” renforcent le complexe d’ordre nostalgique chez M. Butor.

Cette nostalgie surgit effectivement dans son œuvre. Pour aller plus loin dans l’analyse, il est important d’étudier la destination suivante de M. Butor. Il est géographiquement ailleurs mais virtuellement il est à Minieh:

« Minieh doit avoir bien changé depuis le jour où je l’ai quittée ; […] et je voudrais bien aller voir quel visage elle a maintenant »[2]

Tout laisse à supposer que ce récit est une analepse. Pour pouvoir capter les images du passé, M. Butor use du verbe «voir» qui montre qu’il cherche à représenter un lieu qui n’est plus le même. Cependant, cette tentative a été un simple essai, voire un souhait vu l’emploi du conditionnel « voudrais ». Ainsi, la dialectique de l’ici et de l’ailleurs est évidemment à interpréter. L’ici, c’est « le maintenant », le temps du récit, et l’ailleurs, c’est ce qui est loin dans le temps et dans l’espace. C’est « Minieh » dont M. Butor a voulu représenter le visage. Il est évident que Minieh est personnifiée (visage) et acquiert des traits humains, voire féminins, vu l’emploi du pronom personnel “elle”. Dans son itinéraire, M. Butor poursuit sa quête du passé et ses tentatives de retrouver le « visage » de l’Egypte: « je commençais à m’approcher de l’Egypte, à voir enfin ce paysage dans sa différence […] » [3]

En effet, à force de se déplacer, l’écrivain essaie de clarifier

(1) PROUST Marcel, A la recherche du temps perdu, Le Temps retrouvé, 1927.
(2) Le Génie du lieu, op.cit., p. 120
(3) Idem, p. 164

sa vision. Le verbe de perception « voir » et l'adverbe « enfin » montrent que le projet du personnage est au point d'être accompli. Sa vision est en quelque sorte devenue nette mais toujours fantasmatique après avoir été brumeuse.

M. Butor cherche à démolir les frontières et à accomplir un voyage virtuel qui n'existe que dans son fantasme. C'est un personnage doué de pouvoir verbal et poétique. Il fait ressurgir des images nostalgiques dans des chemins entrelacés dans les passages relevés ci-dessous :

« […] si j'ai vu là ce que j'ai vu, si j'ai dû lutter si fortement contre l'emprise de la foncière étrangeté égyptienne, si m'a donc à ce moment envahi une si vigoureuse passion pour elle et si durable, si j'ai exploré, en si peu de temps hélas, […] c'est parce que je venais de plus loin en Egypte[…] »[1] ; « Si je suis en France, je puis m'éloigner du lieu de mon habitation en m'orientant selon n'importe quel point de la rose des vents […] »[2] ; « […] si nous n'avions certes pas l'air d'être des Egyptiens, nous ne correspondions plus du tout au type de l'Européen […] »[3]

Après chaque emploi du "si", M. Butor se retourne dans le passé tout en posant tous les possibles narratifs qui pourraient avoir lieu. Allons avec lui à la découverte de ce qui a été possible mais qui est soumis à une condition. Voilà un personnage qui à chaque condition se voit dans l'éloignement. Encore une fois, c'est le détachement du territoire égyptien qui lui a permis de s'attacher à ses origines orientales ou/et occidentales à la fois. Pouvons-nous parler d'une certaine confusion ou d'un dé-

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p.112
(2) Idem, p. 118
(3) Idem, p. 170

cloisonnement de nationalité, d'appartenance et par conséquent d'identités? Tout laisse à croire que "la quête conditionnée " dont il est question ici est plutôt une quête originaire. Entre le détachement du territoire et l'attachement aux origines, une certaine liturgie surgit soudain. Ce va-et-vient n'est autre qu'un entrelacement de chemins qui ressemble à une toile d'araignée.

b. Les fouilles dans l'Histoire

Dans son voyage, M. Butor traverse des ruines et des sites tout en découvrant des villes et des églises enfouies : Sa quête s'avère une quête du passé, une quête marquée par le schème descendant dans le passage suivant. Voici un extrait qui mettrait en évidence une chute qui ressemble à une plongée :

« Certes, il existe sous la citadelle de Thésée, du Céramique au Lycabette, quelques petites églises médiévales, mais si charmant qu'en soit l'extérieur, simples carcasses dont la décoration interne a toujours disparu, elles ne parviennent que rarement à éveiller l'intérêt du visiteur, écrasées qu'elles sont entre les brillantes ruines païennes et les immeubles d'aujourd'hui.»[1]

Le texte butorien semble être une fouille archéologique dont le but est de faire ressurgir le passé enterré "sous" les ruines. En effet, à Salonique, certains lieux expriment une majesté extérieure illustrée par l'adjectif "charmant" mais perdue vu l'emploi du passé composé "a toujours disparu". Il est évident que M. Butor cherche à vivre une résurrection sacrée (églises médiévales) et profane (païennes) à la fois.

D'un autre côté, à Salonique, M. Butor s'attarde sur la description de la mosaïque de l'église d'Hosios David:

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p. 52

« Le centre est inspiré d'un passage de l'Apocalypse : un jeune Christ auréolé, assis sur l'arc-en-ciel, se tient au milieu d'un cercle transparent, nacré […] mais alors que l'apôtre déclare […] »[1]

Cette description de la mosaïque du Christ est une ekphrasis[2] parce que le tableau s'anime, et on ressent que Butor se projette dans cette toile puisque son voyage peut acquérir une dimension apocalyptique. L'encerclement du Christ (au milieu du cercle) nous rappelle en quelque sorte l'encerclement du personnage lui-même. Comme le Christ (assis), M. Butor est à son tour dans l'immobilité.

Toujours dans la même église, le voyageur continue à citer des textes sacrés. Il choisit un passage du testament du prophète Ézéchiel pour parler d'un certain jaillissement

« Enfin, derrière Ézéchiel, cette grande ville indiquée, c'est Babylone, source ou du moins résurgence d'où coulait […] cette liqueur qui m'abreuvait […] »[3]

En fait, la grande ville dont il est question est différente de toutes les villes puisqu'elle représente la source juvénile d'où coulait la « liqueur ». Ce liquide semble être un catalyseur qui fait ressurgir tous les souvenirs. Ce catalyseur à aspect purificateur pourrait être l'élixir de la vie recherchée. Quel que soit cette liqueur, on voit bien qu'elle abreuvait notre écrivain assoiffé.

La quête des sources a été appréhendée aussi dans ses diverses dimensions religieuses non seulement chrétienne mais

(1) Idem, p. 54
(2) "Il s'agit stricto sensu de la description littéraire d'une œuvre d'art, qui n'est d'ailleurs pas forcément un tableau […] » dans, BERGES Daniel, Littérature et peinture, Armand Colin, Paris, 2011, p. 178
(3) Le Génie du lieu, op.cit., p. 57

aussi musulmane. A Cordoue, l'écrivain porte un grand intérêt pour le lieu le plus sacré dans une mosquée, le «mihrab»:

« En effet, plus la distance de la cour au mihrab est longue plus l'effet cherché d'obscurcissement progressif et de luminosité par contraste s'accentue.»[1]

Le "mihrab" ou le sanctuaire indique la direction vers laquelle les Musulmans se tournent pour prier. Le parcours du mihrab est révélateur par le jeu de lumière. Un contraste entre le clair-obscur surgit voire s'accentue dans ce trajet donnant cette impression que cette traversée progressive n'est qu'une traversée interne. Cette dualité entre les ténèbres et les lumières suggère une dialectique psychique entre deux temps: un passé obscur et un présent lumineux ou vice versa.

Un peu plus loin de Salonique, et précisément à Delphes, le texte butorien fourmille d'exemples des mythes grecs racontés pendant le voyage. M. Butor visite des temples et des sanctuaires tout en évoquant des mythes relatifs à ces lieux comme celui d'Apollon, de Python, d'Héphaistos, de Zeus, de Dionysos, de Castalie et d'Héraklès, de Néoptolème et d'autres, laissant un effet certain sur l'écrivain :

« […] il ne m'est pas permis d'achever ce présent discours sans faire allusion à la fontaine Castalie, parce que le mobile même de mon voyage, cette nécessité obscure à laquelle j'obéissais et qui me préoccupait depuis plusieurs jours justement parce que je ne parvenais pas à la saisir avec exactitude, m'est apparu enfin clairement lorsque j'ai atteint ses illustres eaux pures »[2]

On voit bien que le cheminement thérapeutique s'éclaircit au fur et

(1) Idem, p. 26
(2) Le Génie du lieu, op.cit., p. 86

à mesure que le personnage s'approche du monde des mythes. Le contraste entre la "luminosité et l'obscurissime" dont il souffrait s'affaiblit grâce aux «eaux pures ». La liqueur cède le passage à la fontaine. Il s'abreuvait cette fois-ci de la fontaine originaire où réside probablement l'élixir de la vie. Tout un mythe surgit devant cet « autel » – témoin. C'est le mythe de Castalie dont il est question ici. Le personnage est donc à la recherche d'une purification grâce à ou à cause d'une Castalie. Son voyage initiatique «atteint » son but anthropologique mais toujours dans le monde virtuel.

3. Les lieux anthropologiques

a. Les lieux « en vue de »

Dans son voyage initiatique, M. Butor, semble vivre une progression grâce à cette liqueur qui le purifie et lui accorde une délivrance. Boire de l'élixir, c'est posséder un pouvoir magique. Grâce à cette magie, le personnage se voit enfin capable de traverser des frontières tout en franchissant des obstacles. La grande épreuve semble être celle qui l'a mené vers autrui. Cet autre qui est probablement différent de sa culture et de ses habitudes. M. Butor se trouve à Mallia, visitant une maison, partageant son repas avec les habitants et vivant l'intimité du foyer :

« A la tombée de la nuit, nous sommes descendus dans sa salle à manger souterraine où il m'a fait dîner avec sa femme et ses deux filles [...] »[1]

On voit bien que M. Butor n'est plus dans un espace public ; il passe de l'anonymat, du transitoire à un espace intime et privé mais souterrain. Le schème de la descente y persiste vu la fréquence du vocabulaire relatif au bas comme "tombée" "descendus" et "souter-

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p. 93

raine", descente qui pourrait être assimilée à la figure du subcon-scient. Dans cette "salle à manger" pourrait surgir tout ce qui est caché et enfoui peut-être dans son inconscient. Ce lieu intime est transfiguré en un coffre où est refoulée en quelque sorte la libido du personnage. Notons que dans cette salle, le féminin domine (une femme et 2 filles) et le masculin s'éclipse vu que cet ami est désigné à la 3ème personne du singulier (il). On se demande alors de quelle libido il s'agit. Est-ce que c'est un désir d'une femme qu'il recherche ? Si c'est le cas, cette descente pourrait être considérée comme une descente aux enfers à la recherche d'Eurydice.

b. Les lieux de convergence

En Egypte, dans la Terre des origines, M. Butor traverse les vallées, le Nil, les rues, « les champs semblables à des aquari-ums remplis de blé »[1], les villages, les falaises, l'école, le Caire, Minieh et les pyramides. Pendant cette traversée, l'auteur ex-périmente tout un territoire à dimension culturelle. L'itinéraire du personnage reste à analyser en détectant le tableau égyptien dans toute sa totalité.

Dans une vallée qui va de Qeneh à Girgeh, l'écrivain s'enlisse dans l'espace:

« Cette direction foncière de l'espace est d'autant plus vigou-reusement ressentie qu'a Minieh [...] »[2]

Tout laisse à croire que M. Butor s'enfonce de plus en plus dans l'espace. Le schème descendant s'approfondit. La quête est ac-centuée ici vu l'emploi de l'adverbe "vigoureusement" et surtout de l'adjectif "foncière". Il est évident que c'est une quête interne

(1) Idem, p. 120-121
(2) Le Génie du lieu, op.cit., p. 128

puisqu'elle touche le personnage (ressentie). Le cheminement dans l'espace le conduit dans les profondeurs du personnage. Dans son voyage, le personnage va à la recherche des éléments précis qui complètent le tableau égyptien comme les premières écritures, les « hiéroglyphes anciens »[1] et les premières constructions, les pyramides:

« Or, tout ce passage est d'autant plus intéressant ici, puisqu'il s'agit de préciser un peu de quelle façon les Pyramides étaient vues par le Caire musulman dans sa grande époque [...] » [2]

En effet, l'écrivain interroge le site et va à la découverte de la vision des autochtones vis-à-vis des "Pyramides". M. Butor est intéressé par autrui, un autrui qui est tout à fait différent. La perception de l'espace est devenue accessible dans un cheminement qui conduit vers l'autre.

L'espace est aussi ressenti grâce aux rites dont M. Butor est témoin:

"(...) ressentie comme telle notamment dans certaines coutumes tout à fait publiques, par exemple la fête du Cham el Nessim, "l'odeur de la brise", la plus grande fête de l'année parce que c'est la seule qui était célébrée par toute la population sans distinction [...]" [3]

Dans un lieu public, parmi la foule, M. Butor commence à sentir son appartenance à cette civilisation. S'il est présent dans la fête c'est pour dire qu'il fait partie du groupe. Cette fête est porteuse de sens. Elle réunit, embrasse tout le monde. Cette cérémonie est immémoriale, vu l'emploi du superlatif "la plus grande", "c'est

(1) Idem, p.128
(2) Idem, p. 176
(3) Idem, 151

la seule qui" et "sans distinction" qui marquent la majesté de cette célébration. En fait, l'écrivain anime le tableau grâce à l'odorat "Cham el Nessim" mis en apposition par la traduction française " l'odeur de la brise". La fête rassemble tout Homme qui se trouve dans ce lieu-là, y compris M. Butor. Mais, les langues, l'arabe et le français, unies, elles aussi, ont contribué au rassemblement de deux cultures. Cette union met en relief, à son tour, le génie de l'écrivain.

De la foule, on passe aux femmes. Un autre tableau de type féminin est intéressant à analyser :

« […] les femmes enveloppées dans le long voile noir qui laisse voir leurs pieds nus, et qu'elles relèvent encore quand elles entrent dans l'eau pour remplir les cruches claires poreuses qu'elles portent pleines et fraîches sur leur tête […] »[1]

Le regard de M. Butor s'attarde cette fois-ci sur des femmes orientales voilées, enveloppées et précisément sur "leurs pieds nus". Un certain contraste surgit entre le caché et le dévoilement à travers l'adjectif "enveloppées" d'une part et le verbe "laisse voir" d'autre part. Même enveloppées et voilées, il arrive à les percer par son regard. Elles s'avèrent vulnérables pour lui, malgré le voile. Si M. Butor est capable de "dévoiler" ces femmes, c'est parce que, en quelque sorte, il les désire. Nous pouvons soupçonner un fétichisme derrière les "pieds nus".

Outre les pieds nus, un élément plus ou moins érotique retient notre attention. Une sorte de mise en abyme ou un parallélisme se trace entre ces femmes et ce qu'elles portent. M. Butor, non seulement dévoile ces femmes mais aussi leurs ex-

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p. 121-122

tensions “cruches claires poreuses”- qu’il qualifie de “pleines et fraîches”. Ce qui est obscur s’avère pour lui transparent. Les obstacles s’effondrent entre lui et l’autre encore une fois. Notons que ces femmes au pluriel sont en action : «relèvent, entrent, portent ». Elles, qui “entrent dans l’eau” ne nous rappellent-elles pas Castalie qui s’est jetée dans la fontaine ? M. Butor, dans ce dévoilement a trouvé enfin une source “qui l’abreuvait”. Ces figures féminines en remplissant les cruches sont en train de combler un vide chez le personnage assoiffé d’amour.

Outre la femme, M. Butor va à la rencontre des « fellahs » dans les champs:

“ [...] leur surface noire se fissurant de profondes crevasses en tous sens comme une intense et amoureuse pénétration de l’air et du soleil, puis être labourées par les fellahs [...]”[1]

En effet, le thème de la profondeur est également présent à travers les termes “se fissurant”, “profondes crevasses”. Notons également qu’il s’agit d’une terre féconde où la rencontre de deux archétypes polaires : l’air qui semble être l’inspiration et le soleil, l’élément igné qui va effacer les ténèbres et illuminer l’écrivain. Plus encore, une union et un entrelacement s’effectuent entre les éléments de la nature et ces « fellahs », et le personnage y as-siste et même y participe. Cette union acquiert un aspect érotique bien révélé avec l’emploi du terme “pénétration” à connotation sexuelle. Le terme affectif ”amoureuse” bénit cette “pénétration”. Le fantasme de Butor et ses désirs sexuels surgissent encore une fois. Tout laisse à croire qu’il voit l’amour dans l’air et pr-esque partout. Dans ce lieu fécond, il est intéressant de relever

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p. 133

que ce sont “les fellahs” qui, en labourant la terre, montrent une prospérité du lieu. Linguistiquement parlant, le mot arabe “fal-lahs” connote celui qui travaille la terre. Or, la terre symbolise la patrie, les racines. Ainsi, M. Butor est en train de manifester son attachement, voire son amour encore une fois pour cette terre-patrie et par conséquent pour la culture orientale.

M. Butor termine sa quête par la dernière épreuve qu’il vit en Egypte.

«Un matin, à cinq heures, nous avons pris la barque […] et nous sommes allés sur la rive des morts » [1]

La « barque » marque le passage du personnage d’une rive à l’autre et qui s’apparente en des lieux de transition. Ce moyen de transport aquatique a une dimension différente cette fois-ci. Notons que le lieu est celui « des morts ». Et la barque dont il est question fait appel à l’imaginaire de la barque mythologique, celle du Charon, le passager des ténèbres. Et la rive sur laquelle passe M. Butor nous rappelle les « eaux du Styx », c’est-à-dire le fleuve des enfers. Ce passage fait allusion à « l’épreuve glo-rifiante » dont parle Vladimir Propp, dans son ouvrage La Mor-phologie du conte. Il s’agit donc d’une mort symbolique et d’une renaissance d’un héros au vrai sens du mot.

Une fois atteint la “rive des morts”, le personnage rencontre un certain « monsieur» qui le salue :

« Comme nous venions de quitter la nécropole de Deir el-Med-ineh, sur le sentier, un paysan égyptien, grand, avec une longue robe bleue presque noire très bien tenue et un petit turban blanc, nous a arrêtés, nous a salués, moi spécialement, avec un air de

(1) Idem, p. 201

grande joie. » [1]

En effet, le lieu semble être toujours celui des morts, c’est “la nécropole de Deir el-Medineh”. Ajoutons que « ce paysan égyptien », c’est le cerbère ou le gardien qui attend le passager après avoir traversé le fleuve. Sa tenue marque un aspect relatif à la mort surtout avec ses couleurs : le noir et le bleu. La mort est bien présente dans cette zone mais le personnage, initié à l’amour, peut toujours transformer cet espace de mort en « une grande joie ».

Dans ce monde mortuaire, le personnage a été reconnu et lui aussi reconnaît l’autre: «ce paysan que je reconnaissais enfin dans le sentier, près du cimetière de Deir el-Medineh [...] »[2] Or, « être reconnu» signifie en anthropologie être accepté. C’est accepter l’autre dans ses différences. C’est pour cela que nous parlons d’une mort symbolique. Cette mort a été suivie d’une résurrection du personnage:

« Je me sentais extraordinairement heureux parce que, oui, quelque chose du moi s’était dévoilé pour moi »[3]

Enfin, M. Butor n’est plus le même. Son moi se métamorpho-se grâce au dévoilement qui a eu lieu à la fin de la quête. Une introspection a eu lieu et le voyage de M. Butor s’avère interne, le pronom tonique “pour moi’ révèle bien le but ultime: le retour vers soi. Il ne ressent pas seulement l’espace mais aussi une extase vu l’emploi de l’adverbe “extraordinairement”. Une ex-tase confirmée par ce “Oui” qui porte une positivité bien claire. Cet adverbe marque aussi que le personnage est incroyablement

(1) Le Génie du lieu, op.cit., p. 203
(2) Idem, 207
(3) Le Génie du lieu, op.cit., p. 209

satisfait, il a pu enfin se retrouver après tant d'épreuves qu'il a dépassées. Notons également que ce qui a été dévoilé c'est d'ordre indéfini "quelque chose". « Ce quelque chose » est tellement immense qu'il a empêché l'écrivain de le nommer. Ce "quelque chose" non identifié par les mots mais ressenti clairement par M. Butor est la notion de l'altérité qui a été insinuée dans tous les lieux anthropologiques visités comme les champs, la vallée et les Pyramides en rencontrant des femmes orientales et des fellahs et en célébrant des fêtes.

Conclusion

Le voyage de M. Butor, en Orient ou en Occident, a été géographique mais aussi psychique et surtout littéraire. Tracer son itinéraire pour pouvoir déceler les différentes failles était une mission difficile surtout quand les non-lieux et toutes sortes de moyens de transport le trahissent ou vice versa. S'il a failli dans sa volonté de faire ce simple pas c'est tout simplement parce qu'il s'enfermait sur lui-même, dans ses rêves, voire dans ses fantasmes. Cet échec n'a pas empêché M. Butor de poursuivre son chemin mais il s'agit d'un itinéraire souvent à rebours. Loin d'être une traversée, c'est plutôt une "descente" aux enfers que le personnage de M. Butor effectue. C'est probablement une descente aux enfers, un retour aux origines, à la recherche d'un paradis perdu, ou à la recherche des avatars d'Eurydice ou de Castalie. A cause de, mais aussi, grâce à ce retour en arrière, il vit la nostalgie du passé et puise des images des temps des origines et de celui des mythes. Dans ce voyage nostalgique, M. Butor découvre une sorte de "liqueur" voire une fontaine d'où il puise son pouvoir magique, un pouvoir de vie mais aussi de mots. Une magie

poétique lui permet alors de continuer son chemin initiatique dans des lieux anthropologiques. En Egypte, sur ce terrain mortuaire s'est effectuée une rencontre de l'autre, même si les conditions étaient peu favorables. Cet autre envers qui le personnage ressent de l'affection, de l›émotion et de l'amour lui permet de se découvrir et de se connaître. La vraie quête du personnage est identitaire, égocentrique mais converge vers l›extérieur. Un défoulement s›é-clate alors pour donner naissance au Génie des Lieux mais aussi à une écriture de génie.

Plan

Introduction

I- Les non-lieux

a. Les lieux transitoires
b. Les moyens de transport symboliques

II- Les lieux nostalgiques

a. Le récit nostalgique
b. Les fouilles dans l'Histoire

III- Les lieux anthropologiques

a. Les lieux « en vue de »
b. Les lieux de convergence

Conclusion

Bibliographie

Ouvrages critiques ur Michel Butor

1. BRUNEL Pierre, Butor, l'Emploi du temps, le texte et le labyrinthe, Presses universitaires de France, Paris, 1995, 173p.

2. BUTOR Michel, Le Génie du lieu, Les Cahiers Rouges, Grasset, Paris, 1994, 209p.

Improvisations sur Michel Butor, La Différence, Paris, 1993, 307p.

3. Sous la direction de CALLE-GRUBER Mireille, Répertoire 1, Editions de la Différence, Paris, 2006, 1079p.

4. Sous la direction de DÄLLENBACH Lucien, Butor aux quatre vents suivi de L'Ecriture nomade par Michel Butor, José Corti, Paris, 1997, 216p.

5. Entretiens réunis, présentés et annotés par DESOUBEAUX Henri, Entretiens, Quarante ans de vie littéraire, volume 1 (1956-1968), Josepf K., Lonrai, 1999, 362p.

Entretiens, Quarante ans de vie littéraire, volume II1 (1979-1996), Joseph K., Lonrai, 1999, 364p.

6. HELBO André, Michel Butor, vers une littérature du signe, Complexe, Bruxelles, 1975, 181p.

Autres ouvrages critiques

1. AUGE Marc, Non-Lieux, introduction à une anthropologie de la surmodernité, Seuil, Paris, 1992, 149p.

2. ELIADE Mircea, La Nostalgie des origines, Gallimard, Paris, 1969, 276p.

3. HAMON Philippe, Texte et idéologie, Quadrige, Paris, 1997, 232p.

4. LEVI-STRAUUS Claude, L'Anthropologie face aux problèmes du monde moderne, Seuil, Paris, 2011, 145p.

5. SANSOT Pierre, Poétique de la ville, Editions Klincksieck, Paris, 1971, 422p.

ملحق العدد 12



شخصية العدد:

الشاعر الفلسطيني محمود درويش



1- السيرة الذاتية

ولد محمود درويش في 3/13/ 1941 في قرية البروة الفلسطينية التي تقع في الجليل شرق ساحل عكا. طرد من البروة مع أسرته في السادسة من عمره تحت دوي القنابل عام 1947، ووجد نفسه أخيراً مع عشرات آلاف اللاجئين الفلسطينيين في جنوب لبنان، بعد أن تعرض الشعب الفلسطيني للاقتلاع وتدمير مدنه وقراه. أول قرية لبنانية كان يتذكرها حينذاك هي رميش، ثم سكنا في «جزين". عاش محمود إلى حيفا بعدما انتقلت العائلة إلى قرية أخرى اسمها الجديدة وامتلك فيها بيتاً. انتسب إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعمل في صحافة الحزب مثل الاتحاد، التي أصبح في ما بعد رئيس تحريرها. اتهم بالقيام بنشاط معاد لدولة إسرائيل؛ فطورد واعتقل خمس مرات وفرضت عليه الإقامات الجبرية حتى العام 1970. وكانت القاهرة، محطته الثانية 1970 -1972 بعد الخروج من الوطن. في القاهرة ترسخ قرار خروجه من فلسطين وعدم عودته إليها. التقى محمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ وسواهما، وكبارَ الكتاب مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم. عيّنه محمد حسنين هيكل في نادي

كتّاب «الأهرام». في القاهرة أيضا، اكتملت ملامح تحوّل في تجربته الشعرية وابتدأ منعطفاً جديداً فيها. ثم انتقل إلى بيروت مباشرة، وعاش فيها من العام 1973 إلى العام 1982، ثم غادر دمشق إلى تونس، ثم توجه إلى الاتحاد السوفييتي للدراسة في معهد العلوم الاجتماعية عام 1970.

وبعد ذلك عاش في باريس نحو عشر سنوات ولكن في شكل متقطع، إذ كان يسافر باستمرار. وبقي قريباً من منظمة التحرير في تونس. وبعدما أصبح في إمكانه العودة إلى «جزء» من فلسطين وليس إلى «جزء» شخصي بل إلى «جزء» من وطن عام. من أصعب الأمور التي واجهها في حياته: الخروج والعودة. واختار عمان لأنها قريبة من فلسطين. لم تختلف حياته في بيروت وباريس والقاهرة عن حياته في عمان، وإن كان أبرز ما يميزها أن معظم وقت درويش في عمان كان للعمل الجاد. كان البيت عند محمود درويش أشبه بغرفة إصغاء إلى الداخل ومحاولة لتوظيف الوقت في شكل أفضل.

كانت لدرويش طقوس وعادات يومية لا يرغب في أن يخترقها أحد، ولا سيما ساعات قراءته وكتابته. وكان يعيش وحيدا في شقته إذ سبق أن تزوج مرتين وانفصل بالتراضي.

توفي في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت 9 أغسطس 2008 بعد إجراء عملية قلب مفتوح في المركز الطبي في هيوستن، دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته. ووري جثمانه الثرى في 13 أغسطس في مدينة رام الله حيث خصصت له هناك قطعة أرض في قصر رام الله الثقافي.

دواوين الشعر

1. عصافير بلا أجنحة (شعر)، عام 1960 .
2. وراق الزيتون (شعر)، عام 1964.
3. عاشق من فلسطين (شعر)، عام 1966
4. آخر الليل (شعر)، عام 1967.
5. يوميات جرح فلسطيني (شعر)، عام 1969.
6. الكتابة على ضوء البندقية (شعر)، عام 1970.
7. العصافير تموت في الجليل (شعر)، عام 1969
8. حبيبتي تنهض من نومها (شعر)، عام 1970.
9. أحبك أو لا أحبك (شعر)، عام 1972.
10. محاولة رقم 7 (شعر)، عام 1973.
11. تلك صورتها وهذا انتحار العاشق (شعر)، عام 1975 .
12. أعراس(شعر)، عام 1977.
13. مديح الظل العالي(قصيدة تسجيلية)، عام 1983 .
14. حصار لمدائح البحر (شعر)، عام 1984.
15. هي أغنية... هي أغنية (شعر)، عام 1986.
16. ورد أقل (شعر)، عام 1986.
17. مأساة النرجس ملهاة الفضة (شعر)، عام 1987.
18. أرى ما أريد (شعر)، عام 1990.
19. أحد عشر كوكباً (شعر) عام 1992.
20. لماذا تركت الحصان وحيدا (شعر) عام 1995.
21. سرير الغريبة (شعر)، عام 1999.
22. جدارية (شعر)، عام 2000.
23. حالة حصار (شعر)، عام 2002.
24. لا تعتذر عما فعلت (شعر)، عام 2004.
25. كزهر اللوز أو أبعد (شعر)، عام 2005.
26. لا أريد لهذي القصيدة أن تنتهي (شعر)، عام 2009.

9. نثر

1. شيء عن الوطن (خواطر ومقالات)، عام 1971.
2. يوميات الحزن العادي (خواطر ومقالات)، عام 1973.
3. وداعاً أيتها الحرب...وداعاً أيها السلام (مقالات) عام 1974.
4. ذاكرة للنسيان(نص)، عام 1987.
5. في وصف حالتنا (نص)، عام 1987.
6. في انتظار البرابرة، عام 1987.
7. الرسائل محمود درويش وسميح القاسم، عام 1989.
8. عابرون في كلام عابر(قصيدة ومقالات)، عام 1991.
9. في حضرة الغياب (نص)، عام 2006.
10. حيرة العائد (مقالات)، عام 2007.
11. أثر الفراشة (يوميات)، عام 2008.

10. **ترجمت أعمال الشاعر الكبير الى أكثر من 22 لغة، ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة لوفان الكاثوليكية عام 1998- بلجيكا.**

2- محمود درويش شاعر الوطن

بقلم الباحثة الدكتورة: علا آغا

باحثة في مجال اللغة العربية وآدابها

Ola.aga@hotmail.com

الوطن، ما هو الوطن؟ هو الشوق إلى الموت من أجل أن تعيد الحق والارض، « ليس الوطن أرضاً لكنه الارض والحق معاً ».

الحق معك والأرض معهم، وليس لنا في الحنين يد، وفي البعد كان لنا ألف يد سلام عليك، افتقدتك جداً وعلي السلام في ما أفتقد. إنه ذلك الحب الذي لا ينتهي وذلك العطاء الذي لا ينضب، هو حب سكن بين دفتي صدر من تميته الدموع وتحييه الدماء .

هو حب محمود درويش الخالد، ذلك العاشق المتيم بحب فلسطين.

وكيف لا؟ فهي حبيبته الخالدة، التي سكنت بين دفتي صدره، هي حنينه وعشقه هي حب حياته.

فأقوال درويش في فلسطين تعتبر من أجمل ما قيل في حب الوطن تعرف ما هو الوطن؟ هو ليس سؤالا تجيب عنه وتمضي. إنه حياتك وقضيتك معا.

لقد أعاد محمود درويش إنتاج المأثورات العربية، والقومية، بما يوافق رؤيته وقوميته وحنينه، هو ابن فلسطين ولد في قرية البروة الفلسطينية في 13 آذار 1941، التي تقع في الجليل شرق ساحل عكا، وما لبث في عام 1947 أن وجد نفسه مع الكثير من الفلسطينيين الذين هجروا من أرضهم تحت دوي قنابل العدو حيث دمرت أرضهم وقراهم.

كانت رميش أول قرية لبنانية سكنها مع عائلته، ومن بعدها جزين والناعمة، وهكذا من منطقة لأخرى منتظرين العودة إلى الديار والارض، لكن العودة نحو البركة باتت مستحيلة فهي لم تعد موجودة بعد أن دمرت بالكامل من قبل الصهاينة، بعد أن حولوها إلى قرية زراعية إسرائيلية.

وعاد إلى فلسطين مع عائلته متسللين، بعد أن عبر الكثير من المخاطر.

قال درويش متحدثا» عن تلك الفترة: العودة إلى مكان الولادة لم تتحقق.

«لقد عشنا لاجئين في قرية أخرى اسمها دير الأسد في الشمال... كانت صفتنا الحاضرين...الغائبين2».

عاش في حيفا عشر سنين أنهى خلالها دراسته الثانوية وعمل محرراً في جريدة الاتحاد وكان في هذه المرحلة ممنوعاً من مغادرة منزله، أي تحت الإقامة الجبرية، واعتقل أكثر من خمس مرات ودونما محاكمة 1967،1966،1965،1961، حتى عام 1970، ثم توجه نحو الاتحاد السوفيتي لإتمام دراسته.

وكانت القاهرة محطته الثانية بعد الخروج من الوطن، حيث يقول: «الدخول إلى القاهرة كان من أهم الأحداث في حياتي الشخصية. في القاهرة ترسخ قرار خروجي من فلسطين وعدم عودتي إليها. ولم يكن هذا القرار سهلا... خامرتني هواجس ووساوس كثيرة، لكنني فتنت بكوني في مدينة عربية، أسماؤها وشوارعها عربية... وجدت نفسي أسكن النصوص الأدبية التي كنت أقرؤها وأعجب بها. فأنا أحد أبناء الثقافة المصرية والأدب المصري.

التقيت بهؤلاء الكتاب الذين كنت من قرائهم وكنت أعدهم من آبائي الروحيين.

التقيت بكبار الكتاب مثل نجيب محفوظ ، يوسف إدريس، وتوفيق الحكيم "3.

ففي القاهرة تمت ملامح تجربته الشعرية، حيث بدأ منعطفاً جديداً في حياته الأدبية.

لقد أحب العزلة وله فلسفته الخاصة بها حيث يقول: «فإنني أدمنت العزلة، ربيتها وعقدت صداقة حميمة معها. هي أحد الاختبارات الكبرى لقدرة المرء على التماسك»

4 . كانت العزلة عند درويش لا تعني «الانقطاع عن الحياة والواقع والناس».

ويعد درويش من الشعراء الذين اهتموا بالفلسفة الجمالية عبر محاولته إدخال التصوير الموسيقي للقصيدة العربية التي تُؤمن بأهميّة الواقع النّفسيّ في الفنّ، والحياة معاً، كما أنها تهتم بأكثر من جانب من خلال اهتمامها بالجانب السّياسيّ، والاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والثّقافيّ.

ومن الملاحظ أيضاً تنقّل شِعر درويش في عدة مراحل، فكانت بدايته الشِّعريّة من خلال طرح أفكاره، وتعبيره الشعري.

ومن ثمّ انتقل إلى مرحلة النضوج، من حيث تأثُره بشُعراء الحركة الرّومانسيّة، فكان للحُبّ حيز واضح في شِعره، حيث ربطه ربطاً وثيقاً بقضيّة وطنه.

ومن هنا صار شعره مقدسا، فهو ثائر، صامد ضد المحتل، ومن هنا أسقط كل المعايير الأدبية وبقي معيار واحد هو الأرض، والمقاومة.

ومن أشهر القصائد التي كتبها درويش في تلك الفترة :

« سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا».

هو عنوان قد يبدو غريباً للوهلة الأولى ، لكنه في الحقيقة يناسب حالة الفلسطيني التائه الغريب عن أرضه، هو سرحان ذلك الشاب الفلسطيني الذي اغتال روبرت كنيدي 1968، الذي كان من أقوى المرشحين للرئاسة الأميركية، ومن أشد المتحمسين لإسرائيل، حيث صرح لليهود في احد اجتماعاته قائلا : «دعوني قبل أن احدثكم اغسل فمي، لأنني شربت قهوة عربية قبل قليل» . وعندما أطلق سرحان النار عليه صرخ قائلا: فعلت هذا من أجل بلدي.

يجيئون،
أبوابها البحر، فاجأني مطر، لا إله سوى
الله
يجيئون
الله
يجيئون
فلتترجل كواكب تأتي بلا موعد.
والظهور التي استعدت للخواطر مضطرة للسقوط
وماذا حدث ؟
أنت لا تعرف اليوم، لا لون، لا صوت، لا طعم.
لا شكل... يولد سرحان، يكبر سرحان،
يشرب خمرا ويسكر. يرسم قاتله ويمزق
صورته. ثم يقتله.
ويرتاح سرحان.
سرحان! هل أنت قاتل ؟

ويصبح سرحان رمزا لشعب كامل يعاني ويشرد، ويقتل بشكل مستمر، فمن أين لسرحان أن يعرف الحب في وطن يغص بالسجون والقيود والموت والتشرد.

لقد شهدت هذه المرحلة من أشعاره الكثير من الطاقة التعبيرية، والدلالية، بالإضافة إلى الرموز و الإيداعات وبعض الأساليب الجديدة في طرح رؤيته الشعرية، حيث وظف أدوات الخطاب الشعري المعاصر في أسلوبه، صوره، ولغته وإيقاعاته، كما أسهم في تطوير الشعر العربي الحديث، حيث أتقن إدخال الرمز وبقوة إلى أشعاره، فباتت الرمزية سمة واضحة في أشعاره.

تكبر ....تكبر !

فمهما يكن من جفاك

ستبقى، بعيني ولحمي، ملاك

وتبقى ، كما شاء لي حبنا أن أراك .

هنا يخاطب درويش وطنه وكأنه محبوبته التي تتكبر عليه.

هذه الرموز أضفت الكثير الكثير من جاذبية ممتعة لأشعاره وكتاباته.

ومن أجمل قصائده قصيدة :

« تنسى كأنك لم تكن» :

أنا للطريق... هناك من سبقت

خطاه خطاي

من أملى رؤاه على رؤاي، هناك

من نثر الكلام على سجيته ليدخل في الحكاية

أو يضيء لمن سيأتي بعده

أثرا غنائيا... وحدسا

تنسى ، كأنك لم تكن.

قصيدة «صلاة أخيرة»:

يخيل لي أن عمري قصير

وأني على الأرض سائح

وأن صديقة قلبي الكسير

تخون إذا غبت عنها

وتشرب خمرا لغيري،

لأني على الأرض سائح !

قصيدة «عن إنسان» :

ووضعوا على فمه السلاسل

ربطوا يديه بصخرة الموتى

وقالوا : أنت قاتل !

أخذوا طعامه والملابس والبيارق

ورموه في زنزانة الموتى

وقالوا : أنت سارق !

طردوه من كل المرافئ

أخذوا حبيبته الصغيرة

ثم قالوا : أنت لاجئ.

وتعدُ قصيدة «أحنُ إلى خبز أمي» من أجمل ما قيلَ في الأم، فلكلمات القصيدة قدسيةٌ خاصة تشبهُ قدسية الأم، وتعدّ نشيدَ حنانٍ يقصده كل مشتاقٍ لأمه.

أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي

وتكبر في الطفولة

يوما على صدر يوم

وأعشق عمري لأني

إذا متّ،

أخجل من دمع أمي!

خذيني، إذا عدت يوما

وشاحا لهدبك

وغطّي عظامي بعشب

تعمّد من طهر كعبك

وشدّي وثاقي..

بخصلة شعر

بخيط يلوّح في ذيل ثوبك.

وبقيت فلسطين بحضارتها ومعاناة أهلها أبرز إبداعات الشاعر، هي الأرض الخصبة المقاومة، هي إرث خالد من البطولات، وسجل ناصع للشهادة.

كما في قوله:

لك عندي كلمهْ

لم أقلها لك بعد

فالظل على الشرفة يحتل القمرْ

وبلادي ملحمة

كنت فيها عازفاً... صوت وترْ!

تتميّز قصائد محمود درويش باحتوائها على الدّلالات الكثيفة والمُبهمة، التي لا يفهم معناها والمُراد منها إلّا بعد التّمحيص في معانيها، كما اهتم بالبنية الخارجيّة تحت مظلّة «المعنى والمبنى»، ثمّ «المعنى، والمعنى المُراد من المعنى»؛ لأنّ درويش كان يبتعد كلّ البعد عن إظهار المُفردات إظهاراً تسهل معه معرفته.

كما في قوله:

وإذا استرسلت في الذكرى!

نما في جبهتي عشب الندم

وتحسرت على شيء بعيدْ

وإذا استسلمت للشوق،

تَبَنَّيتُ أساطير العبيد

وأنا آثرت أن أجعل من صوتي حصاة

ومن الصخر نغم!

عيونكِ شوكة في القلبِ

توجعني.. وأعبدُها

وأحميها من الريحِ

وأغمدها وراء الليلِ والأوجاعِ.. أُغمدها

فيشعل جُرحُها ضوء المصابيحِ

ويجعل حاضري غدُها

أعزّ عليّ من روحي

وأنسى، بعد حين، في لقاء العين بالعين.

هكذا فهم محمود درويش العلاقة بفلسطين اتّحادا كاملا بالتراب وحبّا لا ينضب لوطن، كما في قوله:

وطني! يا أيها النسرُ الذي يغمد منقار اللهبْ

في عيوني،

أين تاريخ العرب؟

كلّ ما أملكه في حضرة الموت:

جبين وغضب.

وأنا أوصيت أن يزرع قلبي شجرة
وجبيني منزلاً للقبَّرة
وطني، إنّا ولدنا وكبرنا بجراحك
وأكلنا شجر البلوط..
وخص القدس بالكثير من حنينه وحبه وشوقه :
هنا القدس
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريباً يصبح الدمع سنابل
وأبقى؟
خُلقتَ هنا.. وننامُ هناك
مدينة لا تنام وأسماؤها لا تدوم، بيوت تغيّر
سكانها والنجوم حصى
ستعودون إلى القدس قريباً.

عاش درويش قصة حب لم يكتب لها النجاح وهو في السادسة عشرة من عمره. هي قصة حب غير متكافئة، فمحبوبته ريتا كانت فتاة إسرائيلية ولدت في حيفا، وعملت أستاذة للأدب بجامعة تل أبيب.

أنهت نكسة حزيران الحكاية وأيقظت لديهما هويتهما لينحاز كل منهما إليها، فاختار درويش شعبه وقضيته، وأهله، بينما اختارت ريتا الانضمام إلى سلاح الطيران الإسرائيلي.

فكتب درويش قصيدة «ريتا والبندقية»، والتي يقول فيها:

وأنا قبلت ريتا عندما كانت صغيرة
وأنا أذكر كيف التصقت بي
وغطت ساعدي أحلى ضفيرة
وأنا أذكر ريتا
مثلما يذكر عصفور غديره
آه... ريتا
بيننا مليون عصفور وصورة

أطلقت نارًا عليها... بندقية

حصد درويش الكثير من الجوائز العربية والعالمية نذكر بعضاً منها :

1: جائزة لوتس (اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا) في الهند عام 1969.

2: جائزة البحر المتوسط، المركز الثقافي المتوسط (باليرمو)، ايطاليا.

3: درع الثورة الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية عام 1981

4:جائزة أبي علي بن سينا الدولية في الاتحاد السوفييتي عام1981.

5: لوحة أوروبا للشعر في ايطاليا عام 1982.

6: جائزة لينين، من قبل الاتحاد السوفييتي في الاتحاد السوفييتي عام 1983.

7: جائزة شعراء من اجل السلام، من قبل مجلس بلدي فيلا ديمادوف، في ايطاليا عام 1987.

8: شهادة تقدير من جامعة التشيلي، مركز الدراسات العربية بجامعة تشيلي، مدينة سنتياغوفي تشيلي عام 1990.

9: وسام الاستحقاق الوطني الفرنسي من قبل وزارة الثقافة الفرنسية برتبة فارس، في فرنسا عام 1997.

10: جائزة الآداب من وزارة الثقافة الفرنسية، في فرنسا عام 1997.

11: الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي تونس، يقدم من قبل الحكومة التونسية، في تونس عام 1998.

وقد رشح درويش لجائزة نوبل أكثر من مرة، لكن الملابسات السياسية جعلته بعيداً عن نيلها وخاصة بعد أن كتب قصيدته "عابرون في كلام عابر"، فإسرائيل لم تسكت عن هذه القصيدة لما لها من معان وأهداف وثورة ضد إسرائيل. فما كان من القيمين على هذه الجائزة إلا أن قاموا بحجبها عنه سيما أن حصوله عليها يعني اعترافاً صريحا بفلسطين والقضية.

أجمل ما جاء فيها :

« أيها المارُّون بين الكلمات العابرة»

آن أن تنصرفوا

وتقيموا أينما شئتم ولكن لا تقيموا بيننا

آن أن تنصرفوا

ولتموتوا أينما شئتم ولكن لا تموتوا بيننا

فلنا في أرضِنا ما نعمل
ولنا الماضي هنا
ولنا صوت الحياة الأول
ولنا الحاضر، والحاضر، والمستقبل
ولنا الدنيا هنا... والآخرة
فاخرجوا من أرضنا
من برنا... من بحرنا
مِن قمحنا... مِن ملحنا... مِن جرحنا
من كل شيء، واخرجوا
من مفردات الذاكرة.

رحل درويش، وبرحيله فقدت فلسطين أحد أبنائها البررة، ومحاميها، وضوئها اللامع في سماء الشعر الحر، فقد انتصر الموت على زلزال شعر لطالما ثار مع الإنسانية ضد الظلم والاضطهاد.

إذ وافته المنيّة أثناء مُكوثه في الولايات المُتّحدة الأمريكيّة في التّاسع من شهر آب لعام 2008م، ودُفن بعد نقل جُثمانه إلى رام الله، وقد شهِدت جنازته آلافٌ من أبناء الشّعب الفلسطينيّ.

المصادر والمراجع :

1: أقوال محمود درويش، آية أحمد زقزوق، المرسال.
2: السيرة الذاتية، محمود درويش .
3: محمود درويش في حوار شامل حول الشعر والحداثة، حاوره عبده وزان، جريدة الحياة اللندنية، 12/14/ 2005 .
4: المصدر نفسه.
5: مؤسسة محمود درويش، رام الله.

3- مقال تحت عنوان جدل الثقافة والرّمز عند محمود درويش

بقلم الأستاذ الدكتور: غسان أحمد التويني

أستاذ النقد الحديث في الجامعة اللبنانية/الفرع الرابع

يمكن أن نبحث جدليّة الثقافة والرمز، انطلاقاً من الهويّة الثقافيّة للشاعر والبيئات الثقافيّة السائدة في المحيط الذي ينتمي إليه.

إنّ مجموع القيم والمثل والمعارف والأيديولوجيّات تتجلّى وتظهر في أيّ مجتمع، من خلال سلوك يمكن ملاحظته، إذ تصبح هذه النماذج الثقافية تعابير رمزيّة دالّة على انتماء الشخص الفاعل إلى نظام معيّن، وهذا بدوره يرمز إلى الانتساب إلى مجتمع بعينه أو جماعة معيّنة. لذلك يظهر عالم النماذج الثقافيّة، عالماً كبيراً.

يسري الرّمز في المجتمع ليكون إحدى وسائل الاتصال التي تعبّر عن حركة الفرد وأفكاره، ويُستخدم استخداماً مطّرداً حاملاً مجموعة من النّشاطات الإنسانيّة التي تمثّل شبكة من العلاقات الاجتماعيّة والفكريّة والثّقافيّة والرّوحيّة لأفراد المجتمع، تتضمّن أشكالاً عديدة من أنماط السّلوك التي يُعبّر عنها بوساطة الرّموز المتنوّعة مثل، الميثولوجيا والفولكلور والرّموز الوطنيّة والقوميّة، والدينيّة الإنسانيّة وغيرها.

ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ الرّمز «أوجد عمليّاً الفرق الأساسي بين الإنسان،وباقي الكائنات»[1].

يدلّ الكلام على العلامة الفارقة التي تجمع بين الرّمز والإنسان، وقدرة الأخير على تحصيل المعرفة بأشكالها المختلفة بطرق رمزيّة تؤدّي إلى تنمية قدراته الإبداعيّة والعلميّة، ولأنّه كائن عاقل ومفكر يعرف كيف يتعامل مع هذه الرّموز، ويستخدمها على أفضل وجه.

إنّ ثمّة ثقافة ومجتمعاً وفرداً ولغة (رموز)، يترابط نسيجها، فلا يمكن عزل التّفاعل في ما بينها. فالثقافة لا توجد إلّا بوجود المجتمع، وعناصر المجتمع الأولى هي الأفراد، والفرد كائن اجتماعي بحاجة ماسّة الى لتعبير عن حركته في الحياة، وهذا لا يحدث إلّا بلغة، أو أداة تعبيريّة قأئمة على الترميز، تفتح في الحياة الشعريّة العربيّة منافذ جديدة، ورؤىً جديدة تشكّل أساساً لمرحلةٍ شعريّةٍ، تكتشف نموذج بناء الحياة العربية المنحازة إلى التجديد، والتجاوز على المستوى الثّقافي.

(1) عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، ص: 171.

وعليه فإنّ التفاعل الرّمزيّ مادّة تشكّل لبَّ الشخصيّة والهويّة الثّقافيّة لأيّ مجتمع، وبدونها لا يمكن إقامة التواصل مع الآخرين. فإذا كانت القيم، والعادات، والتقاليد، والأديان، والأيديولوجيّات في مجتمع ما، هي التي تنتج نماذجه الثقافيّة، فإنّ لهذه النماذج رموزها السّاكنة في ضمير الجماعة، والفاعلة في حركتها الحياتيّة.

إنّ العلاقة الجدليّة القائمة بين الرّمز والثّقافة، تستدعي مفردة ثالثة، وتتصل بتجربة الشّاعر وتطلّعاته الرؤيويّة، وهي الرّمز الشّعريّ، الذي رافق حياة الشعوب، وعبّر عن هواجسهم وهمومهم، ودخل في عمق الذات الجماعية للقبض على كوامن الإبداع فيها.

وإذا حوّلنا النظر إلى شعر الحداثة، لنلقي الضوء على هذه الجدليّة بين الرّمز والثّقافة، فإنّنا نجد جُلَّ القصائد الحديثة تفرد مساحات واسعة فيها لنماذج مختلفة من الرّموز، وفي مقدمتهم الشّاعر الفلسطيني محمود درويش.

وهذه علامة دالّة على رغبة عند الشعراء في تجاوز الأساليب التقليديّة السّائدة في القصيدة العربيّة، إلى أساليب تجديديّة تؤسّس لقيم شعريّة جديدة، تكون بدورها علامات ثقافيّة قادرة على تغيير الواقع وإعادة تشكيله من جديد.

من هنا كان همّ الشعراء الأوّل البحث عمّا يغني تجاربهم تنوّعاً وأشكالاً، لأنّ «الشّاعر هو من يخلق أشياء العالم بطريقة جديدة»[1].

إنّ قصيدة الرّمز بما تمثّله من محمولات ثقافيّة ومعرفيّة متنوعّة، ربّما أصبحت قادرة على أن تعيد النظر بكلّ ما ورثته القصيدة من قيم ومناهج مألوفة ثابتة، فتجدّد في معايير بعضها، وتتجاوز ما لا يمكن تجديده في بعضها الآخر، لأنّ سرّ الشّعر يكمن في اختزاله لقواه القادرة على التجديد.

إنّ توظيف الرّمز في القصيدة لم يمنحها طاقات إيحائيّة مكثّفة تقوم بالتجربة الشعريّة، بقدر ما وفّر لها أبعاداً ثقافيّة معرفيّة تمكّنها من كشف الحجب المستورة في عالم الوجود. فالشّاعر الذي يتخفّى وراء رموز دينيّة (نوح، المسيح)، أو رموز أسطوريّة (تموز، الفينيق، عشتار)، أو أدبيّة (المتنبيّ، امرؤ القيس). إنّما يستعين بهذه الرّموز، لأنّها تمثّل ثقافات متنوّعة، من بيئات مختلفة كانت فاعلة في مرحلة تاريخيّة معيّنة. إنّها رموز ذات موروثات ثقافيّة متراكمة عبر الزّمن، يستخدمها الشّاعر ليعبّر عن محنته الاجتماعيّة والفكريّة، أو ليُحاكم مرحلة تأريخيّة معيّنة، فيرصد حركة التّاريخ فيها في مسارات ضعفها وقوتها، أو ليتحدّث من خلالها عن قلقه وهمومه، واهتماماته.

---

(1) أدونيس، زمن الشّعر، ص 17.

ويقدّم الشّاعر رموزه إلى المتلقّي، بعد أن يعود إليها باحثاً مدقّقاً في شخصيّاته الرّمزيّة التي يختارها ليجعل من مواجهته لمحنٍ معيّنة مواجهة معاصرة، لأنّ المعاصرة في الشعر العربيّ تعني «شموليّة الشّاعر، واتّساع آفاق معرفته وطول عناقه لوجدان العصر وهمومه»[1].

إنّ ما تقدّم من كلام يدلّ على تلاحم قويّ بين مفردات أساسيّة ثلاث مكوّنة للقصيدة الحديثة، وفاعلة في تشكيلاتها من الداخل والخارج، وهي الرّمز والثّقافة وتجربة الشّاعر، ظواهر متساندة في إنتاج التجربة الشعريّة، وتبدّل نظرة الشّاعر إلى العالم من حوله.

إنّ ثقافة الشّاعر وأدواته التعبيريّة (الرموز)، قد ساهمت في قراءة الواقع، واتّخاذ مواقف منه، للإشارة إلى مواطن الضّعف والقوّة. فالشّاعر قادر بحدسه الشعريّ وإمكاناته اللّغويّة وغناه الثقافيّ أن يلتقط حركة التاريخ بكلّ ارتداداتها التدميريّة والتكوينيّة، فيرسم حقيقة الحدث قبل الحدث في لحظة تجاوز وكشف، فيدلّنا على الطريق الذي يجب أن نسلكه.

هذا ما كشف عنه أدونيس بقوله: «إنّ الشعر الأكثر حداثة صدر ويصدر عن عمقٍ زمنيّ يتجاوز اللحظة الرّاهنة ويسبقها»[2].

طوّر الشّاعر الحداثيّ أدواته التعبيريّة فلجأ إلى الرّمز، وسعى في تجاوز القوالب الخطابيّة في الشّعر فأدخل المكوّن الثّقافيّ، ليكون عنصراً فاعلاً في الاستكشاف والمعرفة.

وهذا الارتباط بين الثّقافة والرّمز في النّصوص الشّعريّة المعاصرة، لم يكن ارتباطاً سكونياً، يتناول فيه الشّاعر الرّمز تناولاً تقليديّاً ويحاكيه محاكاة، بل كانت علاقة جدليّة تعبّر عن تطوّر دلالات الرّمز وفاق ثقافة الشّاعر، ورؤيته للعالم من حوله.

الرّمز عند محمود درويش:

النبي يوسف (ع):

لجأ محمود درويش إلى رمز النبي يوسف (ع) في مجموعة، «لماذا تركت الحصان وحيداً؟» التي كُتبت العام، 1995، في لحظة حسّاسة من لحظات الأمّة:[3]

«افترقنا على درج البيت. كانوا يقولون:
في صرختي حَذَرٌ؛ لا يلائمُ طيشَ النباتات،
في صرختي مطر؛ هل أسأتُ إلى إخوتي عندما
قلتُ إنّي رأيتُ ملائكةً يلعبونَ مع الذئب

---

(1) عناد غزوان، الشعر والفكر المعاصر، ص 10.

(2) أدونيس، الشعريّة العربيّة، ص 93.

(3) محمود درويش، لماذا تركت الحصان وحيداً؟، ص 20.

في باحة الدّار؟ لا أتذكّرُ
أسماءهم. ولا أتذكّرُ أيضاً طريقهم في الكلام..
في خفّة الطيران.
أصدقائي يرفّون ليلاً، ولا يتركون خلفهم أثراً.
هل أقولُ لأمّي الحقيقة:
لي إخوةٌ آخرون
إخوةٌ يضعون على شرفتي قمراً
إخوةٌ ينسجون بإبرتهم معطفَ الأقحوان».

يحدّد الفعل «افترقنا» المأزق الحرج الذي وصل إليه الشّعب الفلسطيني، إذ يضعه أمام مفترق طرق صعب لتحديد خياراته، خصوصاً، عندما تكون لحظة الافتراق بين أبناء البيت الواحد، وعند «درج البيت». البيت الذي يجمع كلّ أطياف الشّعب الفلسطينيّ، البيت المسلوب من أصحابه الحقيقيّين.

وتظهر دواعي الافتراق عند الشّاعر، حين يختلف صوته عن صوت الآخرين، وتتناقض رؤيته مع رؤية الآخرين، «في صرختي حذرٌ / في صرختي مطرٌ»، إنّ التّقديم والتّأخير بين المبتدأ والخبر أكسب الخبر (في صرختي)، حضوراً فاعلاً في الرّؤية والموقف، خصوصاً، عندما تكون الصّرخة التي يطلقها الشّاعر صرخة القوّة الهادئة الواعية، صرخة الخصب والحياة والاستمرار.

ويبلغ الشّاعر ذروة توتّره من إخوته عندما يشعر أنّهم قد أساؤوا الظنّ فيه «هل أسأتُ إلى إخوتي عندما/ قلتُ إنّي رأيت ملائكةً يلعبون مع الذئب / في باحة الدّار؟».

يضعنا الاستفهام أمام دورٍ ملتبسٍ لإخوة يوسف، وهو في الواقع الدور الذي يؤديه إخوة الشّاعر، وهذا الدّور يشعر الشّاعر بالإحباط في لحظة الاصرار على النهوض والمواجهة.

يحمل الاستفهام مرارة الشّاعر ويأسه من الدور العربيّ الملتبس من القضيّة الفلسطينيّة، إذ فشل في مناصرة القضيّة الفلسطينيّة والوقوف إلى جانبه، لأنّ هذا الدور، وخصوصاً، الأنظمة الحاكمة، لم تقف من الصّراع العربيّ الفلسطينيّ موقفاً فكريّاً ثقافيّاً حضاريّاً يطال وجود الأمّة ومستقبلها، إنّما تحوّل هذا الدور إلى تحصيل مكاسب سياسيّة آنيّة ومرحليّة.

خلع الشّاعر أبعاداً جديدة على رمزه، عندما اختلفت رؤيته عن رؤية النبي يوسف (ع)، لم يرَ الشّاعر أحد عشر كوكباً، كما رأى النبي يوسف (ع)، إنّما رأى ما يعبّر عن العالم من حوله، وشاهد الواقع الذي تعيشه التجربة الفلسطينيّة من الداخل والخارج «رأيتُ ملائكةً يلعبون مع الذّئب في باحة الدّار». جمع الشّاعر في رؤيته بين علامتين فارقتين متضادّتين (ملائكة / الذّئب)، في دارٍ واحدةٍ، وهذا يبيّن هويّتين مختلفتين في الثّقافة والفكر، تخوضان صراعاً وجوديّاً، قائماً على مبادئ خاطئة يأكل فيها القويّ الضعيف.

وتلتبس على الشّاعر هويّة الملائكة الذين رآهم مع الذّئب «لا أتذكّر أسماءهم.. طريقتهم في الكلام.. في خفّة الطيران». قد وظّف هذا الالتباس، ليُشير إلى العمل الفدائيّ السرّيّ، وليُظهر هؤلاء المقاومين أنّهم أصحاب ثقافة تختلف عن ثقافتنا التي عجزت بطرقها وأساليبها، وأفكارها عن أن تقدّم المطلوب منها تجاه القضيّة المركزيّة للعرب، القضيّة الفلسطينيّة.

وتتوضّح هويّة رجال المقاومة، إخوة الشّاعر، عندما يكشف لأمّه عن الحقيقة «هل أقول لأمّي الحقيقة»، يتابع الشّاعر تعاطيه الخاص مع الرّمز اليوسفيّ، وفق ما تمليه عليه تجربته الشعريّة، وما يحمله الرّمز من أبعاد دلاليّة تعيد صوغ العالم من جديد.

توجّه النبي يوسف (ع) بكلامه إلى أبيه «يا آبتِ..»[1]، بينما اختار الشّاعر أمّه ليكشف حقيقة ما يرى، وهذا الاختيار يشكّل علامات ترجعنا إلى الأمّ الحقيقيّة إلى الرّحم والجذور، إلى الأرض الحاضنة لأبنائها.

وهذا الكشف يعزّز العلاقة الوثيقة بين إخوة الشّاعر، رجال المقاومة والأرض التي يدافعون عنها.

يواصل الشّاعر قراءة الرّمز اليوسفيّ الذي اعتدناه في القرآن الكريم، قراءة جديدة إذ يعيد إنتاجه، وفق ما يراه من اهتمامات وهموم، لأنّ مسافةً واسعةً تفصل بين الاثنين، إخوة يوسف كانوا يمثّلون الشرّ والبغض والحسد، بينما إخوة الشّاعر يمثّلون الخير والتضحية والمقاومة، ومقارعة الظالم. هؤلاء هم مصدر الأمل عند الشّاعر «يضعون على شرفتي قمراً»، هؤلاء هم نسغ الحياة وديمومتها «ينسجون بإبرتهم معطف الأقحوان».

كشف الرّمز بأفعاله وإسناداته ومفرداته الفضاء عن مرحلة سياسيّة ثقافيّة من مراحل

(1) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية رقم 4.

أمّتنا. فالفعل «افترقنا»، يحملنا إلى مرحلة تشوّش العلاقة بين الإخوة في البيت الواحد، وهذا يدلّ على اختلاف ثقافيّ سياسيّ تمثّل بالخلاف الحاد بعد مؤتمر «أوسلو» 1993 الذي وضع الشّعب الفلسطينيّ أمام خطوات مجهولة النتائج.

فهل الصرخة التي أطلقها الشّاعر، والإخوة الذين تعرّف لهم، يبشّرون بمرحلةٍ ثقافيّة سياسيّة جديدة؟

لعلّ صرخة الشّاعر والإخوة الجدد، يمثّلان انتفاضةً جديدةً، تتحدّد ملامحها في العام، 2000، التي أُطلق عليها انتفاضة الأقصى.

يتذكّر محمود درويش، بدر شاكر السيّاب، في قصيدة، «أتذكّر السيّاب»، من مجموعة: «لا تعتذر عمّا فعلت»، التي كُتبت العام 2004، في ظروف حرجة شهدتها الأمّة، تمثّلت بالغزو الأميركيّ للمنطقة ودخولها في عصر الهيمنة الأميركيّة.

«أتذكّر السيّاب، يصرخُ في الخليج سدىً:

عراقُ، عراقُ، ليس سوى العراق...

ولا يردُّ سوى الصّدى.

أتذكّر السيّاب، حين أُصابُ بالحُمَّى

وأهذي: إخوتي كانوا يعدُّن العشاءَ

لجيش هولاكو، ولا خدمٌ سواهُمْ.. إخوتي!»[1].

في غمرة المأزق العراقي الذي حجب صوت الأمّة، يتذكَّرُ الشّاعر صرخة السيّاب وصياحه في الخليج، «عراقُ، عراقُ، ليس سوى العراق»، ولكّنها صرخة لا تحقّق أهدافها، إذ تتحوّل إلى صدىً «لا يردُّ سوى الصّدى».

يحيلنا النّداء إلى حقيقتين عبّر عنهما: الأولى تُشير إلى حقيقة ثابتة وهي أنّ الاحتلال زائل ولا يبقى إلاّ العراق، وهذا بعد تفاؤليّ في ذروة تخبّط الأمّة وضياعها، جرّاء ما تتعرّض له من غزوٍ خارجيّ أو استعمار جديد تقوده أميركا. والحقيقية الثّانية تكشف اللّثام عن الموقف العربيّ الغائب، إذ لا تجد من يردُّ عليك، وهذا يدلّ على عمى الدور العربي وصمته حيال أزمة خطيرة تتعرّض لها الأمّة.

يتذكّر محمود درويش السيّاب حين يُصاب بالحُمَّى والهذيان، «حين أُصابُ بالحمّى/ وأهذي». فهل هذه الحُمَّى مرضٌ جسديٌّ؟ وهل هذا الهذيان هو هذيان فرديّ؟ لا يبدو مرض الشّاعر مرضاً فرديّاً، إنّما يتّصل بمرض الأمّة وضياعها، لأنَّ الشّاعر في أقسى

(1) محمود درويش، «لا تعتذر عماّ فعلت»، ص 122-121.

درجات وعيه وتماسكه، عندما يدرك أنّ العلَّة الأساسيّة والأزمة الحقيقيّة إنّما هي فينا وليست في عدوّنا، «إخوتي كانوا يعدّون العشاء/ لجيش هولاكو»، إنّها أزمة قيم أخلاقيّة ومبادئ لم تتعوّد عليها أمّتنا من قبل. إنّ إعداد العشاء لهولاكو العصر المتمثّل بأميركا، يشكّل فراغاً سياسيّاً وثقافيّاً وأخلاقيّاً وارتباكاً للمثقّف العربيّ أمام الاستعمار الجديد للمنطقة العربيّة.

يسجّل الشّاعر مشهداً إحباطيّاً، يحمل صدى الانكسار العميق في المشهد الثقافيّ العربيّ بألوانه اليساريّة والقوميّة، إذ لم تستطع هذه الحركات الثقافيّة أن تفرض حضورها وتعدُّ الأمّة لمثل هذه المواجهة.

يواصل الشّاعر فضح الثّقافة السائدة في تلك المرحلة عندما يتمنّى أن، «نموت على طريقتنا»[1]، لا على طريقة أعدائنا، وكأنَّ الشّاعر يعيد إنتاج الواقع من جديد وفاق رؤيته، الطامحة لتشكيل ثقافة بديلة تؤسّس لبناء عقليّة جديدة مختلفة في الفهم والتصوّر والرؤية، والقراءة عن ثقافة المرحلة التي أعلنت إخفاقها وعجزها في قيادة المرحلة.

الفينيق:

يتّخذ محمود درويش من طائر الفينيق شكلاً من أشكال التعبير عن فكرة التّجدّد والانبعاث، كما فعل في رمز (تموز)، في سبيل إعادة تشكيل الواقع العربيّ من جديد، وبهدف الوصول إلى نهايات مغايرة لما هو عليه.

ينهض كلّ من (تموز)، و(طائر الفينيق)، بقوّة في التّعبير عن رؤية الانبعاث والقيامة التي يسعى إليها الشّاعر لتحويل الواقع العربيّ إلى واقعٍ قادرٍ على تجاوز مشكلاته وصنع مستقبله.

في قصيدة (غبار القوافل)، التي كُتبت العام 1986، يحذّر درويش بشكل واضح وصريح عرب الصحراء، من هذا الطائر المقيم في أجساد أبناء الأمّة، وكأنّه يلوح بقدوم فجر الأمّة من جهة، وزوال قوى التخلّف والخضوع التي تقف بوجه هذا الفجر المتمثّل بطائر الفينيق.

«لا تخافوا يا أهالي الصحراء منّا

نحن لا ننشدُ شيئاً. نحن لن نبعث فيكم مرّةً أخرى نبيّاً

هذه أصنامكم فلتعبدوها مثلما شئتم. كلوا التمر. كلوا أسماءنا.

نحن لا نأتي لنبقى. نحن لا نمضي لكي نرجع. ولكنّ الرّياح.

---

(1) محمود درويش، «لا تعتذر عماّ فعلت»، ص 122.

أوقعتنا خطأً في حيّكمْ، فلتذبحوها بالسّيوف الصّدئةْ
واحرسوا زوجاتِكم من طائر الفينيق في أجسادنا»[1].

يخاطب محمود درويش الحكّام العرب بلغةٍ تحمل مرارة الفلسطينيّ، الذي يشهد تخلّي أبناء جلدته عنه في أصعب لحظات المواجهة على المستوى الفكريّ والسياسيّ مع العدوّ الاسرائيليّ. فنشيدُ الشّاعر لم يعد مريحاً للنظام العربيّ الرسميّ، بل أصبح مخيفاً ومفزعاً، وهذا ما أشارت إليه الأفعال التي توجّه بها الشّاعر إلى الحكّام العرب، «لا تخافوا لا ننشد شيئاً، لا نبعث فيكم نبيّاً». هذه الأفعال تُحيلنا إلى انكشاف سرابيّة الموقف العربيّ الرسميّ الذي أصبح يمثّل موقفاً مهادناً ومتخاذلاً من مسألة الصراع العربيّ الإسرائيليّ وما يصيب الشّعب الفلسطينيّ والعربيّ من إبادة ترتكبها الآلة الإسرائيليّة.

وفي ظلّ الخوف والصّمت اللّذين تشهدانه الأمّة، يستحضر الشّاعر مرحلة معتمة من مراحل أمّتنا، نتذكّر منها حكم القويّ على الضعيف وغياب مفهوم العدالة الإنسانيّة. إنّ استحضار هذه الذاكرة يتمُّ في لحظة مشابهة من حياة أمّتنا تشهد فيها صراعاً فكريّاً وجوديّاً مع كيان مغتصب. لقد عجزت السّلطة العربيّة الحاكمة بأدواتها المختلفة، ورؤيتها الضيّقة عن أن تحتضن القضيّة الفلسطينيّة، وتقود الصّراع العربيّ الاسرائيليّ في الاتجاه السليم.

ويصل الشّاعر إلى الإفلاس واليأس من حكّام الصحراء عندما يقول لهم، «كلوا التّمر. كلوا أسماءنا»، لأنّ التآمر على شعبه لم يعد مهادنة للعدوّ، بل أصبح شكلاً من أشكال الإلغاء، فأكل الأسماء من قبل الحكّام يعني إلغاء الهويّة الفلسطينيّة ومنع هذا الشعب من العودة إلى وطنه.

ولكن محمود درويش يحدّد وجهة الفلسطينيّ الحقيقيّة عندما يقول: «لا نأتي لنبقى. نحن لا نمضي لكي نرجع». أمّا الهدف الحقيقيّ فهو العودة إلى الأرض المسلوبة، وما رُسِمَ لنا أوقعنا في صحراء تخلّى أهلها عنّا، «لكنَّ الرياحْ/ أوقعتنا خطأً في حيّكم، فلتذبحوها بالسّيوف الصّدئة». فهل هذه الرياح هي رياح السياسة الخاطئة التي جلبت على الشّعب الفلسطينيّ الويلات وأوقعته في ديار الغربة عن الأهل والوطن؟ لعلّ الشّاعر يلقي المسؤوليّة على القيادة الفلسطينيّة التي تبوّأت المواجهة مع العدوّ الإسرائيليّ من جهة وعلى الحكّام العرب الذين تلهّوا بأموال النفط وتقديمات الغرب من جهة ثانية، وما يُشير إلى عجز هذا النظام العربيّ الرسميّ البعد الكنائيّ في عبارة، «فلتذبحوها

(1) محمود درويش، «هي أغنية هي أغنية»، ص 240.

بالسّيوف الصدئة»، لم يعد السّيف العربيّ ذلك الموقف الذي ينصف المظلوم ويدافع عن حياض الأمّة وحقوقها، لقد أصبح مع هؤلاء الحكّام رمزاً للهزيمة والتخاذل والضعف. لكنّ الشّاعر يتوعّد هؤلاء بقيامة شبيهة بقيامة طائر الفينيق الذي ينبعث من رماده طالباً الحياة متغلّباً على موته، «واحرسوا زوجاتِكم من طائر الفينيق في أجسادنا». لم يستسلم محمود درويش ليأس المرحلة وإحباطها، بل أعدَّ لها طائراً يعيد تكوينها وولادتها من جديد، لأنّ طائر الفينيق عنده يظلُّ متأهّباً للولادة لا يأبه لهذا الصمت العربيّ المطبق في لحظة الهزيمة.

إنّ زمن القصيدة هو زمن الهزيمة العربيّ العام 1982 وما أعقبها من غياب العمل المقاوم، واستحضار هذا الرّمز يُشير إلى أنّ محمود درويش يحاول تجاوز أيّام الهزيمة وساعات الانكسار النفسيّ للأمّة راسماً برؤيته الواعية كلّ ما يدور حولها، ملامح ثقافة متفائلة ستبدأ تباشيرها في لبنان وتصل شرارتها إلى فلسطين مع انتفاضة العام 1987، التي بشّرت بولادة حركة مسلّحة ضد العدوّ الإسرائيليّ.

لم يذعن الشّاعر للثقافة التي تفيّأ ظلالها، لأنّه كان يشعر معها المثقّف العربيّ بالإحباط وأنّ الزمن هو زمن الغسرائيليّ القادر على فعل كلّ شيء.

استطاع الشّاعر، بحسّه الرائي وأداته التّعبيريّة (الرمز)، أن يستقرئ المراحل التاريخية لأمّته، ويسبق ثقافته أشواطاً، ويبيّن عجز تلك الثّقافات التي كانت سائدة في زمن كتابة النّصّ.

كلمة أخيرة:

عندما تقرأ الرّموز في النّصّ الشّعريّ عند

محمود درويش، تجد أنّ هذه الرموز تشكّل نسيج اللّغة الشعريّة النضرة عنده، لأنّ الرّموز صادرة عن ذاته التي تفكّر في الجماعة القادرة على إعادة تشكيل حياة الأمّة، وتقديمها حضاريّاً، وثقافيّاً، وفكريّا، وسياسيّاً.

لم يحرّك الشّاعر رموزه، وفق دلالة الرّمز وفق قراءتها الدينية والأسطوريّة والتّاريخيّة، ولكن حرّكها في سياق مرتبط بتجربته حيال ما تتعرّض له فلسطين، والأمّة من أزمات حضاريّة، وثقافيّة تحيق بالشّاعر، وبالإنسان العربيّ المعاصر.

إنّ الأهداف التي رصدتها عينُ الشّاعر في حاضره، شكّلت الرّمز عنده، وجعلته كأنّه ليس امتداداً للماضي الذي نشأت فيه.

محور العدد:

نساء عربيات رائدات:

الأستاذة الدكتورة الرائدة: نشأت نور الدين الخطيب



بسم الله الرحمن الرحيم

1 - كلمة عن رائدة في التاريخ



أ.د. محمد علي القوزي
رئيس قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية

{ ....يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11]

مناسبة جميلة أن أكتب كلمة عن رائدة في التاريخ، صاحبة القلم الراعية للمسيرة العلمية... سيدة علمتني الكثير من بحر علمها الواسع الغزير.

كلمة أردت بها إظهار القدوة الحسنة والمثل الذي يجب أن يحتذى به في العمل بصمت والعطاء بلا حدود، كلمة نستنشق منها رحيق المحبة والوفاء، ونتذكر عالمة نذرت نفسها لتدريس التاريخ ولدراسة العبر من خلاله.

اسمها نشأت، والنشوء يرتبط بالارتقاء والسمو، فكانت سامية في أخلاقها وتواضعها، وصمتها رغم غزارة علمها، ذلك العلم الذي كان نبراساً وهادياً لكل من سار في طريقه.

نعم؛ أردت أن أكتب عنها لأكون أحد الذاكرين العارفين ممن شاركوها في حياتها العلمية وترعرعوا في مدرستها الأخلاقية، أردت أن تكون كلمتي ومضة أمل وضياء مشجعة لمن بدؤوا، لأمضي في طريق العلم الطويل، لعل كلمتي تكون كلمة وفاء وإخلاص لسيدة رائدة وهبت نفسها للتاريخ.

نعم؛ أردت أن تكون كلمتي كلمة شكر لها «**فمن لم يشكر الناس لم يشكر لله**».

فهي من النساء الرائدات اللواتي خلفن لنا تراثاً ينم عن مناهجهن وأساليب تفكيرهن ومستوى ثقافتهن، وصلابة التمسك بالمبادئ، هي أولاً وأخيراً عربية مهما عانت وتعاني من تفتت الأنظمة العربية، هي قد اهتمت؛ بل تنشقت الحرية مع الناصرية التي كانت أكسير الحياة في الستينيات من القرن الماضي وما زالت هذه العزة الناصرية تتجلى في بعض العروبيين ومنهم سيدتنا المؤرخة نشأت نور الدين الخطيب، التي لم تكتف بالرعاية والاهتمام بأسرتها الصغيرة حتى أوصلتها إلى ما ترغب كل أم بإيصال أبنائها إليه؛ بل اهتمت بالأمة العربية، وبالمفهوم القومي العربي الذي نبذه كثير من رجالات عصرنا، فهي ما زالت السيدة العربية الفخورة بناصريتها وبعروبتها مهما غفل عنها الغافلون ونسيها الذاكرون.

يظهر في كلامها حبها لوطنها الذي لا يفوق حبها لانتمائها العربي القومي هذا الانتماء الذي كان وللأسف حجر عثرة في سبيل الاهتمام بها فحاربتها جماعات طفيلية رجعية عملت على إسكاتها، ومع ذلك لم تصمت بل ازدادت صلابة وهمّة وهي التي تحملت همَّ الأمة العربية وفكّرت بإخوانها المشردين من أبناء وطننا السليب، فالدفاع عن القضية الفلسطينية، وإحياء المد القومي العربي من أهدافها التي عملت وتعمل من أجلها.

لم تدع شيئاً من علمها إلا وعلمته أو دونته في دقة ودهشة فهي محبة للإتقان والتحري وأمينة في النقل ودقيقة الملاحظة نافذة البصيرة، وهذه الصفات الضرورية للمؤرخ، وهل لكم أن تعرفوا من أين أثنيت بهذه الكلمات وأنا المعجب بتواضعها العلمي، لقد عرفت المؤرخة الأستاذة نشأت من فترة ليست ببعيدة، وهي مدة قصيرة بالنسبة للمؤرخين ذلك أنه خلال عملي في جامعة بيروت العربية، كان لا بد من التعاون مع أساتذة من الجامعات الأخرى. وكان لي شرف التعاون مع أستاذتنا الدكتورة نشأت في مناقشة بعض الأعمال العلمية في المجال التدريبي، وهنا ظهرت الحقيقة، لم تكن العالمة الدكتورة نشأت متعجرفة، ولم تكن في برج عاجي كما هي حال البعض؛ بل كانت متواضعة بقدر غزارة علمها، لفت نظري تواضعها، غزارة علمها كلامها الرقيق، ملاحظاتها الهادفة لطلابها، مع كل هذا هي الأستاذة التي كما أعطت عائلتها الصغيرة، أعطت كل طلابها في دراساتهم العليا، فأوجدت نواة كبرت وتوسعت في المجتمع العربي من المؤرخين الفخورين بقولهم لها: «أستاذتنا».

نعم؛ فهي صاحبة المبدأ القائل: «خيركم من تعلم العلم وعلمه».

ولعل من أهم ركائز مؤرختنا صلتها بطلابها، وإذا اعتبرت نفسي وإياها من يمثلون الجيل القديم من المؤرخين، فهي كانت تعمل على التواصل مع جيل الشباب من الباحثين الذين تتلمذوا على أيديها، فهي تؤمن أن نشر مبادئها لن يتم إلا بترسيخ علاقاتها مع طلابها ومواصلة الاتصال بهم في المناسبات العديدة حتى لا تنقصهم عرى المودة العلمية.

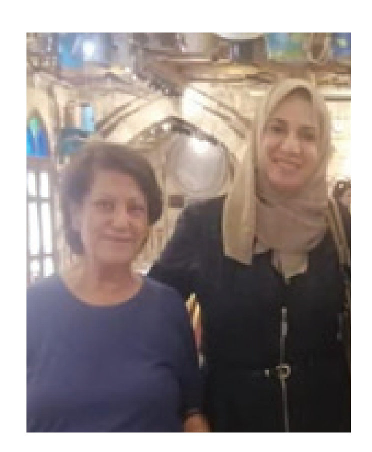
وأخيراً؛ وإن كنت اعتبر نفسي من العاملين لضرورة حصول المرأة في بلادنا على حقوقها الإنسانية لا أستطيع أن أتغاضى عن نشاط رائدتنا الفاضلة الأستاذة نشأت في مجال الدفاع عن حقوق المرأة، وذلك من خلال نشاطها النسوي منذ خمسين عاماً عندما مثلت لبنان في الاحتفال باليوبيل الذهبي للاتحاد النسائي المصري الذي عقد في القاهرة عام 1972م.

كما مثلت المجلس النسائي اللبناني في دمشق في تموز عام 1974م في ندوة عقدت للتأهيل المهني للمرأة العربية.

وقد شاركت في المؤتمر التحضيري للسنة العالمية للمرأة الذي عقد في بيروت في الهوليداي إن عام 1974م، وبمناسبة السنة العالمية للمرأة عام 1975 فقد شاركت في المؤتمر التحضيري الذي عقد في باريس، ممثلةً لاتحاد الجامعيات اللبنانيات.

وإذا اخترت الإضاءة إلى نشاطها النسوي فلا يعني هذا نكران ما شاركت في العديد من المؤتمرات والندوات في أنحاء مختلفة من العالم، وهي ما زالت رائدة في مجالها، وليس لي إلا أن أطلب من العلي القدير أن يطيل بعمرها بصحة وعافية ولتبقى مضيئة ومدافعة عن قضايانا الإنسانية والقومية. أخيراً؛ شكراً أساتذتنا د. نشأت نور الدين الخطيب.

2- بعض الوفاء لأهله: الدكتورة نشأت الخطيب




بقلم الدكتورة: هيفاء سليمان الإمام
أستاذة الحضارة العربية الإسلامية في الجامعة اللبنانية الدولية liu
h_imamomais@hotmail.com

نص الكلمة:

سبعة وستون عاماً على ثورة الثالث والعشرين من يوليو، سبعة وستون عاما، وما زالت ثورة ناصر تحتل الدور المحوري الريادي في تكريس خيار الأمة في المقاومة، ومنع التطبيع ورفض الخيانة، المقاومة التي حققت انتصاراتها الإعجازية والإلهية، وأكدت قولته الثابتة والحازمة والحافزة: «**ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة**». وهذه القوة هي قوة الشعوب. الشعوب التي اختارت المقاومة طريق نصر مؤكد فحققت ما سعى اليه.

أمّا شعارات قمة الخرطوم: «**لا صلح لا تفاوض لا اعتراف**» فتعود اليوم سائدة وفاعلة في إسقاط مشروع تصفية القضية الفلسطينية بالتطبيع والاعتراف وتمرير ما يعرف بصفقة القرن...

جمال عبد الناصر القائد الخالد سيبقى بسيرته ونمط حياته وبميثاقه وبما حققته مصر على يده، منارة الأمة ومدرسة الأجيال، وسيبقى الدافع المتجدد المتوثب لمزيد من النهوض ولمزيد من التشبث بخيارات لا تنهزم ولا تنكسر، لأنها هي التعبير الوحيد والصادق عن طبائع الأمة والتزاماتها، فأمة المقاومة لم ولن ترفع راية بيضاء، ويتجدد

الوعد الصادق معها بأن تستعاد فلسطين والقدس وبالقوة، قوة التصميم والإرادة والسعي وقوة السلاح وأبطاله ومجاهديه...

وتبقى الناصرية أهم تجربة في تاريخ مصر والعرب وفي تواريخ أمم وشعوب العالم الحرة، وستستمر كمنارة ينهل منها المقاومون والثوريون والتحرريون وينتصرون على دربها وبتجربتها الفذة وبالتفاعل مع نموذجها المميز...

أما بعد... ولأن الأمانة لا يحملها إلا من كان أهلا لها، كنتم الأمناء على العهد لأنكم مؤمنون بعقيدة الشرف والكرامة العربية وأحقية رسالتها المنزلة.

والدكتورة نشأت الخطيب هي سيدة مختارة من بينكم لتكون أيقونة العمل الوطني الواعي بما قدمته من رسالة علم وثقافة، وبتشبثها المؤكد بأحقية الدرب نحو الحق، حق الأمة حق الوطن بالسيادة والحرية والوحدة.

ولأن الأمانة كل لا يتجزأ فقد جمعت الدكتورة نشأت بين الأمانتين أمانة الأم الغالية التي أوصتها قبل رحيلها بجمع العائلة من بعدها، فخدمتهم بكل وفاء وحب وتفان ومرونة سلسة رائعة. وكانت مثال الأم التي ما زالت حتى الآن ترعى وتلملم تحت خيمة حبها وحنانها جميع أفراد العائلة من بنات وأبناء وأحفاد.

أما عن أمانة الأمة فنعجز حقا عن وصف حماسها وثباتها وثقتها بأن أمتنا تتمتع بكافة عناصر النهوض والانتصار ولا بد أن تنهض وستنهض .

من هنا كانت تمتلك طاقة خلاقة من الثقة بالمستقبل فكلما كانت تتلاطم حول الأمة أمواج اليأس كانت تردد بتحد وثقة أبيات الشاعر سليمان العيسى:

«شمس العروبة أن تطيقي الليـل بعـد اليــوم غيبـــي
غيـــبي سنصــنع للــدنــى شمساً تضيء بلا غروب»

وأستاذتي العزيزة تؤكد ثقتها بأن النصر الكامل لا بد آت. ومطمئنة جدا بأن المسيرة مستمرة. وها هي ما زالت مستمرة، فالعهد الناصري العربي المنتصر، أزهر في ال2000 حقائق النصر وولى عهد الهزائم في 2006 ليثبت توازن الرعب الثابت مع عدو الله والإنسان.

الأستاذة الدكتورة نشأت نور الدين الخطيب....

قد تألقت صعوداً إلى الذروة، ولا تزال متمسكة برايتها، ومطلة منها على أمة تؤمن بخلودها ثقافة، ورسالة، وحضارة، تزرع اليقين المتجذر في قلوب أجيالها، متحدّيةً العواصف، والقواصف، والمرجفات التي تتقاطع سيوفها فوق رأسها الشموخ وعزيمتها الفولاذية.

سوف نسجل في دفاتر ذكرياتنا، اعتزازنا في أننا استلهمنا أفكارنا القومية وحماسنا الوطني العروبي من شلالاتها المتدفقة صدقاً، ووفاءً. فكانت القدوة.

وكان لي عظيم الشرف أن أكون من طلابها في الدكتوراه حيث أشرفت وصححت وناقشت أطروحتي في التاريخ الوسيط، ووضعت جميل بصماتها على كامل صفحاتها، فنال عملي فيها تقديرا ممتازاً من جامعة بيروت العربية.

ولأنها كالشجرة المتجذرة في الأرض المتجددة عبر الفصول امتد أحد أغصانها المؤمنة بالتنمية وبث الوعي والتطوير الثقافي، فقامت هي وشقيقتها الدكتورة فدوى الخطيب بتأسيس الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير معنا والتي صدرت عنها مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة، وذلك في منطقة البقاع العطشى لكل أنواع التنمية العلمية والثقافية والاجتماعية.

والدكتورة نشأت نالت شهادة الحقوق اللبنانية سنة 1967 من جامعة بيروت العربية التي هي مفخرة إنجازات الرئيس جمال عبد الناصر الحضارية في لبنان.

ونزولاً عند رغبة والدها في متابعة دراسة الحقوق سافرت الى مصر ونالت ماجستير في الحقوق بالقانون الإداري من جامعة القاهرة في العامين 1969-1968.

ثم انتقلت لدراسة التاريخ لأنها تعتبر دراسته وتدريسه رسالة لتحضير الأجيال الجديدة للنهضة بامتهم من خلال التاريخ .

وأكملت دراستها في السوربون في باريس فنالت شهادة الدكتوراه بتقدير جيد جدا مع تقدير في التاريخ الحضاري للتاريخ الإسلامي -الوسيط عام 1975.

- عادت الى لبنان واستلمت التدريس لأكثر من ثلاثين سنة في الجامعة اللبنانية منذ عام 1977 الى جانب إشرافها على رسائل الماجستير والدكتوراه لأكثر من عشر سنوات في جامعة القديس يوسف (اليسوعية) والجامعة اللبنانية وكذلك العربية وما زالت حتى الآن تعمل في هذا المجال.
- وعندما أنشئ الفرع الخامس في صيدا وتعذر وجود اساتذة لقسم التاريخ فيه فحاولوا اغلاقه تبرعت هي وعدد من زملائها بسدّ العجز وكانت تذهب الى صيدا تحت الخطر والقصف الاسرائيلي في الناعمة والدامور وصيدا في نهاية السبعينيات.
- لها العديد من المؤلفات حيث كانت باكورتها كتاب تحت عنوان القدس بين الدين والتاريخ،

والكتاب الثاني تحت عنوان المجتمع العباسين وكتاب التاريخ والمؤرخون العرب-

قصور ومنهج.

- شاركت في عدد لا يحصى من المؤتمرات في اوروبا والعالم العربي والإسلامي.
- ولها الكثير من المقالات المنشورة في العديد من المجلات العلمية والتخصصية.
- هي رئيسة اللجنة الثقافية في اتحاد الجامعيات اللبنانية الذي أسسته الدكتورة زاهية قدورة استاذة الجيل في ذلك العهد.
- وهي الآن نائب رئيس المنتدى القومي العربي.
- كرمت بدروع من عدد ما المؤسسات الرسمية والفعاليات الاجتماعية كان اهمها تكريمها:
- من الجامعة اللبنانية.
- من هيئة دعم المقاومة في حزب الله.
- ودرع تكريمية من اتحاد قوى الشعب العامل.
- ومن المقاومة الفلسطينية.

وأخيراً هذه رائدة عربية من رائدات أمتي أتمنى لها العمر الطويل بالصحة والعافية. وبناء على رأي عضوات الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير في البقاع قررنا أن تكون هذه السنديانة محور العدد 12 من مجلة وميض الفكر للبحوث التي استنارت صفحاتها بهذه الرائدة العربية الموقرة.

كتاب العدد:

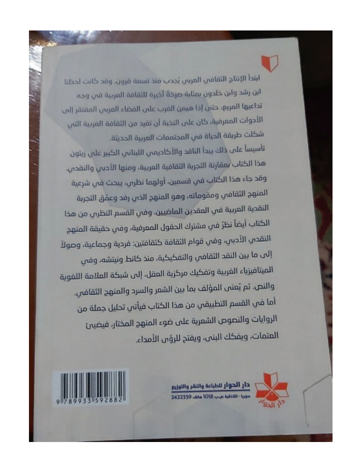
كتاب المنهج الثقافي ونظرية الكشف

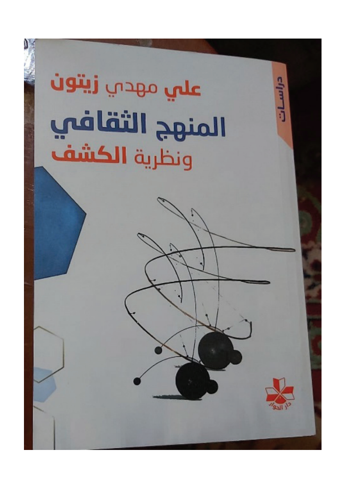
للأستاذ الدكتور: علي مهدي زيتون

نشر دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع.

ابتدأ الإنتاج الثقافي العربي يجدب منذ تسعة قرون. وقد كانت لحظتا ابن رشد وابن خلدون بمثابة صرخة أخيرة للثقافة العربية في وجه تداعيها المريع، حتى إذا هيمن الغرب على الفضاء العربي المفتقر إلى الأدوات المعرفية، كان على النخبة أن تفيد من الثقافة الغربية التي شكلت طريقة الحياة في المجتمعات العربية الحديثة.

تأسيساً على ذلك يبدأ الناقد والأكاديمي اللبناني الكبير علي زيتون هذا الكتاب بمقارنة التجربة الثقافية العربية، ومنها الأدبي والنقدي. وقد جاء هذا الكتاب في قسمين أولهما نظري، يبحث في شرعية المنهج الثقافي ومقوماته، وهو المنهج الذي رفد وعمق التجربة النقدية العربية في العقدين الماضيين. وفي القسم النظري من هذا الكتاب أيضاً نظر في مشترك الحقول المعرفية، وفي حقيقة المنهج النقدي الأدبي، وفي قوام الثقافة كثقافتين: فردية وجماعية، وصولاً إلى ما بين النقد الثقافي والتفكيكية، منذ كانط ونيتشه، وفي الميتافيزياء الغربية وتفكيك مركزية العقل، إلى شبكة العلامة اللغوية والنص. ثم يعنى المؤلف بما بين الشعر والسرد والمنهج الثقافي. أما في القسم التطبيقي من هذا الكتاب فيأتي تحليل جملة من الروايات والنصوص الشعرية على ضوء المنهج المختار، فيضيء العتمات، ويفكك البنى ، ويفتح للرؤى الأمداء .





1- «المنهج الثقافي، روحٌ تسري بين الأمم»

بقلم الباحثة « رانية محمود القوزي»
طالبة دكتوراه
kouzirania7@gmail.com

حاول فكر ما بعد الحداثة، الذي شاع في النصف الثاني من القرن العشرين، إنكار وجود القيم الأخلاقية الموضوعيّة، واعتبر أنّ الأيديولوجيّات الكبرى التي كانت من نتاج الحداثة(كالماركسيّة، والليبرالية، والاشتراكية، وعصر التنوير) لم تصل إلى ما تصبو إليه البشريّة من السعادة على وجه الأرض، لأنها اعتمدت سلطة العقل، وقد وصل الأمر بفكر ما بعد الحداثة، إلى رفض البنية الثقافية، وبالتالي رفض الهويّة الثقافية، واعتبروا أنّ النقد الثقافي هو الذي يحلّ اليوم مكان النقد الأدبي، ولمواجهة هذه الهجمة على القيم والأخلاق والدين والثوابت، كان المنهج الثقافي، وكانت الرؤية النقدية التي قدّمها الدكتور البروفسور «علي مهدي زيتون» في كتابه «**المنهج الثقافي ونظريّة الكشف**» الصادر هذه السنة، عن دار الحوار للنشر والتوزيع.

وضّحت مقدّمة الكتاب كيف أنّ سيرته مرتبطة بسيرة الباحث الكتابيّة، وأنّ فكرة المنهج الثقافي كانت فكرة غامضة في ذهنه، تبلورت شيئًا فشيئًا في مسيرة أبحاثه، حتى أصبحنا أمام كتاب جديد يشكّل توجّهًا جديدًا في النقد الأدبي، مرتكِزًا على نظريّة الكشف، ومتجاوزًا مَن سبقه مِن توجّهات نقديّة.

قسّم المؤلّف بحثه إلى فصلين: الأوّل نظري، والثاني إجرائي، في الفصل الأوّل بدأ بسردٍ موجَزٍ للتجربة الثقافية العربية الحديثة التي تأثّرت بالفلسفة الماركسيّة والوجوديّة عند الغرب: - الماركسيّة حيث لا ينبغي أن تكتب إلّا في نصرة العمّال والفلّاحين، وفي مواجهة الإقطاعيين والبرجوازيين، فينبغي على الأديب حمل فكرة تصدير الثورة، والتجرّد عن الحديث عن مشاعره وأحاسيسه وخياله وتاريخه، وهذا يعني أنّ الإبداع كان مُقيَّدًا؛ أمّا الوجوديّة فهي تصبّ اهتمامها على الفرد أكثر من تعلّقها بحياة الجماعة.

وكذلك «القومية» التي كانت من بين الأفكار الواردة من الغرب، في زمن الحداثة، والتي لاقت رواجًا عند العرب، بسبب ما عانوه من قمع من السلطات الأجنبية والمحليّة، مع ما خلّفته العنصريّة الإسرائيليّة من ممارسات لا مثيل لها في التاريخ.

يحدّد دكتور علي زيتون، توقيت تعطّل العقل العربي عن الإنتاج، مع بداية قرن الحروب الصليبيّة، فالقارئ العربي انزوى بعيدًا عن التأمّل والإبداع، وبسبب هذا الركود نشأت المثاقفة (تبادل ثقافي مع الغرب) التي، كما رأى د. زيتون، لا يمكن أن تجري إلّا على أمرين: أوّلهما ألّا ننسى تراثنا، وأن نتعرّف إليه ونتمسّك بما بقي منه حيًّا، وثانيًا، أن نمتلك ثقافة الغرب، ولكن دون أن نكون إمّعة. وهكذا، فإنّ المعرفة التي اكتسبناها من تراثنا، إضافة إلى ما يفيدنا من الغرب، يؤدّي إلى توطين هذه الثقافة بما يتناسب مع حياتنا.

وفي الفصل الثاني من الكتاب، يقدّم البروفسّور زيتون، المنهج الثقافي انطلاقًا من عدّة محاور حيث يعتبر أنّ للحقول المعرفيّة دورًا في النقد الأدبي، فعلم التاريخ، وعلم النفس، وعلم الاجتماع وغيرها، عدّت كلّ واحدة منها، أنّها هي السلطة الوحيدة التي لها الحقّ في أن تقول رأيها في كلّ أمر، ومن بينها الأدب، فكلّ علمٍ من هذه العلوم، أبدى رأيه في الأدب، وأنتج منهجًا منتميًا إليه. جاء بعدها علم اللغة ليُحدِث ثورة وتحوّلًا في النقد الأدبي عبر ثنائيّة الدّال والمدلول، هذه الثنائية التي جاء بها دي سوسير صارت مع البنيويّة أساسا في إنتاج المنهج البنيوي مقابل سلطة الحقول المعرفيّة على الأدب. ولكن، كما يقول د. زيتون، فإنّ الجهد الكبير الذي بذله البنيويون في البرهنة على أنّهم المُدافعون الحقيقيون عن الأدبية، لا يجعلنا نقرّ لهم بما ذهبوا إليه، لأنّ المسألة الأدبيّة غير قابلة للحصر.

كلّ هذا يجعلنا، كما ذَكر المؤلِّف في الفصل الثالث من الكتاب، نتوجّه نحو منهج شاملٍ مُنتمٍ إلى الحداثة، هو المنهج الثقافي المُرتكِز، عبر الرؤية النقدية للدكتور، على ثلاثيّة، هي:

1- **الرؤية إلى العالَم**، أي الرؤية القائمة التي تتشكّل من عدّة روافد، وهي ثقافة الأديب وقناعاته وهمومه واهتماماته وانفعالاته، على أنّ ثقافة الأديب هي المسيطرة، ولها السلطة العليا بين مكونات الرؤية.

2- **العالم المرجعي**، ويُقصد به الزمان بتاريخيه، والمكان بامتداده، والإنسان بكلّ قضاياه، والأحداث بكلّ مضامينها، ويقول عنه، إنّه ليس أحاديّ الجانب، فلكلّ أديب رؤيته إلى العالَم مِن حوله، ولكلّ شخصٍ فرادته في التعبير عن العالم المرجعي في خطابه الأدبي، فتصبح الرؤية بصمة لا يمكن أن تشبهها بصمة أخرى.

3- **اللغة:** وهي التي تقدّمها رؤية الأديب في العالم المرجعي، عبر الخطاب الأدبي.

وبهذا يستنتج الباحث، أنّ الشاعر الكبير لا يمكن إلّا أن يكون مثقّفًا كبيرًا، والروائيّ الكبير لا يمكن أن يكون إلا مُثقّفًا كبيرًا، فالشاعر والأديب يمتلكان ثقافة عصرهما، يحاورانها، ويطرحان عليها أسئلة تُحرجها، ويعبّران عنها في خطابهما الأدبيّ، فهذان هما الشاعر والروائيّ الحقيقيّان، وهذا ما يصبو إليه المنهج الثقافي.

يوضح الكتاب، في فصلٍ رابعٍ، الفرق بين النقد الثقافي والتفكيكيّة، وبين المنهج الثقافي، فالتفكيكيّة تَعتبر أنّ الأدب حيلة من الشاعر أو الأديب لتمرير أنساق ثقافيّة منذ وُلد الإنسان على الأرض حتّى اليوم، وهذا يرتبط بمفهوم ما بعد الحداثة، فمصطلح الحداثة والبنيويّة قد سقطا بسيطرة ما بعد الحداثة، وهذا يعني سقوط سلطة العقل ومركزيّته أي سقوط الميتافيزياء الغربية، وهذا ما يجعلنا ندخل في غياهب التيه الذي لا قرار له ولا مركز، وتحلّ فلسفة الغياب مكان فلسفة الحضور. على عكس المنهج الثقافي المنتمي إلى الحداثة ببعديها العقلاني العلمي، والأخلاقي الشرقي، ولا يدّعي التعامل مع الخطاب الأدبي منفردًا، وبذلك يصبح المنهج الثقافي ثورة ثقافية، ينادي بالإصلاح الثقافي، والتطوّر العلمي، والأفكار المعتدلة، واستفادة العقل والضمير من تعاليم راقية، والحفاظ على المعنى الذي يحمي بدوره القيمة الإنسانيّة للغة الحاملة للهويّة والانتماء الوطني، والحفاظ على ثقافة المتلقّي المسكوت عنه في روايات ما بعد الحداثة.

في الفصل الخامس من الكتاب، يضع د. علي زيتون معايير يحتاجها الشاعر ليكون شاعرًا، وهي: الموهبة، وامتلاك فاعل لثقافة العصرّ، وقدرة على أن يقيم معها حوارًا مُستمرًّا يستطيع الكشف عن المأزق الخبيء داخل هذه الثقافة. وأنّ كلمة شاعر تعني أنّه مثقّف كبير بلغ منزلة المفكّر في حقل الشعر؛ أمّا مفهوم «الشعريّة» فقد تناوله في عصرين القديم، مع ابن رشيق(يربط التسمية بالموسيقى والغناء، العابق بقيم الجاهلية- في ظل الشفوية) والخفاجي(الفرق بين الشعر والنثر هو الوزن) والجرجاني(الشعر=العقل، لا الوزن) والقرطاجنّي(الوزن + الغرابة= الشعر).

يسترشد الكاتب ببعض الأعلام في إظهار مفهوم الشعر في العصر الحديث، منهم: جان كوهين(الشعر= الحيْد= المجاز)، (مبدأ النفي الإضافي، أي بالحيد يُلغى التضاد)، ثمّ كمال أبو ديب (الاختيار من خارج حقل التوقّعات= مرتبط بالمتلقّي، وهذا خروج على الأسلوبيّة والبنيويّة)، وأدونيس(قسّم الشعريّة مرحلتين: مرحلة الشعرية الشفويّة، ومرحلة الشعريّة الكتابيّة)، وخلُص المؤلّف إلى نتيجة، هي أن خصوصيّة رؤية الشاعر هي الشعرية، والإبداع الشعري فعل كشفٍ، فاعله ثقافة الشاعر وموهبته، والعالم بديع بذاته

وحسْبُ الشعريّة أن تكشف شيئاً من هذا البديع.

في الفصل السادس، ضِمن محور «السرد والمنهج الثقافي»، تجاوز د. علي زيتون برؤيته النقدية، نظريّتي الانعكاس (العمل الأدبي **انعكاس** للعالم المرجعي كما يراه عامّة الناس) والانكسار(حين يدخل العالمُ المرجعيُّ النصَّ الأدبيَّ يخضع **للتعديل والانكسار)**، وقد عزا هذا التجاوز، إلى قدرة الأديب في الكشف داخل العالَم المرجعي، ممّا يُظهر فرادته، مع الاعتراف بقدرة خلق الله وتعاليها على ما عداها.

ويشترط د. زيتون توافر الثقافة العالية المُحيطة بعصر الأديب ومجتمعه، لتكوين الكشفية، وأن يثير هذا الأديب بثقافته المُستمدّة من محيطه أسئلة مُحرِجة على مجتمعه، تنمّ عن قلق معرفيّ إنسانيّ تاريخيّ.

وينوّه الدكتور بأدبيّة الرواية في سياقها السيميائي (علاقة الدالّ بالمدلول من خلال النصّ)، فتحليل العلامة السيميائيّة هدفه التعرّف إلى الرؤية، وإلى عمق الثقافة التي تأسّست عليها، وعلى مدى قدرتها على النفاذ في عمق المادّة المرجعيّة، وبكلمة أخرى، فالأدبيّة هي نتاج كشف الرؤية للعالم المرجعي باللغة، والمنهج الثقافي الأسلوبي البنيوي، هو المنهج الموعود، وهو خاضع لحركة نموّ ثقافي نقدي عند الناقدين.

وإضافةً إلى ذلك، فإنّ الرؤية إلى العالَم (المُدرَك)، يتجاوز بها الإنسان من المدلول العام إلى المدلول الخاصّ استنادًا إلى رؤية المُدرِك (الأديب)، وهذه الرؤية فعالية مُركّبة، قِوامُها: الثقافة والقناعات والهموم والاهتمامات والانفعالات.

أمّا في القسم الإجرائي من الكتاب، فيُظهر المؤلّف كيف كانت نتاجات الروائي السرديّة تعبيرًا عن رؤية خاصّة مؤسّسة على ثقافة خاصّة، جعلته قادرًا على اكتشاف ما لا يراه عامّة الناس من مادّتهم المرجعيّة، وأنّ العالم الروائي عمقٌ من أعماق العالم المرجعي، لا انعكاس له، فيُظهر رؤية فاتن المرّ القائمة على الشفافية، وكيف عدّلت فيه في روايتها دون أن تمسّ الحقائق التاريخيّة في العمق والجوهر. وعرض لِ «يوميات آدم وحوّاء» بين الفنّي والمرجعي، وغيرها من الروايات التي عالجها الباحث معالجة طبّق فيها المنهج الثقافي، فتكشّفت من خلالها أعماق، أظهرت ثقافة الروائيين وانتماءاتهم، كما عرّج المؤلّف على الشعر وأزال اللثام عن المُخبأ، وأظهر شعريّة الفاصلة في «مجموعة محمود نون»، وآفاق الرؤية إلى العالم المرجعي في «كرسي على الزبد»، وغيرها من القصائد التي تكشّفت عن رؤى الشعراء لعالمهم، القائمة على ثقافتهم وهمومهم واهتماماتهم وانفعالاتهم.

وفي آخر المطاف، نخلص إلى القول، بأن المنهج الثقافي الذي هو من إبداعات الدكتور «علي مهدي زيتون»، هو ثورة رؤيويّة، تستقي جذورها من الرؤية الأساسية للكون وللبشرية وقضاياها، وبه تتجدّد الثقافة العربية، وتبني لها صرحًا عاليًا في الثقافة العالمية، وبهذا يصبح هذا المنهج روحًا تسري بين الأمم.

2- المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف عند الدّكتور علي مهدي زيتون

بقلم الدّكتورة: هبة العوطة

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها – الجامعة اللبنانية

أستاذة في الجامعة الإسلامية

كعادته ينغمس «الدّكتور علي» في مؤلَّفه حتّى يصل إلى الاشباع، ومن ثمّ يخرج بسِفر عظيم، يكون مرجعا في بابه، أبدع في كلّ ما كتب وأتقن حتّى صارت أعماله حاضرة فينا، وبالعودة إلى آخر إصداراته الموسوم بعنوان « المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف» الّذي طُبع عام 2021 في دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ويحتوي 298 صفحة تدور فكرة هذا الكتاب حول المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف بداية من بدئها فكرة غامضة في ذهنه، وصولا إلى الوعي الأبهى بذلك المنهج، مسهبا في كيفيّة تفتّحه وتطوّره تطوّرا سريعا مترافقا مع مرحلة نضجه الثّقافي. والكتاب قائم على قسمين : دراسة نظريّة وأخرى إجرائيّة. والدّراسة النّظريّة هي استعادة لجميع المداخل النّظريّة الّتي شهدتها الكتب السّابقة ومحاولة تطويرها، وتوجيهها بما يجعل منها وحدة متكاملة.

أمّا الدّراسة الإجرائيّة فتمثّل مسيرة موازية لمسيرة الدّراسة النّظريّة. على هذا الأساس فإنّنا أمام كتاب جديد يشكّل توجّها في النقد الأدبي، مرتكزا إلى نظريّة الكشف ومتجاوزا من سبقه من توجّهات نقديّة عرفتها نظريّتا الانعكاس والانكسار. وقد قسّم كتابه إلى ستّة فصول بعد مقدّمة استهلّها بولادة كتابه الّتي لا تُماثل أيّة ولادة، وعن بدء فكرة المنهج الثّقافي واشتغاله به في أبحاثه دون وعي منه أنّه كان يشتغل في سياقه، وعن تفتّح الوعي به وتطوّره تطوّرا سريعا متزامنا مع مرحلة نضجه الثّقافي. هذا ما قدّمه في مستهلّ كتابه، ثمّ قدّم الفصول السّتّة حيث أسّس لمشروعه، وطبّق له في الوقت عينه، وهي عادته الجمع بين التّنظير والتّطبيق.

اختار للفصل الأوّل عنوانا «التّجربة الثّقافيّة العربيّة الحديثة»، حيث استهلّه بأهم الجوانب الّتي تعامل معها العقل العربي من الثّقافة الغربيّة، ثمّ تساءل إن كان باستطاعتنا القول إنّ الثّقافة العربيّة الّتي شكّلت طريقة الحياة في المجتمعات العربيّة الحديثة هي وليدة المثاقفة مع الغرب. وانطلاقا من السؤال خَلُصَ إلى إجابة مفادها أنّ الثّقافة الغربيّة ثقافة علميّة في جانب أساسي منها يمكن محاورتها بما يفضي إلى امتلاك معرفة ضروريّة بإنجازاتها وعلى جميع الصّعد، تمكّن من مجاراة الحياة الحديثة. وهي وإن

ضربت صحفا عن أيّ قيم أخلاقيّة في التّعامل مع الآخر، إلّا أنّ في الثّقافة العربيّة ما يسدّ هذه الثّغرة، ويصوّب المسار العلمي للمجتمع .

وينطلق في الفصل الثّاني الّذي جعل له عنوانا « نحو المنهج الثّقافي « الّذي عمد فيه إلى تقديم المنهج الثّقافي انطلاقا من المحاور الآتية : حقيقة المنهج النّقدي، حركة الأبوياز والمنهج النقدي العلمي، مشترك الحقول المعرفيّة، شرعيّة المنهج الثّقافي، التّجربة الثّقافيّة العربيّة الحديثة، جدل الثّقافة والسّياسة. ويشير في نهاية هذا الفصل إلى أنّ الأدبيّة هي النّظام السّيمولوجي عينه وهو نظام شديد الاتصال بالثّقافة أو هو تجلٍّ من تجلّياتها أو عمق من أعماقها، ولا يوجد أيّ طرف من دون وجود الطّرف الثّاني. والامساك بأيّة قيمة من القيم الفنيّة الّتي يكتنزها الخطاب الأدبي لا يكون إمساكا عميقا وحقيقيّا ما لم يكن هذا الإمساك من خلال المنهج الثّقافي.

كما وسم الفصل الثّالث « بأساسيّات المنهج الثّقافي « الّذي طرح من خلاله نظريّته الّتي سيُقارب بها النّصوص في هذا الكتاب، ومنها انتقل إلى الثّقافة : ثقافة الجماعة وثقافة الفرد، وأشار في نهاية هذا الفصل إلى الفرادة الحقيقيّة الّتي ترتكز إلى ثقافة فرديّة قابضة على ثقافة الجماعة.

وفي السّياق نفسه انتقل إلى الفصل الرّابع الّذي قام على مبحثيْن هما : « النّقد الثّقافي والتّفكيكيّة « والّذي استهلّه النّاقد بتساؤل عن ماهية النّقد الأدبيّ وبِمَ يتميّز المنهج الثّقافي عنه ؟ فنقل إلينا آراء عبدالله الغذامي في المبحث الأوّل، الآراء الّتي استخلصها من دراسته التّطبيقيّة، وتواكُبِها مع العقليّة العربيّة منذ القديم، ودعوة الأخير إلى موت النّقد الأدبي وقتل كلّ الجماليّات الّتي تنتجها النّصوص الأدبيّة، وقام ناقدنا بدحضها. ومنها انتقل إلى المبحث الثّاني مسهبا في تعريف التّفكيكيّة اصطلاحا، ومفهوما، مستشهدا بدور كلّ من دريدا وكانط ونتشه. ومنه عرّج إلى الفصل الخامس الّذي اكتفى فيه بعنصريْن ألا وهما الشّاعر ومفهوم الشّعريّة وقدّم مجموعة من النّماذج الشّعريّة عند كلّ من الخفاجي والجرجاني والقرطاجنّي، كما وتطرّق إلى منظّري الشّعريّة المحدثين أمثال : جان كوهين، وكمال أبو ديب، وأدونيس، ثمّ استجمع ما ساقه من أفكار وآراء ليستكمل فهما أخيرا للشّعريّة.

ثمّ اختتم دراسته النّظريّة في الفصل السّادس والأخير من الدّراسة النّظريّة الموسومة بعنوان «السّرد والمنهج الثّقافي» بمقاربة الخطاب الرّوائيّ متسائلا عن أهدافه. ومنه انتقل إلى حدود فاعليّة المجتمع في تشكيل الرّواية، معرّجا على البنيويّة والسّيميائيّة

والأسلوبيّة الّتي قامت عليها آليّة المنهج الثّقافي الّذي يسير تباعا على خطى المناهج الّتي سبقته، ولكنّه يتميّز عنها بمقولة الكشف.

والجدير بالذّكر أنّ «الدّكتور علي» على مدار مؤلّفاته النّقديّة دائما ينطلق من التّنظير إلى التّطبيق، هذا منذ كتابه الأوّل «الإعجاز القرآني وأثره في تطوير النّقد الأدبي « وصولا إلى كتابه «المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف»، محاولا من ذلك مواكبة السّاحة النّقديّة العالميّة. وبالعودة إلى «الدّراسة الإجرائيّة (السّرد)»، إنّ النّصوص الشّعريّة والنّثريّة المختارة موضوعا للدّراسة عند كلّ من : فاتن المرّ، ونبيل سليمان، وعلي حجازي، وطراد حمادة، ومها خير بك ناصر، ولطيفة الحاج قديح، وزهراء عبد الله، ونزار دندش، وسامية السّلوم، ومحمود نون، ومحمد علي شمس الدين، وسلمان زين الدّين، ويحيى الامام، وزاهر أبو حلا، وسعيد أبو زور، لم تكن انتقاء عشوائيّا فنتاجهم واضح لخصوصيّة رؤيتهم إلى العالم، وهذه الخصوصيّة الّتي قامت عليها فرادة كلّ منهم من جهة ولِنصل إلى لبّ الدّراسة النّقديّة من جهة أخرى عنيت بذلك المنهج الثّقافي ونظريّة الكشف. فيتمخّض عنها قوام المنهج الثّقافي الثّلاثي : الرّؤيّة، العالم المرجعي، اللغة. فالعالم الرّوائي عمق من أعماق العالم المرجعي، استطاعت رؤية الأديب بما تمكّنها منه ثقافته أن تمسك به. وهذا العمق بناء على نظريّة الأبعاد المتعدّدة لأيّ جانب من جوانب العالم المرجعي، لا يمكن لرؤية أديب آخر أن تدركه بمعزل عن رؤية هذا الأديب. يعني أنّنا أمام خصوصيّة هذه الرّؤية، البصمة الفريدة، وهذه الخصوصيّة والفرادة هي الادبيّة عينها، هي رأسمال الكاتب الّذي يُثمّر باكتشافات متعدّدة متنامية من أبعاد العالم المرجعي. والاديب الحقيقي يهجس دائما بفكرة الخلود، بقدرة نصّه على فاعليّة مستمرّة تؤثّر في كلّ جيل من أجيال القرّاء، وتُسهم في تشكيل ثقافتهم. وماذا تكون الرّواية إن لم تكن سؤالا جيّدا ومسعى مثابرا للإجابة، أو محاولة تقديم إجابة؟ وماذا تكون إن لم تكن صورة الواقع في تحوّلاته وطموحه للتّغيير وإيجاد قواعد جديدة؟

مفاد القول وختامه إشكاليّة تستحضر نفسها: هل استطاعت الرّواية العربيّة أن تطرح أسئلتها المحرجة للثقافة العربيّة القائمة الّتي تعيش تبعيّة واضحة للثّقافة الغربيّة في ظلّ عقل عربيّ عاجز؟ إنّ هذه الأسئلة النّوعيّة وحدها كفيلة باكتشاف موقعنا الثّقافي في عالم اليوم من جهة، وبإعادة تشكيل ثقافتنا من جهة ثانية، فنكون على قدر المرحلة الّتي نتفيأ تحت ظلالها.

بسم الله الرحمن الرحيم

3- «المنهج الثقافي ونظريّة الكشف»؛ نقد محليّ بمحاذاة الكونيّة

بقلم الدكتورة: زينب الطحان

باحثة واستاذة جامعية في كلية الآداب والعلوم الإنساني

في الجامعة اللبنانية

riza_zein@hotmail.com

«ترتبط سيرة هذا الكتاب بسيرتي الكتابيّة»؛ بهذه الجملة يطالعنا أستاذ النقد الأدبي المتقاعد، الدكتور علي مهدي زيتون، والذي يسرد لنا في مقدّمة كتابه «المنهج الثقافي ونظريّة الكشف»، حكاية ولادة هذا المنهج في ذهنه. فهي مختلفة، إلى حدّ ما، عما يعتاده الباحثون حين ترتبط ولادة الكتب النقديّة بمشاريع تأتي نتيجة تفكير هذا الباحث أو ذاك بقضيّة من قضايا الأدب فيرسم لها الخطة ثم يجمع لها المراجع المفيدة ويبدأ التأليف. غير أنّ قصة ابتكار المنهج الثقافي عند أستاذنا بدأت فكرة غامضة مختبئة في زوايا بحثه الجامعي الذي قدّمه لنيل شهادة الدكتوراه (أثر الإعجاز القرآني في تطوّر النقد الأدبي عند العرب من بداية القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن السابع).

تتابعت جزئيات الفكرة مع توالي الكتب التي ألفها الدكتور «زيتون»، على مدى عقود، واللافت في تلك الكتب اعتماده المنهج الثقافي من دون وعي منه في ذلك – كما يقول في مقدّمة الكتاب– فقد ظل خبيئًا تحت همّين : همّ المقاومة ومقتضيات المنهج البنيوي؛ لكنّه ما لبث أن تبلور معه وأمامه، خصوصًا مع كتاب «النّصّ من سلطة المجتمع إلى سلطة المتلقّي». فقد كان «مسوقًا فيه بكيفيّة التعامل مع المنهج البنيوي التكويني في دراسة قصة «مرتا البانية» لـ«جبران خليل جبران»، وبكيفيّة التعامل مع المنهج التفكيكي في دراسة القصيدة لـ«أبي العلاء المعري»؛ والعودة إلى المداخل النظريّة للكتب التي ألفها بعد هذا الكتاب ترينا كيف تفتّح الوعي بذلك المنهج، وكيف تطوّر تطورًا سريعًا مترافقًا مع مرحلة نضجه الثقافي، بحسب تعبيره.

لا أزال أذكر حين تعرّفت أستاذي الدكتور «علي زيتون»، في بيته القديم في عرمون، حين ذهبت مع صديقة هي أيضًا كانت تقصده للإشراف على مشروع رسالة الماستر.

يومها عرضت عليه فكرة مشروعي، وسألني: «أي منهج ستعتمدين؟». كنت محتارة فعلًا؛ لأنّ موضوع الدراسة عن رواية «بدايات» للكاتب الفرنكوفوني «أمين معلوف»، هي رواية مترجمة عن الفرنسية، وهدفي المحوري معالجة أزمة الهويّة في الأدب اللبناني – الفرنسي، بعيدًا عن التقنيات الفنيّة للرواية. فما كان منه إلا أن قال المنهج المتناسب تمامًا وبحثك هو «المنهج الثقافي». وراح يحدّثني عن مفاصله الأساسيّة. وخلال العمل البحثي، تنبّهت إلى جدوى هذا المنهج في الكشف عمّا أريده. والجدير بالذكر أنه– أي المنهج الثقافي– واجهه بعض الدكاترة المشرفين على الأطاريح الجامعية بالرفض، مدّعين قصره في دراسة التقنيات والأدوات.

ولادة «المنهج الثقافي»

يتحدّث الكاتب مطولا عما أرسته الفلسفات الغربيّة من تغيير جوهري في بنية العقل العربي، وخصوصًا عند النخبة المثقفة والعلميّة فيه. وهو إذ يقوم بذلك، ليدلّل على ما لم تستطع هذه الفلسفات ورؤاها إلغاءه من وجدان العرب وعقولهم عمومًا، وهو الإيمان بالمعتقد الديني– الإيديولوجي، والمنظومة الأخلاقيّة التي تحكمه. وهذا ما حمى مجتمعاتنا الإسلاميّة حتى الآن من الشطط الكبير الذي لحق بالفلسفات الغربيّة، وخصوصًا مع محاولات «فلسفة ما بعد الحداثة» تثبيت المتغيّرات القيميّة المتعلّقة بمفهوم المقاومة والانتصار للهويّة المحليّة والانتماء للأمّة في المساحة الأكبر.

يسوق الكاتب تلك المقدّمة التاريخيّة ليبيّن كيف ارتكزت الحداثة الغربيّة على مرجعيّة العقل سيدًا في التحكيم والبتّ والقطع في مختلف شؤون الحياة، فانعكست هذه الرؤية على مسار الدراسات الأدبيّة، وأنتجت نظريّتين: نظريّة الانعكاس التي رأت العمل الأدبي انعكاسًا للعالم المرجعيّ؛ ونظريّة الانكسار (حركة الشكليّين الروس– الأبوياز) التي رأت أنّ العالم المرجعيّ يخضع للانكسار حين يدخل النصّ الأدبيّ. فإذا كانت الرؤية بنية شديدة التعقيد، فإنّ ذلك يعني أنّ رؤية أيّ فرد قائمة على خصوصيّة مرتبطة بخصوصيّة مكوّناتها: ثقافة، قناعة، وهمّا واهتماما.

إذ إنّ الرؤية بخصوصيّتها وفرادتها شبيهة بخصوصيّة بصمة الإبهام وفرادتها. وتعامل الرؤية، بخصوصيّتها هذه، مع جانب معيّن من جوانب العالم المرجعيّ يمكّنها الرؤية من ذلك الجانب ما لا يمكن أن تراه أيّ رؤية أخرى. ويكون هذا التعامل على قاعدة أنّ أيّ جانب من الجوانب ليس أحاديّ البعد. فلكلّ رؤية قدرتها الخاصّة في سبر عمق خاصّ بها داخل العالم المرجعيّ. فالرؤية كشفيّة، والنظريّة البديلة لنظريّتي الانعكاس

والانكسار هي نظريّة الكشف.

من هنا، يبدو أنّ نظريّة الكشف راحت تتبلور مع الناقد الدكتور «علي زيتون»؛ وظهر معه أن قوام المنهج الثّقافيّ المرتكز على نظريّة الكشف ثلاثيّة متكاملة متضامنة. إذ لا توجد أية زاوية من زواياها من دون الزّاويتين الأخريين؛ فالرؤية بما تقوم عليه من ثقافة وقناعات وهموم واهتمامات هي العين الناظرة الكاشفة. والعالم المرجعيّ، في أيّ جانب من جوانبه المتعدّد الأعماق بما لا يمكن عدّه أو إحصاؤه، هو المادّة الّتي وُجدت الرؤية لتعاينها وتكشف أعماقها. واللّغة آلة الكشف التي لا قيمة لكلّ من الرؤية والعالم المرجعي من دونها؛ ذلك أنّ إنسانية الإنسان لا تكون إلا باللّغة، ولولاها لكان البشري مثل أية دودة أو حشرة من حشرات الأرض.

عند قراءة كتاب «المنهج الثقافي ونظريّة الكشف» يتبيّن ولادتها من رحم الفكر الثقافي الإسلامي الذي يمتلكه صاحب الكتاب، فهي رؤية مبانيها منبثقة بفعل انتقاد دائم للرؤية الغربيّة وتصويرها الإجرائي في تفكيك بنيوي لأهم المفاهيم والمعتقدات القيميّة للإنسان، بحيث يكون أسير فردانيته وفق نظام منفلش إلى أبعد الحدود متمثّلًا بفلسفة الرأسماليّة المتوحّشة، وخصوصًا الرأسماليّة الجديدة. لذلك كان لا بدّ من اجتراح منهج مغاير ينظر إلى الحياة وقضاياها بشكل يتفق والمسار القائم في بلادنا المعتمد على نهج المقاومة والتحدي والإصرار لصنع مستقبلنا بأيدينا.

لقد أدّت ظروف المجتمع في المشرق العربي إلى تعطّل العقل العربي عن الإبداع، والتي ساهم باصطناعها إلى حدّ كبير حضور الاستعمار. وهنا، يطرح علينا الكاتب هذا السؤال: «هل لنا أن نعيد التراتب إلى نصابه؟ المشروع ممكن وإن كانت تكاليفه باهظة على صعيد حياة المجتمع السّياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والاقتصاديّة، فالتّراث موجود وكذلك الثّقافة الغربيّة».

إذ إنّ التراث العربي بمحموله الفكريّ والسياسي والأدبي فيه المضيء، فقد تركت لنا الثقافة الإسلامية محصولًا وفيرًا على صعيد الفكر، أهمّه تبنّي العقل العلمي، وذلك في الدعوة إلى العقل من ناحية، وفي التركيز على توجيه العقل نحو الوقائع العنيدة والبيّنات التي تمثّل علامات سيمائيّة يقينيّة الحقائق التي تقدّمها من ناحية أخرى. وتركت محصولًا شبيهًا، فيما يتعلق بالبعد السياسي. ولعلّ أبرز الشواهد التي يضعها الكاتب ليبرهن على ما يدعو إليه، هو تجربة الخليفة الرابع الإمام عليّ بن أبي طالب (ع)، ووصاياه لعامليه على الولايات الإسلامية في عهده، والتي تُظهر الدلالة على المستوى

الذي توخاه الإسلام فيما يتعلّق بالعدالة والحرية وتكريم الإنسان وحتّى حقوق الحيوان والبيئة.

ما يؤكد عليه «زيتون» هو أن الثقافة العربيّة قادرة على تزويدنا بمفاتيح أساسيّة نواجه بها الثقافة الغربيّة من دون التّخلي عن الشخصية الثقافيّة العربيّة المضيّعة في ظلّ تعطّل العقل العربي ما يزيد على الثمانية قرون. فشخصيتنا الثقافيّة بسماتها الأساسيّة قائمة في تراثنا إلى حد بعيد. فالعقل العلمي العربي مصحوب بالضوابط الدينية الأخلاقية التي يفتقر إليها العقل العلمي الغربي. وهذا عامل أساسي، برأيه، تستطيع الثقافة الإسلامية معه– إلى جانب المحور العقلي العلمي– تأسيس لمسيرة نهضة علمية أرقى من نظيرتها الغربيّة. وتحقيق هذا الإنجاز وقف على المجتمع ببذله الجهد الكبير في سبيل ذلك.

ليؤكد الدكتور زيتون نظريته هذه يستعرض الحقول المعرفيّة في المناهج النقدية الأدبية، فهو يرى أنّه لا يمكن لأي منهج من المناهج وحده امتلاك الحقيقة كاملة أو ادعاء الشرعيّة الحصريّة لنفسه في مقاربة الخطاب الأدبي. إنّ أي منهج من المناهج مهمًا قل شأنه مع تقادم الزمان، ومهما حدث من تجاوز جوهري لمقولاته، يظل ممسكًا بشيء من الحقيقة. ولا يعني ذلك دعوة الى استحضار ما تجمّع من مناهج نقديّة، في أثناء هذه المقاربة أو تلك؛ فثمّة مشترك بين جميع الحقول المعرفيّة، خصوصًا إذا تعلّق الأمر بكيفيّة ولادة أي منها وكيفية نموه.

لقد تعارف المفكّرون على تسمية ذلك الخيط بالمنهج: المنهج الميتافيزيائي أو المنهج الجدلي المثالي، أو المنهج الجدلي المادي، أو المنهج التفكيكي... إلخ. وتنضوي الحقول المعرفيّة كلّها، وفي كلّ مرحلة من مراحل حياتها، تحت خيمة، يمكن تسميتها «خيمة ثقافيّة واحدة» لا يستطيع أي حقل من تلك الحقول أن يفكر إلا تحت سقفها. ولتبسيط الفكرة، يقول الكاتب: «إنّ الجماعة البشريّة على الأرض تواجه، في كلّ مرحلة من مراحل تاريخها، مشكلات وتحديات ذات طبيعة فكريّة أو اجتماعيّة أو نفسيّة أو تقنيّة أو علميّة، وقد تصل تلك المشكلات والتّحديات إلى حدّ الأزمات والمآزق التي تستنفر عقل النخبة البشريّة لفهم ما تفاقم واشتد، ولتوجِد لها حلولًا توصلها إلى مأمنها المرحليّ. وما تنتجه البشريّة من معرفة متنوّعة، في كلّ مرحلة، يظلّ واقعًا تحت سقف المنهج السائد في التفكير».

ذلك أنّ ما ينطبق على البشريّة كلها، ينطبق على الجماعات البشرية فرادى. إذ تواجه كلّ جماعة منفردة مشكلات وتحديّات خاصة بها، فتنبري نخبتها وفي ظل المنهج

السائد في التفكير لفهم ما تواجهه ولتوجد الحلول لها. وإذا نحن أمام ثقافة بشريّة عامة لا تخص مجتمعًا بعينه، وأمام ثقافات متعدّدة للمجتمعات البشريّة المتعدّدة. وما يجدر ذكره هنا، أنّ ما توصل إليه عقل النخبة هو الثقافة التي أنتجها لتلك المرحلة. وإذا كنا أمام نوعين من الثقافة، فإنّ الأبواب مشرّعة بين الثقافات المتعدّدة من جهة، وبينها وبين الثقافة البشريّة العامّة من جهة أخرى، وآليات التحاور والتمازج والإفادة المتبادلة أقوى من أن يحدّها حدّ.

إذا كانت المشكلات والتّحديّات الفكريّة والاجتماعيّة والنفسيّة والعلميّة والأدبيّة هي مشكلات وتحديّات متعدّدة؛ إلا أنّها منضويّة تحت سقف حاجات الجماعة التي واجهتها. وحاجات الجماعة هي مكوّنات حاجة أساسيّة واحدة هي حاجة الجماعة البشريّة إلى المحافظة على وجودها. وما توصل إليه عقل النخبة ليس نهاية المطاف. إذ لا تنفكّ المشكلات والتّحديّات تتوالد، فلكلّ مرحلة تاريخيّة جديدة مشكلاتها وتحديّاتها ولها فهمها وحلولها ولها ثقافتها.

يعني ذلك من الناحية الأنثروبولوجيا، أنّنا حين ننتج ثقافة إنما ننتج طريقة حياة – كما يقول تيري أنجيلتون– ثقافيّة ونفسيّة ووجدانيّة وأخلاقيّة واجتماعيّة وتقنيّة واقتصاديّة وسياسيّة...إلخ. فطريقة الحياة إذًا هي بنيّة موحّدة قائمة على مكوّنات وظيفيّة مترابطة هي تلك الحقول التي تفصح في المحصلة عن طريقة حياة غير قابلة للتجزئ. يعني كلّ ذلك أنّ الثّقافة، في كلّ مرحلة من مراحل التّاريخ البشريّ، متعالية على جميع الحقول المعرفيّة، ومن ضمنها حقل الأدب؛ وهذا ما يعطي الثّقافة الحاكميّة الأقوى.

شرعية المنهج الثقافي

ينطلق الكاتب، في تحديد شرعية المنهج الثقافي، في أن الثقافة متّصلة بالطبيعة، تنفتق عنها، وهي قادرة على تغييرها؛ فالأدب يتعامل مع الطبيعة بحيويّة واسعة؛ ذلك لأنّه يشهد ولادته من داخل الثقافة المتولّدة عنها. وهذا يعني أن عين الأديب تنطلق من ثقافته ومما استوعبته تلك الثقافة عن العالم أسيرة ذلك الاستيعاب من جهة، وأن تقوم بمحاولة الإفلات منه من جهة أخرى، تمامًا مثلما تظلّ الثقافة لصيقة بالطبيعة، منفكّة عنها في آن معًا. ويقول الدكتور «زيتون» : «إنّ آليّة الإفلات آليّة معقّدة، لأنّ رؤية الكاتب إلى العالم رؤية مركّبة. فهي تتكوّن من ثقافته، مما حصل شخصيًّا، ومما تناهى إليه من ثقافة الجماعة، ووجهة نظرها في الوجود جرّاء تجربتها المستمرة ومن قناعاته ومن همومه واهتماماته وميوله وانفعاله حيال العالم.

إذ لا تشتغل مكوّنات هذه الرؤية منفصلة عن بعضها البعض، فهي مكوّنات وظيفيّة تشتغل من داخل بنية موحّدة هي بنية تلك الرؤية. فإذا كان المكوّن الأوّل، بما هو طريقة حياة غير فرديّة ضابطًا موضوعيًّا للرؤية في ما تعاينه من جوانب العالم، ويشكل ضرورة لبقاء الاتصال مع الآخر– المتلقي، أسبغت المكوّنات الأخيرة، والمدموغة بدَمغة الثقافة بالطبع، بعدًا ذاتيًّا على المعاين بما يضمّنه موقفًا خاصًّا، وبعدًا وجوديًّا فرديًّا يحاول التفلت من أسر الطبيعة ببعديها المادي والروحي والاحتجاج عليها بما يدفع نحو ما يبدو إعادة صوغ للعالم. ويعني كلّ ذلك– بحسب رأي الكاتب– أنّ رؤية أيّ أديب قأئمة في ظل هيمنة ثقافيّة هي بالإضافة إلى ذلك بصمة لا تشبهها بصمة أخرى.

يؤكد «زيتون»، في هذا السياق، أنّ ما تراه عين الكاتب من هذا الجانب أو ذاك من جوانب العالم ذو خصوصيّة لا تتكرر عند أي راءٍ آخر. فالعالم غير أحاديّ، هو متعدّد يتكشّف عن بعد جديد مع كلّ رؤية جديدة. والتعبير عن المرئيّ ذو خصوصية غير قابلة للتكرار؛ فولادة الخصوصية الرؤيوية متزامنة مع ولادة الخصوصية التعبيريّة. ولا يستطيع أحد الطرفين أن يوجد مستقلًّا عن الآخر أو أن يولد قبله أو بعده. وحين تكون الرؤية ثقافيّة، بشكل أساسي، يعني أنّ الثّقافة هي المكوّن الفعلي للخصوصية المرئيّة المعبر عنها بخصوصيّة لغويّة غير منفصلة عنها. ولا توجد الأولى، مستقلة عن الثانية في أيّ موضع من مواضعها.

يوصلنا الدكتور «زيتون» بهذا إلى القول بمنهج بنيوي ثقافي أو بنيوي تكويني جديد. ولا يقوم هذا المنهج على إجراءين منفصلين كما رأت البنيوية التكوينيّة الطبقيّة. فالخطاب الأدبي نظام سيميولوجي– كما يقول رولان بارت– مرتكز بشكل جوهريّ بأسلوبيّة هي موضع تجلّي الأدبيّة والجماليّة لا يتجلّى بوصفه رسالة إلى المتلقي فحسب، ولكنّه يتجلى بوصفه رسالة من الكاتب أيضًا، وفي الوقت نفسه. ولذلك فإن جمالية ذلك الخطاب لا يمكنها أن تتّضح أو تتجلى من خلال طرف واحد من طرفي المعادلة.

آلية المنهج الثقافي وأدواته

تقوم آلية المنهج الثّقافيّ على ثلاثيّة : البنيويّة، الأسلوبيّة، السّيمائيّة. وهو على هذه المناهج الّتي سبقته إلّا أنّه تميّز عنها بمقولة «الكشف» الّتي تجاوزت مقولتي الانعكاس والانكسار. إذ يمثل العالم الروائي عمقًا من أعماق العالم المرجعي، لا انعكاسًا له. وذلك خلاف نظرة بعض المناهج التكوينيّة، مثل المنهج الاجتماعي أو التاريخيّ، والتي ترى أن ما يصير إليه العالم المرجعيّ في الخطاب الروائي مؤسّس على المشترك الذي يراه

جميع الناس فيه، بناء على نظريّة الانعكاس.

هذا العالم الروائيّ ليس انكسارًا أيضًا، وهذا خلاف نظرة حركة الشكليين الروس التي ترى الأدب إعادة تشكيل للواقع أو تعديلًا له. فالمبنى الحكائي عندها لا ينقص شيئًا من المتن الحكائي ولا يزيد عليه شيئًا. كلّ ما يفعله إعادة توزيع لما يمكن أن يراه كلّ الناس من العالم المرجعي. والمبنى الحكائي، بناء على ذلك، تقنيّات آليّة يمكن أن يجيدها الروائي بقدر ما يتمرّس بالكتابة، والآليّة لا تنتج أدبيّة.

الحقيقةُ أنّ العالم الروائيّ عمق من أعماق العالم المرجعي، كما يؤكد الكاتب، فقد استطاعت رؤية الأديب بما تمكنُها منه ثقافتّه أن تمسك به. وهذا العمق، بناء على نظريّة الأبعاد المتعدّدة لأي جانب من جوانب العالم المرجعي، لا يمكن لرؤيّة أي أديب آخر أو أي إنسان آخر أن تدركه بمعزل عن رؤية هذا الأديب. هذا يعني أنّنا أمام خصوصيّة هذه الرؤية. وهذه الخصوصيّة والفرادة هي الأدبيّة عينها، وهي رأسمال الكاتب الذي يُثمِّر باكتشافات متعدّدة متنامية من أبعاد العالم المرجعي. فهل يعني ذلك أنّ الإبداع الأدبي فعل كشف، فاعلُه ثقافة الأديب وموهبته؟

في هذا السياق، يطرح «زيتون» سؤالا آخر: «هل يمكننا القول : إنّ كشف أيّ عمق من أعماق هذا الجانب أو ذاك من جوانب العالم المرجعيّ نفي لفكرة الخلق ؟ ثمّ ما بال هذه النظرة التي تتجاهل إمكانيّة أن يجعل الروائي مكانًا غير موجود شريكًا للشخصيّة في إنتاج الحدث أو إمكانيّة أن يأتي بحدث لم يقع من أجل مزيد من التوغل في إبراز حقيقة وجوديّة إنسانيّة؟

هو يجيب بدوره عن سؤاله، بقوله إنّ الإجابة بسيطة؛ إذ يظلّ المكان والحدث تقنيتين. والمهمّ هو العمق الذي كُشف عنه، هُو الذي يمثّل الأدبيّة. وبرأيه – أي الكاتب – يأتي مصطلح «الخلق»، لينساب نحو بعد مجازي يفيد أن العالم الروائي ليس العالم المرجعي الظاهر، وهو ليس نسخًا أو تعديلًا في بنية سطحه المشاهد من جميع الناس، هو عمق من أعماقه لا يدركه أحد غير الكاتب بما يملكه من رؤية وثقافة.

ما يجدر ذكره في هذا المقام أن العمق الذي لا يدركه أحد غير الكاتب هو بنية غير مقفلة على نفسها؛ فالأعماق المتعدّدة لأيّ جانب من جوانب العالم المرجعيّ ليست آتية من كواكب متباعدة هي أعماق أشقاء، وبين الأشقاء ما هو مشترك، وما هو مختلف، ما هو آتٍ من الأب أو الأم، وما هو متحدّر من الجدّ أو الجدّة. ومع كل ذلك، فلكل عمق بنيته (شخصيته) المستقلة: والعمق لا يأخذ من الرؤية شيئًا. هو قائم بشكل مستقل

عنها. وظيفة الرؤية، هنا، هي قدرتها على التوغّل أكثر في العالم المرجعي وصولًا إلى عمق جديد من أعماقه. فالعمق احتمال يحتمله العالم المرجعي، تحقّقه الرؤية. وإذا قامت العلميّة على اكتشاف القوانين التي تحكم العالم، قامت الأدبية على اكتشاف غير المعروف منه.

بناء على ذلك، تعمل «نظريّة الكشف» على أن يبقى الإبداع الأدبي هو فعل كشف يتعدّى إلى ما هو موجود بعيدًا من فكرة «الخلق» بمعناها الحرفي؛ فالعالم بديع بذاته. إذ بحسب الأدبيّة أن تكشف شيئًا من هذا البديع وهذه الرعشة التي تجتاح المتلقّي لحظة وقوعه في أسر النصّ. فهي بسبب الجديد الذي قُدِّم له، بسبب رؤيته ما لم يعتد أن يراه في أحد جوانب العالم. كذلك الجمال، فيما يُسمى فنًّا، هو عمق بديع جديد مكتشف. ولا يقلّل هذا من الأدبيّة، ولكنه يصحّح التعامل معها، بعد أن طال الزمان مع ارتكاز الدارسين على مقولة الانكسار منطلقًا. ومقولة الانكسار التي أنتجت السرديّة منهجًا، وضعت يدها على تقنيّات لا يمكنها أن تضع بين يدينا العمق المكتشف، أو ما أُطلِق عليه الخصوصيّة والفرادة والأدبيّة.

لا يعني ذلك الاستغناء عن هذه التقنيّات التي هي من مقوّمات الخطاب الروائي. تبقى لها وظيفتها التي لا ترقى، حكمًا، لتمثّل أدبيّة الرواية. إذ إنّ أدبيّة الرواية قائمة في النسيج اللغوي الذي يمثّل، بشكل أساسي، إمساك الرؤية بعمق من أعماق العالم المرجعي المتعدّد الأعماق. ويحضر الأسلوب الذي قالوا عنه «إنّه الرجل». والحقيقة الدقيقة: هو رؤية الرجل، ثقافته. فما تراه الرؤية (الخاصّ الفريد)، لا تراه إلا باللّغة؛ فلا فكر ولا تفكير خارج اللّغة وبمعزل عنها، وفاق الألسنيّة.

كما أن لهذا الأسلوب فاعليّة لغويّة بالدرجة الأولى. ويضعنا هذا أمام الأسلوبيّة، ويفترض أن نتعامل معها بعيدًا من الناحيّة الشكليّة وحدها، ولكن بما فعلته رؤية الأديب ثقافته في صوغ الأسلوب، البعد الترميزيّ للمكتشف والأسلوب عين المكتشف. ولا يمكننا أن نتخيّل وجود مكتشف أدقّ أو أعلى سهمًا من الأسلوب الذي رمز إليه، أو وجود أسلوب فضفاض يفيض عن المكتشف. والحديث عن تقصير اللفظ في التعبير عن المعنى حديث قد يخصّ الناشئة ولا علاقة له بالأدباء ذوي الثقافة الخاصّة.

نظرة كهذه إلى العمل الروائي، من شأنها أن تعلي دور الوصف على حساب السرد الذي يصبح دوره ملحقًا بالوصف، وذلك في رواية تحاول التخلّص من كلّ الآثار التي تركتها حكايات الجدّات في الرواية الحديثة. فالأحداث المتتالية مشهد ترى فيه الأفعال.

ولذلك؛ فإنّ السرد كالوصف يقدّم، في العمق، مشهدًا سيمائيًا دالًا تمامًا كالمشهد الذي يقدّمه الوصف. والفارق بين جملتي: رحل عباس وعباس راحل، ليس في جوهر الرحيل، ولكن في كيفيته. وإذا كان الرحيل متنًا فالكيفيّة هامش يظل دون المتن ولا يتعالى عليه. ولا يعني ذلك ميلًا نحو تصوّر سكوني للعالم، ولكنه يعني إزالة الحدود بين المتحرك والساكن ووضعهما في نطاق المشهديّة التي تراقبها الرؤية؛ أي رؤية الأديب إلى العالم، ورؤية المتلقي إلى الخطاب الأدبي، حيث السيمولوجيا هي الفاعل الحاضر بقوة، وهي الرسالة عينها.

في هذه الإشكالية عود إلى ارتباط المثقّف العربي بالغرب عبر عنوانين كبيرين: الأوّل ثقافي من خلال المثاقفة في ظلّ ثنائيّة التقدّم الغربي/ التخلّف العربي، والثاني سياسي في ظلّ انتقال الغربي من استعمارنا مباشرة إلى استعمارنا بشكل غير مباشر ومن دون أيّة كلفة. وهذا ما أدّى إلى تعالي السياسيّ على الثقافيّ، فكان الهمّ السياسي حاضرًا في قلب الهمّ الثقافي ومتحكّما في معظم مفاصله. ولقد جرى التوصّل إلى هذه النتيجة في أثناء تناول التجربة الثقافيّة العربيّة الحديثة.

كان المرتكز المحوريّ، في أثناء البحث في الفصل الثاني الموسوم بعنوان» نحو منهج ثقافيّ»، القول: إنّ الكاتب الذي يكتب إنّما يكتب باللّغة ما مكّنته ثقافته أن يراه من هذا الجانب أو ذاك من جوانب العالم المرجعيّ، وذلك ارتكازًا على نظريّة الكشف التي ترى أنّ العالم المرجعي شخصًا كان أم حدثًا أم غير ذلك، فهو متعدّد الأعماق، ولا يمكن لرؤيتين متمايزتين أن تصلا إلى العمق نفسه، في اللحظة نفسها، بما ينتج الخصوصيّة الرؤيويّة المرتبطة بخصوصية لغويّة تكمن فيها الجماليّة الأدبيّة.

يوصلنا هذا الأمر إلى مقولة مفادها أنّ الإنسان عندما يفكّر إنّما يفكّر من خلال اللّغة. ويدعو هذا إلى رفض المقولة الأدونيسيّة التي ترى أنّ مسافة غير قابلة للإلغاء تظلّ قأئمة بين ما يفكّر به الإنسان وما يقوله في إشارة إلى عجز التعبير عن أبعاد التفكير. والحقيقة أنّ الإنسان، كما سبق للكاتب أن أشار إليه، لا يفكّر إلّا من خلال اللّغة، والفكرة كائن لغويّ. ومن الحقائق التي أُقِرّت أنّ لكلّ نوع أدبي أسلوبيّة عميقة خاصّة يجيدها من يتمرّس بها فينتج بوساطة رؤيته من خلالها أسلوبيّته الخاصّة. كيف لا؟ والأديب الكبير مثقّف كبير امتلك ثقافة عصره واستطاع أن يطرح عليها أسئلته المحرجة التي فيها تكمن أدبيّته الخاصّة وخصوصيّته الجماليّة؟

لا تكمن الجدّة في الجانب النظري من الكتاب، ولكن تتعدّاه إلى الجانب الإجرائي أيضا. والعودة الى القراءات التي تناولت النصوص السرديّة أو تلك الشعريّة ترينا أنّ تلك القراءات قائمة خارج ما سعت إليه المناهج النقديّة المعروفة سابقًا. فلهذه القراءات وهجها الخاص، في أثناء تتبعها اللّذة الجماليّة التي تثيرها النصوص موضوع الدراسة. إنّها خصوصيّة المنهج الثقافي في محاولته تعرّف ما كشفته رؤية هذا الأديب أو ذاك الشاعر من العالم المرجعي، بما يثير متعة القارئ بجماليّة النقد الأدبي الباحث عن الجماليّة الأدبيّة أيضًا.

يبقى أنّ منهجًا يدّعي أنّه تجاوز للمناهج النقديّة التي جاء بها الغرب، وللنظريّات الأدبيّة التي قال بها، إنّما يطرح على المثقّف العربي أن يسأل نفسه أسئلة مجتمعه المتعلّقة بجميع الحقول المعرفيّة التي ما زال يمثّل فيها عالة على ما أنتجه الغرب منها. يعني أنّ المطلوب من المثقّف العربي معاينة الأزمات والتحديّات التي يواجهها مجتمعه لإنتاج ثقافة ذلك المجتمع. وثقافة أيّ مجتمع ليست ترفًا يتسلّى بنسجه مثقّفو ذلك المجتمع. تبدأ حكاية الثقافة، موضوعيًا وعلميًا، مع أزمات وتحدّيات يواجهها المجتمع، وتطال حياته السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والمعرفيّة، فينبري مفكّرو الأمّة ليتعرّفوا تلك الأزمات والتحديّات، وليضعوا حلولًا لها. البعد المعرفي، هنا، يتعلّق بفهم مقوّمات الأزمات والتحديات من جهة، وبإيجاد الحلول الناجعة لها، من جهة ثانية، هي ثقافة المرحلة التي سرعان ما يجري تجاوزها من خلال ولادة أزمات وتحدّيات جديدة، بما يجعل من حركيّة الثقافة حضورًا دائمًا.

خاتمة أمل مشرق

قد ينظر بعض نّقاد الأدب العربي، وطلّاب الدراسات العليا، بخوف وتردد إن هم اعتمدوا «المنهج الثقافي» وسلة لتشريح النصوص، نظرًا إلى حداثته الطريّة من جهة، وإلى سيطرة المناهج النقديّة الغربيّة على ساحة النقد العربي من جهة أخرى. إذ دومًا يشكّل الجديد، أي جديد، رهبة من الخوض فيه، هذا من جهة، فعليه محاربة القديم ليثبت ذاته. في حين أنّ نظريّة الكشف التي يعتمدها أستاذنا الكبير الدكتور «علي زيتون»، لا تلغي أبدًا المناهج النقديّة السابقة ولا تقلّل من قيمتها ودورها في الدور العلمي – الأدبي، وما أنجزته من نهضة معرفيّة لا يمكن القفز عنها.

هو يؤكد على أهميتها والاستفادة منها، إذ يظلّ المنهج الثقافي، وبما توافر من ثقافة، منهجًا جديرًا بالاهتمام والتطوير سواء أتعلّق الأمر بالناحية النظريّة منه أم تعلق بالناحية

الإجرائية المرتبطة به. وهو لا يحتاج إلى دمج البنية اللغويّة ببنية أخرى أوسع منها. وضع اللّغوي قبالة الثقافي بوصفهما وجهين لحقيقة واحدة لا يتعالى فيها طرف على آخر كما تعالى الاجتماعي على اللّغوي في البنيويّة التكوينيّة اللوكاتشيّة، بل على العكس من ذلك يستضيء كلّ طرف منهما بالطرف الآخر. إنه يمثّل عودة النقد، مرة ثانية، إلى الجذر اللّغوي العلمي. فالكلام توظيف للنظام اللّغوي، والرؤية المخصوصة توظيف للثقافة. وكما يحضر النظام اللّغوي في الخطاب تحضر الثقافة فيه.

يريد الكاتب الوصول من كلّ ذلك، أولًا وقبل كلّ شيء، إلى أنّ النّاقد لا يمكنه أن يكون ناقدًا كبيرًا يستطيع قراءة نتاج الكبار ما لم يكن مثقّفًا كبيرًا ممتلكًا الثّقافة الّتي يمتلكها المبدع، ثقافة العصر، وقادرًا على طرح الأسئلة المحرجة عليها؛ فالحراجة سرّ الأدبيّة وسرّ النقديّة الأدبيّة. وهذا يفرض ذلك على النّاقد، بالإضافة إلى امتلاكه ثقافة العصر، أن يكون داريًا بخصوصيّة المبدع الثقافيّة. هذه الدراية تسهّل عليه الدّخول إلى أدبيّة المبدع، وتمكّنه من إنتاج نص نقديّ وخصوصيّة نقديّة تثير متعة المتلقي، لأنّ ملامسة منطقة الحساسة المتعلّقة بالصراع الخفيّ الّذي تنهمك به ثقافة التّقدّم في مواجهة الثّقافة المضادّة المتلبّسة بلبوس مضلّلة هو الجوهر الكشفيّ الثّمين الّذي يجب أن يتوخّاه النّاقد المثقّف.

لا يعني كلّ ذلك أنّ الرّحلة الكشفيّة الّتي يقوم بها النّاقد داخل الرحلة الكشفيّة الّتي يقوم بها المبدع الكبير مسألة مستصعبة؛ لأنّ رحلة النّقد الأدبي المنتمي إلى الحداثة، حداثة العقل العلميّ، قد قدّمت لنا تراثًا مهمًّا يمكن الاستناد إليه. فالبنيويّة مع ما وجّه إليها من نقد بلغ حدّ رفضها، بعض الأحيان، هي منهج علميّ عنيد الحضور. يكفي أنّها لفتت انتباهنا إلى بنية النّصّ الشعريّ من جهة وبنية النّصّ السّرديّ من جهة أخرى. فلا شعر بلا إيقاع ومعجم وتركيب وصورة ورمز؛ ولا قصّة من دون زمان ومكان وشخصيّة. وهذه حقيقة ثابتة يمكننا الانطلاق منها في الرّحلة النّقديّة القاصدة العمقَ الكشفيَّ في نهاية المطاف.

الأسلوبيّة هي الأخرى آليّة لا يمكن ولوج عالم أيّ نصّ من دونها. فالأسلوب فاعليّة لغويّة لا يمكن من دونه التّعامل مع اللّغة. فهي خطوة علميّة ثابتة تضاف إلى الخطوة العلميّة السّابقة (البنيويّة) على درب العمليّة الكشفيّة. وإذا شكّلت الظّواهر الأسلوبيّة علامات دالّة، فإنّ السيمائيّة هي الوسيلة العلميّة المكمّلة لكل من البنيوية والأسلوبيّة الّتي تصل بنا إلى جوهر ما كشفه لنا المبدع باللّغة من عمق من أعماق العالم المرجعيّ

الّذي سيكون بشكل أكيد مثيرًا للمتعة الجماليّة الّتي هي غاية كلّ نصّ.

يعني كلّ ذلك أنّ آلية المنهج الثّقافيّ قأئمة على ثلاثيّة: البنيويّة، الأسلوبيّة، السّيمائيّة – كما مرّ معنا– غير أنّه يتمايز عنها باعتماده مقولة «الكشف»، والتي هي منظار خاص يتجاوز مقولتي الانعكاس والانكسار، ويرتقي بالنقد إلى رؤية تحافظ على بُنية رؤية الأديب أو الشاعر وتعطيه حق الفرادة في أن يكشف خصوصياته وهويته وهموم قضاياها من دون أن يُعاب عليه عدم تماهيه مع السيل الجارف للرؤية الغربيّة التي لا تنظّر إلا لفلسفتها وتحقيرها للشعوب ودعمها لروح الاستعلاء والعنصريّة؛ وفي الوقت نفسه، لا يحقّ اتهامه بالأدلجة التي يُزعم أنّها توهن النّص وتضعف مقولته. وحول هذا الرأي الأخير، أعتقد أنّنا نفتح مجالاً أكبر لمساحة نقديّة في الأدب العربي أولًا، ثم العالمي، كيف يمكن لنا المدافعة عن معتقداتنا وتصوير قضايانا من وجهة نظرنا من دون اتهامنا بالأدلجة والرؤية الضيقة والمحليّة المحدودة.. هذه المسألة لم يجب عنها أستاذي – صاحب الكتاب– لذلك أرجو من الله سبحانه أن يمدّه بالعمر الطويل ليكتب لنا إجابة نقديّة مفصّلة عن هذا السؤال.

تعريفات عن المجلة

15. أ. د. هالة أبو حمدان (لبنان): أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.
16. أ. د. وجيهة الصميلي (لبنان): رئيسة قسم اللغات في كلية التربية / الجامعة اللبنانية.
17. د. ابراهيم جواد (سوريا): أستاذ في الشريعة من جامعة دمشق وشاعر ومؤلف لعدد كبير من الكتب المنشورة.
18. د. رشيد احمد حسن (اليمن): نائب العميد لشؤون الطلاب في كلية التربية / جامعة زنجبار، و حاصل على لقب أستاذ مشارك من جامعة أبين وفي قسم اللغة العربية/ كلية التربية جامعة زنجبار، أستاذ النحو واللغة المساعد فيها و في جامعة عدن،
19. د. عادل حسن طه (السودان): أستاذ اللغة العربية بكلية التربية، جامعة السلام – السودان
20. د. موسم عبد الحفيظ (الجزائر): أستاذ محاضر «أ» ودائم في قسم العلوم الإنسانية بجامعة سعيدة، وعضو في المجلس العلمي لكية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. أستاذ مؤقت في قسم التاريخ بجامعة تلمسان.
21. د. شيماء نصيف عناد محمد: (العراق) استاذ مساعد في كلية التربية – جامعة واسط / قسم العلوم التربوية والنفسية.

رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

أهداف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجعٍ علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للأبحاث والأوراق العلمية.

قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

الصفحة الأولى:

التوجه إلى إدارة المجلة.

الموضوع.

المرجع.

اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.

التاريخ.

الصفحة الثانية:

عرض أهم نقاط البحث

الصفحة الثالثة:

الإجابة عن الأسئلة التالية:

هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟

هل يعد البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟

كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟

هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟

ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟

هل البحث يعد إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟

ما هو رأيك بنتائج البحث؟

ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

الصفحة الأخيرة:

علامات التقييم:

ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟

هل يعد البحث أصيلاً؟

هل البحث صالح للنشر؟

قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

أولاً: قواعد عامة:

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيسة التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

ثانياً: الأبحاث أو المقالات:

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيسة تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورا.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـ Word 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله وعنوانه الإلكتروني صورة له على ورقة مستقلة، ويجب إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 100 دولار أمريكي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

ثالثاً: المصادر والحواشي:

يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر الصفحات من كل بحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن:

اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

رابعاً: إجازة النشر:

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال اسبوعين من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد عرضها (في حالة البحوث) على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الكاتب وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

باب التربية وعلم النفس

1- درجة ممارسة القيادة الإبداعية لدى مديرات مدارس التعليم العام للبنات وعلاقتها بالأداء الوظيفي من وجهة نظر المعلمات في دولة الكويت

بقلم: الدكتورة فاطمة حمزة عباس المطوع

2- سيكولوجية الجماهير

بقلم الدكتور محمد جابر

باب التاريخ

1- العتبة الكاظمية المقدسة مركز إشعاع ثقافي، مجلة زهور الجوادين (1429 - 1438 هـ)

بقلم كل من الأستاذ الدكتورة وجدان فريق عناد / جامعة بغداد والباحثة حورية الصباحي الوناني

2- النظام المائي ومنشآته (إقليم الزاب-إفريقية-أنموذجا) دراسة تاريخية أثرية

بقلم الدكتور د. جمال عناق

3- مواجهة الضغط الأمركي في ظل جائحة كورونا

بقلم الدكتورة هيفاء سليمان الامام

باب الجغرافيا

1- واقع زراعة القمح في غرب بعلبك

بقلم الباحث الطالب مصطفى محمد شمص

2- التأثير الحراري والمطري على تباين مؤشر (NDVI) في مناطق مختارة من العراق

بقلم الدكتور عدنان كريم گهار الجبوري

باب الإعلام

1- أزمة الإعلام الساخر في الوطن العربي (صحافة الكاريكاتير– قراءة في البدايات والواقع والمستقبل)

بقلم الدكتور علي عبد الرحمن عواض

2- اتجاهات القائمين بالاتصال في الصحافة الليبية نحو تجديد مفاهيم الثقافة السياسية

الدكتور ميلود فرحات علي فرحات

باب العلوم الاجتماعية والفلسفة

1 - مفكرو العرب المعاصرين والإضراب عن التفكير "نحو تكوين رؤية جديدة في التفكير العربي"

بقلم الدكتورة فوزية محمد مراد

2- نموذج دولة الإمارات العربية المتحدة الناجح في احتواء جائحة كورونا

بقلم الدكتور حبيب حسن بدوي

باب النقد والأدب

1- سلطة الزمان وتجلياته المكانيّة في الكتابات السرديّة

بقلم الأستاذة الدكتورة مها خير بك ناصري

2- الأسلوب الإقناعي الحجاجي في خطاب الرئيس رفيق الحريري

بقلم الدكتورة د. هبة الحشيمي

باب الأبحاث باللغات الأجنبية

1-بحوث قدمت باللغة الفرنسية:

1- Evaluation authentique et apprentissage numérique: Quels enjeux? Quels défis?

Préparé par:

1- Dr. Rana Bakhit

2- M.Tarek Salim Al-Majanini

2-« Le Génie du Lieu ou l'écriture Génie» Etude de l'espace dans Le Génie du lieu, de Michel BUTOR

Préparé par Danach Nisrine

جديدنا

ادخال مجلة وميض الفكر للبحوث إلى معامل التأثير العربي ونيلها الأرقام (Ref.No:2020J1010):

وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .

كما تم فهرستها في مؤسسة الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية تحت رقم:

code ARCI-2007-1110

